الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) وأوجبنا مافيها من الأحكام وألزمنا كم العمل بها وكذلك من بعدكم الى يوم القيامة (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا بالأمر والنهى فلا تعطلوا الحدود

﴿ حكم الزنا ﴾

(الزانية والزانى) فيما فرضنا أوفيما أنزلنا حكم الزانية والزانى و يصح جعل الزانية والزانى مبتدأ خبره (فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلده) الجلد ضرب الجلد فلاينبغى أن يصل الى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم مقامهم الامام لتعذر اجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط فى وجوب الحد وهى البلوغ والعقل ويجب أن يغرب عاما عند الشافعى لثبوته فى السنة . ووكل أبو حنيفة أمر التغريب لرأى الامام ويجب على العبد والأمة نصف الحد ولارجم عليهما وهذا حكم غير المحصن . أما المحصن فيزيد على ماتقدم أن يكون حرا مسلما متزوجا بنكاح صحيح وقد دخل بها والاسلام ليس بشرط عند الشافعى محتجا برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين وحكم المحصن الرجم . ويرى مالك فى غير المحصن كما يرى الشافعى ولكن المرأة لاتغرب . ويرى الحنفية أن التغريب المروى فى الحديث منسوخ كما نسخ الحبس والأذى فى قوله ـ فامسكوهن فى البيوت ـ وقوله ـ فآذوهما ـ بهذه الآية (ولاتأخذكم بهما رأفة) رحمة ورقة فتعطلوا الحدود أوتخففوا الضرب بل يكون فى الزنا أشد من الفرية وفى الفرية أشد من حد الشرب أو يخفف فى الأخير ويشدد فى الأولين على الخلاف فى المذاهب وقوله (فى دين الله) أى فى حكم الله * روى انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴾ * وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يابنى إن الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لاتأخذه الرأفة اذا جاء أمر الله أى اذا كنتم تؤمنون فلاتتركوا اقامة الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التنكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أواثنان والمراد حصول التشهير فقد يكون التفضيح أكثر تعذيبا من التعذيب . ولما كانت الاشكال تحن الى أشكالها وكان ضعفة المهاجرين قد هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية نزل قوله تعالى (الزانى لاينكح إلا زانية أومشركة) لتقارب الأشكال وائتلاف الأخلاق (والزانية لاينكحها إلا زان أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهومكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التشبه بالفساق والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغيرذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس عن ذلك فان الزناة يألفون والصلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لايمنع زواجهن * وقيل ان نكاحهن كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى ـ وأنكحوا الأيامى منكم ـ ولذلك قال ﷺ لما سئل فى نكاح المسافحات ﴿ أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال ﴾

﴿ فصل فى حكم القذف العام وفى حكم قذف الرجل زوجته وفى الملاعنة ﴾

اعلم أن من قذف محصنا أومحصنة بالزنا فقال له يازانى أويازانية أوزنيت فعليه جلد ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا وكان المقذوف محصنا أى مسلما بالغا عاقلا حرا عفيفا من الزنا ولافرق بين الذكر والأنثى ويكون الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولاتعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لأبى حنيفة ثم اذا كان القاذف عبدا

يجلد

يجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وهو يكون برأى القاضى . ومن زنى وتاب وحسنت توبته وقذف لايجب فى قذفه إلاالتعزير وهكذا القذف بغيرالزنا مثل يافاسق و ياشارب الخمر وهذا قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) اللاتى استوفين الشروط الخمسة المتقدمة وكذلك الرجال بهذه الشروط وخص النساء بالذكر لشناعة أمرهن اذا قذفن وقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلده) أخف من جلد الزانى (ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم فالقذف إذن من الكبائر فلذلك سمى مرتكبه فاسقا (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) من بعد القذف (وأصلحوا) أحوالهم وهذا استثناء من الفاسقين وسيأتى ايضاحه والخلاف فيه (فان الله غفور رحيم) يغفر ذنوبهم ويرحمهم (والذين يرمون أزواجهم) يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الخ (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (ويدرؤا عنها العذاب) ويدفع عنها الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رمانى به من الزنا (والخامسة) بالرفع والنصب (أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) فى ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان

﴿ فصل فى قصة الإفك ﴾

ولما ذكر حكم القذف العام وقذف الرجل زوجته أتبعه سبحانه بالكلام على الإفك فى أمر عائشة أم المؤمنين والافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ﴿ومحصل القصة﴾ ماذكرته رضى الله عنها قالت ﴿ فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتى فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد مانزلوا فهلك فى من هلك فاعتللت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتنى بالإفك فلما سمعت ازددت مرضا و بت عند أبوى لايرقأ لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالق كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشرى ياحميراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لابحمدك ﴾ اه وهذا قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالافك) وهو الصرف لأنه قول مافوك مصروف عن وجهه (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الأربعين وكذلك العصابة منهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعة وحسان ابن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش . ثم استأنف سبحانه الكلام مخاطبا رسول الله ﷺ وأبا بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم قائلا (لاتحسبوه) أى الافك (شرا لكم بل هو خير لكم) لكم فيه ثواب وارتقاء الأنفس وظهور الكرامة بانزال ثمان عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وفيه أيضا تهويل وتشديد على من تكلم فيكم وثناء على من ظن خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب بقدر ماخاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه (منهم) من الخائضين وهو عبد الله بن أبى فانه هو الذى بدأ به لأنه يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولانجا منها (له عذاب عظيم) أى جهنم . ثم أخذ يوبخ العصبة فقال سبحانه (لولا) هلا (إذ سمعتموه) أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أى هلا ظن المؤمنون والمؤمنات الذين سمعوا الافك خيرا بعائشة وصفوان اللذين هما من المؤمنين الذين هم جميعا كنفس واحدة فاذا ظنوا بهما خيرا فقد ظنوا بأنفسهم وهذا من أبلغ ما يكون فى التلطف من حيث اتحاد المؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين لاحقيقة له (لولا) هلا (جاؤا عليه) على مازعموا (بأربعة شهداء) يشهدون بذلك (فاذ لم يأتوا

بالشهداء فأولئك عند الله) فى حكمه وشريعته (هم الـكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) ففضله فى الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها امهالكم للتوبة ورحمته فى الآخرة بنعم كثيرة منها العفو والمغفرة (لمسكم) عاجلا (فيما أفضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) فالجلد واللوم مستصغران بالنسبة له (إذ) متعلق بمسكم (تلقونه بألسنتكم) يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) أى يقولون بألسنتهم من الافك ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لاتبعة له (وهو عند الله عظيم) فى الوزر . فهذه ﴿ ثلاث خصال ﴾ التلقى والتحدث والاستصغار للذنب مع عظمته (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) مايصح لنا (أن نتكلم بهذا) فى أمثال هذه الامور لاسيما مايختص بابنة الصديق (سبحانك) تنزيها لله من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فان فجورها يخل بمقصود الزواج (هذا بهتان عظيم) لأن المبهوت عليه عظيم (يعظكم الله) كراهة (أن تعودوا لمثله أبدا) مادمتم أحياء مكلفين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تقريع وتوبيخ فان الايمان يمنع من القبائح (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعليما لكم (والله عليم) بصفوان وعائشة وبكل الأحوال (حكيم) فى تدبيره هذا العالم ومن حكمته أن يجعل زوجاته ﷺ طاهرات لأنه يكرم أولياءه . ومن حكمته انه برأ عائشة وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحبون) كعبد الله بن أبى وأصحابه (أن تشيع الفاحشة) أى يظهر الزنا (فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) فيحدون فى الدنيا ويدخلون جهنم فى الأخرى (والله يعلم) مافى الضمائر (وأنتم لاتعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر فى الدنيا وهو يعاقب على ما يعلم من حب الاشاعة وعقابه فى الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة والخطاب لمسطح وحسان بن ثابت وحمنة وكرره للمنة بترك المعاجلة بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) الفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن شرع التوبة ووفقكم لها فتمحى ذنوبكم وأنزل الحدود وهى كفارات لذنوبكم (مازكى منكم من أحد أبدا) أى ماطهر ولاصلح فانه بفضله ورحمته شرع التوبة وقبلها وأنزل الزواجر وحكم بها ووفقكم لما يمحوا الذنوب إما بأعمالكم الصالحة واما بما تصابون به من الرزايا فانها مكفرات (ولكن الله يزكى من يشاء) بتوفيقه للتوبة وحمله عليها وقبولها منه و باقامة الحدود وانزال مايخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع) لمقالتهم (عليم) بنياتهم . ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين نزل قوله تعالى (ولا يأتل) أى لايحلف (أولوا الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى المال (أن يؤتوا) على أن لايحسنوا الى المستحقين للاحسان الموصوفين بأنهم من (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) وان كانت بينهم و بينهم شحناء لجناية اقترفوها . و يصح أن يقال « ولا يقصر أولوا الفضل الخ » ثم قال (وليعفوا) أى وليستروا (وليصفحوا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فليفعلوا بهم مايرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بآدابه . ولما قرأها النبى ﷺ على أبى بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد الى مسطح نفقته (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائشة رضى الله عنها وغيرها من كل سليمة الصدر نقية القلب لادهاء عندها ولا مكر لأنها لم تجرب الامور (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) فهؤلاء القذفة ملعونون فى الدارين ولهم عذاب عظيم فى الآخرة إن لم يتوبوا فيعذبون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكوا أو بهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على تلك الأعضاء وهو أبلغ من نطق اللسان فالمغتابون والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم مجسمة يراها المذنب

وتشاهدها

وتشاهدها الناس حوله والملائكة بصورة قبيحة بشعة تشعر بالمهانة والذلة ولامانع من النطق اللفظى وهومعنى قوله تعالى - ووجدوا ماعملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان بمظهره الحقيقى وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصوره الباطنة تلازمه ولاتفارقه ويودّ لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلايقدر بل تكون له كالهواء يحيط به أينما حلّ . ويقولون إن جسم الانسان بعدالموت عبارة عن صورة طبق الأصل أى مطابقة لهذا الجسم المادّى ويسمى ذلك الجسم ﴿ الجسم الأثيرى ﴾ أى المنسوب للأثير وهى المادّة اللطيفة التى هى أخف وألطف من الهواء والعالم كله مغمور فيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان ويودّ لو ينخلع منها اذا كانت قبيحة قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) علم معاينة (أن الله هوالحق المبين) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتقم من المظلوم لظالمه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبى والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والعكس يعنى عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهى مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرّؤن مما يقولون) أى أصحاب الافك (لهم مغفرة) عفو لذنوبهم (ورزق كريم) أى الجنة وقد خصت عائشة بأن جبريل نزل بصورتها فى راحته وقال هى زوجتك ولم يتزوّج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحى وهو معها فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وهى ابنة الصدّيق وخلقت طيبة ووعدت المغفرة والرزق الكريم . انتهى التفسير اللفظى وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾ :

(١) فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -

(٢) وفى قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ

(٣) وفى قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا - الى قوله - سميع عليم -

(٤) وفى قوله - الخبيثات للخبيثين - الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - ﴾

(١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق سواء أكان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى ردّ الشهادة والى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبى وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى ومالك والشافعى

(٢) لاتقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق عند النخعى وشريح

(٣) لاترد شهادته بنفس القذف مالم يحدّ عند أصحاب الرأى

(٤) هو قبل الحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف تردّونها فى أحسن حاله وتقبلونها فى شرّ حاله وهذا هو اعتراض الشافعى على أصحاب الرأى بل قال ان حدّ القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع للكل كما تقدّم

(٥) لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولايسقط بالتوبة وهذا مذهب عامّة العلماء وقوله - أبدا - أى مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأبدية فى كل شئ بحسبه فالقاذف أبديته حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن

أى لاتقبل مادام على كفره

﴿ اللطيفة الثانية ـ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ـ الى آخر الآيات ﴾

فقوله ـ انه لمن الصادقين ـ معناه على انه من الصادقين فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيدا * روى عن سهل بن سعد الساعدى أن عويمر العجلانى جاء الى عاصم بن عدى فقال لعاصم أرأيت لوأن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال ياعاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر لم يأتنى بخير قد كره رسول الله ﷺ المسألة التى سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهى حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أرأيت لوأن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله الى آخر ماتقدم فأخبره رسول الله ﷺ باللعان فتلاعنا فلما فرغا من التلاعن طلقها عويمر ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين . هذا ملخص ماجاء فى الصحيحين ومثله ماجاء فى البخارى فى مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سمحاء وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال ولينزلن الله مايبرئ ظهرى من الحد فقام هلال بن أمية فشهد والنبى ﷺ يقول الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومى سائر اليوم فمضت فقال النبى ﷺ انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سمحاء فجاءت به كذلك فقال النبى ﷺ لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن . وخدلج الساقين ممتلئ الساقين غليظهما

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ـ ﴾

يقول علماؤنا رحمهم الله تعالى فى هذا المقام انه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فانظر كيف كان التهذيب مع التعذيب سببين لزكاة الناس وطهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله عمّ الناس ولولا فضله ورحمته لم يطهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزكى ويطهر وأيضا كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالمطهرات التى أنزلها الله فى الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأضحت المدارس التى فى الأرض للتطهير ﴿ قسمين ﴾ قسم الحوادث التى تصيب الناس وقسم المرقيات للعقول الانسانية وقد شرحت هذا فى أماكن كثيرة فى هذا التفسير

﴿ اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى ـ الخبيثات للخبيثين ـ الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية تشرح الغرائز والأخلاق والطباع وبهجتها وعجائبها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لاتلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد إلا بصفات متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا كرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بأصلها مطيعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه فى الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشاكلت صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرّقوا وهكذا يوم القيامة فالناس لايجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق المسلمون اليوم للجهل الذى فشا بينهم ولو تناسبوا فى العلوم والمعارف لجمعتهم ووحدتهم ولكنهم جهلوا فالجهل فرّقهم والله هو الولىّ الحميد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للأمم وثبتها فى العقول فنطقت بها الألسنة وكتبت فى الكتب وذاعت فى الأمم وانتشرت فى الأقطار قديما كما ترى فى كتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ فقد جاء فيه مانصه

﴿ حكاية العابد والفأرة ﴾

حكى أن عابدا قتل فأرة ثم ندم على مافعل وحزن حزنا شديدا على هذا الذنب ولم يجد سبيلا الى التوبة

فى نظره إلا انه يعلق الفأرة فى عنقه مدة ثم دعاالله أن يحييها فتصير بنتا فأجاب الله دعاءه فصارت بنتا وربا ها وترعرعت وآن زمن الزواج فسألها أىّ الأزواج تختار فقالت أختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزوّجك للسحاب قالت . كلا . فالريح أقوى منه لأنها ترفعه وتحمله الى الجهات قال فلأزوجك للريح قالت . كلا . فالجبل أقوى منه لأنه يصدّه ويمنعه قال فلأزوجك بالجبل قالت . كلا . فالفار أقوى من الجبل لأنه يحفره ويفتح فيه جحرا فعرف عند ذلك انها لاترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فرجعت فأرة وتمّ الأمر وهذا قول الشاعر

* إن الطيور على أشكالها تقع * وقوله تعالى ـ الخبيثات للخبيثين ـ الخ . انتهى الكلام على القسم الأوّل من السورة

(القِسْمُ الثَّانِى)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللّٰهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللّٰهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى تسكنونها فليس مؤجر الدار ولا الذى أعارها لها حق الدخول إلا باذن فالمدار على السكنى لاعلى الملك (حتى تستأنسوا) تستأذنوا أى تستعلموا . يقال آنس الشئ أبصره و يصح أن يكون من الأنس على وزن قفل فان المستأذن مستوحش قبل الاذن مستأنس بعده وأن يكون من الانس على وزن تبر أى تتعرّفوا هل ثمة انسان (وتسلموا على أهلها) فتقولوا لهم « السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات » فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم) أى ماذكر من الاستئذان والتسليم (خيرلكم) من أن تدخلوا بغتة وتحيوا تحية الجاهلية فتقولوا « حييتم صباحا . حييتم مساء » وربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف لعدم الاستئذان وانما أنزل عليكم هذا ارادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (لعلكم تذكرون * فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولاتلحوا (هوأزكى لكم) أى الرجوع أطهرلكم من الالحاح والوقوف على الباب فذلك مناف للمروءة (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كايواء الأمتعة بالحوانيت وكاتقاء الحرّ والبرد فى المنازل المبنية للسابلة وكالدخول فى بيوت التجار والحوانيت فى الأسواق يدخلها الناس للبيع والشراء . فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون * قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) عما لايحلّ النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم - (ذلك أزكى لهم) أنفع لهم وأطهرلما فيه من البعد عن الريبة (إن الله خبير بما يصنعون) لايخفى عليه مايقصدون من استعمال الابصار وكل جارحة من جوارحهم فليحذروه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ) عما لايحلّ لهنّ * روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا يارسول الله أليس أعمى لايبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه . رواه الترمذى وأبوداود ثم قال تعالى (ولايبدين زينتهنّ) أى ولايظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الأذن والقلائد فى العنق فلايجوز للمرأة اظهارها كسائرالحلى والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها فلاتبدى منها شيأ (إلاماظهر منها) عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخضاب فى الكف وكالوجه والقدمين ففى ستر هذه الأشياء حرج عظيم فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لاسيما فى مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله اذا لم يخف الرجل فتنة فان خافها غضّ بصره أيضا (وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ) الخمر جمع خمارأى ليضعنها وذلك كما تقول ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه أى ليلقين بمقانعهن على مواضع الجيب وهوالنحروالصدرليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهنّ وصدورهنّ . ولقدكانت جيوبهنّ واسعة تبدو منها صدورهنّ وماحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن أن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيهن (ولايبدين زينتهنّ) هذا بيان لمن يحلّ لهم الابداء فيرون الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والرأس ونحو ذلك (إلا لبعولتهنّ) لأنهم المقصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أوآبائهنّ أوآباء بعولتهنّ أوأبنائهنّ أوأبناء بعولتهنّ أواخوانهنّ أو بنى اخوانهنّ أو بنى أخواتهنّ) لأن الطباع تنفر من مماسة القرائب فلهم أن

ينظروا

ينظروا منهنّ الى ماعدا مابين السرة والركبة . ومثل المذكورين الآباء والأبناء والاخوة و بنو الاخوة و بنوالأخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أونسائهنّ) أى المؤمنات من أهل دينهنّ فيجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة إلا مابين السرة والركبة ولايجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرّد من ثيابها عند الذمّية أو الكافرة (أو ماملكت أيمانهنّ) من الاماء والعبيد فينظر العبد من سيدته ماعدا مابين السرة والركبة كالأمة فهو كالمحارم وكالنساء المسلمات وهذا ظاهر القرآن وحديث أنس ﴿إذ وهب النبى ﷺ فاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال انه ليس عليك بأس انما هوأبوك أوغلامك﴾ . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبى معها وتحمل الآية على الاماء دون العبيد ثم قال تعالى (أوالتابعين غيرأولى الإربة من الرجال) أى الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولاحاجة لهم الى النساء كالبله الذين لايعرفون شيأ من أمر النساء والشيوخ والصلحاء وكالعنين والخصى والمخنث والمجبوب * وفى حديث مسلم انه كان يدخل على أزواج النبى ﷺ مخنث وكانوا يعدّونه من غير أولى الإربة فدخل رسول الله ﷺ يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر ﷺ أن لايدخل عليهنّ وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة ليطعم . وأراد بالأربع أن لها فى بطنها أربع عكن فهى تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أى لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم وعدم بلوغهم حدّ الشهوة والظهور الاطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولايضربن بأرجلهنّ ليعلم مايخفين من زينتهنّ) ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وهذا أبلغ من النهى عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها فنهين عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون) وانما نبه على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لايخلو أحد من التفريط فيها (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بجداول تجرى من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سبهللا بلافائدة والكفّ عن الشهوات كغضّ البصر وتجنب النساء وقلة الافراط فى الشهوات حلالا أوحراما وما أشبه ذلك أشبه بالسدود والحبوس والقناطر الموضوعة فى مجرى النيل وسقى الأرض من الجداول النيلية فى الوجهين القبلى والبحرى وخروج النبات والأثمار والحدائق الغناء والأشجار والأزهار والبهجة والنماء أشبه بتصريف عقولنا فى أنواع العلوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ماحفظناه من قوانا رجع الى قوّة العقل وكل ما أضعناه من قوى النفس فى المبصرات والمذوقات والملموسات وجميع اللذات نقص من قوّة العقل والفلاح يكون بالقوّة العقلية والخيبة بالتمادى فى القوّة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة فى غضّ البصر والكف عن المحرّمات . فالله تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فاذا صرفناها فى أسفل الامور سفلنا واذا صرفناها فى أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهى مقدّمات وللمقدّمات نتائج إذ لاعقول إلا لمولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فاذا جعل الانسان حياته مقصورة على المقدمات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل فى البحر الأبيض واذا حفظها سقى بها حقول العلوم و بساتين المعارف وجنى ثمار اللذائذ العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فان أعلى الجنة لأولى الألباب والعلم أعلى لذّة فى الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء فى الدنيا . فتعجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رقى عقولنا والعامّة لايفهمون مثل هذه الامور ومايعقلها إلا الحكماء الذين فكروا فى الدنيا وخلقها . فالعامّة يخافون من عذاب يوم القيامة وحده والخاصة يخافون منها ومن عذاب الدنيا بالجهالة ونقص القوى العقلية

ويرون الثواب والعقاب أمامهما فى هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله ـ لعلكم تفلحون ـ معروفا لهم فى هذه الحياة يقرؤنه فى نفوسهم وفيمن حولهم ويرون الزناة والمسرفين وأمثالهم قد طوّحت بهم طوائح الدهر وقلب الدهر لهم ظهر المجن وأنزل بهم العذاب الهون كما أضل عقولهم فعذابهم معجل فى هذه الحياة وان كانوا لايعقلون انهم معذبون ويسجنون وهم لايعلمون أنهم مسجونون . ولما فرغ من الكلام على النهى عما يفضى الى السفاح المخل بالنسب المؤدّى الى انقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقبه بما يكون سببا فى بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأنكحوا الأيامى) مقلوب أيائم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أوأنثى بكرا كان أوثيبا * قال الشاعر

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

أى زوّجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والاخوات والبنين والاخوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للندب

(١) فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد أهبة أن يتزوّج

(٢) ومن لاتتوق نفسه الى النكاح وهوقادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى

(٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأى

(٤) تزويج الأيامى خاص بالأولياء وتزويج العبيدوالاماء خاص بالسادات عند أكثرأهل العلم من الصحابة فمن بعدهم كعمر وعلى وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبى هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب والحسن وشريح والنخعى وعمر بن عبد العزيز والثورى والأوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد واسحق

(٥) يجوز للمرأة أن تزوّج نفسها عند أصحاب الرأى

(٦) إن كانت دنيئة جاز لها أن تزوّج نفسها وان كانت شريفة لم يجزعند مالك

ولما كان الناس عادة يتركون الزواج ويتحاشونه خيفة الفقر اذا كان الخاطب اوالمخطوبة فى فقر أردفه بما يفيد انه سبحانه وتعالى يغنيهما عند الزواج إما بالقناعة والرضا واما بالمال واما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ففضل الله يسعهما والمال غاد ورائح

وكم يسر أتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجى

وورد فى حديث ﴿ اطلبوا الغنى من هذه الآية ﴾ ثم قال تعالى (والله واسع) ذوسعة إذ لا انتهاء لفضله ولاحدّ لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ماتقتضيه الحكمة (وليستعفف الذين لايجدون نكاحا) ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة من لايجدون ماينكحون به من الصداق والنفقة مثل أن يصوم الشاب اذا لم يجد المال لحديث ﴿ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ﴾ ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاء رض الانثيين فليستعفف هؤلاء (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوّجون به

﴿ فصل فى المكاتبة ﴾

المكاتبة أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدّى ذلك فى نجمين أى موعدين أونجوم فى كل نجم كذا فاذا أدّيت ذلك فأنت حرّ ويقبل العبد ذلك فاذا أدّى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعدالكتابة . ومتى عتق بأداء المال فما فضل فى يده من المال فهوله ويتبعه أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق . واذا عجزعن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويردّه الى الرّق ومافى يده من المال فهولسيده وهذا قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) عبدا كان أوأمة (فكاتبوهم)

(١) والأمر للوجوب عند عطاء وعمرو بن دينار * وقد روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا قوله تعالى ـ فكاتبوهم ـ الخ

(٢) أو للندب وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة تجوز الى نجم واحد وحالة واحدة عند أبى حنيفة ولا تقل عن نجمين عند الشافعى

وقوله تعالى (إن علمتم فيهم خيرا) أى مالا أو قوة على الكسب أو صدقا وأمانة أو الاكتساب مع الأمانة وهذا رأى الشافعى . أو أن يكون بالغا عاقلا . وجوز أبو حنيفة مكاتبة الصبى المراهق . وقوله (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة المكاتبين شيأ من مال الله الذى آتاكم فليس لكم فيه فضل فان الله ربكم ورب عبيدكم وأموالكم ملكه وكذلك اعطوا أيها الحكام المكاتبين سهمهم من الصدقات العامة المذكورة فى قوله تعالى ـ انما الصدقات للفقراء ـ فان عتق الرقاب داخل فى الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو يحض جميع المؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لاحد للمقدار الذى يحطه والحط واجب وقدره بعضهم بالربع وهو قول على وقال ابن عباس يحط الثلث وأنت خبير أنه لاحد للحط

﴿ فصل فى عدم إكراه الاماء على الزنا ﴾

روى انه كان لعبد الله بن أبى ابن سلول المنافق جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذى نحن فيه لايخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا أن ندعه و يقال ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لانفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله ﷺ وشكتا اليه فأنزل الله قوله (ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء) الزنا (إن أردن تحصنا) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذى نزلت لأجله الآية والا فالاكراه محظور سواء أردن التحصن والعفة أم لم يردن ذلك على أن الاكراه لا يمكن إلا اذا أردن العفة فأما التى لاتريد العفة فليست بمكرهة على الزنا بل هى راغبة فيه . يقول الله ـ لاتكرهوا فتياتكم على البغاء ـ (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى لتطلبوا كسبهن و بيع أولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعنى بالمكرهات والوزر على المكره . وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ﴿ لهن والله لهن والله ﴾ (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى مثلا من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم وهى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة للمتقين) ماوعظ به من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات مافيه مزدجر لمذكر كقوله تعالى ـ ولولا إذ سمعتموه قلتم ـ الخ وقوله تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ـ الخ وقوله ـ ولايأتل أولوا الفضل منكم ـ الخ انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى . وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ـ الخ ﴾

عن قتادة أن الاستئذان ﴿ ثلاثة * الأول ﴾ يسمع الحى ﴿ والثانى ﴾ ليتأهبوا ﴿ والثالث ﴾ إن شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوا فانهم فى أول مرة ربما منعهم بعض الأشغال من الاذن وفى المرة الثانية ربما كان هناك مايمنع أو يقتضى المنع أو يقتضى التساوى فاذا لم يجب فى الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع فيسن له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلا بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فاماقرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام لأنه يتضمن الايذاء وكفى بقصة بنى أسد زاجرة ومانزل فيهم من قوله تعالى ـ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ـ وقد كان ﷺ لايستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن

من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم مرتين ومن جامع الرسول لايحتاج الى استئذان وكذلك من جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان و يستأذن الانسان على أخته وأمّه لقوله ﷺ لرجل وقد سأله فى ذلك « أتحب أن تراها عريانة »

واعلم أن الاستئذان مشروع ﴿ لثلاثة أمور ﴾ الدخول فى منزل الغير والنظر الى المحرّم شرعا والاطلاع على ما يكره الانسان الاطلاع عليه . فاذن دخول ملك الغير بغير اذنه محظور والاطلاع على المحرّمات محظور شرعا هكذا فليكن محظورا على الانسان الدخول على أمّه وأخته وزوجته وأمته للخصلة الثالثة فانهنّ ربما كنّ فى حال لايحببن اطلاع أحد عليها فالأمّ نجا من الحرمة مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر الدخول فى ملك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا و بعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله ﷺ « أتحب أن تراها عريانة »

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال ﷺ ﴿ تزوّجوا الولود الودود فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة ﴾ وقوله تعالى ـ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ـ قد أخذ منه بعض العلماء كما فى تفسير البيضاوى « انه يجب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها » ويقول عامّة السلف ﴿ إن النكاح مستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد أهبته ﴾ كما تقدم . فعلمت من هذا انه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبده وأمته فى حال خاصة . ومن المعلوم أن الانسان اذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لدرئها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذى نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن فترى الشبان المتعلمين يغدون ويروحون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسدل عليهم حجابا من الخزى والعار فترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسلمون المتعلمون فى الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفضلون الخلاعة على الزواج . ولما رأت هكذا حكومة الترك سنت قانونا تجبر فيه الشاب الذى لم يتزوّج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة لتنفقه على أبناء المتزوجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التى أصبحت اليوم (بلشفية) أى انها تجرى على حكم الأكثرية تأمر الفتيان والفتيات بالتزوّج بعد الثامنة عشرة فان لم تتزوج الفتاة قبل هذا السنّ زوجوها لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فاذا رأوا خلاعة منتشرة وفسوقا واضحا فلاحرج عليهم اذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والذكور بالعفة والنساء بتربية الأولاد وليكن ذلك بحكمة وتفكر . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا فى ذلك من عدّة وجوه تارة من حيث التخلى للعبادة بترك النكاح وتارة بغير ذلك كما تقدّم

فلينظر اليوم علماء الاسلام الى الخطر المحدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور بقدر الاناث تقريبا ودليل ذلك تعداد المواليد فانك تراه متعادلا تقريبا فى جميع الكرة الأرضية . واذا كان التعداد جائزا ليكون اللواتى لاعائل لهن يجدن من يعولهن . فاذا تزوج جميع الصالحين للنكاح لم يبق هناك نساء لاعائل لهن فاذا نفذ قانون على هذا الوضع وحتم على كل صالح للنكاح أن يتزوج صالحة للنكاح فذلك لايمنع منه ديننا فان قوله تعالى ـ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين ـ الخ قد قال بعض العلماء بجعله للوجوب فى مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعممه فيكون للجميع . واذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . واذا قلنا يمنعه الفقر فالحكومات اليوم أصبحت تساعد الذى لازوجة له فقد زال هذا المانع واذا كانت فيه عاهة فينظر فى أمره . وانى لست أقطع فى هذه المسألة . وانما أقول ان المجال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله ـ وأنكحوا الأيامى ـ وفى الحديث . والترغيب فى النكاح كثير فى الشرع واذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرضن على اكثار نوع الانسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح

صالح له وصالحة . فهل هذه الأمم تكون أحرص على اكثار النسل من الاسلام . كلا . فالنبى ﷺ يقول ﴿ تزوّجوا الولود الودود فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة ﴾ ولعلّ فى قوله تعالى - ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله - رمز الى ماتفعله دولة تركيا اليوم من تغريم الأعزب واعانة المتزوج والنظر الى أمبراطور ألمانيا (غليوم) الذى كان السبب فى الحرب كيف كان يحرّض قومه على اكثار النسل وكيف أمر العلماء فاخترعوا صورا للمتزوج وصورا للأعزب فجعل الناس يدخلون فيرون رجلا أشمط وامرأة شمطاء منزويين فى ركن المنزل قد آذاهما البرد وهما منكمشان وآخرين معهما أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تطبخ وهذا يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا والأبوان مستبشران فرحان فيرغب الناس فى النكاح ولذلك صارت ألمانيا نحو (٧٠) مليونا . أما فرنسا فانها صارت أقلّ من أربعين مليونا . فالمسلمون أولى باكثار النسل . واعلم أن التعدّد المذكور فى الآية لا يكون إلا حيث يتخلى قوم عن الزواج لهوا ولعبا أوفقرا . فأما اذا أمر الناس جيعا بالزواج فلاتعدّد إلانادرا جدا . واعلم أن التعدّد اليوم فى الاسلام لايزيد على ثلاثة أوخمسة فى المائة فاذا تمّ ماذكرته نقص التعدد بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه اذا كان كل امرأة لرجل والله قد جعل العدد على هذا المنوال ولم يخلق إلا بقدر نخلق الذكور على عدد الاناث كما تقدّم فيكون التعدد إذن نادرا جدّا بل يكون خارجا عن العدل لأنه اذا كانت عندك امرأة صالحة للنكاح فكيف تحجبها عن رجل صالح للنكاح ويكون قوله تعالى - فان خفتم ألاتعدلوا فواحدة - الخ مقربا لذلك لأنه اذا كان خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التعدد فليكن خوف حرمان الأعزب من امرأة صالحة للنكاح غير عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأيا . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكماء ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج الى اجماع أهل الحل والعقد فى الممالك الاسلامية فما أجمعوا عليه بعد البحث والتروى يصبح دينا ومباحثى هذه مقدّمات لمباحثهم المستقبلة إن شاء الله تعالى وسيكون فى الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون مباحثهم اجماعيه فما استقرّ الرأى عليه فلاخلاف فيه . اللهم اهد أمّتنا الاسلامية الى سواء الصراط . انتهى الكلام على القسم الثانى من السورة

(القِسْمُ الثَّالِثُ)

اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا
لَهُ مِنْ نُورٍ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ
يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي
الْأَبْصَارِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * لَقَدْ
أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا
إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ
فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ
مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ

النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (الله نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه ومنوّر قلوب أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله فى قلب المؤمن (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوّة غير النافذة . ويقال أيضا الأنبوبة فى وسط القنديل (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (المصباح فى زجاجة) فى قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب درّى) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة

زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم الدّرية منسوبة للدّر فى الصفاء (يوقد) المصباح أوتوقد الزجاجة أى مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) أى أخذ دهن هذا القنديل من شجرة الزيتون بفلاة لايصيبها ظلّ الشرق اذا غربت الشمس ولاظل الغرب اذا طلعت الشمس بل هى مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وأصفى أو لانابتة فى شرق المعمورة ولاغربها بل هى فى الشام وزيتونه كما يقال أجود الزيتون (يكادزيتها يضىء) من وراء قشرها (ولولم تمسسه نار) فالزيت لصفائه وتلألؤه يكاديضىء من غير نار وباجتماع المشكاة الجامعة للنور والزجاجة المقوّية له والمصباح المتقد والزيت الصافى يكون النور أقوى فلولا المشكاة لتفرّق فى الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهرا ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفا وهذا معنى قوله تعالى (نورعلى نور) وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) لنورالمعرفة ودين الاسلام ونورالبصيرة وهذا النورالثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريبا لأفهامهم ليعتبروا (والله بكل شئ عليم) فيبين كل شئ بالطرق التى يعلم انها توصل اليه . وقوله (فى بيوت) أى تلك القناديل المدلول عليها بالمشكاة والمصباح والزجاجة والزيت معلقة فى مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلايذكرفيها الخنى من القول وتطهر من الأنجاس والأقذار (ويذكرفيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويباحث فى أحكامه وأفعاله (يسبح له فيها بالغدوّ والآصال) يصلى له بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحد الغدوّ لأن صلاته واحدة وفى الآصال صلوات وهى جمع أصل ككتب جمع أصيل وهو العشىّ وقوله (رجال) فاعل يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للمجهول فيكون مسندا لقوله - له - ورجال فاعل لما دلّ عليه يسبح أى يسبح له رجال (لاتلهيهم تجارة) لاتشغلهم تجارة فى السفر (ولابيع) فى الحضر (عن ذكرالله) باللسان والقلب (واقام الصلاة) أى وعن اقامة الصلاة وحضورالمساجد لذلك (وإيتاء الزكاة) المفروضة (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى هؤلاء الرجال وان بالغوا فى الطاعات من الصلاة والزكاة وذكرالله وجلون خائفون لأنهم يعلمون انهم ماعبدوا الله حق عبادته وماقدروه حق قدره ويخشون يوما تضطرب فيه وتتغيرالقلوب فتفقه مالم تكن تفقه وتبصرالأبصار مالم تكن تبصر وتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا) يقول اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ماعملوا وهى الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها . وأما غيرالأحسن وهى المساوى فهو يغفرها لهم أو يجازيهم جزاء أحسن من أعمالهم من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) فهولايقتصرعلى مكافأتهم على أعمالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) لكمال قدرته وسعة احسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو مايرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أى يجرى على وجه الأرض كأنه ماء يجرى (بقيعة) جمع قاع وهو الأرض المستوية (يحسبه الظمآن ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى اذا جاءه) أى جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيأ) كما ظنه (ووجدالله) أى جزاء الله (عنده) عندالكافر (فوفاه) أعطاه (حسابه) جزاء عمله وافيا كاملا (والله سريع الحساب) لايشغله حساب عن حساب * روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة ابن أمية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر . وقوله (أوكظلمات) عطف على - كسراب - يقول الله ان أعمال الكفار إن كانت حسنة فهى كسراب الخ وان كانت سيئة فهى كظلمات (فى بحرلجى) ذى لج أى عميق واللج معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) أى أمواج مترادفة متراكبة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض) أى ان البحر يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لايطاق (اذا أخرج يده) وهى أقرب مايرى اليه (لم يكدبراها) لم يقرب أن يراها

فضلا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوفقه لأسباب الهداية (فما له من نور) وأما الموفق فله نور على نور كما تقدم فى مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قداشتملت على ﴿ نمطين * النمط الأول ﴾ تسبيح الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فى مثل المشكاة ﴿ والنمط الثانى ﴾ السحاب المندمج فى مثل أعمال الذين كفروا اذا كان فوق الأمواج الهائجة فى البحر اللجى الخ لذلك أخذ يذكر ما يناسب الأول قائلا سبحانه ان كل من فى السموات والأرض يسبحون له وخصص نوعا منها بديع الصنع عجيب الوضع والإحكام وهى الطير حال كونها صافات باسطات أجنحتها فى الهواء مع ثقل أجسامها فبالحكمة ارتفاعها و بالنظم البديع طيرانها مخالفة لسائر الدواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومغالبة القوة الجاذبة الأرضية فعلت الى الجو وعاشت فى الهواء الطلق فدلالتها على المبدع الحكيم أقرب وابداعها أحكم كل واحد مما ذكر (قد علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاءه وتنزيهه وذلك إما باختياره كالانسان واما بطبعه كسائر الحيوان والطير فانها وان لم تصل كصلاة الانسان فانّ غرائزها المستمدّة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع وهذا الاستمداد والطلب فى معنى الدعاء بالغريزة والطبع وهى بما ركب فيها من دقائق الصنعة و بدائع الحكمة وماحليت به من الريش الناعم البهج المجوف الخفيف والمناقير المحدّدة المساعدة على النهوض فى الهواء. بذلك كله تدل على حكمة نظمتها وحكيم أبدعها . ألم ترإليها كيف كتب الحمل والارضاع على ذوات الأربع ولم تحمل هى مالاطاقة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحمل أذى الحمل والارضاع خيفة أن يعيقها عن الطيران وخف ريشها وكان مجوّفا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الحوصلة والقانصة . كل ذلك ابداع واتقان ليتم أمر الطيران بخفة الأجسام ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ (والله عليم بما يفعلون * ولله ملك السموات والأرض) فهو يشملهما بعلمه و يملكهما بقدرته . فبالعلم يقدر المصالح و بالقدرة يفعل ما يقتضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تدبيرها محكما بحيث خصص كلا بخاصة لايشركه فيها سواه (والى الله المصير) المرجع . ثم أخذ سبحانه يذكر مايلائم ﴿ النمط الثانى ﴾ فقال (ألم تر أن الله يزجى سحابا) يقول الله بعد أن ذكر فى المثل الثانى أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوّ ظلمات و يوقع الراكب فى حيرة ألم تر أن الله يسوق سحابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل (و ينزّل من السماء) من الغمام وكل ماعلاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها وألوانها (من برد) من للتبعيض واللتان قبلها للابتداء أى انه ينزّل البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة اذا تصاعدت فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحابا فان لم يشتدّ البرد تقاطر مطرا وان اشتدّ فان وصل الى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بما فيه من البخار بردا مفرطا فينقبض و ينعقد بخاره سحابا و ينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم فى ﴿ سورة الرعد ﴾ وسيتضح قريبا (فيصيب به) بالبرد (من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه) ضوء برقه (يذهب بالأبصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك من العجائب أن السحاب الذى ضرب به المثل فى تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد يذهب بالأبصار فبهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية من الضلال . فالسحاب الذى ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أضاء الجوّ بنور وأشرق فى سائر الأقطار وكاد يخطف الأبصار ولذلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما و بأن ينقص من أحدهما مازاد فى الآخر و بتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا و بردا وغير ذلك كما كان السحاب ظلمة واشتق منه نور البرق الذى يبهر الأبصار (إنّ فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) لدلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله وحكمته

﴿ فصل فى علم الحيوان ﴾

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالمشكاة ومثل أعمال الكفار بالسراب و بالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث و بين نظامه وعجائبه وأن الماء ينزل منه أتبعه سبحانه بذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك انه مامن حيوان إلاوهومركب من مواد أهمها الماء فالماء نزل من السحاب وجرى فى النهر وتفرّقت منه أجزاء فدخلت فى جسم كل حيوان

(١) فمن الحيوان مايتكاثر بالانقسام بمعنى انه اذا بلغ أشدّه انقسم الى اثنين كل منهما الى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنهماينقسم الحيوان منه الى عدّة حيوانات

(٣) ومنه ما اذا بلغ أشدّه انفجرفخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتتناسل و يموت هو

(٤) ومنها مايتناسل بالتبرعم وذلك انه ينبت على جسم الحيوان نتوء كالبرعم ثم يبلغ فينفصل و يصير حيوانا مستقلا

(٥) ومنها مايتناسل بالبيض إذ يتكوّن الجنين فى البيضة كما يحدث فى ذوات الفقرات . فمنه ماتخرج فيه البيضة من الأنثى قبل بلوغ الجنين وتتم حضانتها فى الخارج كالطيور و بعض السمك . ومنها ماتبقى البيضة فى الرحم ويتكوّن الجنين فيه ثم يولد كاملا كالانسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والسباع وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يتربى فى بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكوّنة من الماء مختلطا بغيره ممتزجا به متحدا معه وهى

(١) إما حيوانات فقرية ذات عظام ودم وهى (ا) الانسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د) والسمك (هـ) والزواحف كالحيات

(٢) واما حيوانات حلقية قد تركب جسمها من حلقات (١) وهى الحشرات كالذباب وأبى دقيق من كل ماله ستة أرجل (٢) والعناكب وهى ذوات ثمانية أرجل (٣) وماله أكثر من ٤٠ رجلا (٤) وقارض الخشب (٥) والدود

(٣) واما حيوانات قشرية ليس لها عظام ولادم ولاحلقات تركب منها جلدها وانما جسمها هلامى قد يحفظ فى قشر يحيط به وذلك كالقوقعة وغيرها مما تقدّم شرحه فى هذا التفسير

(٤) واما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى ﴿ سمك النجم ﴾ وغيره مما تقدّم شرحه موضحا ولعلها تتضح بأوسع من هذا قريبا

هذه هى أقسام الحيوانات وقد علمت انها كلهاخلقت من ماء أى ان الماء داخل فى تركيبها. فتعجب كيف ذكر الله السحاب فى مثل أعمال الكفار ثم شرح السحاب وعجائبه ثم ذكر الحيوان المخلوق من الماء من حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوان يتولد من نطفة وانما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت انه يتولد من نتوء فى الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من نطفة بل ذلك بالانقسام ــ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ــ واذا فهمت هذه المقدّمة عرفت أيها الذكى قوله تعالى (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الأرض (من ماء) وهو جزء مادّته أوماء مخصوص وهو النطفة وقد علمت شرحه وافيا كاملا (فمنهم من يمشى على بطنه) اشارة الى الزواحف التى هى من ذوات الفقرات كالحيات (ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع) وذلك كالطيور وكذوات الأربع كما تقدّم (يخلق الله مايشاء) مما ذكر ومالم يذكر ومنه ذوات الحلق وذوات القشر والحيوانات الشعاعية ومايمشى على ستة أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم انها من ذوات الحلق (إن الله على كل شئ قدير)

وهو بقدرته نوّع الحياة فلم يخص بها ذوات الفقرات ولاذوات الحلقات ولاالحيوانات ذوات القشر التي جسمها رخو فتراه جعل الحياة سارية عامّة فلايحجبها فقد العظم ولافقد الدم ولافقد الحلقات ولافقد القشر . وترى الدودة العارية التي لاعظم لها ولاجلد عائشة فرحة . وترى نوع الحشرات وحده كالنمل والذباب والبعوض والناموس والجنادب والخنافس والنحل والجعلان ودود القز ونحوها أصنافا كثيرة ربما زاد عددها على مجموع سائر أصناف الحيوان من الدود الى الانسان . ولقد وجدوا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠٠) صنف ولذلك يقدّرون الحشرات المعروفة بنحو (٢٠٠ر٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ماعلم منها ومالم يعلم يمرّ في دورالتكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لدنة الملمس تنسل بين التراب أوالأعشاب ثم تصيرجندبا صلب القشر يثب وثبا ثم تصير فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورهاالأوّل التراب فتهضمه وتصبح في دورهاالثاني لاتهضم إلا أوراق العشب الندية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا فشرنقة ففراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبزور تصير دودا والدود يفرز لعابا واللعاب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشرنقة ثم يخرج من الشرنقة فراشا بأجنحة يتزاوج ويبيض . ومنها الذباب الاعتيادي فهو يلقي بزورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض وهوالدودالمعروف الذي يشاهد في اللحم المنتن والجبن والمش القديم ثم يتحوّل ذلك الدود الى جنادب تدب لا أجنحة لها ثم يتحوّل الى فراش يطير ومنه الذباب الفارسي فانه يكون في الدور الأوّل دودا ثم يخلع ثوبه ويصير جندبا يدب تحت الماء يتسلق الأعشاب المائية وله قوائم قصيرة بلاأجنحة ولايعيش إلا في المياه أوالأوحال فاذا جاء أجل انتقاله الى فراش تسلق أوراق العشب وخلع ثوب (الجندبية) فاذا هوخارج من تحتها ذا أجنحة صغيرة جميلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها الى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالدودة غير الجندب والجندب غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيهما الدود ولايخطر ببالهم أن هذا الدود هوعين الذباب الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو هو وهذا الدود هوالذي يصير جندبا أوشرنقة ثم يصيرحشرة طائرة وهي التي تبيض وبيضها يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك الدود يصير شرنقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لابادة الناموس ردم المستنقعات والآجام أوتغطية سطوحها بالسائل المسمى بترول . وهذه الأدوارالثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالدودة لاعمل لهاإلاالاغتذاء كالأطفال في بني آدم فهي تمو وتزيد ثم تنكمش كما نرى دودة الحرير وقد تكتسي ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشرنقة وهي كجثة محنطة ملفوفة بالأكفان ثم لانلبث أن نرى الحياة أخذت تدب في تلك الجثة رويدا رويدا حتى تبعث من مرقدها وتخلع أكفانها وقدلبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أوأخضر أوأحمر أوذهبي أوعقيقي أو بنفسجي . فتعجب من حشرة بهجة اللون بديعة التركيب منقشة مرقشة نشأت من رمّة جافة لايظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ تقديس المصريين القدماء للجعلان (جمع جعل) فانها تنشأ من رمم مائتة فرمزوا بها للحياة والخصب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم ونقشوها على الهياكل وصنعوا لها التماثيل بأقدار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاعجب لصنع الله وكيف خلق هذه العجائب ولوّن الألوان وأبدع الأشكال وحير الألباب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد تقدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحقّ الأمم بفهم هذه العجائب

أي عذر للمسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شئ قدير - . فانظر كيف قال انه يخلق مايشاء وقال انه على كل شئ قدير مشيرا بذلك الى الاختلاف، وحسن الصنع الذي رأيته

وكيف كانت الحشرات موضع العجب للأمم حتى قدس المتقدمون من الأمم بعضها لأن علماءهم لم يبينوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوا لهم باب العلم على مصراعيه كما فتحه القرآن لم يقفوا فى العجائب عند حد الجعلان فقدّسوه بل التقديس لصاحب الصنعة الذى زين ونقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع اتقانه وجعل دودة ربما هضمت الطين فتصيرفراشة لاتهضم الطين ولاتأكله بل تأكل ماهوألطف . إن هذا العالم عجيب ـ وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ـ وههناأربع لطائف

(١) فى قوله تعالى ـ الله نورالسموات والأرض ـ الى قوله ـ كمشكاة فيها مصباح ـ الخ

(٢) وفى قوله ـ والله يرزق من يشاء بغير حساب ـ

(٣) وفى قوله ـ والطير صافات ـ الخ

(٤) وفى قوله ـ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ـ الى قوله ـ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ـ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ ﴾

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانيـة والزانى وجلدهما و بين حكم من رمى زوجته بالزنا وعقابه و بين حكم الملاعنة وكيف يتفرّق الزوجان بها ثم قصة الافك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث كحديث مريم ابنة عمران فى عفتها وانها أحصنت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يعفوالانسان عمن ظلمه كما امتثل أبو بكرالصدّيق رضى الله عنه فعفا عن مسطح . ثم أمر الرجال والنساء بغضّ الأبصار وحرم عليهنّ أن يظهرن زينتهنّ لغيرالمحارم ثم بين حكم النكاح والمكاتبة تكثيرا للنسل فى الأول وحفظا للفرج وعتقا للعبيدالذين هم عبادالله و بين انه يجب أن ينفق من المال فى سبيل العتق فان المال مال الله والخلق عباده فتحا لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رحمة للعالمين ومن رحمته لهم أن يكون دينه فاتحا لباب الحرّية واطلاق العبيد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواعظ للمتقين . ولما كانت هذه الأحكام انما أتى بها لتعليم الأخلاق والآداب وحفظ المجتمع مما يقوّض دعائمه وتقويته بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدّمات لما هوأعلى مراما وأجلّ وأعظم وهى المعارف والعلوم أردفه بقوله ـ الله نورالسموات والأرض ـ كأنه تعالى يقول أيها الناس لاتلهكم الأحكام الشرعيـة من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لاتلهكم عن ذكرالله واقام الصلاة وايتاء الزكاة كما قال فى آية أخرى ـ ياأيهاالذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ـ . فههنا كأن الله يقول لاتلهكم أيها الناس أحكام النكاح والقـذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن عظائم الامور وجلائلها . أيها الناس ارفعوا رؤسكم الى أعلى . انظروا الى جمالى ونورى فى شمسى وفى قمرى وفى النبات والزهر والنهر . أنا لم أخلقكم فى هـذه الأرض لتكونوا فيها خالدين وانما خلقتكم لتعيشوا آمنين أمـدا ثم أنقلكم الى دار أجل من هذه ولن تنالوا تلك الدار الجميلة إلا اذا نظرتم جمالى وفهمتم بعض حكمى وابتدأ ذلك بقوله ـ الله نورالسموات والأرض ـ الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل نبراسا للعوالم المشرقة . ضربه بما نشاهده كل يوم فى مساجدنا . يقول الله أى عبادى أتريدون أن تعرفوا حكمتى فى خلقى . انظروا القناديل المعلقة فى مساجدكم . انظروها ألا ترون أنبوبة فيها زيت أحاط بها زجاجة اشتعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأنتم تصلون فيها . فهـذا نظام مركب تركيبا أنتج هذا النورالذى أشرق على أبصاركم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نورى المشرق فى عجائب خلقى . وههنا أخذ الناس يفكرون فى ذلك التمثيل فقوم خصصوه

(١) فقالوا ذلك تمثيل لمحمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لابراهيم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لكل مؤمن فعمموا

(٤) وقوم قالوا . كلا . بل هو لكل انسان أى لقواه الدراكة

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواه العاقلة

(٦) وقوم قالوا هو للقرآن

اختلفت أنظار العلماء فى هذا التمثيل على مقدار هممهم ومقتضى نظرهم ومقامهم فى العلم فمن كان لا يعرف إلا الايمان قال به . ومن كان مغمورا فى نور النبوّة قال بها . ومن كان ذا نظر فى السموات والأرض والعالم عمم المثل فتارة أرجعه لنفس الانسان وتارة لقواه الدراكة وتارة لقواه العاقلة وهذا أعم الأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والايمان القائم بالقلوب . واعلم أن هـذا المثل اللفظى الذى جعل مثلا كلا لعجائب أجسامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله فى الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم صنعها ونظم أعضاءها وخلق وسوّى وقدّر وأحكم فجعلها العلماء تمثيلا لامور وهى

(١) كالسفينة تركبها الروح فى بحر الحياة اللجى حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى الدراكة وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والهاضمة والمصوّرة والغاذية وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصفراء والدم والبلغم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتتعلم حتى اذا علمت ماتطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ فى اللوح و يتعلم حتى اذا عرف القراءة المطلوبة ترك اللوح وذهب الى مايريد

(٤) أو كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالدكان والروح صاحبها والأعضاء الباطنـة متاعها والأعمـال تجارتها والربح والخسارة فى آخرتها وهكذا . هكذا هذا المثل وهو قنديل المسجد

﴿ الوجه الأوّل من الوجوه السابقة ﴾

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فالمشكاة صـدره والزجاجة قلبـه والمصباح فيه النبوّة توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوّة يكاد نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضىء ولولم تمسسه نار

﴿ الوجه الثانى ﴾

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبـه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لايهودى ولانصرانى ـ توقد من شجرة مباركة ـ وهو ابراهيم عليه السلام ـ نور على نور ـ نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

﴿ الوجه الثالث ﴾

المشكاة ابراهيم والزجاجـة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه ـ لاشرقية ولاغربية ـ يعنى ابراهيم لم يكن ـ يهوديا ولانصرانيا ولـكن كان حنيفا مسلما ـ لأن اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

﴿ الوجه الرابع ﴾

انه لـكل مؤمن وهذا أرقى مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفـكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الايمان فى قلبـه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هى شجرة الاخلاص لله وحـده وهذا التمثيل وان كان أعمّ مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

﴿ الوجه الخامس ﴾

إن هذا تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس التى بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى

ندرك بها المحسوسات بالحواس الخمس . والقوة الخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شاءت ثم العاقلة التى تدرك الحقائق الكلية وتستنتج . ثم القوة القدسية التى تتجلى فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء فهذه مثل لها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألاترى رعاك الله أن المشكاة بمعنى الكوة قد شابهتها محال الحواس التى قد وضعت فيها ووجهها الى الظاهر ولاتدرك ماوراءها كالعين فانها لاتدرك ماخلفها ولكن تدرك ما أمامها ثم انك تعلم أن الانسان اذا أدرك المحسوسات وصوّرت فى نفسه صارت فى القوّة الخيالية كما يحس به كل انسان فاننا اذا أغمضنا أعيننا فانا ندرك فى أنفسنا تلك الصّور التى رأيناها فهذه القوّة التى حفظت تلك الصور نسميها الخيالية فهى كالزجاجة تقبل صور المدركات وتضبطها ثم إن قوّتنا المفكرة أكبر من هذه القوّة الخيالية فان هذه القوّة الكامنة فينا تتصرّف فى الصور التى فى قوّة الخيال فتقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهى كالمصباح . فأما القوّة العاقلة فهى كالشجرة المباركة لأنها تؤدّى الى ثمرات لانهاية لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولاغربية فذلك انها تجرّد المعانى عن الصور وتخترع القضايا الكلية التى لاتخص شيأ بعينه أى لاتتقيد بالجزئيات . فاذا أدركت أن الكل أكبر من الجزء وأن الشيئين المساويين لشئ واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصا بشئ دون شئ فهو لاشرقى ولاغربى بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوّة القدسية الخاصة بالأنبياء فهى لشدّة صفائها تكاد تضىء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكر

﴿ الوجه السادس ﴾

إن هذا تمثيل للقوّة العاقلة وحدها . فهى فى بدء أمرها خالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للأنوار ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالحدس كالزيت أو بقوّة قدسية كالتى يكاد زيتها يضىء فانها تكاد تعلم وان لم تتصل بها العلوم . فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت فهى المصباح فاذا استحضرتها كان نورا على نور

﴿ الوجه السابع وهو أسهلها ﴾

قال ابن عباس ﴿ هذا نور الله وهداه فى قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضىء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور ﴾

هذه هى الوجوه السبعة التى ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية صالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة فى المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا الى هذه القناديل المعلقة فى مساجدكم التى نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أنرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، فابراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسكم وعقولكم وخيالكم وقوّاتكم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل . انى نور السموات والأرض . أنرت السموات بالكواكب والشموس وأنرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحساب ونظام وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأنتم تصلون فى مساجدكم فبهذا القنديل أذكركم بنورى فى سمواتى بالكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضا للأنوار المشرقة فى نفوس أنبيائكم كمحمد وابراهيم وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية وعجائب نفوسكم . إن نورى مشرق فى العالم العلوى والسفلى

﴿ عجائب القرآن فى قوله تعالى أيضا ـ الله نور السموات والأرض ـ ﴾

انظر أيها الذكى الى نظم القرآن وعجائبه . انظر وتعجب . انظر كيف أتى بعد آيات العتق والنكاح والقذف والملاعنة بآيات النور . يقول الله أيها المسلمون . إياكم أن يشغلكم أحكام الشرع واقامة الحدود ونظام

الأسرات والزواج والعتق والمكاتبة وأحكام الحرام والحلال عن النظر الى عجائب خلق . إياكم أيها المسلمون أن يصرفكم صارف عن عجائب صنعى . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا الى السراج الموضوع أمامكم فى كوة المسجد . انظروا . إن سمواتى فيها سرج من الشموس والأقمار والسيارات . إن عقولكم فيها سرج . إن حواسكم وقوا كم الداخلة فيها سرج . ان دينكم سراج . إن أنبياءكم سرج . إن المؤمنين سرج . إننى أضأت كل شئ بأنوارى وعلومى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالغدوّ والآصال فلاتلهيهم تجارة ولابيع . هكذا لايشغلكم ماتقدم من علوم الفقه فى هذه السورة وغيرها عن النظر الى عجائب صنعى . هذا هو الذى فهمته أيها الذكى من هذه الآية وقوله ـ رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ـ الخ

اللهم إنى أسألك أن تقدرنى على اتمام تفسير القرآن وأن تنشره بين المسلمين . اللهم إنى أسألك أن تنير بصائرهم كما أنرت السموات والأرض وأشرقت الأرض بنورك . اللهم ابعث فيهم رجالا منهم يرشدونهم الى مقاصد القرآن فترتقى الأمّة الى سبل النجاح وطرق الفلاح

﴿ ايضاح الكلام على القنديل والمشكاة فى المسجد ﴾

تبين لك فيما تقدّم أن الله عزّ وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضعف النوع الانسانى وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيصبحون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير ملومين ولامذمومين ولكن اللوم والذم انما يتوجه اليهم لقصورهم واقتصارهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه فى (سورة البقرة) لما ذكر الحيض والرضاع والنفقات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فاجأ المسلمين بقوله ـ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ـ ولقد بينا هذا القول هناك فارجع اليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والزواج والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدّة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فان هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم واسعادكم فى الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فانما يكون باتجاه النفوس الى خالق الكون وذلك بالمحافظة على الصلاة والتوجه الى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ماهو أعجب هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أتى بما هو أعظم مقاما وأبدع إحكاما . لم يكتف بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جميع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذى عمّ السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . ومانور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى الى الزيت كيف كان فى الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت مادّة ساذجة لاصورة فيها والمادّة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكمل فذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج الذى هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أتمّ وأكمل وهو نور العقول والبصائر . وايضاحه أن نقول . اعلم أن العقل عند الحكماء كأرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط والفارابى وابن سينا والغزالى والرازى وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوّة واما عقل بالفعل واما عقل مستفاد واما عقل فعال وهذه هى التى ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وماتقدم انما هو اجمال وهذه المباحث لايعقلها إلا الحكماء . ولكنى سأضرب لك مثلا يوضح المقام لك حتى تطلع على عجائب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السرّ المصون والجوهر المكنون فأقول

تصوّر شابا ذكيّ الفؤاد رائع الفكر قويّ الذهن مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو فى صغره ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقلب المال لقصد الربح فكسب ألفا وبالألف كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم انه اذا اجتمع عنده آلاف ونال الغنى على مقدار طاقته بحيث لايقبل الزيادة وأخذ يقلب المال كله مرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكننا أن نسميها على الترتيب

غنى بالقوّة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيأ غنى بالقوّة أى انه فى امكانه أن يكون غنيا ومتى ملك شيأ بعد شئ يقال انه غنى بالفعل بالنسبة لما ملكه وبالقوّة بالنسبة لما لايملكه فاذا تمّ غناه يقال انه غنى بالفعل ولم يبق هناك ماهو بالقوّة بالنسبة له فاذا قلب المال كرة بعد أخرى يقال ان هذا غنى مستفاد . هذا مثال أوّل ﴿ المثال الثانى ﴾ شاب ذكى كالمتقدم هوابن ملك فهوقبل أن يملك يقال له ملك بالقوّة فاذا ملكه أبوه ولاية يقال له قد ملك بالفعل شيأ وبالقوّة شيأ آخر فاذا مات أبوه وولى مكانه قيل انه ملك بالفعل فاذا ألقى الأوامر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلا . هذان المثلان اذا عقلتهما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية فى أوّل أمرها مستعدّة لاقتناص الصور من هذه المادّة التى نعيش فيها فكل امرئ فى أوّل حياته ينظر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس وهذه المذوقات والمشمومات والملموسات والمسموعات والمبصرات صفات المادّة وصورها وهذه الصور جلابيب للمادّة وقد عدّها الحكماء فكانت (٣٦) كالألوان والأصوات الخ فهذه الجلابيب التى كسيت بها المادّة خلق العقل ليكتسى بها ويلبسها فان الطفل نراه مستعدا لفهم ماحوله ودراسته فهوقبل فهم الأشياء عقلها بالقوّة لابالفعل أى انه مستعدّ للتعقل فاذا عقل صورة بعد صورة وعلما بعد علم يقال انه قد عقل شيأ بالقوّة وشيأ بالفعل فماعرفه صارمعقولا بالعقل ومالم يعقله صارمعقولا بالقوّة فاذا انتهت معلوماته بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسية والأخلاقية بحيث وصل الى مايطيقه نوع الانسان يقال ان له عقلا بالفعل فاذا استحضرهذه المعقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال ان هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقدّمت فى مثال التاجر وفى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان الذى لا يكون إلا لأكابرالحكماء له نظير فى عالم غير عالمنا وهوالعقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل الذى لم يقتنص علومه من المادّة بل علومه مغروسة فيه بفطرته فان المادة قد كسبت الصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرتسما فيه وجميع الأحوال القائمة به ترتسم فى المادّة مقسمة عليها وتلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها فنراها جمعت بين الزرع والحجر والنهر والكوكب الخ ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفرّق ولامنقسم كما ان عقولنا تجمع هذا وهى غير مقسمة ولامجزأة بل هى واحدة منزّهة عن التقسيم كما هومبرهن عليه فى كتب الحكمة . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فاذا كانت أبصارنا مستعدة للابصار ومعنى كونها مستعدة انه لوأشرق نور فى الهواء وعلى قرنية العين وعلى عدسيتها وأحضر الصور على شبكيتها أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا اذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقا معنويا كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فان المعانى تمثل فى عقولنا كما رسمت الصور الصور فى القوّة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالعيون واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فحصول الصور فى العقول كحصول المرئيات فى أبصارنا . فاذا حصلت المعقولات فى نفوسنا واستنتجنا بها علوما أخرى وهكذا فانه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه وبالقوّة بالنسبة لما لانعرفه . فاذا ارتسمت العلوم فى نفوسنا يقال انها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوّة كأنه مادّة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادّة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادّة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له

وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتبا فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فاننا ندرك البسائط ثم المركبات وندرك الصور المحسوسات التى هى أخسّ من المعقولات ثم ندرك الكليات ثم تتم عندنا وتكمل وتكون عقلا مستفادا فأما فى العقل الفعال فان العلوم فيه تتنزّل من الكليات الى الجزئيات بلازمان بل هى فيه هكذا أبدا وهى تكون فى المادّة من الأدنى للأعلى

﴿ الصورة والمادّة والمعانى والعقول ﴾

إياك أن تظن أن المعانى التى تنقش فى عقولنا مثل الصور التى فى المادّة سواء بسواء . كلا . إن الصور التى فى المادّة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المادّة . ألا ترى أن نقش الخاتم شئ والمعدن الذى نقش عليه شئ آخر كما ان الانسان شئ واللباس الذى يلبسه شئ آخر فما هنا ليس كذلك فان المعانى التى تقتنصها عقولنا من المادة تصبح هى نفس عقولنا . وكما انك اذا رأيت صورتك فى المرآة لم يكن هناك شئ غير الصورة فالصورة هى عين المصوّر (بالفتح) إذ لامادة هناك فالصورة والمصوّر شئ واحد هكذا عقولنا . فكل معنى عقلناه أوقضايا اقتبسناها فهى هى عقولنا . فالله أخرجنا من بطون أمّهاتنا لانعلم شيا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقتنصنا من المادّة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هى نفس عقولنا كما ان صورنا فى المرآة ليست شيأ سوى الصورة فاذا نحن عقلنا أنفسنا فالعقل الذى عقلنا به هو نفس المعقول . فاذن يكون عقلنا عقلا وعاقلا ومعقولا فاذا تعقل الانسان نفسه فالعقل هو العاقل وهو المعقول إذ ليس هناك شيآن متغايران كالجسم واللباس عليه وكالمادة والصورة بل هما شئ واحد . هذا هو السرّ الذى تراه فى تنايا الكتب الفلسفية قد أوضحته لك على قدر الامكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الامور الى أعلاها . فبينماهم ينظرون الألوان والأصوات اذا هم يرتقون الى الكليات اذا هم يفكرون فى العقول وقد استكملت علومها اذا هم يقولون بالعقول المستفادة التى تحضر المعقول متى شاءت اذا هم يرتقون الى العالم الأعلى أى الذى ليس فى مادة ويقولون اذا نحن قدرنا هنا فى الأرض أن نكون عقولا بمجرّد الاطلاع على هذه المادّة وأخذ صورها والتصرّف فيها واننا نلبس ملابسها وتصبح حللا لعقولنا ونذهب بها الى عالم آخر فأحر بنا أن نقول ان هناك عوالم لم تكتسب علومها من المادّة بل علومها فيها كامنة . واذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلمنا منها وأخذنا العلم عنها وهى حاضرة أمامنا وأصبحنا عالمين بها فما بالنا ننكص على أعقابنا ولانقول ان هذا العقل الذى كسبناه منها على منوال العقل الذى أكسبها هذه الصور ولذلك نرى أنفسنا تحذو حذوه فتنطبع بهذه الصور التى طبعها ذلك العقل فى المادة وهذه العقول التى غرست فينا واستعدّت لدرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل الفعال قد جعل هذه المادة كلوح تقرؤه نفوسنا فتقلده وتدرس ماخطه فى لوح الطبيعة وتنحو نحو العقل الفعال لأننا نرى أن الأبناء يسيرون على طبيعة الآباء . فاذا كنا نرى جميع صغار الحيوان تتبع فى نظامها وسيرها نظام آبائها ووجدنا عقلنا لما كان عقلا بالقوّة أخذ يسعى سعيا حثيثا حتى استكمل المعقولات فما الذى يمنعنا أن نقول ان العقول الانسانية تحتذى حذو عقل ليس فى مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أوتقرب من ذلك الشأو كما كان صغار الحيوان يتبعن آباءهن وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مستمدث من المادة لأنه لايحتاج اليها . أما عقلنا فهو اليها محتاج وعليها يعوّل ولقد أوضحت لك المقام والله هو الولى الحيد.

أفلاتنظر وتعجب كيف ذكر الله قنديل المسجد ونور الكواكب وأشار بنور القنديل الى أنوار القلوب والى ماينقش فى العقول من المعانى وكيف انتقلنا من مقام الى مقام حتى وصلنا الى عالم الملائكة . ولعمرى ما ضياء القنديل فى المسجد إلا لظواهر الحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق فى العقول لتفصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ماهو أجلّ بما هو أقلّ لأن ماهو أقلّ أعرف عندنا وماهو أجلّ مجهول لدينا . وها نحن أولاء وصلنا من هذا المقال لعالم الملائكة ـ والله من ورائهم محيط ـ * وقال الشاعر

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولاسهم

﴿ قطرة ماء فى تفسير قوله تعالى أيضا ـ الله نور السموات والأرض ـ ﴾

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر فى السموات والأرض . والقرآن طافح بذلك

وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جل العلم . فهل لك أن أحدثك حديثا جيلا عجيبا في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبيقا على هذه الآية ومن هذا الحديث يتجلى لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع ذرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور وانا نعيش في وسط النور وأن ماتراه من حيوان ونبات وسماء وأرض وحجر ومدر . كل هذا ماهو إلا نور متجمد كما يجمد الماء فصار ثلجا . فهذه العوالم التي شرحتها الأمم كلها وذكر مجملها القرآن تدخل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققته انشرح صدرك وتمنيت أن ترى هذا النور عيانا وأن تحجب عنك هذه الدنيا وصورها الزائلة وتتمتع بجمال لانهاية له . فهاك اسمع مايقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في ﴿ مجلة هارپر ﴾ الأمريكية في سنة ١٩٢٦ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمعك ملخص مايقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية والمقادير تماما وأورد القول بإيضاح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجماله الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت علوم الأمم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لايشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولاجرم إنك أيها الذكي تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنتي جزء من مائة من المتر قال فلنكبره

(١) وأخذ يكبره تقديرا مرارا حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمترا . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الارتجاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) واذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) مترا زال ظهور قوس قزح ولانرى فيها إلا الماء لاغير

(٣) واذا كبرنا قطر نقطة الماء فصار مائة ميل . قال فحينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجما وقياس قطره سنتيان ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لايمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن الاتحليله الى العناصر التي تركب منها . فهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لايقبل القسمة الى قسمين مائيين بل يحلل الى عناصره الأصلية التي لاتسمى ماء وهما الاكسوجين والادروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا انه لايقسم اذا أمسكناه فرضا وجدناه أشبه بالحجر صلابة لاتحاد الاكسوجين بالادروجين اتحادا قويا جدا لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيمائية لامحل لذكرها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف مافيه لأن العلم لاحد له وشوق النفس لانهاية له — وفوق كل ذي علم عليم — فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة وتفرجنا عليها ونحن راكبون في سفينة تجري في ذلك البحر اللجي . قال فحينئذ نكبر النقطة مرة رابعة

(٤) فنجعل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدما بعد أن كان سنتيين ونصفا . ولكن هذا التكبير لايفيدنا إلا أمرا واحدا وهو اننا نرى كل جوهر مائي مؤلفا من ﴿ ثلاثة جواهر * أحدها ﴾ وهو الاكسوجين في الوسط والآخران واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الادروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي انها لاتنقسم ومعنى انها لاتنقسم انها اذا حللت لاتكون أجزاؤها أكسوجينا وأدروجينا بل أشياء أخرى ستعلمها . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلاء ومسافات لاغير لامادة فيها وجوهر الاكسوجين الذي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قدما وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله ماهما إلا دائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تدوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن عرفنا الجوهر المائي أولا ولما كبرناه وجدناه مركبا من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في علم الكيمياء يحلل الماء اليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لاتزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى — وقل رب زدني علما — وقال ابن سينا في قصيدة النفس

أسرع برد جواب ما أنا باحث * عنه فنار العلم ذات تشعشع

حينئذ علينا أن نعرف ماهذا الاكسوجين وماهذا الادروجين بعد أن عرفنا نقطة الماء وعرفنا أجزاء كل جوهر منها

(٥) إذن نكبر نقطة الماء المذكورة مرة خامسة ألف مرة أخرى فتصير أكبر من فلك الأرض حول الشمس وحينئذ يصير قطر الجوهر المائى الذى حدثناك عنه وقلنا انه مركب من الجواهر الثلاثة المذكورة الفردة ثمانية أميال . فماذا نرى إذن . نرى أن الدوائر التى حدثتك عنها فى الاكسوجين والادروجين ماهى إلا خطوط وهمية من النور ترسمها نقطة صغيرة من النور تدور حول مركزها فى الثانية الواحدة ستة آلاف مليون مليون دورة وهذه النقطة الدائرة هى (الكهرباء السالبة) ومركزها النورى يسمونه (الكهرباء الموجبة) وهذه الدوائر التى رسمتها النقطة فى الاكسوجين والادروجين ماهى إلا كالدوائر التى ترسمها شعلة نحركها نحن بسرعة فترسم دائرة بحسب نظرنا نحن وفى الواقع لاشئ سوى الشعلة . و بهذا البيان عرفنا أن الجوهر المائى رجع الى اكسوجين وأدروجين . وهذان الجوهران الفرديان رجع كل منهما الى نقطتين من النور نقطة يسمونها (سالبة) تدور حول أخرى يسمونها (موجبة) وهذه التى تدور حول الأخرى تكون أكثر من واحدة وتكون الدوائر على مقدار تعداد النقط الدائرة . إذن الأمر واضح لاموجود إلا النور فالاكسوجين والادروجين نقط من النور لاغير و بالدوران السريع صار كل منهما غازا و بالاتحاد بينهما صارا ماء والحقيقة واضحة . ماذلك كله إلا نور . بقى علينا أن نعرف عدد الجواهر المائية التى فى النقطة الواحدة من الماء . يقول العلامة (هنشو) المذكور ان فى النقطة من الماء عدد (خمس) وأمامه عشرون صفرا أى خمسمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف جوهر مائى وهذا العدد العظيم من النقط المائية ليس مندمجا . كلا . ولامصمتا فهناك أبعاد شاسعة كالأبعاد التى بين الكواكب والشمس والأرض بالنسبة لأحجامها فاذا ألصق بعضها ببعض لم تملأ إلا جزأ من مائة ألف ألف ألف ألف جزء من النقطة . إذن قطرة الماء المذكورة عبارة عن نقط من النور وهذه النقط يدور بعضها على بعض و بشدة السرعة ترى مواد غازية وهذه باتحادها تكون ماء وهناك فضاء بينها بحيث تكون النقط بالنسبة للفضاء أشبه بالنجوم فى مداراتها مع البعد الشاسع بينها كالذى بين الأرض والشمس وليس هذا خاصا بالماء وأجزائه . كلا . بل جميع الأجسام من جبل ونبات وحيوان أنوار أو كهرباء متحركة فى شكل عناصر متحدة قد بلغ عددها (٩٢) فى وقتنا الحاضر مركبات من نقط النور المذكورة إذن جميع عالمنا نور وأى قطرة من الماء أو أى قطعة من حديد أو حجر أو طين ماهى إلا نقط من النور تدور فى فضاء ترسم دوائر من النور الخ . فقطرة الماء مثلا أشبه بالمشكاة وهكذا كل قطعة فى المادة ودوائر الأنوار الحادثة داخلها بسرعة جرى النقط النورية فى عناصرها أشبه بزجاجة المصباح والمصباح أشبه بالنقط النورية التى فى مركز كل من الاكسوجين والادروجين فيما تقدم وهكذا بقية العناصر . فهنا ظهرت المشكاة وظهرت الزجاجة وظهر المصباح و بقى مايوقد منه المصباح فجعله يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية الخ وهذا هو الذى غاب عن الناس الآن . نعم ان وصف شجرة الزيتونة بأنها لاشرقية ولاغربية ربما يفيد انها ليست من عالمنا الأرضى بل من العالم الإلهى الذى لاندركه . اللهم ان قطرة من الماء أصبحت نورا وقطعة من الحجر أصبحت نورا وهذا النور ماأشرق إلا من نورك ولاظهر إلا من جمالك ولكنك أريته لنا غير نور فقد حبستنا فى حواسنا فرأت الجمال غير جمال ولاسبيل لنا إلا أن ندرس جمالك الظاهر فى عالم الطبيعة الذى حجبنا عنك ولعلنا اذا فارقناه نرجع لعالم النور ونشاهد جمال وجهك المحتجب عنا وسناء كمالك و بهائك الذى توارى بحجاب الحس ونكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . فنشاهد تلك المناظر الحسنة البهجة إذن هذا العالم ماهو إلا نور مترا كم وجمال احتجب وسعادة اختفت ولاسبيل الى السعادة إلا بادراك الحقائق وذلك بالعلوم . ولقد استبان من هذا

البحث أن قوله تعالى ـ ومن كل شئ خلقنا زوجين ـ قد وصل هنا الى قرار مكين ، فالكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالذكر والأنثى وهذان الزوجان اتحدا كالذكور والاناث من الحيوان والنبات . وهذا السر الذى ظهر الآن هو الذى ظهر فى الدين المجوسى قبل دخول الخرافات عليه كما تقدم فى (سورة الأنبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصلين وهما الخير والشرّ وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأخرون منهم فجعلوا الخير والشرّ لإلهين لا لواحد كالمتقدمين وهكذا طبع العدد زوج وفرد وعلم الحساب جمع وتفريق والعالم مركب من التنافر والمحبة . فكل هذه عبارات ترجع الى معنى واحد وهو الذى جاء فى قوله تعالى ـ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ـ فمن علماء اليونان من قال أصل العالم العدد . ومنهم من قال الكراهة والحب . هذا مافتح الله به فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ النور قديما وحديثا فى أرضنا ﴾

(١) المشاعل
(٢) مصابيح الزيت
(٣) قناديل الشمع
(٤) زيت البترول المعروف
(٥) الغاز الذى هو خلاصة الفحم المحترق الجارى فى الأنابيب لانارة المدن
(٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسبيرتو) أى بخارها الذى يغشى عادة بغشاء يحفظ ضوءه
(٧) ضوء الكهرباء الذى عمّ الأقطار الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى ـ والله يرزق من يشاء بغير حساب ـ انظرها فى (سورة آل عمران)

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ والطير صافات ـ وهى جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى فى تسبيح الطير)

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد تقدم فى (سورة الاسراء) عند قوله ـ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ ـ وهكذا فى (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لايعرفان إلا بقراءة جميع العلوم ومن ذلك دراسة الألوان التى وضحت فى (سورة المؤمنون) ومسألة نغمات الأحجار فى (سورة الرعد) و بيان أن التسبيح والتحميد لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشرّ وأن المجوس تخلصوا منها بأن للعالم إلهين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . و بيان أن المسبح والحامد وهو جاهل كالحشرة المستدفئة بالزهر الملقحة للشجر ولاعلم لها . و بيان أن هذه الانسانية اليوم جاهلة هذا الوجود . و بيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخوّاص وهو منهم مايفيد أن الجماد يعقل وأن الأشجار تتعاشق وقد ظهر فى الكشف الحديث ووضح فى هذا التفسير تعاشق الأشجار أما ان الجماد يعقل فهذا لم تصل له عقولنا . نعم عقولنا عرفت أن النبات يحسّ و يتحرّك كالحيوان كما أثبته العالم الهندى بمصر وتقدم فى (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجماد يعقل فهذا لم نصل له غاية الأمر أن الأمم اليوم تعرف أن كل جماد متحرّك حركات سريعة تعدّ بمئات الالوف فى ثانية . وقد استبان فيما تقدّم لماذا ظهر هذا على ألسنة الصالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك اقامة الحجة على الصوفية فى زماننا اذاهم قصروا فى معرفة العلوم التى هى فروض كفايات . و بيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالمتبتلين من أهل الهند البوذيين الذين رفعوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك فى سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية فى الطيور الرحالة . مترجم عن الانجليزية ﴾

إن الطيور على ﴿ نوعين ﴾ نوع يصرف حياته فى مكان واحد ولايفارقه ولايذر شجرته أوالمستنقع

الذى يبنى فيه بيته ويعيش فيه أكثر من خطوات معدودات إلا نادرا جدا . ونوع آخر لا يألو جهدا فى الحط والترحال مدة الحياة وفى جميع العصور فيكون فى مكان بضعة أشهر ثم يرتحل آلافا من الأميال ليصرف بقية السنة فى مملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رحالة) لأنها دائما على هذه الحال وهذا النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وترحل الى الباردة شمالا والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل للحارة جنوبا طلبا لحرارة الشمس . إن الانسان عند سفره يدفع أجرة السفينة فى البحر أو القطر فى البر . ولكن الطيور الرحالة لا يعوزها إلا أجنحتها . فلا أجرة تدفعها ولا سفينة تقلها ولا قطر يحملها فى البر . فتراها أسرابا تطير فى جو السماء مارة بالبحار و بالممالك المختلفة . إن ارتحال الطيور من أعجب العجائب العظيمة المدهشة فى هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظامها . ففى فصل الربيع من كل سنة فى يوم معين يصل الى أوروبا طوائف من الطير وتبتدئ فتبنى أعشاشها فى الأمكنة التى بنت فيها فى السنة الفائتة وقد يبنى العش طير صغير على الطريقة التى بنى أبواه بها العش الذى ترَبى فيه هو فى العام السابق بحيث يكون قريبا منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمعرفة بعض عادات هذا الطير فيصطادون منها جماعة ثم يعلمونها بعلامات خاصة كدوائر وغيرها ليعلموا هل هذه هى التى تصل فى العام القابل . وقد ثبت لهم بهذه الطريقة أن الطائر المسمى (الخطاف) بالعربية و (سوَلو) بالانجليزية الذى يصرف زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشادو) فى أواسط افريقيا يبنى أعشاشه لتربية صغاره سنة بعد سنة فى حائط من منزل مخصوص فى قرى الفلاحين ببلاد الانجليز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية فى البحر الأبيض من أوروبا الى افريقيا (ثلاثة) مبتدئة من شبه جزيرة اسبانيا وايطاليا واليونان . والمسافرون فى هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط زمن الخريف غالبا يرون أسرابا كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوبا الى بلاد الجزائر و بلاد تونس و بلاد مصر

﴿ ماسبب رحلة الشتاء والصيف ﴾

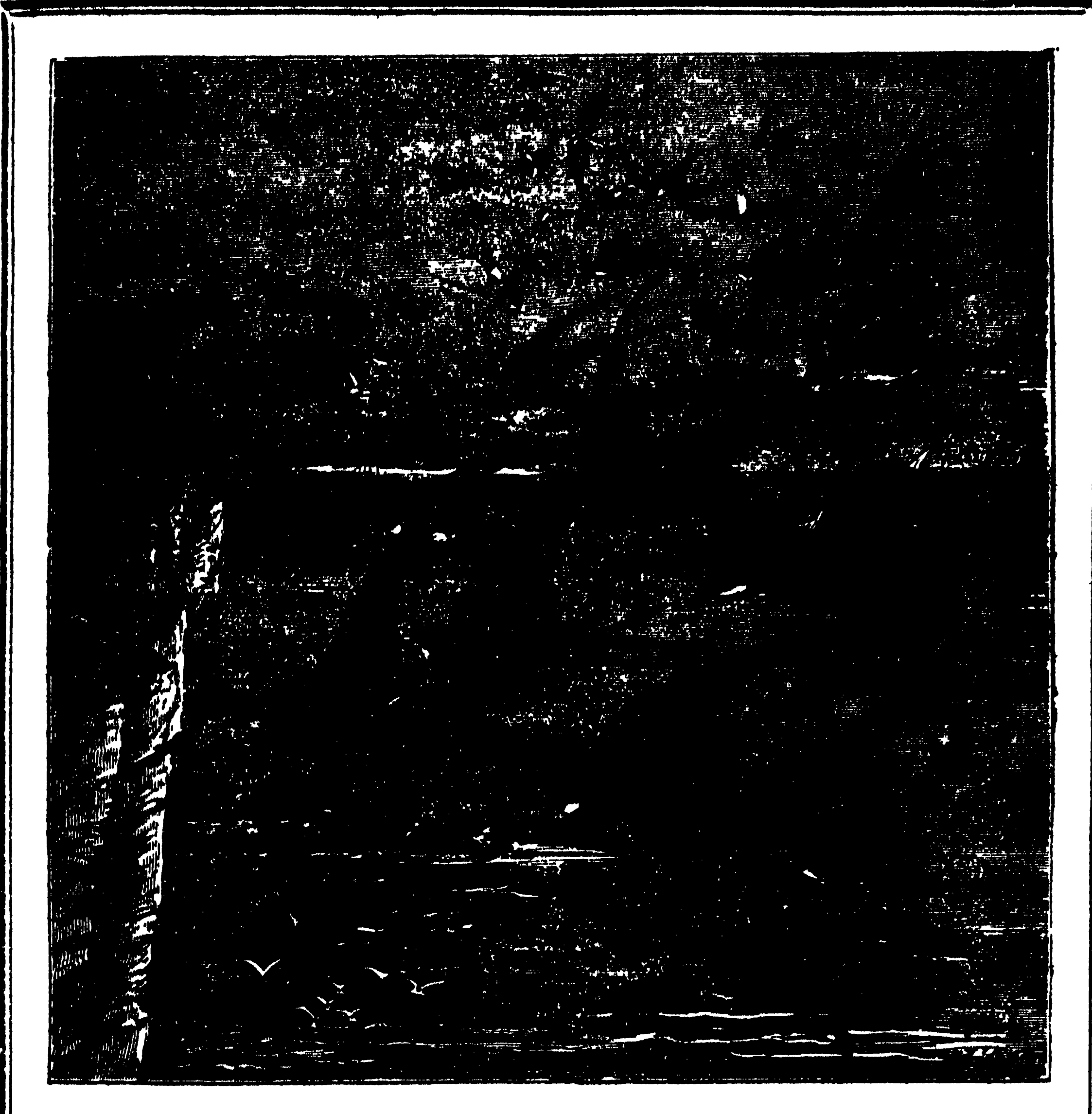
وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب الى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا ان تلك الأقطار التى يرحل لها ذلك الطير أوفق الى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموافقة لها . وهذا السبب ذهبوا اليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة بحث أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر فى ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

﴿ حكمة ﴾

إن سفر هذه الطيور الاوروبية الى افريقيا وسفر الطيور الافريقية الى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين الى الأخرى ارتيادا لطلب الرزق وجدا فى طلب العلم وذلك كله مما يعلم الانسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لى رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يقاتل بعضهم بعضا على الأمكنة وفاتهم بل جهلوا انهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة فى مستقبل الزمان حينما تعم الرحمة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



(شكل ١ ـ صورة الخطاف)



(شكل ٢ ـ صورة ورود الطيور المهاجرة من كتاب ﴿ علوم للجميع ﴾ المسمى (ساينس فورال)
تأليف العلامة (روبرت برون)

وههنا ﴿ فائدتان * الفائدة الأولى ﴾

﴿ أسرع المخلوقات الحية ﴾

كشف منذ مدة قصيرة الدكتور (تشارلس تونسند) البحاثة الأميركى الشهيرحشرة غريبة فى البرازيل تعدّ أسرع المخلوقات الحية لأنها تقطع ٨١٥ ميلا فى الساعة أونحو ١٤ ميلا فى الدقيقة و٤٠٠ ياردة فى الثانية فتكون سرعتها نحوا من نصف سرعة رصاصة البندقية التى تجتاز ٩٠٠ ياردة فى الثانية بينما الطيارة لاتجتاز أكثرمن ١٣٠ ياردة فى الثانيـة وأسرع انسان لايجتاز ١١ ياردة فى الثانية . أما اسم هذه الحشرة فهو (سفنوميا) وهى موجودة فى أمريكا الجنوبية والشماليـة و بعض أنحاء أوروبا . والى الآن لم يتمكنوا من معرفة مصدر سرعتها الحقيق وقد قدروا أن جناحيها يدوران عدّة آلاف من المرات فى الثانية بينما أسرع طيارة لايدور دولابها الأمامى أكثر من ٢٠٠٠ مرة فى الدقيقة . وقد قال الدكتور (تشارلس تونسند) المذكور ماياتى ﴿لوأتيح للانسان أن يطير بسرعة هذه الحشرة لتمكن من الدوران حول الأرض فى ١٧ ساعة فقط فانه يترك (نيو يورك) الساعة الرابعة زوالية صباحا ويفطر فوق (ريو) ثم يجتاز (باكين) ويتناول الشاى

فوق

فوق (الاستانة) والغداء فوق (مدريد) و يصل (نيو يورك) الساعة التاسعة زوالية مساء وهذا ميعاد دخول الاو برا » وقد حرك اكتشاف هذه الحشرة اهتمام المهندسين والمخترعين وأخذوا يتحدثون متسائلين ولماذا لانعمل الفكرة فنصطنع طيارة بسرعة هذه الحشرة أوأسرع » وعسى أن يحقق اهتمامهم رغبتهم هذه فيقوموا للانسانية بخدمة جليلة لاتقدر ولاتثمن

﴿ مقاييس السرعة ﴾

نظم القائد (ارنولد) الأمريكى قائمة بمقاييس السرعة وهى كما يلى

(١) أعظم سرعة للانسان الراكض ٢١ ميلا فى الساعة

(٢) سرعته على المزلجة ٢٢ ميلا فى الساعة

(٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا فى الساعة

(٤) أعظم سرعة للدراجة (بيسكلت) ٧٥ ميلا فى الساعة

(٥) أعظم سرعة للدراجة البخارية ١١٢ ميلا فى الساعة

(٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٠ ميلا فى الساعة

(٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا فى الساعة

﴿ أسرع طيارة فى العالم لاجناح لها ولامراوح ﴾

صنع المسيو (شبادلين) وهومهندس فرنسوى شهيرنموذج طيارة بلاجناحين ولامروحة فى مقدمتها ومع هذا فهى تطير . و يعتقد هذا المخترع أن الطيارة التى تصنع على نمط نموذجه هذا يمكنها أن تقطع من سبعمائة الى ألف ميل فى الساعة . فهى والحالة هذه تسبق الشمس اذا بارتها فى شوط بين بار يس ونيو يورك . وقد قال المخترع ضاحكا « انه يتسنى لركاب طيارتى أن يتناولوا الغداء فى الجراند بولفارد ببار يس و يشربوا الشاى فى برودواى بنيو يورك »

والمسيو (شبادلين) مقتنع بأن طيارته التى أسماها « جيرو بتر » ستكون طيارة المستقبل القريب . وقد أيد النموذج الذى صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مدهشة . و يبلغ طول نموذجه هذا نحو عشرين قيراطا ولايزيد ارتفاعه على قدم واحد وهو يحاكى الطيارات العادية فى هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب كوف البواخر النهرية أوكالتى كانت مستعملة لبواخر البحار فى أول عهد البواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج محرك تكون قوته ١ من ٧ حصان ووزنه أوقية ور بع . ولما كان محرك كهذا معدوم الوجود جهز المخترع نموذجه بمحرك كهر بائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من دنمو صغير وضعه على المائدة وماكاد يوصل التيار به حتى أخذ رفاساها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة فى الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتدور فى الحجرة . وقد جعلت مغالق متحركة حول أغطية الرفاسين تستخدم لتحويل مقدم الطيارة الى أعلى أوالى أسفل . ومبدأ المخترع فى طيارته هذه العجيبة هو من قبيل مبدإ المركبة الألمانية المسماة (روكن) فالرفان فى الطيارة التى نحن بصددها يقومان مقام المروحة التى تكون فى مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان الطيارة و يسيرانها . و يقول المخترع « إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الغاز الهالك الذى ينساب من المحركات على مبدإ الصاروخ » . ولهذه الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهى ان رفاسيها وأغطيتها تقوم مقام المظلة الواقية (الباراشوت) فى حالة اصابة المحرك بعطل فتنزل الطيارة الى الأرض ببطء يقيها خطر الاصطدام الشديد ولايخفى مالهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة فى عالم الطيران . انتهت الفائدة الأولى

﴿ الفائدة الثانية ﴾

جاء فى الأنباء البرقية فى ١٠ يونيو سنة ١٩٢٧ مانصه

﴿ ارتياد القطب الشمالى ﴾

عاد الكبتن (جورج ولكنس) بعد ماضاله ضباب الدائرة المتجمدة الشمالية وردّه على أعقابه وترك وراءه احدى طياراته وسط الثلوج المتجمدة فى ساحل (الاسكا) الشمالى وقد قال ﴿ إن دليله جراهام طار فى ٢٨ مايو الى ابتاه فى جرينلند ومن هناك الى مستودع الوقود والمؤنة فى رأس بارو ليحاول حلّ المسألة الغامضة عن مهاجرة الطيور الى أقصى الشمال ويتثبت مما اذا كانت قارة الاتلنتيك التى ورد ذكرها فى الأساطير موجودة فى مكان لم يصل اليه بنوالبشر ولكن البعثة عدلت عنها الآن كما عدلت فى السنة الماضية من جراء الضباب الكثيف وطبقات الثلج المستترة والطيارات يطيران فى عالم كله ضباب لايخترق ﴾ انتهت الفائدة الثانية

وانما نقلت لك هذا الخبر البرق لتطلع على غرام الأمم التى يعيش معها المسلمون أولئك الذين يخاطرون بأنفسهم ويعرّضونها للتهلكة فى سبيل العلم . وأىّ علم هو . هوعلم الطيور فى مهاجرتها . تلك الطيور التى ذكرها الله فى القرآن انها مسبحات مصليات فكان على المسلمين أن يعشقوا العلم ليعرفوا عجائب صنع ربهم وليبتهجوا بالجمال والبهاء والحكمة والنور . فهل الأمم التى تدرس كل علم كالأمم النائمة . يقول الله تعالى ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولوا الألباب ـ ويقول ـ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أوآذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ـ

﴿ اختراع الطيارات ﴾

فى سورة (المائدة) فى آية الغراب وفى (النحل) عند قوله تعالى ـ ويخلق مالاتعلمون ـ تقدم الكلام على البالون والطيارات ورسم بعضها فى سورة النحل اهـ

﴿ اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى ـ وينزّل من السماء من جبال فيها من برد ـ الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم فى ﴿ سورة الرعد ﴾ مايناسب قوله تعالى ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ من أمر الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة عجيبة مسدّسة الشكل مرسومة فى القرن الماضى بهجة المناظر حسنة الأشكال . ولكنى هنا أريد أن أريك مايناسب هذا المقام من عجائب العلم فى هذه الآية ﴿ أوّلا ﴾ أبين لك ما كان يعلمه علماء القرن الثانى عشر الهجرى من أمم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على لسان صلحائهم مايناسب كشف العصر الحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر لك الجبال الثلجية من كتاب علوم للجميع تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقدلا لغيره فى ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ماأبدعه صديقنا مصطفى بك منير فى الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ عالما من علماء أوروبا تفسيرا لهذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأوّل فيما جاء فى أقوال علماء الاسلام فى القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا فى هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذى عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى كان عالما من أكابر علماء الاسلام وقد لقى الشيخ عبد العزيز الدباغ الذى لم يدرس ولم يتعلم وأن الأوّل قد أدهشه الثانى بعلمه . فلأسمعك ما أجاب به فى هذا المقام وأقدّم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت فى هذا التفسير أن العالم الدينى فى الاسلام يجب أن يكون علمه أوسع من علم الفقه وهاهى ذه الحادثة الآتية تبين لك كيف كان الناس فى العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام فى أغور وأصعب مسائل الطبيعة الغريبة . فانظر كيف سئل ابن المبارك المذكور فى ذلك . وكيف بحث عن الجواب فى كلام الفلاسفة الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طلبته ثم كيف سأل الشيخ الدباغ فأجابه بما لم يعلمه إلا علماء العصر الحادث . فهاك البيان وهذا هو السؤال الذى ورد اليه

﴿ الحمد لله . سادتنا الأعلام . أدام الله بكم النفع للأنام (١) جوابكم فى الثلج ما أصله (٢) هل ينزل كذلك من محله منعقدا (٣) ومحله الذى ينزل منه ؟ (٤) ولأى شئ خص بالبلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شئ خص بالجبال (٦) ولماذا نراه تارة مجتمعا مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شئ خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضا الصاعقة لاتنزل إلا فى البلاد الباردة والجبال ومواضع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فان أهلها يقولون انها لاتنزل فيها فلماذا ﴾ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث فى كلام علماء الاسلام رأى مايأتى

﴿ أولا ﴾ أن أهل السنة والجماعة لم يفيدوا فى هـذا فائدة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فما عثر على شئ فيها . ومن هؤلاء الحافظ السيوطى مع علو درجته فى الآثار لم يتعرض لذلك لافى كتابه المسمى ﴿ الهبة السنية فى الهيئة السنية ﴾ وقد وضعه فى علم الهيئة لأمثال هذه المسألة ولافى حاشيته على البيضاوى ولافى ﴿ الدر المنثور فى تفسير القرآن بالمأثور ﴾ ولافى كتبه الأخرى مع انه أكثر فيها من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والبرق . وأيضا لم يتكلم على الثلج والبرد ولاعلى سببهما . قال وانما رأيت ذلك فى كلام البيضاوى نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار المائى اذا وصل الى الطبقة الباردة صار سحابا ونزلت الأجزاء المائية فهى على أحوال إما أن يكون بردها قليلا فتكون مطرا واما أن يكون بردها شديدا فان جمدت قبل الاجتماع فهى ثلج وان جمدت بعد الاجتماع فهى البرد . ولما نقل كلامه كله اعترض على البيضاوى فى نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذى رآه ابن المبارك فى كلام المتقدمين . ثم رجع الى الشيخ الدباغ فعلمه وأجاب بما يأتى

(١) ـ إن الثلج ماء عقدته الرياح وأصله غالبا من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح ارتفاع البخار فى الجو وانه يصير مثل الهباء ثم تجتمع أجزاؤه لأجل مافيه من النداوة وينزل على هيئة الصوف أحيانا وعلى هيئة أخرى أدق منها أحيانا . فهذا أصل الثلج . أما البرد فان المسافة بين انعقاده ونزوله غير طويلة وهو من مياه البحور والغدران وانه انما ينزل على هيئة الطعام المفتول الغليظ وانما غلظ لأجل مصاكة الرياح له فراجت أجزاؤه فى الهواء تحت أيدى الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أيدى المرأة فى الصحفة فحصل فيه فتل مثل مايحصل فى الطعام . قال ولو انه تأخر نزوله ودامت المصاكة لاندمجت أجزاؤه وصار ثلجا ، فهذا بيان أصل الثلج و بيان الموضع الذى ينزل منه و بيان البرد

(٢) وأما قولكم ﴿ لأى شئ خص بالبلاد الشديدة البرد الخ ﴾ فجوابه أن الثلج لايزال على انعقاده حتى يطرأ عليه مانع والمانع يجعله مطرا وذلك المانع هو الأجزاء البخارية الصاعدة من الأرض الحاملة للحرارة فاذا لقيت الثلج كسرت برودته فصار مطرا وهذا البخار الحار يكثر فى البلاد الحارة والسهول ولذا لايرى فيها ثلج . ولو فرض أنه رؤى فذلك لايطول مكثه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فانه لامانع فيها من بقاء الثلج على انعقاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتى . إما فوبان بعض أجزائه بالأجزاء البخارية المذكورة فينزل الذى لم يذب ثلجا والذى ذاب مطرا ولذلك يكون المطر النازل معه فى الغالب ضعيفا رفيعا مسحوقا مثل الثلج . واما انه نزل قبل تمام انعقاده فان الرياح تحمل ماء فينعقد ثم تحمل ماء آخر فاذا نزلا نزل الأول ثلجا والثانى مطرا

(٤) وأما اختصاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . فجوابه أن ذلك لقرب الجبال والأرض العالية من الجو الذى هو فى غاية البرودة . فأما السهول فهى بعيدة منه

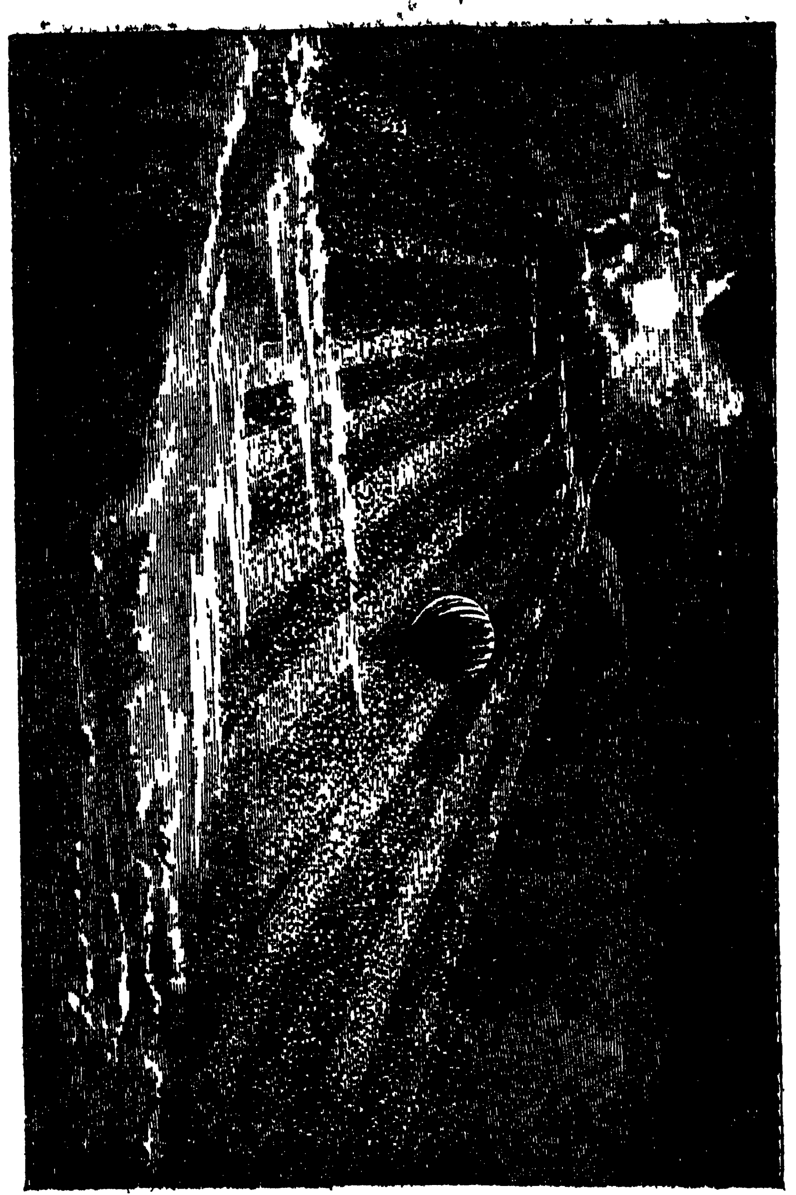
(٥) وأما الصاعقة التى ذكرتموها فان القول بعدم نزولها فى الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

فانها نزلت ببلاد (سلجماسة) وهى أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما أتم الجواب قال واعلم أن هذا أخبر به من عاين الامر على ماهو عليه من أرباب البصيرة الخ (يريد الشيخ الدباغ) وقد سأل الشيخ الدباغ أيضا قائلا « هل فى السماء جبال من برد كما قاله بعض المفسرين » أجاب ليس فيها ذلك . والمراد بالسماء فى الآية ماعلاك فكأنه يقول من جهة العلو وجبال البرد تكون فى جهة العلو بحمل الرياح لها من الأرض الى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فى مقال بعض علماء الطبيعة فى عصرنا ومادبجه العلامة (روبرت براون) الانجليزى فى كتابه علوم للجميع ﴾

قد جاء فى كتاب « الفلسفة الطبيعية » فى تعريف البرد انه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فنها ما هو أصغر من الحمص . ومنها ماهو بقدر البرتقال . ومنها ماهو بين هذين الحجمين . ولايعرف كيف يتكون . والظاهر انه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتتخللها ريح أخرى أحر منها جدا وهى مشبعة رطوبة تقريبا ولكن تعليل هذه الرياح الباردة عسر وغير معروف . فانظر الى علماء الطبيعة فى عصرنا الحاضر كيف تحيروا فى تعليل البرد ووازن بين هذا و بين كلام (الشيخ الدباغ) الذى قال ان السماء ماعلاك وأن البرد ماهو إلا مادحرجته الرياح من المواد المائية ولم يطل زمنه وشرح شرحا طويلا ضافيا . فلنفض القول فى مسألة الثلج والبرد من كتاب ﴿علوم للجميع﴾ فنقول

اعلم اننى قدمت لك فى (سورة الرعد) عند الكلام على الثلج انه عند القطبين يكون دائما و يأخذ فى الارتفاع شيأ فشيأ . ومعنى هذا أن الثلج دائم فى جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين ومابينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعا وانخفاضا . فاقرأ ماذكرته هناك ثم انظر هنا مايقوله فسترى عجبا عجابا . سترى ما قاله الله فى القرآن يشاهد عيانا ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ سترى ماعجز عنه فحول العلماء سابقا وانما شرحه (الشيخ الدباغ) الذى لم يتعلم . قد ظهر له بالمعاينة . سترى أيها الذكى ما جاء فى القرآن من أن هناك جبالا فيها من برد حقا وصدقا . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقنا وتعجب من المسلمين الذين تركوا جميع العلوم وجهلوها حق الجهل . واذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال فى نفسه هل السماء فيها جبال من برد . واذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرنى أنا ولم أعرف تمام هذه المعانى إلا من ايضاح (الشيخ الدباغ) ومشاهدة المناظر التى ستراها الآن وهى منقولة من الكتاب الانجليزى المذكور . أفلست بعد ذلك أيها الذكى توقن أن ذل المسلمين اليوم انما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون فى الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال ﴿ إن الثلج يظهر فى أعلى الجو فى كل مكان فى الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غاية الأمر أن ذلك الثلج قد يذوب قبل نزوله الى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن مامن بقعة فى الأرض إلا وفوقها ثلج . فنه ماينزل اذا لم تقابله الحرارة فى الأماكن المنخفضة . ومنه مالاينزل ﴾ وهذه صورته (شكل ٣)



(شكل ٣ – صورة ألواح الثلج فى الأقطار العالية من الجو وقد تخللتها أشعة الشمس)

ويقول المؤلف قبل ذلك فى صفحة ١٧٩ مانصه ﴿ إن جسم الثلج لطيف جدا حتى انه يشغل مسافة أكبر من المسافة التى يشغلها الماء (٢٤) مرة . أما عمق الثلج فان الماء الذى يكون منه لايشغل إلا عشر عمق الثلج . فاذا كان مقدار الثلج عشر بوصات فهذا القدر لايعادل إلا بوصة واحدة من الماء ﴾ هذا كلامه

إذن بهذا عرفنا السر فى أن الثلج مرتفع فى أعلى الجو . ذلك لأنه خفيف جدا فارتفع . هذا ومن عجب أن الشيخ عبدالعزيز الدباغ المتقدم ذكره يقول فوق ماتقدم فى صفحة ١٣٩ من الكتاب المذكور مانصه ﴿ وكم مرة أنظر الى طرف الماء الموالى للجو الذى فيه الرياح فأرى فيه جبالا من الثلج لايعلم قدرعظمتها إلا الله ﴾ ونرجع الى مانحن فيه فنقول . ثم إن هذا الثلج الذى رأيته فى الشكل المتقدم معرّض لأن ينزل الى الطبقات المنخفضة الحارة فيرجع بخارا . فماذا فعل الله لحفظه . خلق له الجبال فتى صادف ذلك جبل

مرتفع احتطفه وضمه اليه ورسا فوقه حتى لاينزل و يبقى ثلجا دائما فوق الجبل وهذه صورته (شكل ٤)



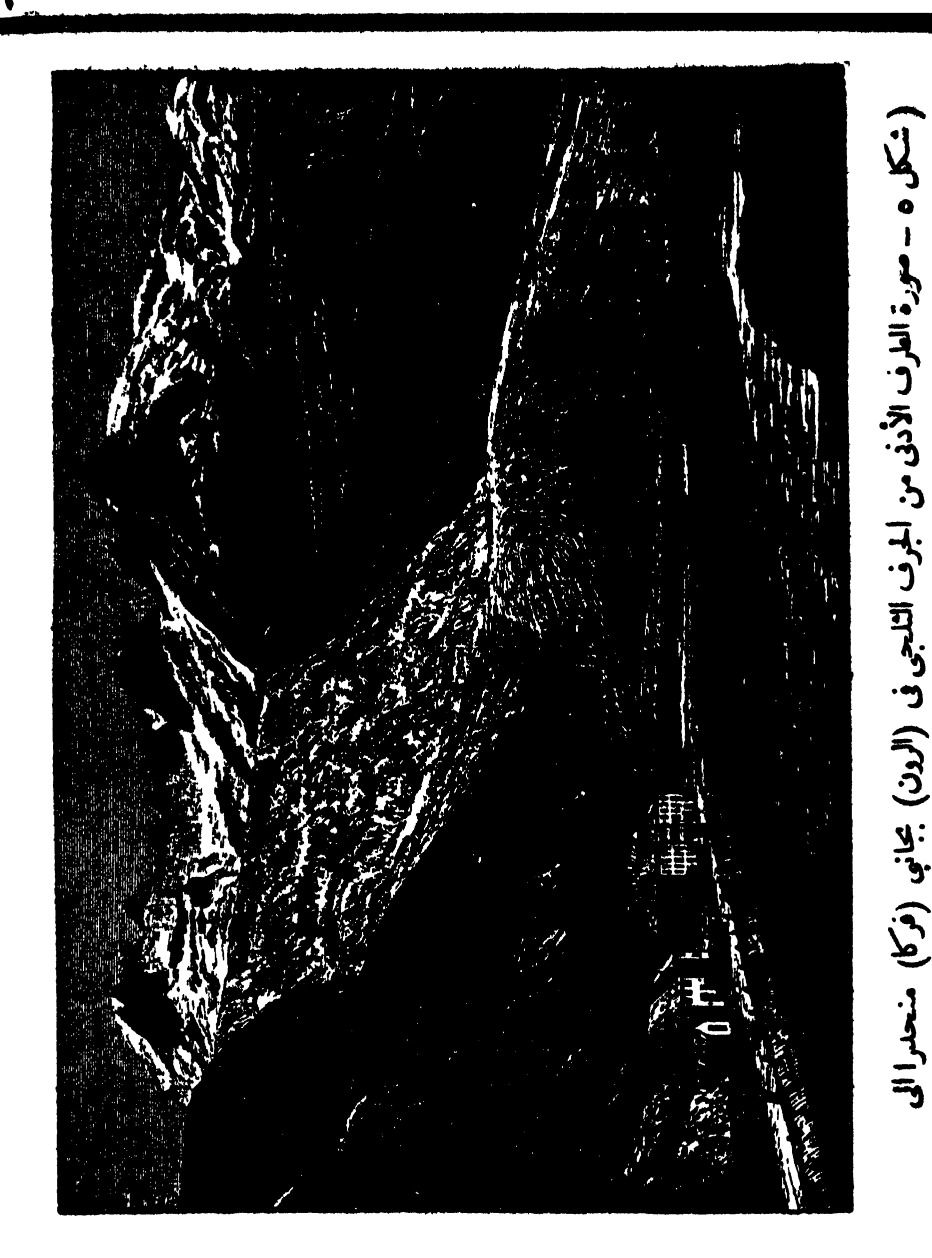
(شكل ٤ ـ هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب والجبال المتصلة بها والثلج الدائم المغطى لها)
(جبال الالب تمرّ بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالأخيرة)

ولعلك تقول عرفنا أن الثلج مرتفع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه ولكن مافائدة هذا الثلج ومافائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك الثلج الذى نزل من الجوّ على الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب وجرى وهذه صورته (انظرشكل ٥ فى الصفحة التالية)

هذه هى معانى الآية . فالثلج شاهدته وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزاله فى النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ وقوله ـ ثم إنّ علينا بيانه ـ وقوله ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ اللهم إنا نحمدك فقد أريتنا الآيات وعلمتنا على مقدار درجتنا الأرضية التى خلقتنا فيها فلك الحمد ولك الشكر . كل ذلك أيها الذكى جاء فى الثلج ولكن الآية لم يذكر فيها الثلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . تقول . لقد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا وبردا وثلجا . فهذه الثلاثة متجاورة وغاية الأمر أن البرد يكون نزوله أسرع . لقد علمت أن أمر البرد من الصعوبة بمكان . تتحار فيه القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأوّلية فى ذلك أن يقال كما ان نسبة الصقيع الى الندى كنسبة الثلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ماهو إلا ممثل لصقيع المطر ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هو مطر منعقد

(٢) ثم تراهم يتعمقون فى البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه عبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس . وقد علموا لذلك بأن المطر كان أوّلا فى طبقة حارّة من الجوّ الأعلى ثم سقط لجأة الى جوّ أدنى منه فيه تيار شديد البرودة فأثر فيه



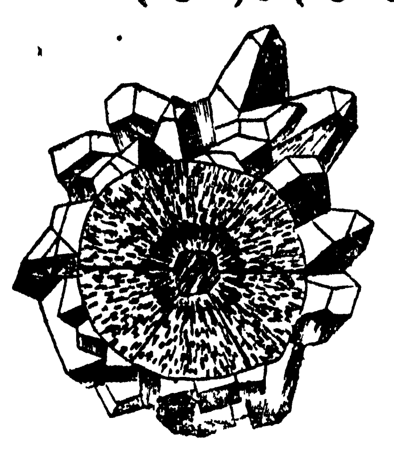
(شكل ٥ — صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجى فى (الرون) بجانب (فركا) منحدراً الى رأس واد من الأودية حيث يبتدئ منه النهر)

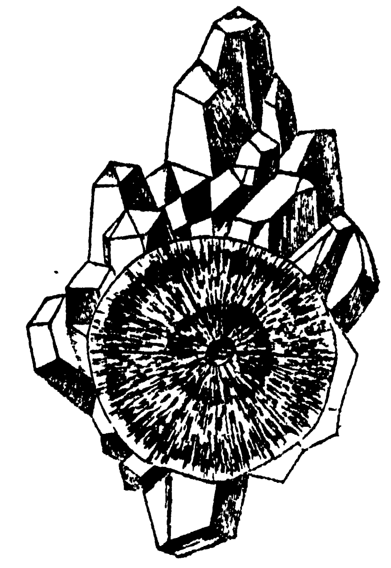
فتكوره مرات جليدية ثم نسجه نسجا كما تقدم

(٣) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد بهيئات حبوب بيضاء غير شفافة أى انها لاترى ماوراءها كأنها صور صغيرة لكرات الثلج لا أنها صور لقطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نازلة مع قطرات المطر والقطعة من البرد إذ ذاك مركبة من حبات صغيرة منه بحيث لايزيد قطر الواحدة منها عن عشر البوصة أى نحو ربع سنتيمتر وقد غطيت بطبقة من الجليد . وقد عللوا ذلك بأن البرد أولا كان ألواحا ثلجية فى أعلى الجوّ الذى اشتدت برودته ثم نزل الى جوّ حار فأخذ يذوب فيه وقبل أن يتم ذوبانه نزل الى جوّ بارد قرب الأرض . هنالك جد فصار بردا ولكن آثار الثلج لاتزال ظاهرة فى خلال أجزائه . هذا آخر ما ذكروه . إذن يكون الأمر دائرا بين هذه الأحوال . مطرجد فصار ثلجا . مطرجد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانس الأجزاء الداخلة فيه . ثلج تكوّن ثم ذاب ثم برد ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ماجاء فى كتاب (علوم للجميع)

والدليل على أن البرد كان أوّلا ثلجا ماستراه فى هاتين الصورتين الجميلتين الحسنتى الشكل البهجتى المنظر

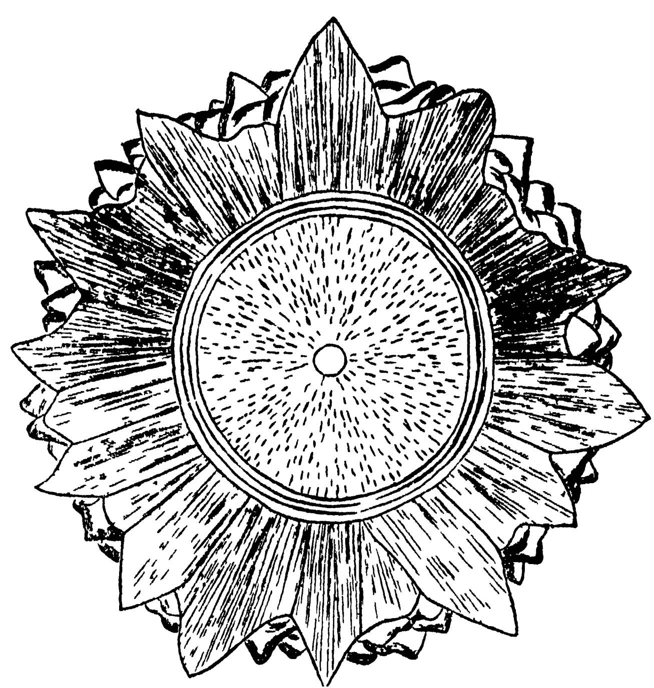
المتلألئتين المشرقتين اللتين هما من أعاجيب آيات الله تعالى اللتين رآهما المسيو (هـ . ابك) الروسى المغرم بالعلوم وقد نزلا فى أثناء عاصفة قوية فى جبال (اثر بلث) بالقرب من (بجياوى كابنسك) فى القوقاز بالقرب من (تفليس) فى (جورجيا) فى التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسمهما ونشرهما فى المجلة الروسية العلمية فى تلك السنة ونقلهما العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلهما . وقد قال فى وصفهما انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرسومتان بشكلهما فى الطبيعة وهما ربما كانا أبهج وأكثر تأثيرا فى النفس من كل ما رآه الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)





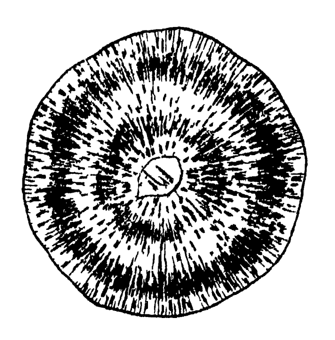
(شكل ٦ وشكل ٧ — صورة البرد الحجرى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض فى ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من تفليس)

ثم قال « إن هاتين الصورتين قد ركبتا من جزأين القلب والغلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة ثلجية تضامت واجتمعت بهيئتها المسدسة . وأما الغلاف الخارجى فليس بثلج كالأول وانما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صور هندسية منظمة جميلة جدا . وكثيرا ما نرى لبا صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهيئة فى داخل البلورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرسومتان قد سقطتا فى إناء من الحديد والتقطتا وأخذت صورتهما فورا وهما معتمتان فى النواة الداخلية وفى الغلاف الخارجى فأما ما بينهما فانه جليد شفاف ذو خطوط ست متقاطعات على هيئة ست زوايا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنعدم عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالغلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أعمدة مسدسات منتهية بأجسام منشورية الشكل ذات زوايا مختلفة وأضلاع يتساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جميلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكاكوز) الاستاذ الفرنسى فى الهندسة سنة ١٨١٩ ونشرها فى ذلك التاريخ فى المجلة العلمية الاستاذ (اراجو) وهذه صورتهما (شكل ٨)



(شكل ٨ ـ صورة الرسم الهندسى الذى أبان قطعة من البرد الصخرى البلورى الذى سقط فى كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية فى الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩)

ولما سقط ذلك البرد الصخرى فى تلك المديريات كسر سقوف المنازل والشبابيك وأضرّ بأغصان الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهى ترعى فى مراعيها. وهـذه القطعة البردية الحجريه مركبة من جليد أبيض غير شفاف متضامّ بهيئة بلورية الشكل ذات نواة صغيرة يحيط بها جسم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهـذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية ظريفة متصلات بأشكال صغيرات بارزات بينهما . أما ثانيتهما فهى مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كطبقات البصلة طبقة زرقاء صافية تليها طبقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألمانى فى الظواهر الطبيعية (كيمتز) بأنها من جليد وثلج وتحيط بها طبقة من الجليد . وهـذه صورتها (شكل ٩)



(شكل ٩ ـ صورة البرد الصخرى ذى الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف الذى رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه)

﴿ بهجة العلم فى البرد الصخرى ﴾

قال المؤلف المذكور أيضا ﴿ إن بعض القطع البردية التى رآها الناس كانت تزن ثلاثة أرطال انجليزية تقريبا ﴾ ثم قال فى صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث ﴿ وقد قيل إن بردا صخريا سقط فى (كازورتا) فى بلاد

اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرطال ونصف انجليزية تقريبا ﴾ وقال العالم الألمانى بالظواهر الطبيعية (كيمتز) ﴿ ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فكانت مساحتها (٣٩) بوصة من ناحيتين وسمكها (٢٨) بوصة ﴾ انتهى

واذ فرغت من الكلام على جبال الثلج وعلى البرد فهاك تفسير الآية بالصور الطبيعية المرسومة فيما تقدّم والتى سترسم الآن . قال الله تعالى ـ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ـ هذه صورته (شكل ١٠)



(شكل ١٠ ـ صورة السحاب المتجمع من قطع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت براون)

وقوله تعالى ـ ثم يجعله ركاما ـ هذه صورته (شكل ١١)



(شكل ١١ ـ صورة السحاب المركوم منقولة من الكتاب المذكور)

وقوله تعالى ـ فترى الودق يخرج من خلاله ـ هذه صورته (شكل ١٢ انظره فى الصفحة التالية)



(شكل ١٢)

وقوله تعالى ـ وينزّل من السماء من جبال ـ انظر فى شكل (٣) و(٤) و(٥) فهناك جبال الثلج الدائم فى شكل ٣ ونزولها على جبال الأرض من السماء أى أعالى الجوّ شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستمداد الأنهار منها تراه فى شكل ٥ إذ يخرج منه نهر الرين . وقوله ـ فيها من برد ـ انظره فى شكل ٦ و٧ و٨ و ٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله ـ فيصيب به من يشاء ـ الخ قد تقدم كيف كان البرد يفتك بالبهائم فى مراعيها ويكسر الشبابيك وسقوف المنازل والمزارع وقوله ـ ويصرفه عمن يشاء ـ هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى ـ يقلب الله الليل والنهار ـ الخ فهو ظاهر فيما تقدم فى التفسير . وهنا جوهرتان

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى ـ وينزّل من السماء من جبال فيها من برد ـ ﴾

قد قدّمت لك أن العقول لاتقبل أن يكون فى السماء جبال . وأزيدك على ذلك انى حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعلّ الجبال جعلت مجازا عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة فى الجوّ ولكن العجب أن يقول ـ فيها من برد ـ فلم يقل جبالا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المتقدمة من الثلج لا من البرد والبرد كما تقدم داخل فى الثلج كما شرحه العلماء وأوضحه العالم الألمانى فى الظواهر الطبيعية فيما تقدم آنفا إذن قوله تعالى ـ فيها من برد ـ لم يتضح إلا فى هذا العصر لأن جبال الثلج انما يكون البرد محوّلا عن بعضها لا كلها . إذن ذكر ـ من ـ فى الآية قد ظهر سرّه الآن . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية ﴾

اللهم انك أنت ذوالجلال وذوالجمال . خلقت الانسان من الجمال على الجمال فى الجمال فعالمنا كله جمال ولكننا غافلون . فماذا يفعل الله معنا . هو برّ رحيم . فتح لنا أبوابا كثيرة وهدانا الى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجمال . أذكر أنى بعد ما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت الدرارى الحسان لامعات فى جوّ السماء ترقص وهى فى جلابيب لازوردية مشرقة اللون . فماذا خطر لى قلت فى نفسى عجبا وألف عجب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أحطنا بكرة سميناها سماء وكلها مرصعة بالدرارى وهى أثمن من الدرّ فلم ندرك الجمال وأغلبنا غافلون فأخذت تفتح لنا أبواب النظر . ومنها انك عمدت الى بخار الماء فى الجوّ فجمعته بالبرودة وصنعت منه حجارة لامعة سميناها بردا وأخذت تكسر بها الشبابيك والسقوف فى

المنازل وتقتل بها البهائم فى مراعيها . لماذا هذا . لأنك لم تخلق هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . واذا خربت بيوت وماتت نفوس وهلكت حقول فذلك باب للعلم . لولا هذه المزعجات ماتنبه الناس لهذه الحوادث ولذلك رسمها العلامة (ابك) الروسى سنة ١٨٦٩ والضابط (ديكاكوز) الفرنسى سنة ١٨١٩ و بقى ذلك للناس ليذكروا . أهلك البرد بعض ماينفع الناس فى الأرض ليوقظهم فاذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أتوا بعلم دائم نشره القوم فى أوروبا ونحن هنا نفسر به القرآن . إذن كل هذه العوالم انما يراد بخلقها فى النهاية العلم ولاحادثة تحدث فى الأرض إلا لها قدم صدق فى العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره علمى كما عرفت والحمد لله رب العالمين

﴿ اتمام الجمال فى هذا المقال ﴾

لقد تبين فى هذا المقال وفى مواضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكلما تباعد الانسان عن القطبين واقترب من خط الاستواء ارتفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أى ان جبل الثلج الذى تقدم انه كالقطن المندوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولايزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جمالا فأقول

ورد فى كتب الجغرافيا الحديثة أن تكوّن الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالى . ولقد اتجه العلماء لكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادى الى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن الثلج الذى نحن بصدد الكلام عليه يصد السائحين أو يهلكهم وغاية الأمر أن (دافيس) كشف البوغاز المسمى باسمه فى القرن السادس عشر وفى القرن السابع عشر كشف (بفان) بوغاز (لنكاستر) ولكن الثلوج قامت عقبة فى طريقه فارتد الى أوروبا . وفى القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكلين) الى القطب الشمالى ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلكت بين الثلوج . وفى سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية فحطمت الثلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها الى ظهر جزيرة سابحة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرونلنده الجنوبية سالمين . وفى سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايبرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدرا أن يجتازا أكثر من الدرجة (٨٢) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكى) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته المصاعب فرجع وقال ﴿ هناك بحر سائل فى القطب الشمالى ﴾ . والدكتور (هيس) قصد القطب فى مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فمات عند الدرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بعد ماحطمت سفينتهم فتلقتهم جزيرة من الجليد عائمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهى سابحة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (اللبرادور) فنقلتهم اليها وقد كادوا يهلكون . وفى هذه الأقطار يرى البحر ذا بياض ناصع لكثرة الثلوج وترى سطحه مغطى بقطع ثلجية مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاوزها ومضايقها ووديانها وقممها . ومنها ماهو على شكل سهول واسعة لامعة . وفى الصيف قد يبلغ سطح بعض هذه الثلوج مئات من الكيلومترات المربعة وارتفاعها ينوف على مائة متر وحجمها جملة آلاف الآلاف من الأمتار المكعبة و يضطرها ثقلها أن تغطس فى الماء . وقد يكون المختفى منها فى الماء ثلاثة أمثال ماعلى ظاهره . وتأتى الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية الى بلاد المنطقة المعتدلة فيشاهدها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبر مغطى بالثلج كالبحر هناك . فترى الرياح تأتى مشبعة ببخار الماء من البحار فيتكاثف بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع و يصير جليدا . ومن العجائب أن هذه الأقطار اذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالنهار) تلطف حاستا السمع والبصر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس

والاقمار

والأقمار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسمه فى (سورة الكهف) ويكون لهذا الشفق كما تقدم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة فى الافق أو باب من نور فتح فى السماء . فأما قوة السمع فانها تكون عجيبة فاذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع واذا تكلم انسان سمع صوته وفهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والقمر فتظهر أنوار الشمس أولا شفقا ثم تعظم بالتدريج ولا تعلو الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جليا جدا حتى يستطيع الانسان أن يرى على مسافة (كيلو متر) وسكان تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس فيوقدون النيران و يقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبى فان المعروف عن أرضه قليل جدا . وأهم الرحلات الى القطب الجنوبى كانت فى القرن الثامن عشر فكشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . وتبعهم (كوك) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصلوا لها (٧٨) والدقيقة (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكثف فيه والضباب هناك مخيم دائما . والقول العام أن هناك أرضا بالقرب من القطب الجنوبى واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبالا ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناجم للفحم الحجرى مما يدل على أن الغابات كانت فى قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

﴿ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن فى قوله تعالى ـ ألم تر أن الله يزجى سحابا ـ الخ ﴾

خرجت من المنزل صباحا للرياضة منذ شهور هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت المطبعة لم تصل فى طبع التفسير إلا الى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة المنيل) وكان نظرى مبتهجا بالأنوار الشمسية المشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطى ضوء الشمس الأصلى ضوأ أظهر بياضا وأحسن اشراقا . فأما فكرى فقد كان مبتهجا بمسألة (المحار) وتناسله فى البحر وأن (المحارة) تلد آلافا من صغارها بلا ذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح وأمه . فبينما أنا كذلك إذ قابلنى هناك صديقى مصطفى بك منير ذاهبا الى ديوان التنظيم فسألنى قائلا . فيم تفكر . فأجبته بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسمع من تفكر فيه من قبل . هنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقص لى قصصا عجيبا . قال ﴿ لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أى منذ ٣ سنين ببلادنا المصرية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) عالما من علماء الأمم الاوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التى أنا من أعضائها . ولما التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال ألقى كل واحد منهم خطبة فى موضوع جليل جيل . ولما كنت أنا منهم ألقيت موضوعى فى أمر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية ـ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ـ الخ منطبقة على نيل مصر انطباقا تاما

(١) ألم تر أن الله لم يخلق نهرا مبدؤه يمر به خط الاستواء إلا النيل

(٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لاتفتأ أنواع البرق تتلألأ فيها بهيئة فوق المعتاد تمتاز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر فى السنة

(٣) وأيضا هناك أخاديد فى الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جدا لايدرى الناس أين يذهب وهكذا

(٤) يخرج البخار من المحيط الاطلانطيقى والمحيط الهندى أى من جانبى افريقيا فيلتقيان فى الجو فيمطران فى خط الاستواء . وللأول الاشارة بقوله تعالى ـ يقلب الله الليل والنهار ـ ومعلوم أن ذلك التقليب فى خط الاستواء لأن حركة الشمس هناك . وللثانى ـ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ـ وللثالث ـ يصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء ـ وللرابع بقوله ـ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ـ الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لاتتجاوز (٢٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة آمنوا بالاجماع على قولى واعتبروا هذا نورا

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذى يمرّ منبعه بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تنبع أنهار ولكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أى ان نهر النيل هو الوحيد الذى يمرّ فى خط الاستواء فعلا بمنبعه . أما غيره فيميل قليلا أو كثيرا ثم تبسم وقال لاتنس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين يفطنون لكل مايقال على علمهم . فقلت له فماذا عملوا بعد ذلك قال لما رأوا انطباق نهر النيل على الآية وقد كنت رسمت خريطة رسما مجسما بحيث صارت الخريطة أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها مجسمة وجبالها مرتفعة وبحيراتها منخفضة وكل ذلك بألوان . وهاهى ذه أريكها الآن فى دار الجمعية الجغرافية التى مفتاحها بيدى فأخذنى اليها وتفرّجت عليها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وليست فى حجرة بل هى فى بهو المكان فقال انظر فنظرت السقف ومنه تدخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أتوا من جميع ممالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقلوها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقية لأشعة الشمس اشارة لأنها مناط العلم والتقديس وسموها ﴿ الخريطة المقدّسة ﴾ وذلك لأن لها آية فى كتاب مقدّس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له ياسبحان الله . أيكون هذا فى بلدى وعلى مقربة من منزلى ثم انى أجهله مع انك أنت صديقى . إن هذه أحسن فرصة أن أقصّ هذا القصص فى التفسير وأن ترسم هذه الخريطة لى مع بعض المعلومات معها فتفضل ورسمها وأرسلها لى فشكرته على صنعه ورسمتها هنا وذكرت ماكتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع فى هذه السورة ﴿ ثلاث عجائب ﴾ الخريطة المقدّسة هنا . ثم خطبة صديقى الاستاذ (جاد المولى) فى شرف الدين الاسلامى فى جمع حافل من عظماء علماء أوروبا وقد أقرّوه ولم يناقشوه وذلك عند قوله تعالى ـ وكذلك أنزلناه آيات مبينات ـ فسأذكرها هناك لأن هذا من التبيين الذى نزل به القرآن . ثم ماكتبته الجمعية الأسيوية الفرنسوية على الدين الاسلامى بمناسبة كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فلأبدأ بالخريطة المقدّسة وان كان مافسر به ليس على النهج الذى قدمناه ولكنى أردت أن يقف الناس بعدنا على آراء أهل عصرنا

(الخريطة المقدسة)

لما أرسلها لى صديقى مصطفى بك منير قال بعد الديباجة . و بعد فرسل معه صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التى أبصرتموها فى دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التى ألقيتها فى الجمعية على أساتذة المدارس والله يحفظكم ويهدينا الى العمل بارشاداتكم   المخلص . مصطفى منير أدهم

وهذا نص الخطبة المذكورة

﴿ القرآن الكريم ومنابع النيل ﴾

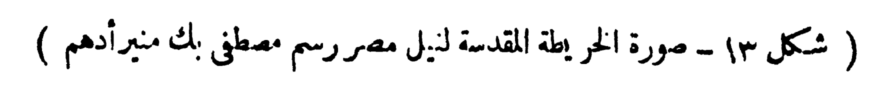
من ألطف الخارطات المعروضة فى دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة مجسمة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فترى جبال (رفنزور) الشاهقة التى ارتفاعها (٥٥٠٠) متر وفى جنوبها جبال (اريزمى) وارتفاعها (٤٥٠٠) متر . وفى شرقيها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متر وقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزجى السحاب وتألفت أجزاؤه وتراكمت خرج المطر من خلالها ونزل من السماء من تلك الجبال الشامخة بلمعان له بريق يخطف الأبصار . وترى على هذه الجبال تجاويف الماء وقد انحدر منها وجرى الى مجار تنتهى الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، ترى بحيرة (فيكتوريا نيانزا) ومساحتها (٦٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وترى بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رفنزور) و (اريزمى) الى بحيرات (تنجانيقا) وارتفاعها (٦٧٣) مترا و (كيفو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (ادوارد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوبها

كمنسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وترى الماء فى بحيرة (فيكتوريا) يجرى شمالا الى مجار تصب فى بحيرة (كيوجا) وارتفاعها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب فى بحيرة البرت . ثم ترى نهرالبرت وقد خرج من بحيرة البرت وانتهى الى أوّل مجرى النيل السعيد . وتجد فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى الليل والنهار مارا بالجزء الشمالى من بحيرة (فيكتوريا نيانزا) قاطعاجنوبجبال الجون الواقعة شرقى البحيرة وجبال (رفنزور) و (اريزمى) التى فى غربيها . اختارت الجمعية لهذه اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فترى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هيبة ووقارا . ويخيل الى الناظراليها كأنه فى طيارة عالية عند خط الاستواء وتحته تلك الجبال الشامخة وقد كساها الثلج وتراكمت عليها السحب وخرج من خلالها المطر ونزل من أعلاها بلمعانه الاجينى الذى يخطف بالأبصار منتهيا الى بعض الجهات ومنصرفا عن الأخرى بحسب ماهيأته له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاديد كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المسترهرست مدير مصلحة الطبيعيات سنة ١٩٢٧

هذا المنظرالهائل بل السرّ الإلهى العظيم يستمر على هذه الحال عشرة أشهر فى العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق.م خارطة النيل الموجودة صورتها فى دارالجمعية الجغرافية ورسم عليها منبعا واحدا للنيل لحسب ثم جاء بعده بنحو اثنىعشر قرنا الادريسى ذلكالجغرافى الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان فى بحيرة ثالثة وهوأقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة

هذا ما أمكننى على قدر طاقتى أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة واخالك مللت وصفى وان كان قرب لك على قدر الامكان تصويراللوحة . ولكن انظر اذن الى ماوصفها الله تعالى به منذ ١٣٤٧ عاما فى كتابه العزيز فقال تعالى وهوأصدق القائلين ـ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزّل من السماء من جبال فيها من بردفيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ـ

لم تترك هذه الآية الكريمة نقطة واحدة من وصف اللوحة ومايحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أوّل مايزجى السحاب الى أن يجرى ماءه فى النيل إلا وذكره . ولاسيما مايحصل من الليل والنهار لمناسبة مصادفة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وماينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التى كشفها المسترهرست ومايحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نيانزا) من تأثير لمعان البرق على أبصارهم . وهذا الوصف لاينطبق على منبع أى نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى ـ ما فرّطنا فى الكتاب من شئ ـ ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ فى الصفحة التالية)



(شكل ١٣ - صورة الخريطة المقدسة لنيل مصر رسم مصطفى بك منير أدهم)

﴿ مقال عام فى هذه الآيات من قوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض ـ الى قوله تعالى ـ يخلق الله مايشاء إن الله على كل شئ قدير ـ و بيان أن هذه الآية هى سر ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ﴾

انظر أوّلا فى دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتعجب لما فى لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فان الله عندهم هو النور أو الشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع و يشتق منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة على الله . ففى لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) و يعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيوس) وعند اللاتين (دووس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جو بتر) وفى الألمانية القديمة (ذيو) وفى السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أمم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترخمة والايطاليون (ديو) والاسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولاجرم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فترى هذه الأمم فى مبدإ أمرها لما بهرها من جمال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد فنسوا تلك التعاليم فعبدوا العوالم المنظورة المضيئة ثم عبدوا الأصنام انتهى من كتابى ﴿أصل العالم﴾ مع ايضاح أتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فطرنا . إن فطرة الانسان كلها عاشقة للنور لأن النور جميل والنور مبدأ الحياة . فلولا أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فاذا أسموا الله بالنور فهى تسمية أقرب الى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التى ذكرتها لك فانها ترجع الى النور المذكور فى هذه الآية فهى آية جمعت ديانات الأمم الفطرية التى تلائم عقول الناس جميعا ثم اعتراها مايعترى كل حى من البوار فاختلطت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحلّ محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا عجب لهذا الدين . نبىّ أمىّ فى جزيرة العرب تنزل عليه آية ـ الله نور السموات والأرض ـ ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبىّ قبله . واياك أن يصدّك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت فى أول أمرها حقا صحيحة والله عزوجل أشرق نوره العلمى على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهكذا على الأمم الانسانية . الله لم يستثن من رحمته أحدا وكيف يستثنى وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورحم الأمم السابقة وأسبغ النعم عليها ظاهرة و باطنة . ولكن كلما اختلط دين وضلّ أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه ـ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ـ الخ أى فلا تظنوا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب و بقاءه باللغة العربية ثم خلط أمم الشرق بأمم الغرب وقال لهم أيها الناس لاتخافوا من الضلال فكل من حصل له شك فى دينه فوجده غير معقول عنده . فها هوذا حصن وهو القرآن فاقرؤه أيها الناس فى هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت آلافا من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم ـ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ـ لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهنّ ـ وانه تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا ـ

﴿ الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سحرت بجمالك الذى أشرق فى الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم وانه يظهر لى أن لله أناسا فى كل جيل وأمّة يحنون اليه و يطربون لمنظر جماله الذى أشرق فى هذا الكون العظيم . اللهم ان

نجومك الجميلة وشموسك المشرقة وأقمارك الباهرة وعلومك الساحرة وبهجتك الساطعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجمال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهد عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه الثريات المشرقات وهن يرقصن بتلألؤ ويتواجدن بترنح حتى ان أرضنا فى الحقيقة لاتزال راقصة آناء الليل وآناء النهار فهى كمن قال الله فيهم من الملائكة ـ يسبحون الليل والنهار لايفترون ـ فهى لاتهدأ ولاتفتر عن الجرى بما حلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزدوج كأنها فى عرس دائم وفرح هائم . تدور الدورتين على نغمات الراقصات الحسان من كواكب السماء وهى فرحة بما حليت به من ثلج كالماس فى قطبيها وجبال منه كأنها القطن المندوف فى جوها وفوق أعلى جبالها فهى حسناء وشحت بالماس والجواهر من جميع جوانبها قد كللت آنا فآنا بقوس قزح والأزهار الجميلة وارج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله فى عرس متى لحظه العقلاء . كله نور عند من يعقلون . ليس يشهد هذا العرس من الناس إلا القليل أولئك هم الذين يعقلون لم خلقوا ويدركون لمحة من جمال مبدع هذه الكائنات لذلك ترى جميع الديانات بحسب حقائقها ترجع الى هذا المبدأ الذى وصفناه ولذلك قال الله تعالى ـ قل ما كنت بدعا من الرسل ـ فهذا الدين شأنه شأن الديانات الحقة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى فى دين قدماء المصريين فانه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أناشيد على منهج هذه الآية ـ الله نور السموات والأرض ـ فانظر ما نقلته لك عنهم فى (سورة البقرة) من كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الاوروبيين وذلك فى أواخر السورة عند قوله تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة ـ الخ فهناك وصف الله بأنه قد أشرقت شمسه فى الأرجاء وتبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها الى آخر ماهناك . هذا ما كتبته هناك فاقرأه تجد العجب . وأقول هنا قد جاء فى الكتاب المذكور مانصه ﴿ ومن رأى بعض المؤرخين انه لم يكن اعتقادهم أن توت هو الشمس نفسها بل هو الجوهر الذى لا شكل له وهو أصل كل شئ والذى أنزل المحبة على الأرض . وقد مثلوا (توت) على شكل قرص الشمس ﴾ انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فاننا نقول ان الله مقدس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له واتون اسم من أسماء الله عندهم

وقال فى صفحة ٩٢ ﴿ وقد وصفوا اتون بالرحمة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلائقه وأنه أب لهم عطوف جميل يملأ السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلائقه يأسرهم بمحبته ويلطف بالطفل فى الرحم وفى المهد ويعطف على الفرخ فى البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعمم المنافع لسائر البلاد وجميع العباد ﴾ اهـ

وجاء فيه أيضا فى صفحة ٦٧ ﴿ ان قدماء المصريين وان عددوا الآلهة قد وحدوا فعلا أيام الملك مينا فالله فى مدينة (عين شمس) أتوم وفى مدينة منفيس (فتاح) وفى مدينة الاشمونين (تحوت) وفى مدينة طيبة (أمون) . وفى الاقصر (حورس) وفى جزيرة اسوان (ختوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والا فالأصل هو التوحيد ﴾ انتهى

وجاء فى هذا الكتاب صفحة ٦٧ ما ملخصه

﴿ من هنا يتضح أن معبود الجميع فى الحقيقة إله واحد وماهذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقى الواحد الجامع فى ذاته كل الصفات الإلهية ﴾ والى القارئ أنشودتان من أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم فى الله الفرد الصمد وهما

﴿ الأنشودة الأولى ﴾

﴿ الإله العظيم سيد جميع الآلهة (لعل القصد جميع الملائكة) أمون رع الأزلى الحق الواحد الخالق كل

شئ

شئ السيد المسيطر الذى لم يكن قبله شئ بل هو الموجود قبل كل شئ وكان منذ الخليقة هو قرص الشمس الذى يحيا جميع البشر بظهوره ﴾ ترجمت من كتاب (نافيل)

﴿ الأنشودة الثانية ﴾

﴿ الإله الذى أوجد العشب للحيوان وثمار الأشجار للانسان و يسر قوت الأسماك فى البحور وهيأ الغذاء للطيور ووضع الروح فى البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحنانه شامل لكل ملتجئ اليه . حمى الضعيف من القوى وهو الممجد المحبوب فى السماء والأرض والبحار وتخضع له الآلهة (أقول أى الملائكة) لمجده تعظيما لخالقهم وتبتهج بقربهم منه وتمجده الحيوانات الضارية فى فيافى الصحراء . بهر جماله العقول وخلب القلوب ﴾ (ترجمت من كتاب أرمن الألمانى) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفلست ترى أن هذا الهيام وهذا الحب والغرام بمبدع هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جماله فى هذا الوجود ورحمته الشاملة . فالأوصاف فى هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذى أبرزوه بهيئة الشمس وللجمال الباطن الذى يرجع للرحمة الشاملة لما فى الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية ـ الله نور السموات والأرض ـ وماتبعها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلى له فيها كثير من معانى هذه الانشودة بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر مايمشى على رجلين ومايمشى على أربع وما يمشى على بطنه بعد ما ذكر الطير ففى هذه الآيات معانى هذه الانشودة والانشودة التى ذكرتها فى (سورة البقرة) فمعانيها تقرب مما هنا ولولا خوف التكرار لذكرتها هنا ولكنى أقول انهم فيها (أولا) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس وهم نائمون (وثانيا) وصفوا طلوع الشمس وفرح الناس به فيتوضؤن و يلبسون ملابسهم و يرفعون أيديهم الى السماء (وثالثا) ذكروا أن المواشى تستقر فى مرعاها والأشجار تزدهى والطيور ترفرف تمجيدا لك وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعا) أن الشمس اذا أشرقت تسبح الأفلاك فى بحارها وتمرح الأسماك فى لججها وتتلألأ الأنوار على صفحات الماء (وخامسا) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وارضاع الأم لهن بعد الولادة ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا انه خلق سائر البلاد لامصر وحدها وهكذا ذكروا النيل الذى يحيا به المصريون ونزول الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة ﴿ خلقت الأرض لأبنائك (يريد عبادك) ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجمالك ﴾ انتهى

فهذا المعنى الذى تضمنه ذلك النشيد يرجع الى النور والى الحياة والى الحيوان والطير وانه كله مسبح بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعانى . وهذا عجب أن تتجه الأفئدة فى الأمم قديما الى المعانى التى نزل بها الوحى حديثا على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولغيره قال الله له ـ قل ما كنت بدعا من الرسل ـ

ثم اعلم أن هذه المعانى التى تتشربها قلوب عقلاء وحكماء الأمم غذاء لهم و بهجة فى الحياة الدنيا بل هى السعادة العظمى . اللهم ان أمثال هذه البدائع والدر والجواهر نعم عجلت لأناس أنت اصطفيتهم فى الدنيا يحبونك حبا جما وقلوبهم والهة بك وامقة لك بهجة بأنسك مشرئبة للقائك ترى الدنيا عروسا أنت جلوتها وكؤسا أنت أدرتها ونورا أنت أبدعته وعرسا أنت أقمته وزينة أنت نصبتها . سبحانك اللهم جعلت هذه الدنيا دارا تجمع بين حالين حال الجنة وحال النار . فأما الأمم والدول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء يكتوون بنارها فى احتدام وخصام وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفيتهم فوالله انهم مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن فى جنة المعارف . فهم فى الدنيا معك فى أنس وحبور وجمال وبهاء . بك يأنسون وبقربك يفرحون وشموسك وأقمارك ونجومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة الانسانية ومقر الأنوار الالهية . فهم مع الناس فى شقاء بظواهرهم ومعك فى جنة ببواطنهم . إن الحسد والحقد والغيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فسلبتهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فازدانت قلوبهم . فهم فى جنة يحبرون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون قولك ـ الله نور السموات والأرض ـ

﴿ بهجة العلم فى تفسير قوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض ـ الخ ﴾

اللهم انك أنت المحمود على نعمة العلم والعرفان وجمال الاتقان وأبدع النظام . هذه الآيات أبانت لنا ﴿ جمالين ﴾ جمالا يدرك سببه بالابصار وجمالا يدرك سببه بالبصائر . فأما الجمال الذى يدرك سببه بالابصار فهى هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه تدرك أسبابها أبصارنا وهى التى ضربها الله لنا مثلا للأنوار الباطنة التى مصدرها هو الله بلاواسطة هذه المشرقات . وأما الجمال الذى يدرك سببه بالبصائر فهو ذلك الابداع الذى ظهرت آثاره فى جمال الوجوه واتقان الصور والعطف واللطف والرأفة والرحمة والهام الحشرات والأمهات وخلق الأجنة فى البطون والرحمة التى لاحد لها والتى قد وضحت فى هذا التفسير أيما وضوح وهذه هى التى ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلا للنفحات الباطنة والالهامات العجيبة واحسان التصوير والنقش والابداع . فقوله ـ مثل نوره ـ الخ هو الذى ضرب به المثل . وذكره الطير صافات وازجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركاما وانزال الودق منه وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق الدواب كلها وتقسيمها الى من يمشى على بطنه ومن يمشى على رجلين ومن يمشى على أربع . كل هذا التدبير لاتصلح الشمس ولاالكواكب لاحداثه . كلا . إذن الشمس والنجوم والكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والابداع فأسبابه خفية تدركها العقول والأفهام . ولقد ذكرت لك آنفا أن قدماء المصريين ذكروا الأمرين معا أمر الأنوار الظاهرة فى أناشيدهم من اشراق الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور اللطف والرأفة والتدبير فى خلق الأجنة فى الأرحام وأزيد عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك النشيد بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصا دينيا فى معابدهم . وذلك الرقص ليتشبهوا بالكواكب الجاريات حول الشمس لأن أظهر الأنوار ماتراه العيون من الكواكب فاذا تشبهوا بها فقد نسجوا على المنوال الربانى فى نظرهم وذلك ليكون ذكر الله قولا بالأناشيد وعملا بالرقص الدينى وهذا (مع وجود الفارق) كما اننا نذكر الله بألسنتنا ونصلى له بحركاتنا فى القيام والقعود والصلاة أقوال وأفعال فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم مايشبه الرقص . ولاندرى هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا ادريس (سيزوستريس) وغيره أم من اختراع علمائهم استنادا على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسيأتى ايضاح هذا الرقص فى (سورة الفرقان) عند قوله تعالى ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ـ ولقد عرف الناس الآن أن تاريخه يرجع الى (٥٠٠٠) سنة . جاء فى كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ المتقدم أن ذلك لم يكن خلاعة وشهوة بل جعلوه نموذجا للحركات الفلكية وتمثيلا للأنغام الموسيقية . ونقل فى هذا الكتاب عن (كستيل بلاذ) أن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم الى انشاد الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم وأفراحهم وقياما بشكر النعم واظهارا للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من دياناتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم المنزلة . انتهى ملخصا

ثم انظر ماذا جرى فى الأمم الاسلامية فى هذا المقام فانك تجد الرئيس (ابن سينا) فى كتاب الاشارات يقول ماملخصه ﴿ إن مما يعشق النفوس الانسانية فى الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت اللطيف والعبادة مع الفكر ﴾ وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق الشمائل لاعشق الصور فان عشق الصور موجب للفسوق والهيام بالمحسوسات . أما عشق الشمائل فهو الذى يدعو الى الجمال الالهى . وأضرب لك مثلا الآن فأقول ، اننا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلاتهيج شهواتنا ونفرق طبعا بين هذه وبين الصور الجميلة الانسانية . فالزهرة نحبها ولكنها لاتثير شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثير للشهوات مباشرة

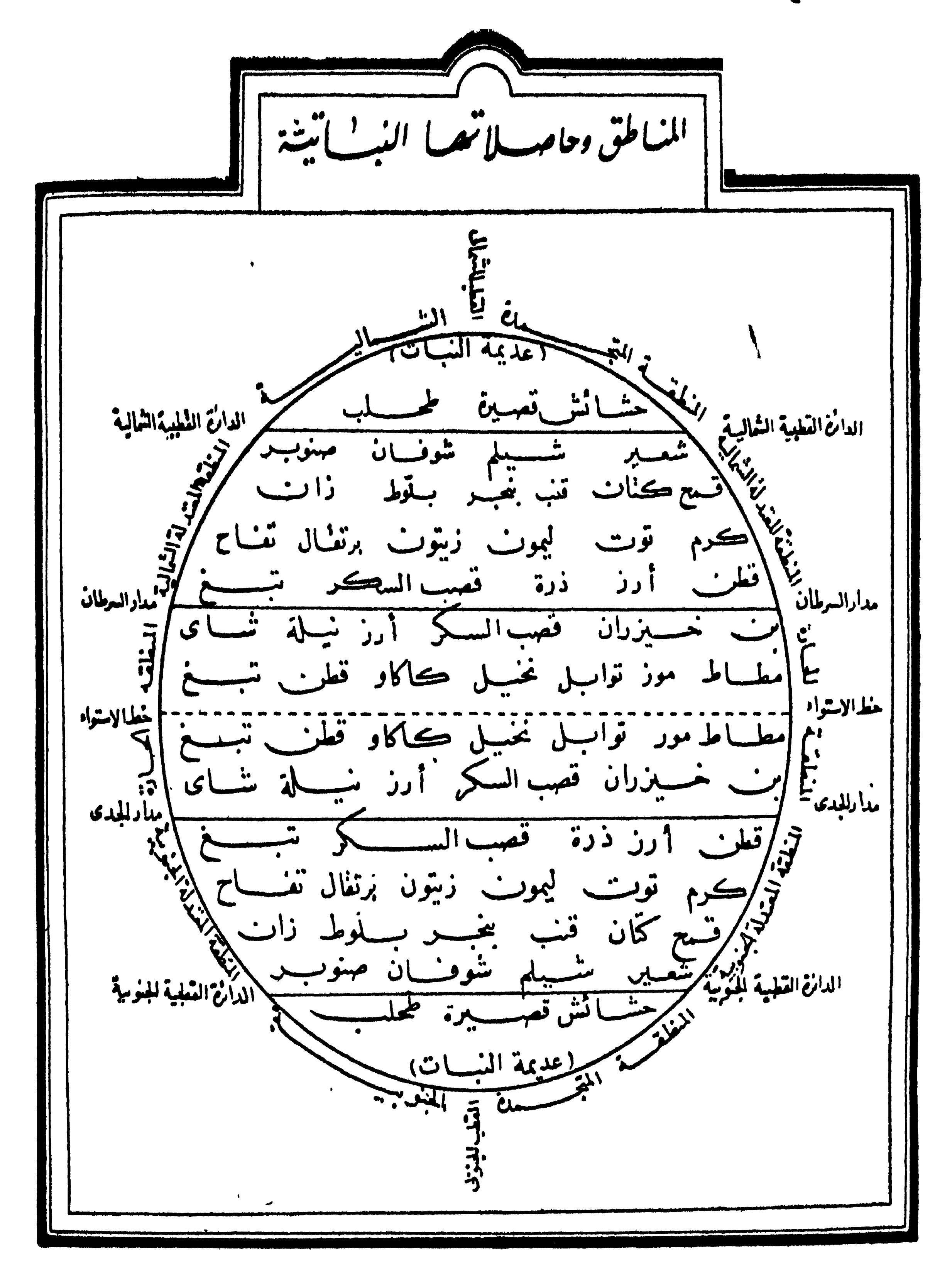
لحبنا للشمائل بعقولنا أشبه بحبنا للزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذى ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الغزالى فى الاحياء فى «كتاب السماع» فى الجزء الرابع منه فأباح السماع ولم يحرّمه ولكنه شرط له شروطا كلها ترجع الى أمر واحد وهو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا فى السامع وشروطا فى المغنى وشروطا فى نفس القول المسموع وأبان أن السامع لا يكون فتى يهتاج بالسماع وأن المغنى اذا كان امرأة هيج الشهوة وأن القول اذا كان فيه خلاعة كذلك » وقد أطال فى ذلك وفصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) فى نحو القرن الخامس على ما أذكر فى كتابه (حى بن يقظان) الذى لخصته لك فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى ـ أولم تؤمن قال بلى ـ الخ قد ذكر أن (حى بن يقظان) لما ترعرع فى الجزيرة ونظر الكواكب مشرقة مغربة أدهشه جمالها وقلدها فى حركاتها ودورانها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى يغشى عليه لأنه لم يجد من يقتدى به فى حب خالقه وعبادته إلا هذه السيارات الجاريات ودورانها حول الشمس هو عين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها فى القرب من ربه . أفلا تعجب معى أيها الذكى كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا فى العالم العلوى والسفلى ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم يذروا بابا من أبواب العلم إلا ولجوه وبحثوه . وانما كتبت لك هذا لتعلم أن آباءنا لم يكونوا نائمين وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا و بينهم وآراؤهم قد خبئت فى كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثاله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلها من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) « ان العبادة مع الفكر عند الفلاسفة موازية للعشق العفيف والصوت اللطيف » وذلك فى أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلدوا الكواكب كما حصل لحى بن يقظان . هذا ما أردت ذكره فى هذا المقام استطرادا

﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التى ازدانت بها أرضنا ﴾

لقد ذكرت فى هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والثلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هنالك أنوار الماء المتلألئة فى البحار الاستوائية التى تلمع أنوارها بأشكال كالقمر وهالته والبرق وأنواره المشرقات بما هنالك من الفسفور المتحلل من الحيوان البحرى وهذه هى الأنوار الظاهرة التى صارت مناطق تمنطقت بها أرضنا

أما مناطق الأنوار الباطنية فهى الحيوانات والنباتات التى أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما فى (شكل ١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)

هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقولة من « الأطلس الحديث » المقرر فى المدارس المصرية تأليف الاستاذين (لبيب أفندى العسال) و (محمد أفندى حمدان)



(شكل ١٤ ـ صورة مناطق النبات حول الأرض)

(أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون)

المناطق الخمس وحيوانها

القطب الشمالي

المنطقة المتجمدة الشمالية

الدائرة القطبية الشمالية

الرنه الدب القطبي القيطس

المنطقة المعتدلة الشمالية

الجمل الضأن البقر الجاموس الخنزير الحصان

الكلب الدب الثعلب النسر البجع الثعبان

مدار السرطان

القرد حمار الوحش الزرافة الغزال النعامة الببغاء الطاووس

الفيل الخرتيت النمر فرس البحر السبع الضبع التمساح الفهد

المنطقة الحارة

خط الاستواء

الفيل الخرتيت النمر فرس البحر السبع الضبع التمساح الفهد

القرد حمار الوحش الزرافة الغزال النعامة الببغاء الطاووس

مدار الجدي

المنطقة المعتدلة الجنوبية

الجمل الضأن البقر الجاموس الخنزير الحصان

الكلب الدب الثعلب النسر البجع

الكنغر طير الفردوس اللاما الثعبان

الدائرة القطبية الجنوبية

الحوت البنجوين كلب البحر

المنطقة المتجمدة الجنوبية

القطب الجنوبي

(شكل ١٥ - صورة مناطق الحيوان حول الأرض)

(فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم (ولأنعامكم)



(شكل ١٦ ـ نبات أفريقيا)

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما
ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها)



(شكل ١٧ ـ حيوان افريقيا)

(و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

فنى شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النبات حول الأرض وهى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ نبات فى المناطق القطبية ونبات فى المناطق المعتدلة ونبات فى المناطق الحارة . وفى شكل ١٥ مناطق فيهاأسماء الحيوان حول الأرض وهـذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات افريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (افريقيا) . وسيأتى فى أشكال (١٨ و١٩ و٢٠ و ٢١ و٢٢ و٢٣ و ٢٤ و٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا

فانظر كيف زين الله أرضنا ﴿ بزينتين ﴾ زينة أهـم أسباب أنوارها ظاهرة وهى الكواكب السماوية وهى الثلوج والسحب والأنوار وهكذا . وزينة أهـم أسباب أنوارها باطنة وهى صور الحيوانات والنباتات التى أحدثت مناطق حول الأرض زينة لها . وانما قلت ان السحب والثلوج وأمثالهاأهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام فى الصنع ونظام فى الوضع أسبابه خفية فلايشتبه عليك . ثم ان المناطق الحيوانية والنباتية التى جعلها الله محيطة بأرضنا زينة لها بديعة . فظاهرها جيل ولكن باطنها أجل لما فيها من التدبير والاحكام فى ادراكاتها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام فى تعقلها أمور معاشها وتدبير ذرّيتها مما ظهر كثير منه فى هذا التفسير . وفى هذا المقام ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأوّل ﴾ فى ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع و بيان أجل نهجا على طريق تقسيمه فى الآية

﴿ الفصـل الثانى ﴾ بهجة العلم . إن الانسان محبوس فى عاداته تاركا عقله كما حبس الحيوان فى غرائزه وهو فى ذلك أقسام على منهج القرآن الكريم

﴿ الفصـل الثالث ﴾ فى عجائب هذه الحيوانات وآثارها فى الانسان . وأن الأرض كراقصة بما حلت حول الشمس

﴿ الفصل الرابع ﴾ فى أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعيم الحرية وجحيم الاستعباد

﴿ الفصل الخامس ﴾ فى أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين

﴿ الفصل الأوّل فى ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع و بيان أجل نهجا على منهج التقسيم فى الآية ﴾

هاأنت ذا أيها الذكى رأيت بعض صور الحيوانات فى افريقيا وأمريكا وتقيس عليها ماسواها . سبحانك اللهـم أنت ضربت نور القناديل أمامنا مثـلا لنورك الذى أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسماء وأرض ثم قلت ــ و يضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ــ . نعم أنت تعلم كل شئ لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فانك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصرا على ماضربته لنا فى القرآن. كلا. إن النجوم التى نراها مشرقـة فى أكناف السماء والقـمر والشمس لم نر حقائقها وانما رأيناها مصغرة جدا . فكوكب الجوزاء الذى نراه فى السماء أصغر من البرتقالة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرّة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذى نراه فى الجوّ المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فاذا كان القنديل فى مساجدنا ضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلا لمخلوقاته بتصغير صورها فى أعيننا . ذلك لأنه يقول ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ والعلم بضرب الأمثال علم قليل . فاذا قيل لنا فلان كالبدر فليس فى هـذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم نعرف صفاته . ولقد قرب الله عزّ وجل العلم للناس اليوم باكثاره ضرب الأمثال بالصور الشمسية مثل الصور التى رأيتها هنا (شكل ١٥ و ١٦ و١٧ الخ) فما هى إلا صور للقرد وعجل البحر والنمر الأمريكى والببغاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقوله تعالى ــ ويضرب الله الأمثال للناس ــ يفتح لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التى ترسم لنا صورها فى عصرنا . ذلك العصر الذى امتاز بأن الله يرينا آياته فيه إذ قال ــ ويريكم آياته فأىّ آيات الله

تنكرون ـ وقال ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ فنحن الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولامعنى للحمد إلابالعلم بالمحمود عليه بقدرطاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنعجب من تقسيم الحيوان الى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سارعليها علماء الطبيعة فى عصرنا إذ يقولون ان الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فالماشي على بطنه قبل الطيور والطيورقبل ذوات الأربع

﴿ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضرصديقى العالم المدقق الذى اعتاد أن يحاورنى فى المسائل الهامّة فى هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ماهذا التطويل . أتريد أن تجعل هذه الآية كتابا ضخما . فماهذا الاكثار . إن هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك فى قوله تعالى ـ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ فهل تجد فى القرآن تفصيل الصلاة والزكاة ـ . قال لا . قلت فمن الذى فصلهما . قال النبى ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ ﴿ صلوا كما رأيتمونى أصلى ﴾ وهكذا بين الزكاة فقال ﴿ فى كل أربعين شاة شاة واحدة ﴾ وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الاسلام فى ذلك كتبا شتى . قال بلى ولوجمعت كتب المذاهب من الشيعة وأهل السنة فى الصلاة والزكاة وحدها لملأت مكاتب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون فى الأمة من يكفيها بحيث يضارعون فى علمهم بهذه العلوم فى كثرتهم من يعلمون هذه العلوم فى أوروبا والصين واليابان وأمريكا أوأكثر . هذا من جهة ﴿ومن جهة أخرى﴾ لايقتصرالوجوب على الوجوب الكفائى بل هناك وجوب عينى على كل قادرمتفرغ لذلك للتوحيد وللشكر . فشكر الله واجب وكل يشكرعلى مقدار وسعه لاتكلف نفس إلا وسعها . ولامعنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم تجب وجوبا كفائيا على مجموع الأمة وعينيا على أفراد ممتازين ذكاء وفراغ بال لمعرفة الله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى ـ وقل رب زدنى علما ـ فهذا من ازدياد العلم الذى يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن ندعوالله بالازدياد ولامعنى للدعاء بأمرنحن لانطلبه ولا نتوجه اليه فنحن أمرنا بالاستقامة كما قال تعالى ـ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ـ وأمرنا بالدعاء بالاستقامة فقلنا ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ وأمرنا بالعلم قال تعالى ـ اعلموا أن الله يحيي الأرض ـ الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبى هذا القول موضح فى مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سلمنا به ولكنى أقول انى أخاف سآمة القارئ . فقلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لاتجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لاتجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائنهم بالعلوم العملية ولم يملؤها بالعلوم العلمية التى عليها يبنى أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة فى الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين و بعض العلماء ﴿ إن هذه العلوم أفضل من علوم فروض العين لأن نفعها أعمّ ﴾ فلماذا اقتصر المسلمون على ماينفع نفعا خاصا وتركوا ماينفع نفعا عاما الصلاة تنفعنى وحدى والزكاة تنفعنى فى الآخرة وتنفع أناسا فقراء محدودين فى الدنيا . أما هذه العلوم فانها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن نحا نحوه وجيها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة النائمة الجاهلة الغافلة المسكينة الغارقة فى بحرلجىّ من الجهالة وهم ساهون

فقال صاحبى إن هذا القول حق وأحس بآثاره فى نفسى منه . ولابد من نتائج له تحصل فى الاسلام . قلت إذن لايسأم الانسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وتبيان الزكاة . قال انه لم

يسأم لأنه يسمع ذلك من النبوّة . فالنبي ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ونحوهما فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتبا جمة فيها . قلت والبيع والاجارة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد نقل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغبوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجدوا فيها نصوصا . قلت له قال الله تعالى ـ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ـ ألم يقل الله تعالى فى القرآن ـ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر ـ . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن نقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه فى كل شئ بل فى الشرائع وحدها . أما النظر فى هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ فنحن ننظروا اذا جهلنا سألنا أهل العلم . ألم تتذكر ماقلته لك فى (سورة البقرة) عند آية النسخ ان النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسى فى حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن المجوس لأن حفر الخندق انما كان من عمل الفرس . فهاهوذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب فى واقعة خاصة . أفلا يسعنا مايسع رسول الله ﷺ وندرس هذه العلوم ونأخذها عن أربابها مادامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قال حقا يجب علينا الأخذ عن أهل العلوم فى كل علم وهم أهل الذكر فيه . قلت وأيضا يقول الله تعالى ـ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ـ . إذن المؤمنون المبشرون هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤن علوم الأمم ويتبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهديون وهؤلاء يكونون أرقى من المسلمين الذين فى زماننا وفى القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلنفصل هذا المقام ببعض التفصيل بحيث لا يكون مكررا مع ما تقدم فى علم الحيوان من هذا التفسير

﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إنى أذكرك أيها الذكى بما تقدم فى (سورة الحج) عند قوله تعالى ـ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ـ الخ فقد تبين هناك أن الذبابة بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان الى قسمين قسم له دم وعظم وهى الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهى الحيوانات الحلقية والمفصلية والرخوة والنباتية . فقال صاحبى ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تغيير فى اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . انما أحب أن تقرأ ماهناك ثم تقرأ ما هنا ليحصل عندك من جمال العلم مابه ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقرية (٢) حلقية (٣) مفصلية (٤) رخوة (٥) نباتية

شكل

(شكل ١٨)



(شكل ١٨ - نبات أوروبا)

(وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

(شكل ١٩)



(شكل ١٩ – حيوان أوروبا)

(ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين)

الحيوانات الفقرية فيها الأقسام الثلاثة فى الآية ممن يمشى على أربع وممن يمشى على رجلين وممن يمشى على بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما ﴿ الأول ﴾ الحيوانات ذات اليدين وهو الانسان الذى قسموه الى الصنف القوقازى وهو الأبيض والى الصنف المغولى وهو الأصفر والى الصنف الافريقى وهو الاسود والى الصنف الأمريكى وهو الأحمر والى الصنف (الأيبير بورى) وهو ساكن القطب الشمالى الاسكيمو ﴿ القسم الثانى ﴾ ذو الأربعة الأيدى وهى القردة وهى أصناف (الحيون والاورانج أوتان والغوريلا والشمبانزى) ﴿ القسم الثالث ﴾ الحيوانات آكلة اللحوم وهى تشمل الحيوانات الكاسرة كالاسود والنمور ولها أسنان تامة وهى القواطع والأنياب والأضراس ﴿ والقسم الرابع ﴾ الحيوانات الثديية البحرية وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كفية كأنها المجاديف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه (نوعان) العجول البحرية والبقر البحرى ﴿ القسم الخامس ﴾ الحيوانات ذوات الأيدى الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهو ليلى و يتغذى بالحشرات وهو يطير بسبب غشاء عريض ممتد بين أطرافه المقدمة والمؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة يطير بها و يقضى الشتاء وهو نائم ﴿ القسم السادس ﴾ الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفد والفار الغيطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس ﴿ القسم السابع ﴾ الحيوانات الثديية . القرّاضة لا أنياب لها وأضراسها كحجر الطاحون مفرطحة وتعيش فى الأجحار وتتغذى بالنبات و بالثمار وهى تشمل ذوات الترقوة كاليربوع والسنجاب والكاستور وهذه تتسلق على الأشجار . ومالاترقوة له ومنه حامل الشوك والأرانب وهذه لاتتسلق على الأشجار ﴿ القسم الثامن ﴾ الحيوانات الثديية عديمة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان وأم قرفة وهو نوع مغطى بصفائح كقشور السمك و بعضه له درع مثل (التاتو) ﴿ القسم التاسع ﴾ الحيوانات التى لا أظافر لها ذات الجلد الثخين وتتغذى بالنبات وهى (١) ذات الظلف الواحد كالفرس والحمار وحمار الوحش والحرتيت (٢) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير وجاموس البحر (٣) وذوات الخرطوم وهو الفيل ﴿ القسم العاشر ﴾ الحيوانات المجترة . ليس لها ترقوة وتتغذى بالحشائش والنبات من غير مضغ ومعدتها أربعة أقسام تقدم رسمها وشرحها فى (سورة النحل) وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى تميز ذكوره عن اناثه بنابين طويلين فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيسا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك يتحرك حركات جانبية ولبعض هذه معدة خامسة لخزن الماء كالجمل واللاما . ويدخل فى هذا القسم الجاموس والبقر والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك والمها واللاما

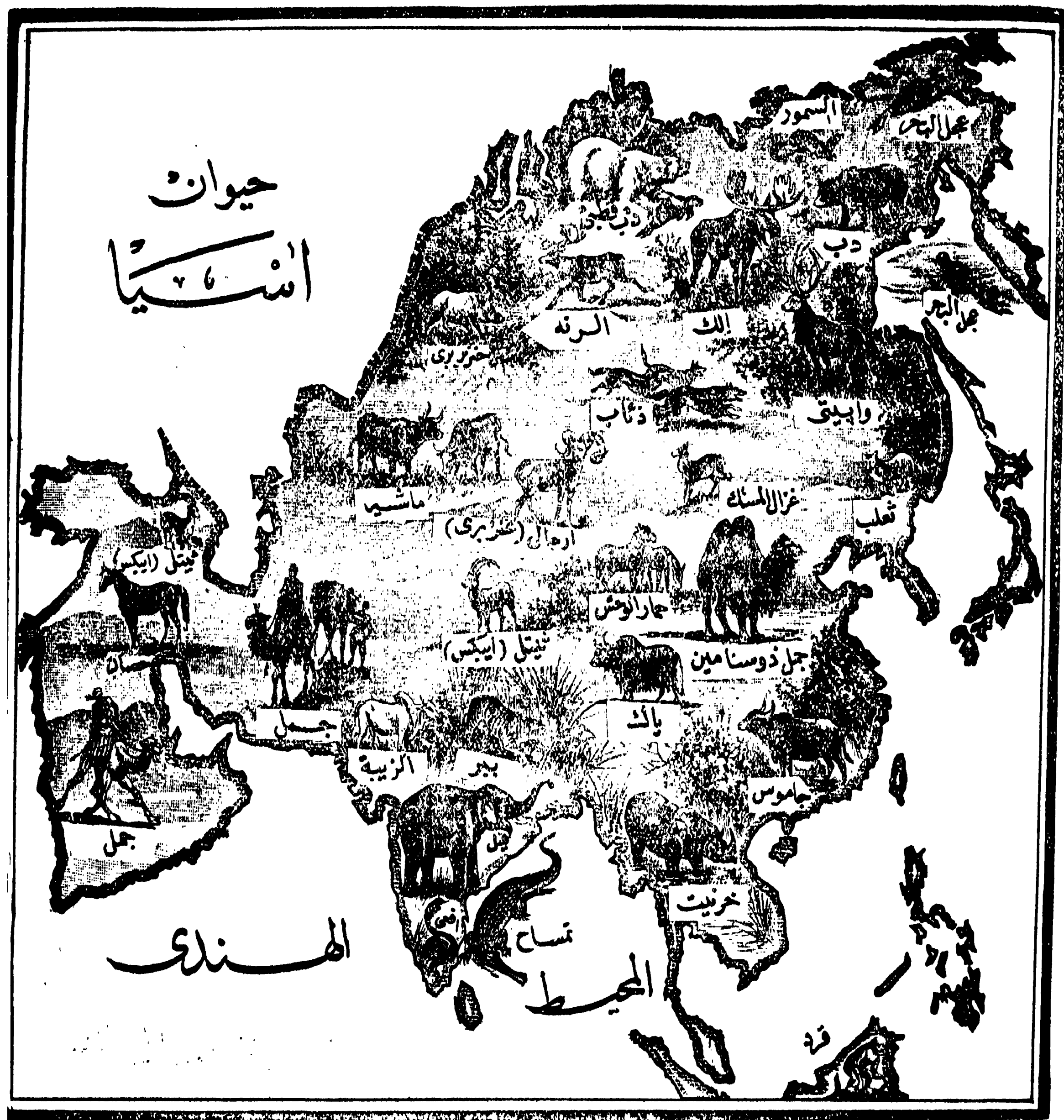
(شكل ٢٠)



(شكل ٢٠ ـ نبات آسيا)

(وهوالذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)

(شكل ٢١)



(شكل ٢١ ـ حيوان آسيا)

(مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم)

﴿ القسم الحادى عشر ﴾ الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تتنفس فى الهواء آنا فآنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامنتين واما أن تتغذى باللحوم مثل القيطس والكشلو والدلفين أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان و يصعد الماء من أنفه كالنافورة . وأما الكشلو فهو كالقيطس ورأسه مقدار ثلث أو نصف جسمه و يستخرج منه العنبر السنجابى وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . وأما الدلفين فهو الدرفيل المشهور يتغذى بالسمك والحكومات حرمت صيده لأنه ينقذ الناس من الغرق ﴿ القسم الثانى عشر ﴾ الحيوانات ذوات الرحمين وهى فى (هولانده الجديدة) وهى تضع أولادها وهى أجنة لاتتحمل أحوال الجوّ فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والثدى أمام هذا الجيب واللبن يسيل من ذلك الثدى بغير اختيار لتغذية الصغار و بعد أمد معلوم تترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (القنقر) وهو كالأرنب الكبير اذا جلس معتدلا وهو فى استراليا وتسمانيا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خمسة للحيوانات ذوات الفقرات

﴿ القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور ﴾

وهى (١) إما دجاجية مثل الدجاج والطاووس والحجل والسمان والحمام واليمام (٢) واما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والبجع (٣) واما شاطئية مثل أبى قردان واللقلق وأبى مغازل والنعامة والبشاروش (٤) واما دورية مثل البلبل والعندليب والخطاف والقنبر والغراب والهدهد (٥) واما متسلقة مثل الببغاء ونقار الخشب (٦) واما جارحة مثل النسر والحدأة والبوم والمصاص والعقاب والصقر

﴿ القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف ﴾

وهى السلاحف والورل والثعابين . فالسلاحف لها درق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأربع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة اسطوانية عديمة الأطراف . ومن الثعابين ذو الجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أمريكا وهو سام . ومن الثعابين مالا اسم له مثل (البوا) وهو كبير جدا و يتغذى بالحيوان بالضغط والازدراد ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسمك والدود والحشرات

﴿ القسم الرابع ﴾ من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع

﴿ القسم الخامس ﴾ السمك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

هاأنت ذا أيها الذكى اذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجده مرسوما أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريقا الجنوبية مثلا الغنم وهى من ذوات الأربع والأفعى وهى من التى تمشى على بطنها والببغاء وهى من التى تمشى على رجلين و بقية الحيوانات الفقرية المتقدّمة ملحقة بهذه

(شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ ـ نبات أمريقا الشمالية)

(وهوالذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون * والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)

(شكل ٢٣)



(شكل ٢٣ – حيوان أمريقا الشمالية)

(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم)

﴿ القسم الثانى ﴾ من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها مايسكن البحار وماجاورها مثل السر بيل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (السابيل) وهو يسكن أحجار الشواطئ و يعيش فرقا . ومثل (الامفتريت) ومثل (السكولو بندر البحرى) وهو الذى يبحث عنه الصيادون ليستعملوه طعما للسمك . ومثل (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض جسمها أبيض يميل للحمرة لماع لمعانا معدنى . ومثل (دود العلق) يسكن فى المياه العذبة و يقرب من هذا الدود (١) الدود الذى يعيش فى أجسام الخنازير والأرانب والانسان وهكذا (٢) والدود الكلوى وهو يعيش متطفلا على الحيوانات المختلفة وفى كلا الانسان . وهكذا أنواع كثيرة من الدود التى تسبب أمراضا مختلفة كما وضح كثيرا فى هذا التفسير فكلها من أنواع الديدان وكلها من الحيوانات الحلقية كالتى تحدث (البلهارسيا) و (الانكلستوما) وغيرهما . انتهى القسم الثانى من أقسام الحيوانات العامة وهى الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أوأصفر أوأخضر وهى خنثى فلكل حيوان عضوا التذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجماع متبادل . ومنها مايتولد بطريق الازرار كأزرار النبات

﴿ القسم الثالث . الحيوانات المفصلية ﴾ وهى العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والعقرب وأبوشبت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبوجلمبو والسرطان والجبرى فلكل منها (٨) أرجل وهيكلها صلب وتعيش فى الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . و يدخل فى هذه ذات المائة رجل وأم أربعة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهى معروفة فى هذا التفسير وتقدمت كثيرا فلانعيد الكلام عليها فانظرها فى آخر (سورة الحج) وغيرها

(شكل ٢٤)



(شكل ٢٤ - نبات أمريقا الجنوبية)

(هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون)

(شكل ٢٥)

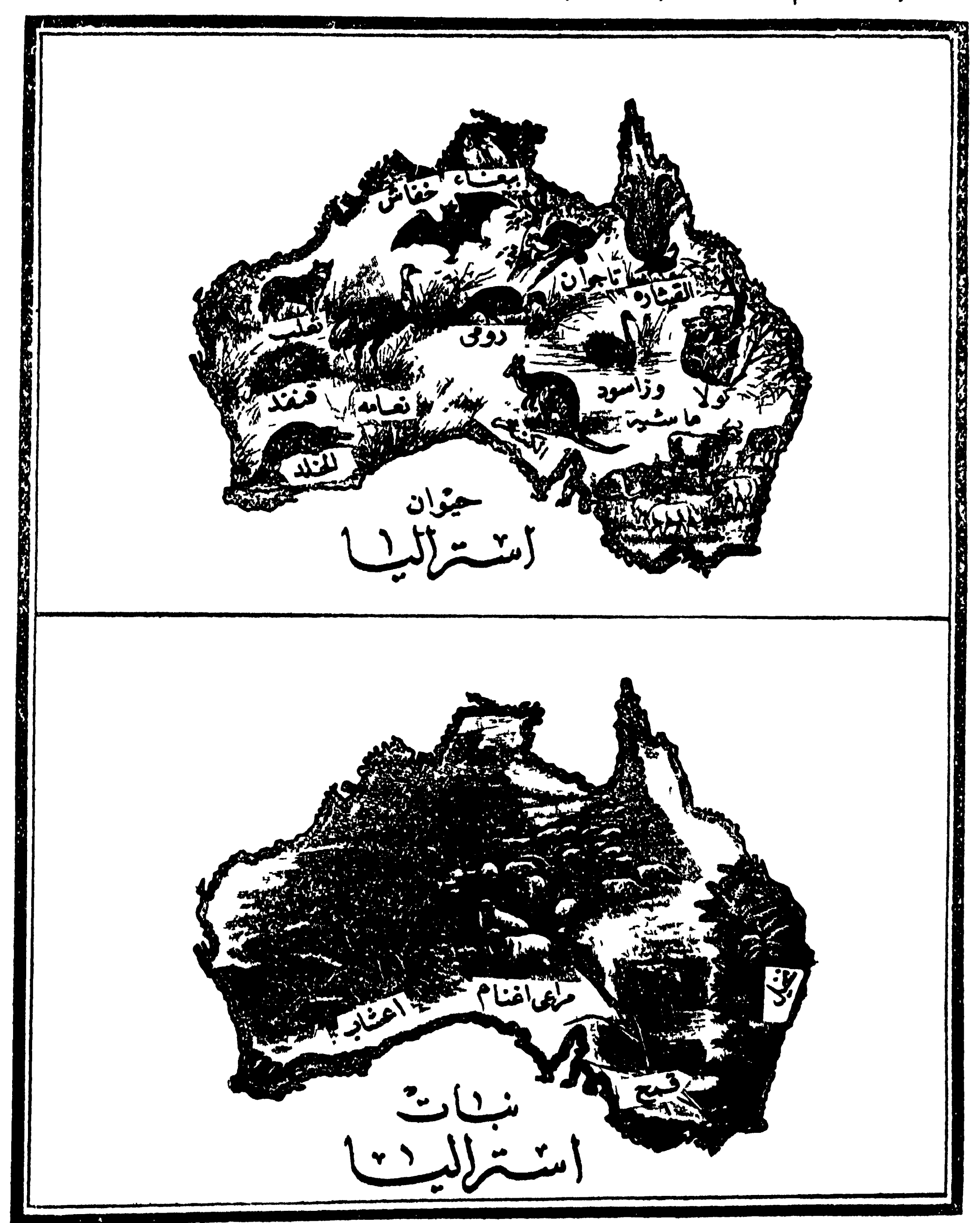


(شكل ٢٥ ـ حيوان أمريقا الجنوبية)

(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولوشاء لهداكم أجمعين)

ومن الحشرات مالاجناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وفرس النبي والحفار . ومنها نصفية الجناح كالبق والقمل . ومنها ما أجنحتها غشائيـة مثل النحل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين ومنها غمدية الأجنحة مثل الجعران وخنفس الفول . ومنها مالها جناحان فقط مثل البراغيث والزعقومة .
انتهى الكلام على القسم الثالث وهى الحيوانات المفصلية

﴿ القسم الرابع الحيوانات الرخوة ﴾ مثل المحار وصدف اللؤلؤ وأم الخلول و بعض هذه مشروح شرحا وافيا فى (سورة مريم) فى أولها (شكل ٢٦)



(شكل ٢٦ ـ نبات وحيوان استراليا)

(والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وانا الى ربنا لمنقلبون)

﴿ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية ﴾ ومنها الزيوفيت وتقدم شكلها فى آخر (سورة الحج) بهيئة خمسة أشعة منتظمة جيلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبدراسة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى ـ فنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شئ قدير ـ فهذا هو الذى يفهمنا القدرة أى قدرة الله على التنويع فهو ينوّع الحيوان أنواعا لاحدّ لها ويعطى كل ذى حق حقه . وهذا هو الذى نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم نذكره فى هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ إن فى خلق السموات والأرض ـ الى آخره عند مسألة ابراهيم والطير وفى سورة الأنعام عند قوله تعالى ـ إن الله فالق الحب والنوى ـ وعند قوله تعالى ـ انظروا الى ثمره اذا أثمر ـ وفى سورة الحجر عند قوله تعالى ـ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ـ وفى سورة الحج عند قوله تعالى ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ـ

هذا ما أردت شرحه فى تفسير قوله تعالى ـ والله خلق كل دابة من ماء ـ فيا أيها المسلمون أذلكم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذى ينزل اللبن له ليسقيه لضعفه لأنه لايزال جنينا لأن أمه ذات رحمين كما تقدم أم نضيع زمانه فى حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا الخ لا لا . أيها المسلمون هذا لاينفع أطفالنا وأنا الآن أكتب هذا وعندى اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذى يوافق منهج أمثال هذا التفسير ـ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ـ والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرّسين ضحى يوم الأحد (٩) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردها هنا (لغرضين * الأوّل) انها ايضاح لهذا المقام (الثانى) ان خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المفكرين المجرّبين ﴾

قال المفتش بلطف وأدب (وهو ممن أتموا علومهم فى أوروبا) أيها الاستاذ لقد حمل كثير من المفسرين القرآن مالايحتمل وأدخلوا فيه مالاسبيل لدخوله حتى ان بعضهم أخذ يستنتج من الآيات أن الفحم موجود فى القرآن . ولاجرم أن أمثال هذا التمحل ترفضه العقول وتنفر منه النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الخرائط فى التفسير مبينا حيوانات ونباتات افريقيا وأوروبا وآسيا وأمريقا والاقيانوسية وهذا لاسبيل الى ادخاله فى القرآن إلا بتكلف . فقلت له هناك فارق بين اثبات أن الفحم فى القرآن و بين بيان أن الحيوان مقسم على القارات فى الأرض . فقال أين البيان . فقلت إن الله يذكرنا أن الحيوان منه مالاأرجل له ومنه ماله رجلان ومنه ماله أربع . هل هو يريد أن تقف على تعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء ان العدد لامفهوم له واذا عددنا للحيوان أربعة أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض فى اتمام مبحث الأرجل ولكنى أعارض فى ادّعاء أن معرفة تفرّق هذه الحيوانات على القارّات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا تقسيم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولاجرم أن معرفة العلوم كلها (كما نص عليه علماء المنطق) ترجع الى أربعة تحليل وتعريف أو رسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهذه التفاحة أو هذه النخلة لايجوز أن تقول عرّف هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وانما تقول حللها فالتحليل كتحليل الماء الى الاكسوجين والادروجين هو السبيل الى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحدّ ويتبعه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الانسان بأنه حيوان ناطق أو تأتى له برسم فتقول هو حيوان عريض الأظافر يمشى على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو للاجناس كما تستدل بأن للعالم محدثا . وأما التقسيم فهو لتمييز الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وتقسم

النبات الى نجم وهو مالاساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل فى جميع العلوم . فالتقسيم الذى ورد فى الآية اليه يرجع ربع العلم . وهنا نقول هل الله يريد أن ننظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقط أم يريد اننا نفكر فى أمره والتفكير فى أمره يحتاج الى دراسته كله بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه فى البحر وفى الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما تقدم . فقال هذا حسن ولكنك قد استعنت بعلم المنطق على ايراد هذه الخرائط فى التفسير وفيه بعض التكلف فخير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذى يصرح بالتقسيم الذى أوردته هنا بلا احتياج لعلم وضعه الناس . فقلت له إن الله ذكر المشى فهل يمشى الحيوان على الهواء أو فى الأثير بل هو يمشى على الأرض . فاذا رسمنا الماشى رسمنا أرضه معه . واذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . واذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . فخير لنا أن نرسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى ـ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفى خلقكم وما يبث من كل دابة آيات لقوم يوقنون ـ فهاهوذا سبحانه جعل الايقان وهو أرقى من الايمان مرتبطا بمعرفة الدواب المفرقة فى الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ماهو أبين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسمع قوله تعالى فى (سورة البقرة) ـ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة ـ فذكر الأرض وذكر أنه فرق الدواب فيها . فهاهى ذه الأرض مرسومة أمامك وهذه هى الدواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التى نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . ألست ترى الله يقول ـ والله خلق كل دابة من ماء ـ فهنا ذكر الكل والكليات لا تعرف إلا بالتقسيم وهاهى ذه قسمتها على المناطق تارة وعلى القارات تارة أخرى وهكذا يقول الله تعالى ـ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ـ أفكفاك هذا البيان . فهذه هى الأرض أمامك فى الرسم وهذه هى الحيوانات عليها . فقال نعم لقد انشرح صدرى له . فأقر الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت فى أوروبا ورأيت القوم يجعلون قصص أنبيائهم فى مسارح السينما وهم يظهرون لهم قصص الأنبياء كموسى وعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون من الوقائع والحوادث و يبكون . فبالله كيف يثبت الدين فى القلب إلا بنقشه فى النفس من الصغر كمثل ما رأيناه هناك . أما المسلمون فهم لذلك محرمون ومنه محرومون . فقلت التصوير الشمسى قد نشر فى هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت فى (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجبا اذا كان للتعليم . فهاهوذا التصوير الشمسى أصبح فى نفس التفسير وقد قلت هناك ﴿ ان من حرمه فقد انخلع من دينه وعقله لأنه ظل مصور بتصوير الله صوره هو بشمسه ومن حرم الظل والنظر اليه فقد أصبح مجردا من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق (السينما) وهى الصور المتحركة فليس يزيد شيأ عن ظهوره فى هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما فى محال الصور المتحركة فانه يقرؤه مئات مجتمعون واذا جاز ظهور الصور للآحاد جاز للآلاف ﴾ فهذا التحريم لامعنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال « إن التصوير المجسم لا يحرم فى هذا الزمان لأنه منع بالحديث الشريف فى الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك ﴾ فقلت انى لم أطلع عليه ولست الآن مضطرا لهذا المبحث فقد اكتفيت بما أحتاج اليه فى هذا التفسير وهو التصوير الشمسى فأما كون قصص الأنبياء تظهر فى الصور المتحركة عند الفرنجة فقد ألف قدماء المسلمين كتبا شتى فيها روايات تحبب المسلمين فى الدين مثل ماجاء فى كثير من حكايات ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ وخرافات سيف بن ذى يزن وأمثالها

فقدجعلوها روايات تحبب المسلم فى الدين وما أكثرها فلتهذب تلك الكتب و ينشر أمثالها بين العامة واذا كانت فى الصور المتحركة لم يضر ذلك شيأ كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات اهـ

﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى العصور الأولى ﴾

لما أتممت هذا المقال قابلنى صديقى العالم الذى اعتاد أن يحادثنى فى المسائل المهمة فى التفسير مرة أخرى فقال ما أجمل ما اخترت هنا من الرسم الجميل والبهجة . ولعمرى لم أجد روضة أجمل ولا مجلسا أبهى من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كان . فبينما أنا أطالع منظر الصحراء فى افريقيا وجمالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل والقطن اذا أنا أرى الخرتيت والتمساح والفهد وفرس الماء وأنواع القرود والنمر قوى العنق حاد الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذى يسبح فى البحر فيعلو السفينة فى النهر و يهاجمها وتقف الماشية أمامه حائرة اذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جائعا

﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . رملى اللون عظيم القوة حتى انه ليقصم ظهر ثور حى وهو قنوع . حافظ للجميل معجب بنفسه كريم ولايفترس إلا اذا جاع ، ينام النهار كالنمر و يسعى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والدجاج مشهور بالمكر والخبث والحيل مثل أن يتظاهر بالموت ليتخلص من الصياد وهو يجول للصيد ليلا ويختفى بالنهار ويحفر له جحرا منفرجا قريبا من جذور الأشجار العتيقة وهو سريع العدو واذا لم يجد نحو الدجاج تغذى بالفيران والضفادع وهو يأكل الفواكه كالعنب ولذلك يتلف الكروم

﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذى لايسوقه الى الافتراس إلا الجوع وهو لجبنه يدخل صوامع الدجاج برجليه الخلفيتين وهكذا لاتصيد الذئاب غالبا إلا وهى قطعان فتفترس الغنم والحيوان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئاب اذا جاعت لاتهاب خطرا والذئب قوى ماكر كالثعلب . واذا تعرض للانسان وعجز عنه استعان بالذئاب . واذا رمى الانسان ذئبا أكلته الذئاب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افترسته ولذلك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقى

﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناده اذا أهين وحقده وانتقامه ممن ظلمه وتذكرت أنه يعيش (٢٥) يوما بلاشرب ماء اذا كان الورق الذى يأكله مملوأ بالعصير النباتى وهو لايعيش إلا فى البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم والمعز المجترة التى لها أربع معدات تأكل الحشائش وتبلعها فتنزل فى الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلنسوة وتذهب الى الفم فتمضغ ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلافيف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام فى هذه الصور وهى مرسومة فى مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان مايليق له . فلم يعط القرود ولا الانسان ولا الآساد هذه المعدات الثلاثة لأن هذه ليست فى حاجة اليها ولم يعط الطير أسنانا بل جعل له القانصة والحوصلة يهضمان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والامعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لآكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبحانه عضوا إلا لمنفعة فترى الأنياب القوية فى السباع للحاجة اليها ومنعت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هى المعلومات الأولية التى

تعلمتها فى الصبا تذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أمامى . تمّ الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى ﴾

(بهجة العلم فى صور هـذه الحيوانات وما أعدّ لها من النبات فى هذه القارّات وغرائزها وفى عادات الانسان التى جعلته فى سجين)

جل ملكك ياالله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنعمك فرستهم برحمتك وحفظتهم بنعمتك لااله إلا أنت ذوالجلال والجمال الذى ظهرت آثاره فى الآفاق فعمرت بهاالقارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا والاقيانوسية . هاهى ذه الحيوانات راتعة فى بحبوحة النعيم وأظللتها فى كنفك وأبحت لها الحشائش والمراعى والأشجار وهى رافلات فى حلل السعادة والنعيم . هذه نعمك ماثلة أمامنا نحن قراء هذا التفسير التى أنعمت به علينا بعد شوقنا اليه آمادا طويلة وألهمت أناسا رسموا خرائط أرضك بأقسامها وآخرين رسموا حيوانك ونباتك ثم هيأت هذا كله وجعلته تفسيرا لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات وبحيوانها ونباتها احاطة السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معانقات قارّاتك وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بعجيب كتابك المبدع فى الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان الاسلام دين الفطرة . حار هذا الانسان المسكين منذ أزمان فى أمر دينه وفى أمر دنياه . ظنّ المسلم وغير المسلم أن الطبيعة شئ والدين شئ آخر . ظنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة الديانات للعلوم وللطبيعة ولكن هذا الدين الاسلامى لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس يوضحون علوم الطبيعة أصبحت هى تفسيرا له وهـذه هى الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية واذا لم يتم هذا تكون الديانات مفتراة أومغيرة لأن القائل ينطق بما يعرف فاذا خالف القول العمل دل على أحد أمرين إما ان القائل كاذب واما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فكرتى فى أوّل حياتى فكنت أقول ان لم يكن دين الاسلام ملائما للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فكرتى من غير معلم وأخذت أبحث فى الطبيعة وفى القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجلّ نعمة علىّ وعلى قراء هذا التفسير . هى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة وخير سعادة لى ماشاهدناه اليوم من ازدواج آيات الوحى وآيات الكون . فهاهى ذه آيات القرآن تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها فى هذا التفسير وستصير هـذه أمرا شائعا بين المسلمين وسيكتبون هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان فى الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا فى الحدائق العامة النباتية ويكون ذلك ديدنا للمسلمين

﴿ جهل أكثر هذا النوع الانسانى وغفلته بالتقليد الأعمى ﴾

اللهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيالك فى ملكك . ان ملكك واسع وأرضنا كما عرفناه من آراء علماء الفلك ذرّة ضئيلة ليست فى العير ولافى النفير . نسبتها الى ملكك كله كنسبة الجوهر الفرد الذى يدق عن أن نراه بالمناظير المعظمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هـذه . لذلك كان علمنا وادراك حيواننا ضئيلا ضعيفا . فأما الحيوان فانك أنت ألهمته منافعه فعاش بها وهو يسير بارشادك ووحيك على قدر ماقسمت له فالغريزة هى التى توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وان أعطيته العقل وهو به حرّ فهو مسكين منى بالتقليد . ذلك انه وان أعطيته ملك الأرض وأبحتها له ومنحته العقل والحرية قدحبس نفسه فى محابس التقليد وضلّ وغوى فقال فى نفسه بدل أن أفكر وأضنى عقلى وجسمى فمالى وماللنصب والتعب فلأقلد الآباء فأنا لست خيرا منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع فى هاوية الجهالة . فرأينا أهل هذه القارات المرسومة فى هـذه الآيات من نوع الانسان قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقا بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير واتبع الأوّل الآخر فى الضلال وقلت أنت فيهم ــ ومن أعرض عن ذكرى فان له

معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى — عيرته بالتقليد وأبنت محاجة الرؤساء والمستضعفين — فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار الخ وأوضحت قيمة التمسك بآراء الآباء إذ قلت — قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لايعقلون شيأ ولايهتدون — فطبائع الانسان تكاد تشبه طبائع الحيوان . فالحيوان بالغريزة لايتزحزح عنها والانسان لكونه فى عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابهه فدار فى مدار واحد بتقليد الرؤساء أوالآباء كأنه إذن اختط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالغريزة والانسان بالتقليد . هذا هو السبب فى أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابها فى أفعاله شرقا وغربا كالذئاب والآساد . أما الانسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التى اتبعها والتقاليد التى رسمت له غيرمتفقة بل هى مختلفة اختلافا بينا فزئيرالآساد فى الشرق والغرب واحد ومكر الثعالب فى هذه القارات كلها لايتغيرلأنها جارية كلها على مارسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الانسانى فقوم تراهم يتزوّجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحرّمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفنونهم مع ان الغربان مثلا جميعها تدفن جثث موتاها . فالفرق الشاسع بين أكل الآباء والأمّهات عند المتوحشين فى أواسط افريقيا و بين احترامهم واعظامهم ودفنهم واجلالهم عندالأمم المتمدينة ليس مثل اتحاد الأعمال عند الغربان فى دفن الجثث الذى لايختلف فيه أنواعها ولامثل اتحاد الذئاب فى أكل مامرض منها ولامثل اتحاد النمل فى العطف والرأفة على ضعفائها ومرضاها . إذن هذا الانسان قد ضلّ عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لا أن يكون ذا غريزة تسيره فهو حبس نفسه فى سجن التقليد وكان من آثارهذا التقليد أن الناس أشتات كما قال شاعرهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لايستوون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وان كان مرادا به أخلاقه الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التى طبع عليها بالتقليد فأنسته ملكة العقل والتفكير فانحط كثير من هذا النوع عن صاحب الغريزة وهوالحيوان . ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم اذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبته الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفى داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هى نفس الوحى المنزل وأن القول السماوى موافق للعلوم الطبيعية لايستطيع أن يكتبه فى كتاب ولايرى فى قلبه قبولا له ولايحبه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولا لأن الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبته ومنها وبها وعليها خلق وتغذى وتجمل وحل فهو بذكرها مغرم ولعلها محب ولكن التقليد الذى أخرجه عن دائرة عقله يمنعه من كتابة هذه الآيات أوالاستشهاد بها أواعارته التفاتة فلايصنع كما صنعت فى هذا التفسير بل براه جريئة ودليله التقليد . — قتل الانسان ما أكفره — إنه كان ظلوما جهولا — بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم يأنفون أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعظمون فى أعين ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخذوا الآن يقرؤن بعض العلوم فيوهمهم رؤساؤهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بالمدافع ولاحيلة لهم فى هذا الادّعاء إلاأن يتظاهروا باحتقارالدين تظاهرا بالعظمة أمام صغار الأمم الشرقية . إذن أمثال ما كتبته الآن حول القارات من الآيات تختلف فيه الأمم ولاينحو نحوه إلا المسلمون ومن على شاكلتهم وهم قليل بخلاف الشعرفان الشعر بأى لغة كان يفرح به جميع الأمم . فشاعر الشرقيين من مسلمين و بوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل غربى . وشاعرالغربيين من أى أمة كان يسمعه و يفرح به كل شرقى وحكماء الشرق وحكماء الغرب كشعرائهم كلهم محبوبون مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكسبير) شاعر الانجليز وهذا (سبنسر) فيلسوفهم . وهذا (هوميروس) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والغزالى وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافه . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم فى تأييده وارتقائه وشيوعه فى الأرض منفعة مادّية كأن يزيدهم جاها ومالا لكثرة اتباعهم وكثرة الاتباع لاتتم إلا باحتقار كل دين سواه لذلك كانت أهل الديانات الأخرى اذا قرؤا ما أكتبه الآن لم يحلوه المحل الذى يجعلونه للشاعر أو للفيلسوف الشرقى إذن التقليد فى أمم الارض يمنعهم عن فطرهم وهذا الدين الاسلامى الذى ينطبق على الفطرة كما نطقت به هذه القارات وحيواناتها وكما ستسمعه قريبا هنا فى كلام فلاسفة أوروبا فى تقريظ كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لايعيره غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرهم شاهدة به ولله الأمر وله الحول والقوّة ــ ولوشاء ربك مافعلوه ــ والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الفصل الثالث فى عجائب هذه الحيوانات وآثارها فى الانسان وأن الأرض أشبه براقصة حول الشمس بما حلت ﴾

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتيها اليومية والسنوية لاتفتر ولاتهدأ والنجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهى دائرة فانها وهى فى رقصها قد حليت بالمناطق الهوائية والسحابية والثلجية والنباتية والحيوانية . فهى أبدا راقصة وهى أبدا عليها حليتها وحولها نغماتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتى من الأبيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح * بنورها و بنور الشهب فى الظلم
تنأى وتقرب أحيانا بما حلت * من ناضر النبت أو من باهر النسم(١)
فالنور مؤتلق والطير مخترق * والنبت متسق يهدى الى النعم
والحوت فى لجج الأمواج يقطعها * ويقطع الليث قفرا وهو فى قرم (٢)
والأرض أمهم طرا تسير بهم * خوفا عليهم واشفاقا من العدم
فى الصيف تدفئهم بالنور محترقا * وفى الشتاء يرون السحب من أمم
سوطان حرّ وبرد سيق بينهما * مافى الخلائق بين الحوت والرخم
والريح هزهزت الأشجار مائلة * تشدو مع الطير فى الروضات والاجم(٣)
فى كل أرض وفى كل البحار وفى * جوّ السماء أفانين من النغم
من كل مائسة الأغصان والهة * تختال فى حلل الأزهار كالعنم(٤)

﴿ نظرة فى قوله تعالى ــ فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ــ الخ فوق ماتقدّم ﴾

(١) إن كون الحيوان يمشى على رجلين وكونه يمشى على أربع وكونه يمشى على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . فى الانسان مع الطير وفى ذوات الأربع وفى الحيات . واعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التى يعرفها الخاصة والعامّة . الله يرشدنا الى أن الأشياء المشاهدة غضّ الناس عنها الطرف لأنهم فى هذه الأرض حكم عليهم بالسجن فى البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم فى غفلة ساهون فقال الله . كلا . أيها الناس إن باب العلم هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء فى (سورة البقرة) عند ذكر الطير وابراهيم فاقرؤه هناك وهو الذى يعرفه تلاميذ المدارس النظامية فى العالم كله فى علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذى فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذى فتحت

(١) النسم جمع نسمة وهى كل ذى روح (٢) شدّة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملتف (٤) نبت أحمر

لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم فقسم الحيوان الى الأقسام المذكورة

(٢) فانظر تقسيمه على المناطق فى صورة (١٥) فهو ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم فى المناطق الحارة . وقسم فى المعتدلة . وقسم فى الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التى تأكل النبات تمثل فينا القوّة الشهوية والحيوانات التى تأكل أمثال الغزلان والأرانب كالاسود والنمور تمثل فينا القوّة الغضبية والقوّة المودعة فى العالم علوية وسفلية التى بها رتبت هذه الأنواع وحفظت و بقيت بحيث لا تفنى أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات التى تغتذى منها بل يبقى الآكل ببقاء المأكول ولايفنى المأكول مع تمادى الآكل فى التغذية به . فهذه القوّة المنظمة قد أودع نور يشبهها فى عقول بنى آدم سميناه عقلا . إذن عقولنا أشبه بالملائكة وقوّتنا الغضبية أشبه بالآساد ونحوها وقوّتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل فى الآية وكمراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشير له القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء أمثال هذا التفسير من الكتب التى تؤلف فى عصرنا . تباركت يا الله فى نظامك وعجائبك فى هذه الدنيا

(٤) و يلحق بهذا أمر اللذات فهى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ لذات دنيئة سفلى ولذات وسطى ولذات عليا . فأما اللذات السفلى فهى ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب النزوان . فالانسان وهو يزاولها قد شارك الحيوان فيها وهى أدنى اللذات . ألاترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلما كانت أعم كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهى لذة الغلبة والقوّة والسطوة وهى التى تمتعت بها الآساد والنمور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها وان أكلت من القطيع الذى يبلغ (٥٠٠) نعجة مثلا واحدة كل جمعة أوشهر أوسنة قد كانت سببا فى احداث ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فاذا آنست أسدا فرّت الجموع من وجهه ولايقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله فى الناس من هم أولوا قوّة وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والدول والممالك و يساعدون فى ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر فهؤلاء الملوك وهؤلاء الأمراء لذتهم اذا خلت من الشهوات البهيمية أرقى من لذة الفتيان بالمطاعم والملابس والتزوّج المقتصرين على ذلك . وانما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطائفة من الحيوان ولم ترتق الى المرتبة العليا وهى اللذة العلمية وهى اللذة التى لايعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهيم واما أسد واما ملك

فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

(٥) تقسيم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته

(١) فمنه ماينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل والمعز والغنم

(ب) ومنه ماينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك فى البرّ وحوت العنبر فى البحر

(ج) ومنه ماينفعه من حيث حاسة الذوق وحصول الغذاء بالألبان واللحوم وهذا معروف

(د) ومنه ماينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغرّدة من الفواخت ونحوها

(هـ) ومنها ماينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجميلة من أمثال الطاووس وهناك منافع عقلية لانواع الحيوان تكسبه حكمة وعلما وذلك كالألوان التى شرحتها لك فى أوّل سورة المؤمنون . فهذه تدهش عقل العقلاء وتدعوهم للتفكر والتأمّل والاعجاب بما أبدع الله فيها

(و) انظر ألوان الحيوان وصوره . هناك تر العجب العجاب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقدونس) كيف لوّنت بلون أزهاره حتى لاتمتاز عنها ، وانظر هناك صورة لحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهى بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها فى الشكل زرق الطيور الآكلات لها حتى لاتقع عليها فتفترسها . وهكذا مما شرحته لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمى تجدها مفصلة بحساب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاعلى مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار ولااللون الزاهى فى الزنبور رمية من غير رام كما أقرّبه فلاسفة القرن العشرين

اذا علمت ذلك فى النظرات الست المتقدمة هنالك تعرف لماذا يقول الله تعالى ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ـ وتعرف قوله تعالى ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ـ هذا هوالذى نزل له القرآن وهذه العلوم التى أظهرها الله فى زماننا هى التى بها يفسر القرآن الذى جعل اختلاف الألوان لايعرفه إلا العلماء ولايدرك أمثال هذا إلا العلماء به لاعموم العقلاء والحمد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وجحيم الاستعباد ﴾

اعلم أن الله عزّوجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الانسان وألهمه معايشه وعلمه صنائعه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الانسان على الارض . إن الله قد فعل مع الانسان مافعله مع الطفل من احضار مايحتاجه قبيل الولادة حتى اذا وضعته أمه وجد القابلة التى تساعده فى وضعه والثدى واللبن واللفائف وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش فى الأرض . هكذا الانسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الانسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا الى حين . ولقد مرّ فى (سورة طه) أنواع الصناعات التى تعلمها الانسان من الحيوان فى شؤن الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فانك تجد الانسان ماصنع مركبا فى البحر ولاطيارة فى الهواء ولاحصنا لمدينة ولاسردابا تحت الارض فيها إلا وقد سبقه اليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على ﴿ قسمين ﴾ قسم يعيش فى الخلوات والغابات حرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذله الانسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأوّل كالغزلان والآساد والثانى كالكلاب والغنم فالأوّل بحرّيته صار أعزّ نفسا وأشرف وأجل وأكمل وأقدر على التدبير من الثانى الذى حرم قوّة الحيلة والتدبير لأن الانسان قام بحاجته وتكفل بغذائه فانحطت ملكاته وساءت حياته ففرق بين العنز والغزال . هكذا أنتم على الأرض ﴿ قسمان ﴾ قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل وعلينا التدبير فعيشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان الى ذليل وعزيز حرّ هكذا انقسم الى ما أعطاه الله صناعة والى مالاصناعة له . فالأوّل كالنحل والعنكبوت فترى النحل عزيزا أينما حلّ فى البدو والحضر فهو معظم مكرم حتى ان الانسان اذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته العجيبة فأما العنكبوت فانه لقوّته الصناعية يحتل كل مكان فى الحقول والمنازل ويصطاد الحشرات

﴿ اشارات القرآن لهذين التقسيمين ﴾

إن الله عزّوجل لم يسم فى القرآن السورة باسم (البقرة) وهى مما استذله الانسان إلا وقد ذكر معها الذبح فقال ـ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ـ ثم قال ـ فذبحوها وما كادوا يفعلون ـ هكذا الأمم التى تركت مواهبها وعقولها سلط الله عليها من الأمم من يقودونها ويقومون بشؤنها ـ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ـ فهؤلاء المسلمون المستضعفون فى الأرض قد ضرب الله لهم مثلا فى الأنعام أمامهم فانهم يعرفون

الفرق بين الأسد والكلب و بين الغزال والعنز فالغزالة أنقى لونا وأجمل شكلا وأوفر ذكاء وأوسع حيلة من أختها العنز التى استذلها الانسان . ذلك هو كتاب الله الذى أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصانعة فى التقسيم الثانى إلا مقرونة بما يشرفها و يعظمها . ألم تره لم يذكر النمل فى (سورة النمل) إلا وقد شرفها بأن سمعها نبى من الأنبياء وهو سليمان ـ فتبسم ضاحكا من قولها وقال ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك ـ وقال الله فى النمل ـ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ـ كما انه لما خاطب الهدهد وهو من نوع الطيور الحرة فى التقسيم الأوّل هنا بعد أن توعده بالذبح أوالتعذيب الشديد لم يهنه ولم يذله لانه سمع منه الجواب المحكم والعلم إذ قال له ـ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ـ بخلاف (البقرة) فانها لم تفد العلم بالقتيل إلا بعد الذبح . يقول الله تعالى ـ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ـ فالميت لم يخبر بقاتله إلا بعد ذبح البقرة وهو هدّد بالذبح ولكن لم يذبح وأتى بعلم وهو حى . ذلك فرق مابين الحرّ وغير الحرّ . الحرّ لايذبح فتفيد حياته وغير الحرّ يكون طعاما للآكلين فلذلك أفاد الهدهد سليمان بما لايحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر لأمم الاسلام أن سموّ الفكر والحكمة وعلوّ القدر والعظمة كلها تابعات للحرية التى يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق فى العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفكه بل نزل للحكمة ولم يختر الله الهدهد فى حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل الهدهد رمز للنفوس الصافية التى ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتموا أنفاسها و يذلوها ولو كان علماء الاسلام فكروا فى هذا قبلا ماذل المسلمون ولاضعفوا ولااستكانوا ولكن الله عزّوجل هو الذى يعطى من يشاء و يمنع من يشاء ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ ولقد كان من الجائز أن يذكر الله بدل الهدهد حمامة فالحمام هو المعهود لتبليغ الرسائل فى السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عزّوجل يريد أن يعلمنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر الهدهد لهذا وأمثاله والله هو الفتاح العليم . ثم تأمّل كيف ذكر الله الهدهد والنمل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على القسم الأوّل فى هذا المقال وعلى القسم الثانى فيه حتى يكون هذا المقال كله مقتبسا من (سورة النمل) مرتبطا بآية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولاجرم أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص فى (سورة النمل) الذى تضمنه حديث سليمان مع الهدهد وتبسمه من سماع النملة . فهنا عموم وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل فى العام . فأنا أحمدك ياألله على نعمة العلم و بديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله ـ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ـ وقال فى النحل ـ وأوحى ربك الى النحل ـ فها هو ذا سبحانه أفادنا أن فى ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لايعقلها إلا العلماء وأفادنا فى النحل انه يوحى اليه كما أنه فى (سورة المائدة) أفاد أن الغراب معلم للانسان إذ قال سبحانه وتعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين ـ وعلى مقتضاه يقول ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الهدهد والغراب فأكون حرا طليقا قوىّ العزيمة أخاطب ملكا عظيما كسليمان فلا أخشاه لعلمى ولصدقى ولقوّة عقلى و يقينى ولحرّيتى وأيضا أعجزت أن أكون كالنحل وكالنمل وكالعنكبوت فى الصناعات حتى أستخرج مواهبى الكامنة فىّ وهنالك يلهمنى الله رشدى و يزيدنى علما بما أزاوله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتقن نسجها والى النمل لتربى أولادها . هذا مافتح الله به صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

﴿ حفظ القوّة الشهوية فى الانسان حسن كما حفظها الحيوان ﴾

ولعمرى ـ إن الانسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ـ

الله يقول ـ إن الانسان لفى خسر ـ . لماذا ؟ لأنه جهول ـ قتل الانسان ما أكفره ـ . ويقول أيضا ـ وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ـ . اللهم اننا نحن سكان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب فى هذه السن فأرى انك قويت صحتى وأتذكر أيام شبابى فأجد الأمراض كانت تحيط بى . ولما فكرت فى ذلك وجدت أن المرض فى الشباب كان بالجهل بعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتنى بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكلما رأيت فى صحتى اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت ببعض ما أكتب فى هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسعدانه . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلى وكل انحراف عقلى أو صحى أو خلقى عندى الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلى . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أنى أرى عظماء الأمم وكبراءهم فى عصرنا يتبجحون بالاعلان عنهم فى الجرائد انهم شربوا المرطبات أو الحلاوى فى مجالسهم العامة وهكذا فاذا سمعت هذا الاعلان أقول فى نفسى . ياعجبا . مالى أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المرطبات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوقين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فمن شربها للعطش فبها ومن شربها للذة أورثته مرضا دفينا واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لاينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذى لايأكل إلا اذا جاع ولايشرب إلا اذا عطش والانسان لغباوته وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم فى هذه الحياة . هكذا فى أمر التناسل ولذة الوقاع يقول الأطباء ﴿ إن حفظ هذه القوة يقوى الجسم والعقل و بضدها تميز الأشياء ﴾ ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لايقرب الذكر أنثاه مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته يواقع كثيرا لغير ماسبب إلا الشهوة وهى ترديه . نعم أنا لست أقول اننا نقلل الوقاع كما تقلل الأنعام أى عند ارادة الحمل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعلم الصحة حتى نقرب من حكمة الله فى أرضه التى أظهرها لنا فى الأنعام التى اقتصرت على طلب الولد والله أشار لذلك فقال فى (سورة البقرة) ـ وقدموا لأنفسكم ـ بعد قوله ـ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ـ

اللهم إننا على الأرض أمامنا ﴿ كتابان ﴾ كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذى أوحيته وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فلتوجه برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك فى كتابك المنظور حتى يعقلوه فيفرحوا بجمالك وليتخلقوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حد أدبك الذى فرقته على حيواناتك فى أرضك وقلت ـ قل انظروا ـ فهانحن أولاء يارب نظرنا فوجدنا أن النوع الانسانى حاد عن الجادة فى تصرفه واتبع العادة ولم يفكر منه إلا الأقلون . يشربون وهم لم يعطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثر ما يكون ذلك منهم فى ولائمهم وأفراحهم ومجتمعاتهم العامة

ويدخلون دخان (التبغ) فى أفواههم يدور فى دورة الدم فيؤذيهم ويشربون المواد المتخمرة التى تضر أجسامهم ويفعلون مابه يستضرون . وقد تمتحننا بالجوع الكاذب بين الأكلتين أو العطش الكاذب بين المرتين من الشرب فنطيع تلك الداعية فنستضر واذ ذاك تضل القوة العقلية ويفتر الذهن وتقصر الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت فى كتابك ـ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ـ فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا ـ وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ـ وسبيلك يارب فى كل شئ بحسبه ـ إن ربى على صراط مستقيم ـ وقد ذممت التقليد فقلت ـ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيأ ولايهتدون ـ . إن هذه الأمة سيكثر فيها المفكرون فى أمر هذا الحيوان والاقتباس مما جبل عليه ليرجع المسلمون الى الفطرة ـ فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ـ انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نداء الى أمم الاسلام ﴾

(تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وازدياد لليقين)

إن من أعجب العجب انى بعد ما كتبت ماتقدم اطلعت على محاضرة مسهبة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكى الاخصائى فى علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الجلى المحسوس أن الناس فى القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال اننا الآن نقصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن اننا نكثر من تناول الأطعمة ونقلل من ممارسة الألعاب الرياضية وننام قليلا ونرتدى ملابس غير صحية وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ماتصبح الحياة كعقرب الساعة المكسور . وختم محاضرته بقوله ﴿ إن أحفادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أوجيلين لأنهم سيدركون أكثر منا و يحافظون على الوسائل الصحية و ينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام ﴾ انتهى

أقول . عجبى أن تنتشر هذه المقالة فى بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمر الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون وليعلم المسلمون أن دين الاسلام سيأتى زمانه أما هذا الزمان فانما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قرؤا آيات الخمر وتحريمه والربا وتحريمه ولكن كان الخمر هو أجل مايفرح الأمراء ورؤساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السرّ فى هذه المحرّمات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم فى الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتغنون بالخمر ويقول أبو نواس شاعر العباسيين (أيام صولتهم ومجدهم والقوم لايزالون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما)

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ❊ ولاتسقنى سرا اذا أمكن الجهر

وكتاب الأغانى بما فيه من أحاديث الخلاعة والفجور المنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر فى دولتهم ودولة الأمويين فى الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم وممساهم وخلت منهم الديار و بئست عاقبة الغافلين . فياليت شعرى أى أثر تركه أمثال مانكتبه الآن من النظرات فى الحيوان وعاداته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال ــ قل انظروا ــ وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مترفع عن الدنايا فى مطعمه ومشربه وملامسة أنثاه . هنالك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار الذى كسبناه بأيدينا وسوء التربية والملكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثال ما ألقاه (الدكتور فيشر) الأمريكى من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أبناؤنا بعدنا اننا ما كان لدينا علم ولا دين اللهم إلا ألفاظ القرآن محفوظة ننقلها لمن بعدنا بأمانة كأن الله سخرنا لهم وهم الرابحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت ــ انظروا ــ وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقت أمما وأمما ففكر الجميع فعرفت الروسيا ضرر الربا وأمريكا الخمر بعقولهم فأدّوا بعض ماجاء به القرآن والمستقبل أجل وأكمل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأمم الاسلامية . اسمعى . هذه هى صحيفة الحيوان أنزلها الله فى الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ ــ فذكر انما أنت مذكر ❊ لست عليهم بمسيطر ــ كأنى بكم قرأتم هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظام وضعها و بهجة حكمتها فتقولون ان فى الحشرات كالدود والجراد والنمل والنحل لعبرة وكذلك فى الطيور كالحمام والغربان هكذا فى الأنعام وفى الآساد والفيلة . اننا نرى هذه الأنواع تجرى على وتيرة واحدة فكلما كانت أنقص مرتبة كان عملها قاصرا وكلما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعديا . فاذا كانت الجرادة والذبابة والناموسة لاتربى ذرّيتها والنحل والنمل يعطف الفرد منها على المجموع ويربى ذرّيته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين فى الطيور . فانا نرى الدجاجة والبطة والحمامة تربى أبناءها ولكن لاعلم لها بنظام الغربان وأمثالها من كل مالها به نظام عام يجمع طائفة و يساعد الفرد

المجموع . هكذا نرى البقرة والشاة والعنز والجمل لايعرفن إلا أنفسهن وذريتهن الى أمد معلوم ولكن الفيلة والذئاب والقرود وأمثالها قد كونت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجماعات ثم يقولون إن الشرف يتبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغربان والقرود أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون فى هذا الانسان نظرة فيقولون ان الطفل منه والشيخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه الدود والجراد إذ لاهمّ له إلاحفظ حياته . والأقوياء من هذا الانسان يرتقون فيلدون الذرية وتكون لهم أسرات ثم جماعات ثم أفخاذ و بطون وقبائل وهؤلاء أرقى ممن يقتصرون على أسراتهم وقياسا على جماعات الحيوان يكون الانسان كلما ازداد جمعه ازداد شرفه . فاذا رأينا أمم أوروبا كالجرمان والانجليز وأهل فرنسا . واذا رأينا أهل الشرق الأقصى كاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا لقد أحسنوا وهم أعظم شرفا ممن صغرت جماعاتهم بأن حافظوا على نظام القبيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعها لم تزد عن الغربان وعن الفيلة وعن النمل والنحل

اللهم انك أنت الذى ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت الفيلة وألهمت الغربان وألهمت هؤلاء جميعا نظام جماعاتهم وقلت لنا ــ وما من دابة فى الأرض ــ كالفيلة والقرود ــ ولاطائر يطير بجناحيه ــ كالغربان والنحل ــ إلا أمم أمثالكم ــ فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا الى دراستها . هانحن أولاء درسنا هذه الحيوانات باعتبار التقسيم كما قسمتها أنت هنا بالمشى على البطن وعلى الرجلين . فلما درسناها ووازناها بالانسان وجدنا أمما فى الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم نرها ارتقت عنه

أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند أبنائكم فى المستقبل . ثم هم سينظرون و يقولون ما بالنا نرى آباءنا (يريدون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا) لم يرتقوا فى الأسباب ولم يعقلوا ماعقلته الأمم فى الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من نفوسها وخطت خطوات واسعة فى الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالى من نظام الجاهلية الأولى حتى ان الأمم العربية مثلا متفرقة متشاكسة يجهل بعضها بعضا . فهم فى شمال افريقيا متقاطعون متدابرون . فالمصرى والطرابلسى والتونسى والجزائرى والمراكشى كل هؤلاء يجهلون انهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا إن آباءنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلاهم عرفوا كيف يؤلفون أممهم كالغربان والفيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب الى طباع الصبيان والشيوخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

﴿ آراء فلاسفة المستقبل فى أمم الاسلام ﴾

الى هنا تقف آراء أهل العلم ورجال السياسة فى الأمم الاسلامية المستقبلة . أما فلاسفتهم وحكماؤهم فيرمون ﴿لغايتين﴾ إحداهما أبعد من الأخرى ﴿ الغاية الأولى ﴾ ان كل أمة من أمم الشرق تجمعها لغة أودين أووطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرقى الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرقى نوع الانسان الآن ﴿ الغاية الثانية ﴾ التى هى أبعد مدى أن يجعلوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحادا أشبه بالممالك المتحدة فى أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون ان الجماعة كلما كانت أكبر كانت أشرف والشرف لاحدّ له والأمم الحاضرة فى الشرق والغرب لم يزيدوا جميعا عن الحيوان شيأ . فأىّ فرق بين جماعات اليابان والصين والالمان ونحوهم و بين جماعات النحل والغربان . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لقصوره وغربان الشرق لاصلة بينها و بين غربان الغرب . لا لا هذه الأمم الحاضرة لم يترقوا عن الحيوان ولكن نحن أرقى وأرقى منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا ﴿ نعمتين ﴾ نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هى الموهبة التى بها أدركنا أن آباءنا قصروا عن أعلى الحيوان وعن الأمم المحيطة

بهم شرقا وغربا فنحن أعظم من أن نسير على منهج آبائنا الذين لم يجدوا من علمائهم من يوقظونهم ويخرجونهم من الظلمات الى النور . من ظلمات الذل الى نور الحرية . من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرات والقبائل البدوية المتفرقة الى نظام الأمم الكبيرة والجماعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يذم التقليد للرؤساء وللآباء اذا كانوا مخطئين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد - وسمعناه يقول - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لايعقلون شيأ ولايهتدون - فهذان البابان أقفلناهما فكل مايضرّ بنا من آراء آبائنا ورؤسائنا نرفضه ولانقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرقى الانسان فى زماننا ولكننا نحافظ على كل شرف ورثناه من المتقدمين وأما نعمة الدين فانا سمعنا الله كما أنه قال لنا - ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فهاهوذا كتابنا المقدّس فى الآية الأولى يجعل الانسان أمما كأمم الحيوان سواء بسواء والانسان الذى نعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وان لم يصل لها آباؤنا المسلمون بعد العصور الأولى حين فرقت جموعهم وخضدت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشرهوا فى المال ونسوا مجدهم القديم وعزّهم الموروث لما غرّهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفريق والهوان التى أشار لها حديث ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زينة الدنيا الخ ﴾ فان ماخافه نبينا ﷺ قد تمّ فعلا وأيقنا به ووقعنا فيه تبعا لآبائنا فى نحو ألف سنة بعد العصور الأولى . وفى الآية الثانية أرانا علما فوق علم أرقى الحيوان وأرقى الانسان الحالى إن الانسان فى هذا العصر لم يرتق عن أرقى الحيوان كما قرّرناه إذن انسانيته ضعيفة حقيرة والقوى الادراكية التى فى أرضنا ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ فهى إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان واما فكر وروية كما هو شأن نوع الانسان واما قوة ملكية قدسية تسمو على قوى الحيوان وقوى الانسان

فهذا الانسان اليوم بفكره لم يصل الى أرقى مما وصل له الحيوان ثم وقف فأين الفضل له إذن اذا كنا نجده لايزال طفلا فى هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غدا . هاهوذا يحارب بعضه بعضا كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويسخر غيره لنفسه كتسخير النمل إذن هذا الانسان اليوم جدّ جاهل فوالله لافرق بين قبيلتين بدويتين فى الصحراء تفتخر كل واحدة منهما بمجد آبائها الغافلين وبين أمتين فى الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمدة لامذمة واتباعها شرف لامنقصة ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حدّه صغر فى النفوس وحقارة فى الانسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروث وعلى فضل أمتك المعهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكاء الانسان لم يرق به فى النظام العام عن نظام أرقى الحيوان فانه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغربان الغرب لاينتظر منها أن تتصل بغربان الشرق ولانمل الغرب بنمل الشرق لأنه لامصلحة فى ذلك . أما أمم الغرب وأمم الشرق فمن مصالحهم جميعا أن يكونوا ممالك كالممالك المتحدة فى أمريكا الشمالية

هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هى الانسانية الحقة . ثم يقولون علم الله أن عادات الانسان وتقاليده تمنعه عن الارتقاء عن الحيوان فاصطفى رجالا قديما وحديثا حكماء تارة وأنبياء أخرى فذكروا الناس بما قرّرناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليخدم المجموع المجموع . وقامت فى الأمم الغربية جماعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التى لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم ندرسها وليست منزلة بوحى أما الوحى فهو الذى يؤثر فى النفوس وهو الذى يكون نورا تهتدى به العقول

إن عقول الناس فى الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج الى ﴿ أمرين ﴾ أمر وحى جاء من قوّة فوق العقل حتى تسوقه الى هداه والى حكمة وعلم . أما الحكمة فهانحن أولاء درسنا العلوم التى عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد مانشرت كتب تحث على العلم والحكمة كما فى هذا التفسير . وأما أمر الوحى فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول ـ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أوأشدّ ذكرا ـ فهاهوذا القرآن يقول لنا إياكم والعصبية الناقصة بل اذكروا الله . ثم سمعناه يقول ـ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ـ فلم يذكر شرقيا ولاغربيا ولاعجميا . وسمعنا نبينا ﷺ يقول ﴿ لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ﴾ وسمعناه يأمر بلالا وهوغيرعربى أن يؤذن فى الكعبة والعرب يسمعون و يعون و يرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحلّ محله نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل فيما استعدّت له وكل قوّة من قوى النفوس لابدمن استخراجها والله يقول ـ لاتكلف نفس إلاوسعها ـ إذن جميع النفوس يجب توجيهها الى الأعمال التى تناسبها فلايكون فى الأرض كسل ولابطالة . ولاتبقى فى الأرض أوالهواء أوالماء قوّة يمكن استخراجها إلا وجب على الانسان استخراجها وهذا كله لايتم إلا بأن جميع الأمم فى المستقبل يراقب بعضها بعضا بهيئة مشكلة من حكماء مصطفين منهم ويحكمون على الأمم المقصرة فى استخراج المواهب العقلية والمنافع المادّية من الطبيعة لأن الله يقول ـ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين * ماخلقناهما إلا بالحق ـ فاذا كان بنوآدم لايستخرجون قوى نفوسهم ولاما كمن فى المادة فهم لايزالون يلعبون وقد خالفوا حكمة من أنعم عليهم بهذه الحياة وتكون نتيجة ذلك أن يقول أبناؤنا فى نهاية مباحثهم لابد لنا من ﴿ أمرين * الأوّل ﴾ أن نجدّ فى تعليم كل ذكر وكل أنثى فى بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا ـ وقل ربّ زدنى علما ـ ـ وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ـ و ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ ومتى أتممنا هذه الخطوة وهى قريبة المنال لايعوزها متى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه هممنا إذ ذاك الى نظام النوع الانسانى كله ونتفاهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا وغربا . هذا هوالذى جاء له دين الاسلام . وهذا هوالمقصود من قوله تعالى ـ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ وقوله ـ وأرسلناك للناس رسولا ـ وقوله ـ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ـ وقوله ـ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ـ لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة الى رسول . إن الرسول يأتى بوحى والوحى أرقى من الغريزة ومن العقل والفكر . والوحى يحرّك العقول ويخرجها من قيودها ومتى خرجت من قيود العادات وصلت الى ماذكرناه وكان السلام العام

﴿ تذكرة ﴾

ولقد أومأ الحديث الشريف لهذا المعنى فى رواية البخارى ومسلم عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ ﴿ ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلايجد أحدا يأخذها منه ﴾ وورد أيضا ﴿ تصدّقوا فيوشك الرجل أن يمشى بصدقته فيقول الذى يعطاها لوجئتنا بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلاحاجة فيها فلايجد من يقبلها منه ﴾ رواه البخارى ومسلم والنسائى فياليت شعرى هل ذلك هوالزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية بالمظهر الذى ذكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة ويكونون مع الأمم إذ ذاك فى حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع و يعرف الناس ما المقصود من المال

﴿ عجيبة من عجائب أخبار اليوم ﴾

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن ﴿ البلاغ السماوى ﴾ فى بمباى بالهند أن المسلمين فى شمال

(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن يبنون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا فى أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (ولز) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول ﴿كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضر المستمسكين به وأن الديانة الحقة هى الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلقى تاريخى حتى قيام الساعة . ألم يقل النبى ﷺ « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » وهذا هو الأساس القوى لعلم الصحة ولم يستطع الاطباء أن يأتوا بخير من هذه النصيحة وصاحب الشريعة الاسلامية استطاع فى ربع قرن أن يقهر دولتين فارس والروم﴾ انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لأبين أن الاسلام كما انتشر فى أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدأ نهضة الأمم ورقى الاسلام فيتعاون المسلمون فى أوروبا والشرق على اصلاح الأمم كلها واذ ذاك بحسب ما كتبناه هنا ترتقى العقول والأخلاق والصحة التى يطلبها علماء العصر . وهنالك لا يجد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤذن بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما فى كتابى ﴿أين الانسان﴾

كل ذلك لمناسبة تقسيم الحيوان الذى أصبح درسنا فى هذا المقال ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته فى العمل لنفسه ولذريته وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الحالى لم يرتق عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول المدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زبدة المقال المصطفاة منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادة واذن يصبح الناس اخوانا فى العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل البلشفية والاشتراكية لأن التعاون العام اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالاقناع و بالعقل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة . صباح يوم الاربعاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ﴾

فى الأرض أشرق ﴿نوران﴾ نور ظاهر ونور باطن ، أشرقت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق و بنور أرواحنا ازدانت قوانا الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والذاكرة وأمثالها . فى الجو الذى نراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفى نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها ونتخيل كل ما حولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أو ذقناه نجد له صورا فى نفوسنا إذن هناك عالم واسع فى نفوسنا كالعالم الذى نراه حولنا . النور المبصر والنور الذى لا يبصر كلاهما من السماء . لا نور حول الارض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار فى نفسى وفى خيالى وفى قوتى المفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولى صورا جميلة فى جوك وفى سمائك ولكن هذه الصور لم تظهر لى إلا بأنوار أشرقت من السماء لا من الارض . هكذا أحسست فى نفسى بصور تماثلها بنور آخر إذن هو حقا من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها اشراف عام على هذه العوالم المحيطة بى واذا كنت أرى نور المشرقات مسيطرا على الارض وأهلها فهكذا نور نفسى الذى هو من السماء مسيطر على هذه الارض وما حولها بل على سائر الكائنات

هذا مخبوء فى نفسى أحس به من ابان صغرى وهو ملازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون و يزدرون ما لم يتعبوا فى تحصيله . فهم لا يعبؤن بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يعدونها نعمة هكذا لا يعدون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشربة ماء وكسرة خبز أعطيا لهم بعد المنع أعظم نعمة يحمدون الله عليها وقنطار من ذهب لم يتعبوا فى تحصيله يبذرونه تبذيرا ـ وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ـ . والدليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور ولا قيمة لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صور عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أتفرج عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكد ونصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندنا . فأما صورى المرسومة فى نفسى فلاقيمة لها لأنها مبذولة لى ولجيع الناس . ان نفسى من عوالم غيرعالم الأرض نزلت اليها لتدرسها ولتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة بى تعيننى على درس قواى الباطنة التى هى المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وارق فأنا أقرؤه اليوم ولكنى ماكدت أشرع فى القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى و بين نفسى فنها ماهى صحية ومنها ماهى منزلية ومنها ماهى سياسية تعم أمتى كلها ولكنى مع هـذا كله أحس بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبه سحاب ساعة فانه يضىء بعدها . إذن روحى لاحد لرقيها ولامانع لاسعادها ولانهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تقف أنوار نفسى إذن فلأبحث فى قواها ولأستعد لاسعادها ولأعلم علما ليس بالظن أنى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى تقوم بين نفسى و بين مطلوبها فأنا لا أبالى بها . وأهم العقبات ماجاء من طريق الوراثة والتقليد . ورثت بعض آبائى الأولين و بعض الأشياخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لاتقرب العبد من ربه وأن أكثر من رأيتهم فى بلاد الاسلام لايتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوخا فى كل قطر من أقطار الاسلام يوجبون على تلاميذهم أن يقرؤا أورادا فى أوقات خاصة وأكثرهم شغلوا عن معانى القرآن . أنالا أذم الأوراد فهى تشغل الشرير عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب الجهل . إن روحى لاحد لها فكيف تقف عاكفة على ورد خاص قانعة بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم بالعوالم جيعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فاقرأ هـذا المقام فى (سورة الكهف) ففيها بيان ما يقوله الشيخ الخوّاص والشيخ الدباغ فى قيمة الأوراد وحصر التلميذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٩) فى المجلد التاسع وكذلك فى (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهنالك ترى هـذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا فلانعيده هنا . وعلى ذلك أنا لاأقف عند حد فى النظر والفكر ولاأحصر فكرى فى عالم واحد بل أطلق نفسى لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لاتستطيع أن تعرف كل شئ ولاأن تعمل كل شئ . فالعلوم لاحد لها والأعمال الدنيوية كثيرة فماذا أصنع إذن ؟ هنالك ظهر لى أن هنا فى الأرض معى نفوسا أخرى فنفسى ونفوسهم أشبه بجسم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العلوم أكتبه فى هذا التفسير ظهرت مساعدة الناس لى فيه فأنا أستمد من الشرقى والغربى وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جيلا وأكتبه . هنالك تبين لى أن هـذه الروح المرسلة من السماء التى أمدها الله بنوره لايتم لها هذا النور إلا باتحادها مع الأرواح المرسلة معها الى الأرض . واذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أممهم الى العلم وهكذا العلماء والحكماء فانى رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبى مغرمين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه بجسم واحد شاؤا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تغتصب حقوق الضعيفة وتحاربها ولكن العلماء فى الأمتين ينقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة فى الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا نقائص وجهل يورث طمعا واغتيالا لحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الاعمال والعلوم لابد فيهما من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين المسلمين أورادا خاصة وحجبهم عن العلم وعن الأعمال العامة خسران مبين . الأرض التى نسكنها قد خبأت فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يعطها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الارض كما يقال ثلثمائة ألف سنة ولم نره أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد بحثهم عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ولذلك لم يتركوا استعمالها مع ان أكثر العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الارض لم يستعمل إلا الحجر فالعصر الحجرى هو الاصل أما عصور المعادن

وما بعدها من الكهرباء والمغناطيس فهى قليلة . ذلك لانه لايريد أن يعطيهم الا بجدّهم ليعرفوا قيمة مايعطيهم لأن ما أعطوه من غير نصب لايشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجليلة التى هى أعظم من هذا العالم المادّى فهم لايهتمون إلا بما نصبوا فى تحصيله

﴿ القرآن والعالم المادّى ﴾

وهنا نظرت فى أمر القرآن وفى عالم المادّة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم المادّة والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والأمم استيقظت الآن فهل خبأ الله لهم فى القرآن مايثير عزائمهم بحيث لاتقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبأ فى الأرض المعادن ولم يعطها للناس عموما إلا بعد استخراجها . واذا علمنا أن القرآن والمادة من عند الله فليكن فى الكلام من الحكم المخبوءة مثل مافى المادة بل أعظم فلنبحث عنها الآن كما بحث الانسان قديما فى الأرض فاستخرج المعادن فماذا نرى ؟ رأينا الله عزّ وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظر أكثر المسلمين للقرآن نظرة ضئيلة فهم قالوا ان القرآن جاء للأحكام الشرعية والاحكام الشرعية قام بها الأئمة المجتهدون ولامجتهد بعدهم بل الذين عندهم مجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعيا عادات الأمة لئلا ينبذوه . وعليه أصبح القرآن يقرأ لمجرد التبرك والعبادة والاعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يقبع صاحب مذهبه فمايقتبسه لاغير وتلاميذ الصوفية يتبعون شيوخهم فى بعض الآيات التى يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ ويفهمونهم أن يذكروا الله و يتركوا ماعدا الذكر ومثل أن يقولوا لهم ـ ليس لها من دون الله كاشفة ـ ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ـ فهوسبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن الجهلاء من هذه الطائفة وغيرها وقفت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكثرهم جاهلون

فى القرآن قصص وفى القرآن مواعظ وفى القرآن حكم . فلأذكر الآن مافتح الله به الليلة حتى اذا قرأه العقلاء أيقنوا ايقانا تاما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه مافعله فى العوالم المادّية لأن المادة منه والوحى منه فهو خبأ فى مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبأ فى القرآن حكما وسينتفع بها المسلمون بعد انتشارها فى أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان فى هذه الدنيا ﴿ أربعة ﴾ زراعة وتجارة وصناعة و إمارة . هذا هوالنظام المدنى و به يكون نظام الأمة كلها . واذن روحى باتحادها فى هذه الاعمال مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادمنا فى هذه الارض فاذا فارقناها طرنا معا الى عوالم أخرى لاندرى ماذا نفعل فيها . نرى الله فى (سورة النمل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ

جلّ الله وجلّ العلم وجلت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعتنا هذه القصة لمقصد أشرف ومقام أعلى مما يفهمه الجهال فى أمة الاسلام الحالية . اذن هذه القصص ما تليت فى القرآن لمجرّد البركة أوالعبادة . هذا رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأمم الاسلامية تنظر اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولايطلب الجوهرة . ولاجرم أن هذه الآية يراد بها العلم والمعرفة والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب علىّ الشكر بل قال فى مسألة العرش واستقراره عنده انه من الله لأن العلوم اذا أعطيها الانسان ولم يفهم قيمتها دلّ ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها فيسلبها كما يسلب الله الملك ممن ليسوا أهلا له والمال ممن ليسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فعرف قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وادراك الحقائق أعلى مافى هذا العالم وطلب من ربه أن يلهمه الشكر وشكر النعمة لايتم إلا بمعرفتها أوّلا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها

﴿ قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد ﴾

ولما أرسل الهدهد الى بلقيس ثم جاءت وجاء عرشها ورآه مستقرا عنده ـ قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنىٌّ كريم ـ فمسألة الهدهد انتهت بالفوز السياسى كما أن مسألة النملة كانت فوزا علميا . إذن النملة والهدهد مع سليمان انهيا بفوز علمى وفوز سياسى أوجبا الشكر وذلك بمعرفة أن هذه نعمة وجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والا سلبها الله تعالى ولذلك لما خطرت لى هذه المعانى كتبتها اليوم خيفة أن تسلب منى اذا تركتها لأنها أعطيت لى الليلة وهذا من الله ليبتلينى أأشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعيرها التفاتا كما أنى إبان صغرى لم أعر هذه النفس وقواها التفاتا ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجمال فى هذا العالم المحيط بى

إن (سورة النمل) متصلة بسبأ اتصالا علميا لاقرآنيا لأنهما غير متجاورتين فى الترتيب . وذلك لأن مسألة الهدهد متعلقة بأمر الملكة بلقيس وهى من سبأ والهدهد يقول ـ وجئتك من سبأ بنبأ يقين ـ إذن نظرنا فى (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يعملون لسليمان مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية ـ اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ـ ثم ذكر بعد ذلك أمة سبأ وقال ـ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ـ وأعقبه بقوله ـ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ـ فههنا ذكر الشكر فى ﴿ موضعين ﴾ فى موضع أبان فيه الصناعة واتقانها وموضع أبان فيه الزراعة فى الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسيأتى بيانهما هناك . إذن شكر الله عزّ وجل جاء فى القرآن مقرونا بالعلم و بالسياسة فى سورة النمل و بالصناعة والزراعة فى سورة سبأ

الله أكبر . جلّ الله وجلّ العلم . أيها المسلمون . هاهى ذه أعمال الناس فى الدنيا والآخرة لاتخرج عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالامور السياسية و بالامور العلمية و بالامور الصناعية و بالامور الزراعية . ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهى إلا تقليب المال لأجل الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان بهما حياة الأمم

أيها المسلمون . هل من سميع . هذه بعض المعادن التى خبأها الله فى القرآن وأذن باستخراجها اليوم وأرانا أن نفوسنا نفوس سماوية قد جاءت الى الأرض ولن تستطيع العروج منفردة فلابد من تعاونها مع الأمة التى تكون فيها والأمم كلها متعاونات و بهذا التعاون يقتسمون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هى التى بها الحياة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة

أيها المسلمون . تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام النملة وطلب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وانما طلب من الله لعلمه أن النوع الانسانى محجوب بالعادات يحتقر مايصل اليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل أصبح أدنى من الحيوان وعلم النملة وعلوم الحيوان كلها مزدراة عند الأمم الاسلامية المتأخرة التى نزل لها القرآن فأسمعهم دعاء نبىّ عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نعمة معرفة خطاب النملة ﴿ و بعبارة أصرح ﴾ ان أكثر هذا الانسان جاهل لايهمه أمر هذه الحيوانات ولايدرسها وليس يعرف الانسان قيمة هذه العجائب إلا اذا ألهمه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم . فاذا جاء لهم أيضا من طريق القرآن لاسيما من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقرّ عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالنعمة و يبطر بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها . وسبأ أعطوا سدّ العرم وأعطوا جنتين هناك فماذا فعلوا تركوا السدّ فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التى درسها آباؤهم ولم يتحدوا للمحافظة على هذه النعمة فسلبها الله منهم وقال ـ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ـ

هذا

هذا بعض السر في قوله تعالى ـ وقليل من عبادى الشكور ـ وقد اتصل بآية ـ الله نور السموات والأرض ـ الخ من ﴿ وجهين ﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه الطيور والدواب التي تشمل هدهد سليمان والنملة التي سمعها وتبسم ضاحكا والهدهد متصل بسبأ وفي هذه جماع نظام الأمم

أيها المسلمون . في هذا المقال مجامع العلم في الأمم التي حولنا ففيه الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خبأها الله لكم وأبرزها الآن لما استعددتم لقيادة أهل الأرض بعد نوم آبائنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هو ذا اليوم الموعود لاسعاد أمم الاسلام واخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعوهم من التفكر في القرآن ومن التفكر في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فها نحن أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة واقامتها شكرها والله يقول ـ وان تشكروا يرضه لكم ـ ويقول ـ واشكروا لي ولا تكفرون ـ ويقول علماء الاصول ﴿ شكر المنعم واجب ﴾ فالشكر بأنواعه المتقدمة واجب على المسلمين وان لم يشكروا حل بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلقيس مع سليمان (التي جر اليها ذكر الهدهد الذي هو من الطيور المسبحات المصليات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ـ إذن ذل بعض الممالك الاسلامية اليوم انما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجل النعم هي ممالكنا التي سلمها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال ان هذا ابتلاء من الله لي وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا ممتحنون فان قومناه بما يلزمه (من صناعة أشارلها بالصرح الممرد من قوارير و بصناعة المحاريب والتماثيل و بزراعة أشارلها بالجنتين في قصة سبأ و بسياسة تحفظ البلاد و بعلم أشارلهما بالتبسم ضاحكا بقوله ـ رب أوزعني أن أشكر نعمتك ـ الخ) أبقاه لنا وان أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملوك والأجانب فاستولوا على عروشنا وأفسدوا بلادنا ـ وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ـ وأنا واثق أن المسلمين اليوم غيرهم بالأمس إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

(في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأحمدك على الالهام وعلى ما شرحت به صدري وما أفضته من نورك للأمم الاسلامية التي يعوزها الصدق في القول والجد في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الاسلام يرجع الى جميع الأعمال في هذه الحياة والى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب العجب أن المسلم في كل صباح يخاطب ربه ويناجيه ويدعوه بنفس ما كتبته فيما تقدم . يناجي المسلمون ربهم في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبها في هذا التفسير . نعم يخاطبون الله العظيم ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهي الآن مقدمة للطبع وطال المقال في آية ـ الله نور السموات والأرض ـ الخ وطال في مسألة تقسيم الطير الى ماش على رجلين وعلى أربع وعلى بطنه . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أي تقسيم الحيوان على منهج القرآن وصلنا الى كل ما يمشي وكل ما يطير وكل ما يدب وانتهى بنا المقال الى الهدهد والنمل وأمرهما مع سليمان عليه السلام فنحن على حق اذا بحثنا في هذه الحادثة لأن النمل يمشي على الأرجل والهدهد يمشي على رجلين ولهما حادثة تاريخية مع نبي عظيم له ملك لا ينبغي لأحد من بعده . نحن مهما طال بنا المقال لم نخرج عن نمط القرآن . لم نخرج عنه كما لم يخرج أصحاب المعلقات بوصفهم الناقة (التي تحملهم الى محبوباتهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) بيتا فى بعض القصائد . هذا أسلوب العرب والقرآن كتاب عربى . فنحن اذا بحثنا فى حادثة الهدهد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيما بعد ماسمعناه ﷺ يقول ﴿ أوتيت جوامع الكلم واختصرلى الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول ـ ثم إن علينا بيانه ـ وسمعناه يقول ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ فالآن أشرع فى شرح مافتح الله به فى هاتين الليلتين . ذلك أن المسلم يقول فى صباح كل يوم ﴿ اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيما عافيت ﴾ فهو ليس مهديا وحده ولامعافى وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فما هذا الشكر . أليس هذا هوالمذكور فى علم الاصول « ان شكر المنعم واجب » أليس هو الشكر المذكور فى قصة سليمان الذى ذكرته فى المقال السابق . سبحانك اللهم يا الله أنت القائل ـ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ـ

أنت يا الله قد ضمنت بقاء الأمة مادامت مصلحة . فياليت شعرى ماهو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من نظام الأمة الذى اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والمحافظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كأهل سبأ جعلهم حديثا ومزقهم كل ممزق

الله أعطى آل داود صناعا يعملون لهم مايشاؤن من محاريب الخ فقال لهم ـ اعملوا آل داود شكرا ـ وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام النملة وعلى نعمة الملك فى حديث الهدهد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنتين وذلك بعدم المحافظة عليهما . جمع الله ذلك كله فى قول المصلى صباحا كل يوم ﴿ فلك الحمد على ماقضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيتها الأمم الاسلامية . هلا كان من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شرحوا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذى يقوله المصلى كل يوم وهو يناجى ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحوا للناس معنى الشكر كما شرحه الله فى (سورة سبأ) وفى (سورة النمل)

نعم بعض القائمين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكأنهم اتبعوا ما أترفوا فيه وهذه الآية التى جاءت فى (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الهمم الى النهى عن الظلم الذى يقوم فى أمتنا بتوجيه الذم الى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقم فيها هادون علماء حكماء ـ ينهون عن الفساد فى الأرض ـ ثم وبخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين فى تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالترف والمترفون ظالمون . إن التنعم وحب الراحة هو الذى أضر بأمتنا الاسلامية كما أضر الأمم السابقة وأنا أقول الآن ألا فليقم فى الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامى أيها المسلمون الشكر الذى تكررونه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التى أنعم الله بها عليكم جميعا وهى نعمة الأرض التى تسكنونها والممالك التى سلمت لكم فلاتعطلوا نعم المزارع والأنهار بترفكم وتنعمكم وإهمالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التى تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التى تعيش معكم رقيا والا فأنتم ظالمون مترفون والله يعطى أرضكم لمن هم أقدر منكم على نفع عباده بها ، وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التى لاتتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو القيام بأمر الدولة التى منحكم الله إياها وعرش الملك الذى سلمت اليكم مقاليده والله ماسلمكم هذه الممالك إلا اختبارا لكم فحسب فان قمتم به حق القيام أبقاه وان أنتم قصرتم فى نظامه أخذه منكم وسلمه لغيركم . واذا كان سليمان الذى أعطى ملكا لم يعطه الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلى والله يختبرنى أأشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذى ليس بنبى هو مختبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ماذكره الآن من أعجب

ما

ماجاء به القرآن . يقول سليمان الذى هو نبىّ وهو موعود من الله بالملك وأن هـذا الملك لا يعطاه أحد بعده اننى مبتلى هل أشكر نعمة الملك بالمحافظة عليه أم لا

فأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

فاذا كان الأنبياء يخافون وهم أنبياء فما بالك بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السرّ فى قول المسلمين يارب نحن مسلمون وموحدون ولماذا أخذت ممالكنا وأعطيتها لغيرنا وأذللتنا فى بلادنا فيقال لهم لأنكم غير شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة ماضاعت ممالككم . أظننتم أن قول المصلى ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ أمر بسيط وذلك أن ننطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا طيبا . والا فما معنى ـ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ . أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور فى دعاء الصبح هو الذى يقوله علماء الاصول وهو الذى جاء فى قصة سليمان وقصة سبأ وكله راجع لحفظ الدولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى آخر ماتقدم . هذا بعض معنى ـ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ فما الفحشاء والمنكر خاصين بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامّة بترك المنافع العامة أعظم جرما . وتجد الله يقول فى (سورة هود) يعبر بلفظ ـ ينهون عن الفساد فى الأرض ـ كما عبر فى الصلاة بلفظ ـ تنهى عن الفحشاء الخ ـ

إن الصلاة ذكر فيها الحمد . والشكر والحمد لا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق النعمة يوجب حفظها فلا يترك الانسان مواهبه ولا النعم العامّة وهذا كله واضح فى قول المصلى ﴿ اللهم اهدنى فيمن هديت ﴾ وفى قوله ـ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ـ لا صراطى وحدى وفى قوله ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ انه لا سلام فى بلاد الاسلام أو فى أى بلاد أخرى اذا أهمل أهلها رقيها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا فى كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بنى آدم . فالأمة التى تهمل من أمم الاسلام تقصد الأمم التى حولها على اقتسام أرضها . ذلك أمر لا مفرّ منه . فكيف يكون فيها سلام ولا سلام إلا بمحافظة الأمم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم فى الرقىّ . فمتى انحطت عنهم جاء غيرهم وأخذ أرضهم . فاذن لا يسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولا يسر الصالحون . فقول المسلم فى الصلاة ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يلزمه حفظ بلاده ورقيها فان لم يتم ذلك وتركت وضعفت عما جاورها من الأمم فلا سلام علينا ولا على عباد الله الصالحين وكيف يتم السلام إلا للشاكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والدولية والمدنية حتى ان النبى ﷺ نفسه يتألم فى البرزخ لأجل أمته فكيف نخاطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لا شكر فيها بالمعنى الذى ذكرناه

إن المسلم يستعيذ فى الصلاة من فتنة المحيا وأىّ فتنة أعظم من فتنة الجهل التى أوقعت المسلمين فى الذل وكيف يستعيذ من فتنة المسيح الدجال وقد أحاط الدجل فى السياسة وفى الدين بنا . وكيف يقرأ المسلم فى القرآن ـ واجعلنا للمتقين إماما ـ وهو عينه مستعد للامامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام الدولة

سبحانك اللهم وبحمدك . أنت الذى علمت وأرشدت وأوليتنا نعما لا تحصى فألهمنا اللهم شكرها حتى نقوم بما يجب علينا ولا تجعلنا ممن قات فيهم ـ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال * وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ـ

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكنا فى مساكن أمم قبلنا فيجب علينا أن نتبين مافعلت بهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم . فكل قطر من أقطار الاسلام اليوم حلّ المسلمون فيه محل أمم سبقت وهذه الأمم لم تسقط إلا بالظلم والظلم مقرون بالترف كما فى آية هود . والترف والتنعم مورثان ترك العلوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهمنا الصواب وارشد هذه الأمم أن تدرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يعقلون ماوصلوا اليه من الرفعة ثم ماحصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهلكوا و بناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »
اللهم ان الشكر لك المذكور فى الصلاة وكذلك الحمد موجبان حفظ جميع النعم التى أشارت لها قصة الهدهد مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا أن يعلم ذلك حكماؤهم ﴿ و بعبارة أوضح وأصرح ﴾ يجب على العلماء بعدنا أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجسور . كل ذلك دين اسلامى عليه ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس فى الدنيا والآخرة وأن قصص الأنبياء موجهة لهذا المقصد وحده وأن غضب الله على الناس فى الدنيا بسبب التقصير فى هذا والله هو الذى يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن صلاة الوتر (١١) ركعة وختامها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله
اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقعوا فيما وقعوا فيه فى القرون الأخيرة . ذلك أن أمراءهم اذا كانوا صالحين نراهم فى ناحية والشعب كله فى ناحية . فالأمراء الصالحون يعلمون مصالح الدولة وصغار العلماء يجهلون ماقلناه الآن فيفهمون الشعب أن هؤلاء ظلمة فجار وأنهم هم والصوفية والذين ينقطعون للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحطت أمة الاسلام فى القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب فى ناحية والأمراء فى ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة
لقد ذكرت لك أيها الذكى فى (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان فى مصر وانه سافر الى الأقطار الأخرى وأنا قلت لك هناك ماملخصه عند آية — إن فى ذلك لآيات للمتوسمين — انه يريد الاصلاح وأن علماء الدين ربما يقاومون اصلاحه وذكرت النسبة بين ضعف أمم الاسلام ورقى أمم أوروبا وأن علماء الدين اذا قاوموه تأخرت الأمة
ألا تعجب معى انى أنا الآن فى تفسير (سورة النور) و بين طبع السورتين حوالى سنة . فانظر ماذا جرى رجع الى بلاده بعد أن طاف أقطار العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون فى طريق الاصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء فى طريق الاصلاح الذى رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة مثل ماحصل ببلاد الترك سواء بسواء فأشاعت الجرائد فى العالم والتلغرافات (البرق) انه أتى بأشياء خلاف الدين وفى هذه الأيام بل فى هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طغت فى بلاده وعمت وأنهم قد طلبوا منه أن يتنازل عن العرش . وهاهى ذه الجرائد أمامى وفيها ما نصه
﴿ يبعث الموقف الحالى فى أفغانستان على القلق فى الدوائر العليمة فى لندن . وآخر الأنباء الواردة من كابل مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفى ذلك الحين وصل الثائرون الى ضواحى العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ أن الملك أمان الله والملكة ثريا سالمان فى قصرهما الخ ﴾
ثم جاء نبأ آخر مقتضاه أن العصاة قاتلتهم الحكومة ففازت عليهم فأسر فريق منهم وقتل آخر . هذا ما جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أى بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار
أفلا تنظر الى ماذكرت لك فى (سورة الحجر) وماتوقعته إذن ظهر لك صدق قولى ان تعاليم الأمم الاسلامية مخرفة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا
اللهم انى أحمدك إذ وفقتنى لهذا التفسير . يا الله هذا مافى طاقتى . انى ألفت هذا التفسير باعانتك وهو يساعد المصلحين فى الأمم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب فى هذه الأمم الجاهلة وقتل صغار العلماء فهو لايفيد بل يضر ضررا بليغا فعلى من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بتربية ناشئة جديدة على هذا المشرب فأولئك يكون عامتهم وعلماؤهم وملوكهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لعصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

ان

إن هذه الأيام مبدأ لنهضة تقوم بها الأمم الاسلامية . فليخلع المسلمون ذلك الخلق وليلبسوا ملابس جديدة
وهل أتاك نبأ ماذكرته الجرائد فى هذه الأيام أيضا فانه بينما تأتى بأخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على ملكها
لأجل الاصلاح نجد جرائدنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد على باشا) بمناسبة وضع الحجر
الأساسى لمدرسة الطب بالجزيرة لمدرسة قصر العينى لأنهم أزمعوا أن يوسعوها ولهذه المناسبة ذكروا الطب إذ
ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد على باشا) لأنه أجاز للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون
وأن يكون للبلاد محجر صحى كما تفعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضى الله عنه وقد روى له أبو عبيدة
الحديث الدال على ذلك وقد تقدم ذلك الحديث فى (سورة الحج) عند آية ـ فكلوا منها وأطعموا القانع
والمعتر ـ الخ فأجابهم محمد على باشا بأن الأمم الاسلامية عملت هذا الحجر الصحى فقل الموت بالطاعون عندهم
ومن رفع صوته بعد ذلك غربته عن البلاد . فانظر لأمم الاسلام كيف يتبع السابقون اللاحقين . يقرؤن
قليلا من الدين ويعترضون على مالم يعلموه من نفس الدين . فالحجر الصحى فى حديث عمر وفى الاسلام وعند
الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينكره ثم الرجل الذى لا يعرف الدين وهو (محمد على) يأتى لهم بالحقيقة الموافقة
لنفس الدين ـ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ـ فعلماء مصر منذ مائة سنة هم هم
علماء الأفغان فى أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عوّده أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام فى أمة الاسلام . ومن عجب أن محمد على باشا
أرسل للعلماء خطابا يقول فيه ﴿ ان النبى ﷺ قال فر من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فعرف مالم يعرفه
أكثر علماء زمانه . فالحمد لله على نعمة العلم وعلى أن قيض الله للأمم الاسلامية نهضة حديثة بها سيكون
كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل وتحل محله أجيال أعلى مراما وأوفى ذماما والحمد لله
رب العالمين

﴿ الفصل الخامس فى أن ماكتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين ﴾

سألنى صاحبى قائلا هذه هى العلوم التى يدرسها الناس للتلاميذ وهم صغار فهل تعتبر ديننا اسلاميا واذا
قلت نعم كما هى طريقتك فهل تسمعنى ماينا سب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالى فى الإحياء
﴿ قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقه حتى انه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن
مسعود رحمة الله عليه لقد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد
تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ﴾ الى أن قال ﴿ ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء
بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ ﴾

وقال أيضا ﴿ ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على
أصحابه ويسرد الحديث سردا . انما كنا نقعد فنتذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله
علينا تفقها ﴾ قال الامام الغزالى فسمى تدبر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبى ذلك قال أريد من كلامهم أبين
من هذا بحيث تكون الطريقة التى اتبعتها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالى فى
الاحياء فى (باب التفكر) قال مانصه

﴿ ومن آياته أصناف الحيوان وانقسامها الى مايطير والى مايمشى وانقسام مايمشى الى مايمشى على رجلين
والى مايمشى على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد فى بعض الحشرات . ثم انقسامها فى المنافع والصور
والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من
العجائب مالا تشك فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا

أن نذكر عجائب البقة والنملة أوالنحلة أوالعنكبوت وهى من صغار الحيوانات فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى ألفها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى حذقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها الى حاجاتها . لم نقدرعلى ذلك فترى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أوّلا موضعين متقارب بين بينهما فرجة بمقدارذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ ويلقى اللعاب الذى هوخيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردّد ثانيا وثالثا ويجعل بعد مابينهما متناسباهندسيا حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى فى جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق أوالذباب ويقعد فى زاوية مترصدا لوقوع الصيد فى الشبكة فاذا وقع الصيد بادرالى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفى الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا فى الهواء ينتظرذبابة تطيرفاذا طارت رمى بنفسه اليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله (أقول وستراه فى سورة العنكبوت مفصلا تفصيلا) . ثم قال ومامن حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب مالايحصى . أفترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه أوتكوّن بنفسه أوكوّنه آدمى أوعلمه أولاهادى له ولامعلم . أفيشك ذو بصيرة فى أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم الظاهرة قوّته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلايشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادرالعليم . فالبصير يرى فى هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ماتتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائرالحيوان وهذا الباب أيضا لاحصرله فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة ثم اذا رأى حيوانا غريبا ولودودا تجدّد عجبه وقال سبحان الله ماأعجبه والانسان أعجب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لونظرالى الأنعام التى ألفها ونظرالى أشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة لأكثر الناظرالتعجب من حكمة خالقها ومصوّرها فانه ماخلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الامور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمّل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أومشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته ﴾ انتهى

هذا نص كلام الامام الغزالى فى هذا المقام . وقد جاء فى ﴿كتاب التفكر﴾ الذى ذكر فيه ماتقدم مانصه أيضا ﴿ قد أثنى الله على المتفكرين فقال تعالى ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا ـ وذكر فى حديث عائشة أن النبيّ ﷺ بكى وهو يصلى بالليل حتى بلّ لحيته ثم سجد حتى بلّ الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فقال ويحك يابلال ومايمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى علىّ فى هذه الليلة آية ـ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ـ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكرفيها * ونقل عن الحسن « تفكر ساعة خير من قيام ليلة » وقال ابراهيم « الفكرمخ العقل » * ونقل عن طاوس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى

وقوله تعالى ـ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ـ قال الغزالي معناه أمنع قلوبهم التفكر في أمري * وقال عمر بن عبدالعزيز « الفكر في نعم الله عزّ وجل من أفضل العبادة » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القلب خير من عمل الجوارح » إذن التفكر أفضل من جملة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكر أشرف من العمل . فقلت نعم وهذا اجماع العلماء « ان العلوم أفضل من الأعمال » فقال ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغة ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقدّمين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسمناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو اجماعهم فأما كون كلامهم فيه مبالغة أو أن الحديث صحيح أو ضعيف فهذا ليس مقام الكلام فيه وانما ملخص ما فيه أن هذا رأي المتقدّمين فأما الحديث فتشهد له الآيات كلها فاذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح ما نكتبه في هذه الآية وأمثالها اتماما لما ابتدأه علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صغار العلماء وصغار المتصوّفة وأعداء من الخارج كأمّة التتار وغيرها ثم لما أراد الله انقاذ المسلمين من الذّل وانه سيرفعهم الى العلا ألهم الأمم الاسلامية الحاضرة فهاهي ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جملة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد اعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عزّ وجل بها عليّ أنا وعليك أنت أيها الذكي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

﴿ موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام ﴾

أذكرك بما مضى أيها الذكي في أوّل (سورة المؤمنين) فاني نقلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولا من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالا في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليلات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضي عليها بالفشل بل صرّح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يعلو عن قيمة أقوال المرضعات والعجائز وأثبتوا اثباتا تاما أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الغرائز المودعة في الحيوانات . وأبانوا أن الكون محكم الوضع واحكام الوضع لابدّ له من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكابر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطلوا آراء صغار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقلدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنتقل من دودة الى شرنقة الى فراشة وتنتقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذّب مذهب القائلين بالتحوّل التدريجي الذي لا مستند له إلا الوهم لأن البط خلق منسوج الأرجل أوّلا ثم مشى لا أنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له النسيج بين الأرجل فارجع اليه هناك فهو واضح أشدّ الوضوح . أوليس من العجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا ونقلته لك عنه آنفا هو بنصه وفصه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعي علما ومعرفة * عرفت شيأ وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرؤا العلم كله واما أن تبقوا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وها هو ذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العالم وعجائب الخلقة وحكمة الخالق والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ إيضاح أتم لما تقدم ﴾

قال الامام الغزالى فى الجزء الأوّل من الإحياء مانصه

﴿ وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عزّ وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عزّ وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ فهومنه واليه و به وله فهوالكل على التحقيق ومن لايراه فى كل مايراه فكأنه ماعرفه ومن عرفه عرف أن كل ماخلا الله باطل وأن كل شئ هالك إلا وجهه لا أنه سيبطل فى ثانى الحال ان اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث انه موجودبالله عزّ وجل و بقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله تعالى ـ أفرأيتم ماتحرثون ـ أفرأيتم ما تمنون ـ أفرأيتم الماء الذى تشربون ـ أفرأيتم النار التى تورون ـ فلايقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنىّ بل يتأمّل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ماظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة فيتأمّل هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التى صدرت منها هذه الأعاجيب فلايزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع ﴾ . أقول وهنا أذكرك أيها الذكى بما تقدم قريبا هنا من ذكر قطرة الماء وانها عبارة عن ذرّات تعدّ بمقدار آلاف الآلاف و بينها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرّات عبارة عن كهرباء مضيئة والضياء حركات فى الأثير والحركات أعراض لاغير . إذن المادّة غير موجودة بنفسها . فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالى ولأقوال علماء العصر الحاضر . لقد تشابه القوم وان لم يجتمعوا زمانا ومكانا . ومن هنا تعرف تقارب العلماء فى الأمم . ونرجع الى كلام الامام الغزالى فنقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم فى القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم الى اخراج الحروف من مخارجها وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى القرآن

(٢) أو بسبب انه مقلد لمذهب سمعه بالتقليد وجدعليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرّد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلايمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد و بدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله . ولهذا قالت الصوفية ﴿ إن العلم حجاب ﴾ وأرادوا بالعلم العقائد التى استمرّ عليها أكثر الناس بمجرّد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم . والتقليد قد يكون باطلا كمن يعتقد فى الاستواء على العرش الاستقرار والتمكن فان خطر له مثلا فى القدّوس انه المقدّس عن كل مايجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقرّ ذلك فى نفسه ولو استقرّ لانجرّ ذلك الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن قال كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن وأشار الى أن الاصرار على الذنوب أو التكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذى

يفهم ذلك هو المنيب كما قال تعالى ـ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ وقال ـ وما يتذكر إلا من ينيب ـ وقال ـ انما يتذكر أولوا الألباب ـ

(٣) أو بسبب انه قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أن معانى كلمات القرآن لاتتناول إلا مانقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ماوراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار . قال فهذا أيضا من الحجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لاينافى قول علىّ رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن ولوكان المعنى هو الظاهر المنقول مااختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى ـ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع وذكر قول أبى الدرداء ﴿ لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها ﴾ وقول ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ يعنى الفهم فى القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التى ورد النهى فيها عن التفسير بالرأى

ثم قال ان أريد الاقتصار على المنقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعا من رسول الله ﷺ وذلك لايصادف إلا فى قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهو من أنفسهم فاذا أردنا أن كل مالم يقله النبى ﷺ فهو بالرأى وجب أن نقول انه بالرأى أيضا لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ ولاقائل به وأيضا ان الصحابة اختلفوا فى بعض الآيات بأقوال لايمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعا من النبى ﷺ ولوكان أحدها مسموعا لردّ الباقى . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا فى (الر) انها حروف من الرحمن أو ان الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا . وأيضا قد دعا ﷺ لابن عباس فقال ﴿ اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ﴾ فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهى عن التفسير بالرأى يرجع ﴿ لأمرين اثنين * أولهما ﴾ أن يقصد مبتدع التلبيس على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجهل ذلك وعلى كلا الحالين يميل فهمه الى الغرض الذى يرمى اليه فهذا حتما اتبع القرآن هواه وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ماأريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ ﴿ تسحروا فان فى السحور بركة ﴾ ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذى يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله تعالى ـ اذهب الى فرعون انه طغى ـ يشير الى قلبه ويومئ الى أنه المراد بفرعون ويستعمله الوعاظ فى المقاصد الصحيحة وهو ممنوع وتستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا انها غير مرادة به . هذا هو الرأى الفاسد الموافق للهوى ﴿ وثانيهما ﴾ أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ومافيه من الألفاظ المبهمة ومافيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه . انتهى ملخصا

فياأيها الذكى انما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التفكير فى التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وماهو التفسير بالرأى وما التفسير بالفهم وماالتفسير بالنقل ولست أكتب هذا لآخذ بكل مافيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقدمين فينشرح صدرك وتبلغ أملك

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ فصل فى قوله تعالى ـ لقد أنزلنا آيات مبينات ـ الى آخر السورة ﴾

وهذا الفصل مفصل الى أربع جواهر

﴿ الجوهرة الأولى ﴾ فى تقريع قوم وتوبيخهم من قوله ـ لقد أنزلنا آيات مبينات ـ الى قوله ـ وما على

الرسول إلا البلاغ المبين -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فى وعد الله المؤمنين بالتمكين فى الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار ولبئس المصير -

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فى آداب عامة كالاستئذان فى الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتى لايرجون نكاحا وكالإذن بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تعقلون -

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنوه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص الخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الخ

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين - ﴾

يقول الله تعالى بعد أن أبان جمال صنعه وبديع حكمه وحسن ابداعه وباهر نقشه ورقشه وأحاسن خلقه من الأنوار الباهرات والمحاسن الظاهرات وأضواء الكواكب وجمال الشموس وسناء البرق وأنوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأفئدة العامرة بالمعارف الساطع اشراقها وزينتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتملة على جواهر هذه العوالم مقتطفة مافيها من المحاسن وكأنها قائمة مقام المادة بحيث تحمل كل ماجلت من صور ونقوش وكأن الناس فى الأرض خلفاء ربهم قد كلفهم أن يعملوا ويعلموا متخلقين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع يذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مبينات للحقائق ودلائل الخالق وانه يهدى من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر فى معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وعمله وهذه العجائب فى الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لكل انسان فهمه بل الناس ﴿ فريقان ﴾ فريق لايرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولايعقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فألهمه الله وعلمه (والله يهدى من يشاء) هدايته لأنه على استعداد للهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوبخ طائفة كبشر المنافق الذى خاصم يهوديا فى أرض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد ﷺ وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فنزل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم - آمنا - وهم يدعون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدّقين (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبى ﷺ الذى حكمه فى الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم أنك لاتحكم إلا بالحق (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم (أفى قلوبهم مرض) كفر أو ميل الى الظلم (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام للذم والتوبيخ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فالأمر يرجع فى صدودهم الى النفاق أو الريب فى أمر النبوّة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لايخافون ظلمه ﷺ ولكنهم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبى ﷺ يأبى عليهم ذلك فلذلك لايريدون أن يتحاكموا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين فى مثل هذه الحال فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك (وأولئك هم المفلحون) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظالمون (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمران به (ويخش الله) لما صدر منه من الذنوب (ويتقه) فيما بقى من عمره (فأولئك هم الفائزون) أى بالنعيم

المقيم

المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطلق لفعل محذوف أى يجهد اليمين جهدا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول فقيل جهد اليمين أى جاهدين أيمانهم فهومنصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لئن أمرتهم ليخرجنّ) أى أقسموا لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لخرجنا (قل لاتقسموا) لاتحلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إنّ الله خبير بما تعملون) فلايخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ماحمل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ماحملتم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق فى طاعته (وماعلى الرسول إلاالبلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين

﴿ لطيفة فى قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - ﴾

إن تبيين القرآن قد ظهر اليوم أشدّ الظهور عند علماء الغرب ولأكشفه الآن هنا بموضوعين

﴿ الموضوع الأول محاضرة فى القرآن الكريم ﴾

(وأثره فى اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق)

ألقاهافى مؤتمر المستشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومندوب الحكومة المصرية والمؤتمركان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقون أعضاء والمحاضرات التى ألقيت بشأن مصر والاسلام (٤٤) محاضرة والمراد بمصر قديمها وحديثها وحضر من الألمان نحو (٧٠) عالما . والخطبة ألقيت فى يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ فى مدينة (أكسفورد) بانجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تتلوها مناقشة فى موضوعها فكان من المعجزات انها قوبلت بالاستحسان العام إذن علماء أوروبا الرسميون أقرّوا ما فى هذه الخطبة بالاجماع . وهاك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام و بعظمة نبينا ﷺ وهاهى ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

﴿ القرآن الكريم ﴾

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره فى اللغة العربية (٤) أثره فى الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية

(١) ﴿ وصفه ﴾

القرآن الكريم - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد - . - الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك و بالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون -

(٢) ﴿ محتوياته ﴾

احتوى القرآن مايحتاج اليه الانسان فى معاشه ومعاده - مافرّطنا فى الكتاب من شئ - ويمكن حصر ذلك فيما يأتى

(١) (العقائد) وهى مبينة فى الآيات التى توجب الايمان بالله واحد و بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هوالله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ـ

(٢) (الفرائض الدينية) وهي موضحة فى الآيات التى توجب الصلاة والصوم والحج الخ مثل قوله تعالى ـ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ـ (البقرة)

وقوله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ـ (البقرة)

وقوله تعالى ـ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ـ (آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهي مفصلة فى الآيات التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى ـ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ـ (آل عمران)

وقوله تعالى ـ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ـ (سورة النحل)

(٤) (الانذار والتبشير) فى الآيات التى ذكر فيها ما أعد للكافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى ـ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ـ (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى ـ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ـ (النساء)

(٥) (الجدل والتحدى) فى الآيات التى دعى فيها المخالفون الى الإتيان بآيات ولو مفتريات فعجزوا مثل قوله تعالى ـ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ـ (سورة البقرة)

وقوله تعالى ـ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ـ (هود)

وقوله تعالى ـ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ـ (الاسراء)

(٦) (القصص) كالذى ورد فى تاريخ الأنبياء والرسل وذى القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى ـ ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير ـ (سبأ)

وقوله تعالى ـ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم

لقد جئت شيأ فريّا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا * وبرّا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا * والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ـ (مريم)

(٧) (التشريع الاجتماعى) وهو فى الآيات التى توجب الزكاة واخراجها لمستحقيها مثل قوله تعالى ـ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرّقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ـ (التوبة)

وقوله تعالى ـ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فانّ الله به عليم ـ (البقرة)

(٨) (التشريع السياسى) وهو فى الآيات التى توجب الطاعة لأولياء الامور والوفاء بالعهود والمواثيق مثل قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ـ (النساء)

وقوله تعالى ـ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقدجعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون ـ (النحل)

(٩) (التشريع الجنائى) وهوماجاء فى الآيات المبينة للحدود والقصاص مثل قوله تعالى ـ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص ـ (المائدة)

(١٠) (التشريع المدنى) وهوماتكفلت به آيات الربا والميراث وما أومأ اليها مثل قوله تعالى ـ وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلايربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ـ (سورة الروم) وقوله تعالى ـ يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم ـ (البقرة)

وقوله تعالى ـ يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كنّ نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمّه الثلث فان كان له اخوة فلأمّه السدس من بعد وصية يوصى بها أودين آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما * ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد فان كان لهنّ ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين ولهنّ الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهنّ الثمن مماتركتم من بعد وصية توصون بها أودين * وان كان رجل يورث كلالة أوامرأة وله أخ أوأخت فلكل واحد منهما السدس * فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضارّ وصية من الله والله عليم حليم ـ (النساء)

(١١) (التشريع الحربىّ) وهو فى الآيات التى تؤذن بالقتال وتشير بالسلم وتبين معاملة الأسرى وتوزيع الفيء مثل قوله تعالى ـ واما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لايحبّ الخائنين * ولايحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لايعجزون * وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوفّ اليكم وأنتم لاتظلمون * وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هوالسميع العليم ـ (الأنفال)

(١٢) (المواعظ والارشاد) وهى فى الآيات المشتملة على الأمثال والحكم مثل قوله تعالى ـ ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من

قرار - (ابراهيم)
وقوله تعالى - ولايحيق المكر السيئ إلا بأهله - (فاطر)
وقوله تعالى - قل كلٌّ يعمل على شاكلته - (الاسراء)
وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون - (البقرة)
وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (المدّثر)
وقوله تعالى - لايكلف الله نفسا إلا وسعها - (البقرة)
وقوله تعالى - واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديدالعقاب - (الأنفال)
وقوله تعالى - لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مماتحبون وماتنفقوا من شئ فان الله به عليم - (آل عمران)
وقوله تعالى - وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى - (النجم)
وقوله تعالى - إنّ الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم - (الرعد)

(٣) ﴿ أثره في اللغة العربية ﴾

(١) كان لقريش عظيم الأثر وكبير الفضل فى توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلادالحجاز التى كانت محط رحال الحجاج والتجار فكان يجتمع فيها أكثر أشراف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء للمفاخرة بالشعر والخطب فى الحسب والنسب والفصاحة وغيرذلك فأخذت قريش المستعذب من لهجات العرب حتى لطفت لهجتهم وجاد أسلوبهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خير الكلام . وكان طبعيا أن ينزل القرآن بلغة قريش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرشيّ وليكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قريش بكثير من خصائص الزعامة وأقرّ لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرّوا مثل ذلك فى كلام الله تعالى

(٢) لونزل القرآن بغير لغة قريش التى ألفها النبيّ ﷺ ماكانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن وكلام النبي ﷺ ولكان ذلك مدعاة الى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهبا للقول فيه فتنشق الكلمة

(٣) ائتلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤه بلحونهم مع بقائه على فصاحته فى الوضع التركيبي وتلك سياسة لغوية جمعت العرب على منطق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثرالبيّن فى توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها وألفاظها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمرا طويلا

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلا كاملا ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طالبوه مهما فرّقت بينهم الأسباب المتباينة . وقدكانوا قبل ذلك تتوهم كل قبيلة منهم أنها أسلم فطرة فى اللغة وأوضح مذهبا فى البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون اليه ولم يكن فى طوق انسان أن يقيس قدرة أقوام وعجزهم فى أمر معنويّ كاللغة إلا اذا كان بالغاحدّ الكمال ولما كان الكمال لله وحده كان كلامه جلّ شأنه هوالمثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بألسنتها . وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتواتر أداء القرآن الكريم حفظ لنا كيفية الأداء العربيّ

(٧) إن الشعوب العربية فى مصر وسورية و بلادالمغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن تختلف لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافا قليلا أوكثيرا بنسبة البعد بينهم والاختلاف فى أحوالهم . ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل فى فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية

والاسبانية

والاسبانية والطليانية وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين فى اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها فيما يكتبون ويخطبون جعل فى لغاتهم المولدة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد

(٤) ﴿ أثر القرآن فى الأحوال الاجتماعية ﴾

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفرقة وتشتت الألفة واختلفت كلمتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذل الأمم دارا وأجدبهم قرارا لايأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل ألفة يعتمدون على عزها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا فى بلاء عظيم من جهل مطبق و بنات موؤدة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاؤا بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم واتفقت أهواؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم وأصبحوا ينعمون فى ظل سلطان قاهر ثابت وصاروا حكاما على العالمين وملوكا فى أطراف الأرضين قد ملكوا الامور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم

جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصبية الجاهلية فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وذهب بجل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابه نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا سلالة أجيال كان القرآن فى أوليتهم المتقادمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم »

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية الممقوتة وأحل محلها التعصب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور وخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البغى والاعظام للقتل والانصاف للخالق والكظم للغيظ واجتناب الفساد فى الأرض

لهذا كله انعقدت عليه قلوبهم وهم يجهدون فى نقضها واستقاموا لدعوته وهم يبالغون فى رفضها فكانوا يفرون منه فى كل وجه ثم لاينتهون إلا اليه . ذلك بأنه قد جاءهم بما لاقبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء فى علم النفس فغلب على طباعهم وحال بينهم و بين قديمهم

ولعمرى لوكان القرآن غير فصيح أوكانت فصاحته غير معجزة فى أساليبها التى ألقيت اليهم لخلا منه موضعه الذى هو فيه وكان سبيله بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ولنقضوه كلمة كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أوتتراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعليهم كشف مافيها واستخراج أسرارها ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ـ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ـ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ـ (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبى ﷺ ابن يومه وابن عمله وعقله . فلاهو مفاخر ولاواهم ولاشاعر وخاطبهم بالآية الكريمة التى هى روح الثبات فى أمم العلم والعمل ـ وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ـ

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الانحلال الاجتماعى بما لم يعهد له مثيل فى تاريخ الأمم فكانوا فى جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فن يذكر أوصناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيأ من العلاقات الدولية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفز لشن الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتلمسون الحق وتصبو نفوسهم الى رفع مناره ونشره فى أطراف الأرضين

قد بلغوا فى العبادة مبلغا بذوا به أهل الرهبنة والتنسك وصاروا اولى قوة فى دين وحزم فى لين وايمان فى يقين وحرص فى علم وعلم فى حلم وقصد فى غنى وخشوع فى عبادة وتجمل فى فاقة وصبر فى شدة وطلب فى حلال ونشاط فى هدى وتحرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه الدرجة الروحية العالية لم يهجروا الدنيا وشؤنها بل عملوا لها بصدق واخلاص فأبدلهم الله العز مكان الذل والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان تعجب فعجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب فى أقل من مائة سنة . وفى هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق الى تنمية الملكات الانسانية واعدادها لكسب الحياتين الدنيوية والروحية فقد جعل الأمة العربية تضع أعناقها للحق الذى لم تألفه حقا وأن تعطيه مع ذلك محض ضمائرها وتسلم له فى تاريخها وعاداتها . إن نظرة بامعان فيما جاء به القرآن الكريم من الآيات البينات تدل على أنه ليس هناك فى الانسان من نقص إلا والقرآن كفيل باصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أحذق الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه فحسب بل من يستطيع مداواة أعظم الأدواء فى أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره فى العرب أنه حوّل طبائعهم وغير أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأوّل فى صدر الاسلام حين كان القرآن هو المنار الذى يهتدى به ولم تستطع الفلسفة على اختلاف ضروبها فى أى عصر من العصور أن تنشئ جيلا من الناس كالذى أخرجه القرآن الكريم فكانوا مثلا حسنا فى علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين وطهارة الخلق وشدّة الأمانة واقامة العدل والخضوع للحق وماماثل الى ذلك من أمهات الفضائل

﴿ محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر ﴾

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفر قسط من الاصلاح فى أقصر زمن عرفه التاريخ فلابدع أن كان الذى نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل الى كل أمة آنا بعد آن هاديا يرشدهم ويصلح حالهم فيدوم النور الذى جاء به زمنا ثم يخبو قليلا قليلا حتى اذا كاد ينطفئ أنقذ الله هذه الأمة برسول بعده يجدّد لها الهداية

وقد توالت الدهور والأحقاب والأمم منفصلة بعضها عن بعض زاعمة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله ـ تعالى عما يقولون علوّا كبيرا ـ حابى بعض الأمم وخصها بمزايا لم يمنحها غيرها

من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضى على ماخالج نفوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخلالا ودينا وأن تجعل من الانسان جسما واحدا فمنّ الله على الخلق جميعهم برسول عام معه رسالة عامّة وهكذا كانت رسالته عامّة لايخصصها زمان ولا مكان ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ـ

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصابيح كل منها وضع فى حجرة لايضيء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة الى هذه المصابيح المحدودة المدى وليس فى مقدور أى نور آخر أن يخلف هذه الشمس

بعث كل رسول ممن تقدّموا المصطفى ﷺ لتهذيب أفراد أمّته وجعلهم صالحين لتكوين أمّة متجانسة . ولعمرى هذا عمل جليل . غير أن محمدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمّة واحدة متكافئة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خلق معين فى أمته فكانت حياته أسوة للخلق الذى أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتنمية الفطرة الانسانية جميعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائزها وكانت حياته العملية ﷺ ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بتقويم أخلاق بنى الانسان جميعها ولذلك كان مثلا كاملا

للانسانية

للانسانية اجتمعت فيه الفضائل التى كانت فى أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان و بساطة يحيى ورحمة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام

(٢) إن كانت العظمة تتحقق باصلاح أمة قد وصلت الى غاية الانحلال الاجتماعى فليس هناك من يبارى محمدا فى أنه أنقذ الأمة العربية من هاوية الدمار وجعلها مصابيح الحضارة والعرفان . وان كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تأصلت فيها الفرقة وتمكنت منها العداوة والبغضاء فمن يجارى محمدا فى أنه جمعهم تحت ظل الاسلام إخوانا متساندين ـ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ـ

كان مثل العرب فى تفرقهم كمثل رمال بلادهم فلاءم الاسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لاتؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق باقامة ملك الله فى الأرض فمن يطمح الى منافسة محمد ﷺ فى أنه نكس الأصنام وأبطل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتوحيد والنور

إن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذى ينكر على محمد أن أعداءه وأصدقاءه أجمعوا على تسميته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح و بسط الملك فالتاريخ أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ يتيما لاقوة له ثم صار فاتحا عظيما أسس أعظم دولة لبثت ترد مكايد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا

إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار الصيت فمن يجارى محمدا فى ارتفاع اسمه الذى تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين فى أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الاخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

﴿ أثر القرآن الكريم فى الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المربى الأول الذى يتعلم فيه الانسان الآداب الخلقية ويألفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين ـ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلاتقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ـ ولم يرخص فى عصيانهما إلا اذا أرادا أن يحملاه على الاشراك بالله ـ وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ـ

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذى بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الامور ـ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ـ وليس المراد بأولى الأمر الحكام فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا . يشير الى ذلك قوله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته »

ومن هذا يتبين أن دين الاسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتث بذلك أصول الفوضى والمخالفة و يثبت دعائم الطاعة . بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هى التقوى وقد دل تصفح الآيات الكريمة التى وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتقى الانسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره لتكون حدود المساواة قائمة فى المجتمع الانسانى لاتحصل فيها ثلمة ولايطرأ عليها وهن ـ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ * وقد جاء فى الحديث ﴿ لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ﴾ والآية صريحة فى أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هى التعارف وتلك كلمة لاتشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة ولا يمكن أن تدخل فى مدلولها رذيلة اجتماعية . وفى هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلقى العظيم لجعل أكرم الناس المتساوين فى الحالين الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أى أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولاأكثرهم

رجالا ولا أثقبهم فكرا ولاأعظمهم علما ولاشيأ من ذلك مما لايصح أن يكون سببا للتفاضل إلا فى إدبار الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هى الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان العدل فى رأى القرآن أقرب شئ الى التقوى إذ يقول الله جل شأنه ـ ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ـ وقد ردّ القرآن مظاهر التقوى الى ﴿ ثلاثة أشياء ﴾ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هى المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى ـ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ـ والمعروف كل مايعرفه العقل الصحيح حقا ولايتأتى الأمر بالمعروف إلا اذا توافر استقلال الادارة (كذا) وقوّتها. والمنكر هو ماينكره العقل الصحيح ولايمكن النهى عن المنكر إلا باستقلال الرأى وحرّيته والايمان بالله هو الاعتقاد بوجوده ووحدانيته ولايتم ذلك إلا اذا استقلت النفس من أسر العادات والأوهام بالنظر والفكر فى مصنوعات الله وهذا هو الايمان الذى يبعث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بثقة إلهية لايعترضها شئ من عوارض الاجتماع التى تعترى الناس من ضعف الطباع الانسانية كالجبن والنفاق وإيثار العاجلة وماإليها فان هذه الصفات لاتتحقق مع صحة الايمان بل هى أنواع من العبادة للقوى والمستبد وللشهوات والنزعات وماشابهها وذلك لايتفق والايمان الصحيح بالله . ماتدبر أحد القرآن إلا وجده يمنح كل انسان ارادة اجتماعية أساسها الحرّية ـ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ـ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل ـ ولذلك لما اتخذه الجيل الأوّل فى صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعارا لهم حقق لهم هذه الارادة الاجتماعية . ولو أن العلوم كلها والفاسفة وأهلها كانت لأولئك العرب مكان القرآن ما أغنت عنه شيأ لأن الفضيلة العقلية التى أساسها العلم لاتوصل حتما الى الارادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التى جاء بها القرآن فانها تسوق الى الارادة العملية لأن هذه الارادة مظهرها ولاسبيل لظهورها غير العمل . ومتى صحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته فى الجماعة فقد صار بنفسه جزأ من عمل الأمة والأمّة التى تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية فى تاريخ الاجتماع

والمتأمّل فى القرآن الكريم يرى أن جميع آدابه وعظاته ترمى الى بثّ الروح الاجتماعيـة فى نفوس أهله فكانت هذه الروح هى السبب الأوّل فى انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالتتار والمغول وغيرهم ممن اشتدّوا عليه ليخذلوه فكانوا بعد ذلك من أشدّ أهله فى نصرته والغضب له . ليس للقرآن طرائق للدعوة اليه إلا الأسوة ـ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ـ فالأسوة او القدوة مظهر آدابه ولذلك كان كلما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة اليه وان لم ينتحلوها و يعملوا لها وما استحث أحدا بالعطايا لأنه الدين الطبعىّ للانسان تأخذ فيه النفس عن النفس بلاوساطة ولاحيلة فى الوساطة . وما أفصح ماورد فى صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ ﴿ فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل ﴾

﴿ أثره فى الحال العلمية ﴾

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسعه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الاسلامية وأن النهضة الاسلامية هى التى لها الفضل فى حفظ علوم الأوّلين وتهذيبها وتصفيتها وهى التى أوسعت المجال للعقل يبحث ويناظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمى فى أوروبا . انفرد القرآن بأنه هو الذى حرّر العقول البشرية من أصفاد الجمود والرّق وحفز النفوس البشرية وساقها الى قراءة صحف الكائنات وتدبر مافيها من الصنع البديع . القرآن هو الذى ساق النفوس الى تقصى غوامض الكائنات والتنقيب عن دفائنها وبين لهم أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلا ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ ثم دلهم على

مواطن

مواطن التفكير والبحث و بين للناس بضرب الأمثال فيم يفكرون فقال جلّ شأنه - ومن كل شئ خلقنا زوجين - سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون - وجعلنا من الماء كل شئ حىّ - الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ - كلٌّ فى فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقق السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذى أعدّ العقول لفهم الفلسفة الاغريقية ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما نفور ولامشادّة فقد كرّم العلم ونوّه بالعقل وذمّ الذين يعطلون عقولهم و يتبعون أهواءهم إذ يقول فى شأنهم - لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون - إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لايعقلون - ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولوكانوا لايبصرون - ولاتقف ماليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا - قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون - نحن أعلم بمايقولون وماأنت عليهم بجبار * فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه فى الدين - إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر - . القرآن هو الباب الذى خرج منه العقل الانسانىّ الكامل بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار - وفى خلقكم ومايبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون - ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم -

كانت هذه الآيات وأشباهها سببا فى اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى مافيه صلاحه . القرآن هو الذى أوجد العدد الجم من أعاظم المؤلفين فى العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلكية وغيرها . ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم؛ فنهم قوم عنوا بضبط لهجاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالمعرب والمبنى وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو . وقوم شغفوا بما فيه من الأدلة العقلية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها مايقتضى العموم ومنها مايقتضى الخصوص ومنها ماهو مطلق؛ ومنها ماهو مقيد ومنها ماهو مجمل الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الاصول وتلمست طائفة مافيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص . وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ . وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات المواريث . ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميقات

من هذا يتبين أن القرآن الذى نزل فى البادية على أمىّ وقوم أمّيين لم يكن لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم وكانت فنون القول التى يذهبون فيها مذاهبهم لاتتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم مكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى ممر السنين أخرجوا من كل علم فرعا حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه فى الحضارة الاسلامية التى أنجبت الحضارة الحديثة

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

لايزال الباحثون فى القرآن الكريم يستخرجون منه مايشير الى مستحدثات الاختراع ومايحقق بعض غوامض العلوم . فمن ذلك قوله تعالى ـ أولم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ـ مما يؤيد ماحققه العلماء من أن الأرض انفتقت من النظام الشمسى وقوله تعالى ـ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ـ مما يدل كما أثبته العلماء على أنه لولا الجبال لمادت الأرض ببحارها واضطربت بأمواجها ولما طاب للانسان بها مستقر

وقوله تعالى ـ وجعل الشمس سراجا ـ وجعلنا سراجا وهاجا ـ مما يؤيد ماحققه العلم من أن الشمس جسم مشتعل تبث النور والنار من ذاتها وترسلها الى سياراتها المرتبطة بها

وقوله تعالى ـ يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ـ مما يشير الى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للانسان

وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط مافيه من الأسرار على اختلاف الأحقاب والدهور لأن الذى جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولاحاجة بالكمال الانسانى لغير العقول ينبه بعضها بعضا . ولذلك يقول الله تعالى ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ـ فلو محصت جميع العلوم الانسانية ماخرجت فى معانيها من قوله تعالى ـ فى الآفاق وفى أنفسهم ـ . وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت الاشارات التى انبثت فى ثنيات القرآن ـ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ـ اه

هـذه هى الخطبة التى تضمنها قوله تعالى ـ لقد أنزلنا آيات مبينات ـ فهذا هو التبيين القرآنى الذى به أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا فى هـذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وانه ﷺ أعظم العالم . انتهى الموضوع الأول

﴿ الموضوع الثانى ﴾ هو مانشرته ﴿ المجلة الاسيوية الفرنسية ﴾ من اعظام هذا الدين واقرار هؤلاء العلماء بأنه دين الفطرة بمناسبة تقريظ كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وأنا اخترت أن أثبته هنا قبولا لنعمة الله وقياما ببعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم ونعمة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا التقريظ الذى سأكتبه هنا انما كتب سنة ١٩٠٨ أى منذ عشرين سنة وفى ذلك الزمن لم يكن لى تفسير للقرآن وانما هو كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وهو عبارة عن ملخص للعلوم العصرية ممزوج ببعض الآيات القرآنية فلقى من هؤلاء العلماء الآتية أسماؤهم اعظاما واجلالا للقرآن وتقريظا للكتاب . أفلا أحمد الله عز وجل إذ عشت حتى وفقنى هو لهذا التفسير فلأثبت مقالتهم هنا تفسيرا لقوله تعالى ـ لقد أنزلنا آيات مبينات ـ فهذا التبيين فى خطبة صديقى (جاد المولى بك) واجماع علماء أوروبا الرسميين على عظامة التبيين فى القرآن والتبيين الذى جاء فى كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ كلاهما مصداق لقوله تعالى ـ ثم إن علينا بيانه ـ وقوله ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ وهاك نص هذه المقالة

﴿ تقريظ كتاب نظام العالم والأمم ﴾

(الجمعية الاسيوية الفرنسوية والشيخ طنطاوى جوهرى والاسلام)

دهشت الجمعية الاسيوية الفرنسوية من ظهور الحقائق فى كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فلذلك نشرت الجمعية المذكورة التى تدار بجمع من فحول الدكاترة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الآتى أسماؤهم

(١) المسيو باربيه منار (٢) ا.بارت (٣) ر.باسى (٤) شاقايه (٥) كليزمون جانو (٦) هالفى (٧) هيبارت (٨) ماسبيرو (٩) ريبنس ريفا (١٠) سيتار بمجلتها التى صدرت فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٠٨ نمرة (١) مقالة ضافية الذيول تحت العنوان الآتى

(الشيخ

﴿ الشيخ طنطاوى جوهرى أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم والأمم ﴾

(أوالحكمة الاسلامية العليا (المجلد الأوّل) وعدد صفحاته ٤٣١ نشر فى القاهرة سنة ١٩٠٥ م)

إن كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ الذى ظهر المجلد الأوّل منه هو أحد كتب عديدة ألفت للنشأة الحديثة الاسلامية، وهذه الكتب بناها المؤلف على ﴿ نظريتين اثنتين * أولاهما ﴾ أن الدين الاسلامى دين الفطرة أى ملائم للعقول الانسانية وموافق للطباع البشرية ﴿ ثانيتهما ﴾ أن هذا الدين على مقتضى ماقرّره المؤلف يسوق الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله الناظمة لعقده

ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه ﴿ الزهرة ﴾ وأبان فيه أغراض الكتاب بجزأيه وهى (تسعة مباحث) شرحها شرحا وجيزا فى زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لدراسة الكتاب ونبتدئ الآن بايراد مافى الكتاب من المباحث باختصار فنقول ان مباحثه ﴿ تسعة * الأوّل ﴾ ان الانسان مسوق بغريزته للعلوم عاشق للحكمة وكيف ان هذا الميل العجيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية فى نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد وايصالها الى أبعد غاية بل الى مالايتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتوالية ثم طبق ذلك على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به الى الفلك فحسب الأجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى الله عزوجل مبدع الخلائق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله ﴿ الثانى ﴾ بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والهيئة ﴿ الثالث ﴾ درس علم الطبيعة مع ايضاح قوانين (نيوتن) و (كبلر) ﴿ الرابع ﴾ مبحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات ﴿ الخامس ﴾ مبحث مسهب فى الحيوان وسلسلة ارتقائه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب و بين مذهب (داروين) من علماء الافرنج فى ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى انه لم يأل جهدا فى ايضاح مايسميه (داروين) بقاء الأصلح والأوفق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن بعض بنسبة عجيبة . وقد ذكر المؤلف أن مذهب (داروين) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان وأنه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا (المادّة الأثيرية . العناصر . المعدن النبات . الحيوان . الانسان . الملك) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والفيل والبلبل والحصان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه (داروين) ويقول المؤلف ان مذهب (داروين) محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التى شرحها العرب وأن (داروين) ربط مابين الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من ﴿ وجهين * الأوّل ﴾ ضعف الرابطة ﴿ الثانى ﴾ قصور البحث على قوس من الدائرة ﴿ السادس ﴾ علم التشريح أى تشريح الجسم الانسانى ﴿ السابع ﴾ علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكاتها وتأثيرها فى العالم فى جميع الأزمان ﴿ الثامن ﴾ الوحدة العامّة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأمّة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأمة منطبق تمام الانطباق على هيئة نظام هذا الكون المتقن . وقد أثبت ذلك بايراد آيات قرآنية و بآراء قدماء الفلاسفة كفيثاغورس والعلامة الفيلسوف الفارابى ﴿ التاسع ﴾ فى العمران الاسلامى والسعادة والحرّية وجدول للعلوم والفنون التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتمحيص لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لدراسة أحوال الأمم شرقية وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى (الوحدة العامّة) عجيبة بفطنة وحكمة وذكاء عجيب ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملائمة كل الملاءمة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والصورة الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة فى الطبيعة وهى نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التى بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامّة . وكما أن الواحدنشأ عنه جميع الأعداد التى لاتتناهى فهكذا نشأت الأنواع التى لاتنتهى من فعل الله عزّوجل (صفحة نمرة ٩٠ ومايليها) ولاجرم أن هـذه منطبقة تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج فى سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى بردّ كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس

ولقد أنحى المؤلف على جملة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورماهم بجهـل مقصود القرآن وخواه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامى إذ ظنوا أنه وحده ينجى فى الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين بنبوغهم فى العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض الحقيقى منه . إن القارئ لهـذا الكتاب يصادف عجبا عجابا فيه وأمرا مدهشا غريبا . يرى أن المؤلف يقارن مابين معجزة خليل الله ابراهيم المذكور فى القرآن وهى آية الطير وابراهيم ـ واذ قال ابراهيم ربّ أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ اليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم ـ (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصـة و بين التحليل والتركيب الكيماويين للماء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه و يصدّق بطريق الحسّ والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بندائها فحييت باذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام فمن مهارة المؤلف المدهشة مقارنته لهـذا بالتحليل والتركيب الكيماويين . وحقيقة انه لافرق بينهما و بذلك صارعلم الكيمياء من دلائل اليقين فى التوحيد الاسلامى فصارطلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به و بالجملة فان المؤلف بتفسيره العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لآيات القرآن يثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعانى القرآن و يستدل على ذلك بآيات من الكتاب المقدّس (القرآن)

صرّح المؤلف فى (صفحة نمرة ٦١) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما و يفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشدّ الاثم لشدّة حاجة المسلمين لذلك . وأكدفى (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تنافى القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأمرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم تمنى المؤلف أن تغرس بذور الفضائل الاسلامية فى عقول المسلمين بعناية تامّة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنيـة الغربية لأبنائها والمفاسـد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بلالجام يكبحها ولازاجر يردعها

وقد شبه المؤلف مجموع الأمّة بآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها و يدوم عملها إلا بصـلاح كل جزء منها أوّلا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لاتدوم إلا بقوّة كل جزء منها و بحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأمّة لادوام لهـا إلا بصلاح أفرادها أوّلا و بالنظام الشامل والدستور المنظم لأجزائها المبنى على العلم و بالحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء . فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبارة عالية ثمينة و بلاغة باهرة تترقرق حسنا وتفيه عجبا تكاد تسيل سلاسـة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاما مملوءة حياة وحكمة . وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لماتقدّم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفى الانكليز مثـل (أفبرى) و (سبنسر) و (داروين) وبحث فى الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجمع زبدة آراء

جميع العصور المختلفة وحصرها فى كتاب صغير بعبارة جميلة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة أينما وجدها الشيخ طنطاوى جوهرى رجـل فيلسوف حكيم بمقدار ماهو عالم بالدين و بهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جمودا معيبا أدّى الى انحطاط المدارك الاسلامية فى الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية . فبهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسـلامية عموما وعشاق البحث من كل أمّة ويحاول ازالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسـلامية وتحرير عقولهم من الجمود المخيم عليها فى جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لايخص مذهبا دون مذهب ولامملـكة دون مملـكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام فى الـكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المعارف والعلوم والمدنية والحضارة . انتهى

و بعد أن انتهت المجلة من تقريظها كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ كتبت كلمة عن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ ترجمنا منها مايأتى

هذا المؤلف أهدى الى (الميكادو) ليقدّم الى مؤتمر الأديان الذى انعقد فى سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن احالة المؤلف بالاشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فى كثير من مباحث الـكتاب يدلنا على أن الـكتابين يرميان لغرض واحد وأن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ كتتمم ﴿ لنظام العالم والأمم ﴾

وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمـه الى اللغات الاوروباوية فى حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركية ونشره فى فارس والروسيا وختم مقدّمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله الى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . ان القارئ لهذا الـكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الغرض والتعصب فانه يجدها منطبقة تمام الانطباق على الدين الاسلامى . انتهى التقريظ . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والمرحوم صالح بك حمدى حماد

﴿ أنواع تبيين القرآن فى الارشاد خاصة ﴾

اعلم أن ما تقدّم من الخطبة التى ألقيت فى جماعة المستشرقين وماذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية انما ذلك فى التبيين العام ، أما التبيين فى الارشاد خاصة فانه على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تبيين هوموعظة وتبيين هو مجادلة وتبيين هو حكمة كما قال تعالى فى (سورة النحل) ـ ادع الى سبيل ربك بالحـكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ـ فهل تحبّ أيها الذكى أن أحدّثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدّثك لأن الله اختصر الـكلام فى القرآن وفى حديث رسول الله ﷺ كما ورد ﴿ أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الـكلام اختصارا ﴾ فاذا أطلت الحديث فهو جميـل و بيان قال تعالى ـ وأنزلنا عليك الـكتاب تبيانا لـكل شئ وهدى ورحـمة و بشرى للمسلمين ـ . أما الموعظة الحسنة فمثل ـ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ـ الخ ومثل آية الـكرسى ـ الله لاإله إلا هو الحىّ القيوم ـ الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فعظمته من حيث قدرته فى قوله ـ له مافى السموات ومافى الأرض ـ الخ وعظمته من حيث علمـه فى قوله تعالى ـ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ـ الخ وهـذه تـكفى للعموم . وأما المجادلة بالتى هى أحسن فمثل قوله بعدها ـ ألم تر الى الذى حاجّ ابراهيم فى ربه ـ فان ملخصها محاجة ابراهيم عليه السلام للنمروذ ببابل ولما كان الجدال يجب أن يكون فى موضوع يقرّبه الخصم اذا سمعه والقوم كانوا صابئين يعبدون الـكواكب ذكر له ابراهيم عليه السلام سير الشمس فأعجزه إذ قال له اذا قتلت رجلا مجرما وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إماتة وإحياء فماذا تفعل بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلتأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت

الذى كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لالزام الخصم . وقد قال العلماء انها لاتكون إلا مع المعاندين وهم ليسوا فى الدرجة العليا من التفكير ولم يبقوا مع العامة يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالحجة تقام لهم فاعجب كيف ذكر الله ذلك فى (سورة الأنعام) فقال ـ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ـ فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله ـ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ـ وانما وجهه له لأنه وجد الكوكب آفلا والقمر آفلا والشمس آفلة فقال أنا لا أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون والمنتقل حادث فكيف أحب من يغيب عنى والله لايصح أن يغيب عنى لأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة عن عناصر ترجع الى ذرات كهربائية والكهرباء والنور حركات فى الأثير والحركات أعراض فلولا أن هناك ممسكا لها يدبرها و يثبتها لم يكن لنا وجود ـ كل شئ هالك إلا وجهه ـ فكيف أحب ما حركته وانتقاله دالان على أن وراءه من له الحكمة والجمال والعلم والقدرة والتصرف والحب انما يتوجه الى القوة والجمال والعلم وأى قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى اوسع مع الدوام فى ذلك كله إلا فى الله . لذلك وجهت وجهى اليه ولذلك قال تعالى ـ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ـ فهذه الحجة المذكورة فى الأنعام هى المعبر عنها بالحكمة فى (سورة النحل) ولم يقل الله فى محاجة النمروذ ذلك فلا ذكر انها حجة ولا قال بعدها ـ نرفع درجات من نشاء ـ بل قال ـ فبهت الذى كفر ـ وهذه من أعجب وأبدع ماجاء فى القرآن من اللطائف وانما لم أكتبها فى (سورة البقرة) أو فى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح علىّ بها إلا الآن فى هذه الآية مع انها بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادى القائل فى هذه السورة ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ فلنسر على هدايته ونكتب ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين

ومن الحكمة التى لاتعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتى لم تظهر ثمرتها إلا فى زماننا اظهارا لمعجزات القرآن الحكيم وقد كانت مجملة غير مفصلة فى الأزمان الغابرة ماجاء فى (سورة البقرة) أيضا بعد آية الكرسى ببضع آيات إذ يقول الله فى ثنايا الكلام على الانفاق والتحريض عليه ـ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر إلا أولوا الألباب ـ فاعجب للقرآن الذى يبين للناس أمورا دقيقة مثل هذه المسألة . ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجلى بيان (إقرأ كتابى أين الانسان) الذى أرسلته لمؤتمر الأجناس . ألم تر أن البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصلت الى أقصى مايصل اليه الامكان و بأن الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانسانى يكون كله متعاونا وأن التقصير فى هذا ضارّ بالمجموع . إذن انفاق المال للفقراء الوارد فى شريعتنا الغراء جزء من المساعدة العامة للانسانية فالشرق والغرب يظهور آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصبحون فى سعادة لم يحلم بها الأولون وهناك يظهر سرّ قوله تعالى ـ حتى تضع الحرب أوزارها ـ وسر أنه ﷺ رحمة للعالمين وأى رحمة أعظم من أن تنزل آيات محرضات على بذل المال للمنافع العامة ثم يدخل فى غضون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هى الخير الكثير وأن هذه الحكمة لايتذكرها إلا أولوا الألباب . فالحكمة أجلّ شئ يبتغى ولماذا يذكرها الله عند التحريض على الانفاق ولم يذكرها فى موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال فى الصلاة ـ إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ـ ولم يذكر الحكمة بعدها كما صنع فى آية الانفاق ولم يقل ان الحكمة خير كثير ولم يمدح أولى الألباب بعدها . فلعمرك ما ذاك إلا لما اندمج فى مسألة الانفاق من المساعدة العامة والشيطان من عادته أن يفهم الانسان أن المدار على سعادته وحده وعلى منفعته الخاصة والله يحب منا منفعة العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادنا أيضا . فالنفع العام أدخل فى اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع

الخاص

الخاص . وملخص هذا أن الناس ﴿ قسمان ﴾ قسم لايحب الانفسه فيسعى لها وهو لايبالى بالمجموع وقسم يسعى للمجموع مع محافظته على نفسه . فالأوّل خال من الحكمة والثانى متصف بها . والأوّل تعاليمه شيطانية والثانى تعاليمه حكمية والاسلام جاء للحكمة العامّة لا للخاصة وقدنشر فى الشرق والغرب فى مدّة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أمم لاتعرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلماء قنعوا من الدين ببعضه وعكفوا على شهواتهم وسخروا الأمم لها فقال الله لهم كفوا أيها المسلمون ودعوا حكم عبادى وسأنشرالاصلاح فى الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح فى أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الأمم باوروبا وقدقدّمت لك أن هذه لم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لامعنوية وقد ذكرت هذا المعنى فى أوّل (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) فى خطبة له بمصر ذكرتها عند قوله تعالى ـ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ـ الى قوله ـ وان هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا ـ فارجع اليه فى (سورة المؤمنون) . فهاهوذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانسانى هم ومن معهم من الأمم وهنالك تظهرالحكمة فى قوله تعالى فى (سورة البقرة) ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ الخ الذى هوقسم من أقسام الحكمة المذكورة فى (سورة النحل) الداخلة فى قوله تعالى هنا ـ لقد أنزلنا آيات مبينات ـ . فهذا هو التبيين فى القرآن . ففى القرآن تبيين ولكن الله ادّخر كثيرا منه لأمم تعقله وتلك الأمم ترجع الدين لحاله فى العصر الأوّل أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العامّة حتى انهم اذا حاربوا أهل الكفر وقاتلوهم لم يراعوا إلا المصلحة العامّة فقتل صناديد قريش فى واقعة بدر وأمثالها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أن نهر النيل والفرات والهواء والنار والشمس نافعات للعموم ضارّات للقليل كاغراق ناسك وموت صبى بهواء فاسد واحراق عجوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لايقدح فى اسعاد المجموع . ومن عجب أن (بنتام) الانجليزى مؤلف ﴿ أصول القوانين ﴾ قد نحا نحوهذا فجعل القوانين مبنية على أن العموم مقدّم على الخصوص وأن قتل القاتل وان آذى أهله فقد سرّ الناس كلهم والمسرّة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس . كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار فى بعض الحروب قصد منه الحكمة التى قصدت فى خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أعم فخرق السفينة لتبقى فى يد أصحابها الأيتام فلايأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أعمّ لذويه أوجب قتله وقد راعى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام المجاعة بالسرقة فى قصة سرقة الإبل المذكورة فى سورة الكهف (راجع هذا المقام كله هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وماكتبته مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العامّة وأن فيه أسرارا يبينها الله فى هذا الزمان وهذا هوالذى فتح الله به قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفى نفس صلاة الصبح عند قراءتى فى الصلاة ـ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ـ والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية من قوله تعالى ـ وعد الله الذين آمنوا منكم ـ الى قوله ـ ومأواهم النار ولبئس المصير ـ ﴾

قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب لرسول الله ﷺ ولأمّته وأقسم (ليستخلفنهم فى الأرض) أى ليجعلنهم خلفاء متصرّفين فى الأرض تصرف الملوك فى ممالكهم (كما استخلف الذين من قبلهم) مثل بنى اسرائيل إذ استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بنى اسرائيل أرض الجبابرة وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمنا) منهم ثم استأنف لبيان المقتضى للاستخلاف فقال (يعبدوننى لايشركون بى شيأ) الجملة حال من الواو فى يعبدوننى أى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) أى كفرهذه

النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم إذ كفروا تلك النعمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) فى سائر ما أمركم به (لعلكم ترحمون) أى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض) أى لاتحسبن يامحمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الأرض متعلق بمعجزين (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار (ولبئس المصير) أى المأوى الذى يصيرون اليه وهنا . ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ وعد الله الذين آمنوا منكم ـ الخ ﴾

قيل ان النبى ﷺ مكث بعد الوحى عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لايفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا و بسطا فى الأرض * روى البخارى عن عدى بن حاتم « قال بينا انا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لاتخاف أحدا إلا الله قلت فيما بينى و بين نفسى فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أوفضة يطلب من يقبله منه فلايجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه و بينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى يارب فينظرعن يمينه فلايرى إلا جهنم وينظرعن شماله فلايرى إلا جهنم قال عدى سمعت رسول الله ﷺ يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ » * وعن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا ثم قال أمسك ﴾ ولقد كانت خلافة أبى بكر سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وخلافة علىّ أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إذن تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن وهى ستة أشهر ثم نزل عنها لمعاوية

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال أهل التفسير فى قوله تعالى ـ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ـ ان أول من كفر بهذه النعمة وجحدها ولم يقم بواجبها أى بواجب نعمة النصر والتمكين فى الأرض والأمن الذين قتلوا عثمان . فلما قتلوه غير الله مابهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم فى الأرض خائفون وجلون . لأذكر لك ما كتبته فى كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ على هذه الآيات تحت العنوان الآتى

﴿ الاسلام دين علم وعمل ﴾

أيها المسلمون . الاسلام دين علم وعمل . ولماضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل فجهلت العلوم

الكونية والعقلية لم يصلحوا لهداية العالم المتعلم فنبذهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الاوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهديهم ويرتوون من مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلا على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهلت الحقائق وظنت أن المسلم لايعنيه العلم والجهل يكفيه والقوت يرضيه وهو غافل عما أبدع الله فى الأرض والسموات وبرأ فيهما من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد وذرأ من كل زوج بهيج . لهذا السبب ذهبت الأمم الاسلامية فأصبحوا لاترى إلا آثار آبائهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقاته فضربهم الدهر ضرباته فذل العزيز وعزّ الذليل وخضع العظيم وعظم الحقير ـ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ـ

كنا الجهابذة الكبار * كم قائد سلك القفار

وبجيشنا قطع البحار * وطغى على أعدانا

إنا ملكنا المشرقين * إنا ملكنا المغربين

إنا قرأنا الحكمتين * العلم والإيمانا *

ألستم أنتم السواد الأعظم فى الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حذركم وتبنوا مجدكم وترفعوا رؤسكم وتتعلموا مانشر الله فى الأرض من علم وماأنعم به من صناعة

﴿ فصل فى وعد الله للمسلمين بالتمكين فى الأرض والاستخلاف فيها ﴾

ألم يقل لكم فى كتابكم الكريم ـ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ـ

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأنتم المخاطبون به . فبالله عليكم يامعاشر المسلمين فى أقطار الأرض أنتم اليوم أكثر عددا وأعظم مددا فماذا جرى حتى عجبنا كل العجب من أنا مسلمون وقد تخطانا هذا الوعد بأن يستخلفنا الله فى الأرض ويمكن لنا فى الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتمكين فيها وتبديلنا من بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لايخلف وعده قال تعالى ـ ومن أوفى بعهده من الله ـ

يعجب المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يبلغون ٣٥٠ مليونا من بنى آدم يعجبون ويقولون نحن مسلمون ونحن نعمل الصالحات فأين استخلافنا فى الأرض ؟ ونحن أينما توجهنا فالقتل على رقابنا والذل محيط بنا وأمم الفرنجة يطاردوننا

﴿ فصل فى أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم ﴾

أقول على رسلكم يامعاشر المسلمين لاتظنوا أن عمل الصالحات قاصر على ماتعملون فانكم ينقصكم أمران الاتحاد فيما بينكم عربيكم وعجميكم وأبيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما ذرأ الله فى السموات والأرض من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع فى السموات من كوكب ومابثّ فى الأرض من دابة ونبات . ودليلى على ذلك قوله تعالى ـ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأىّ حديث بعده يؤمنون ـ . بهذا أنذركم الله إذ قال ـ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ـ فكأنه وعد بالاستخلاف المتقدم للأمة الاسلامية الناظرة فى ملكوت السموات والأرض المفكرة فيما خلق الله المتعلمة كل صناعة وحرفة حتى لايفوتها صنعة من المدفع الى الابرة ومن القطار الى المنشار ومن علم الطبيب والبيطار الى صناعة الموسيقار . نعم وعدنا الله بالاستخلاف فى الأرض اذا فقهنا وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير فى الأرض والأخذ بما هو أجمل وأحسن وقد عقلت الأمم وتعلمت وجهلنا وارتقوا وانحططنا فلذلك جاء القرآن موبخا ومنكرا على الجاهلين (بما أبدعت الأمم من الصناعات وما أنشأت من المصانع وما أحكمت من بناء وماعممت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة ومانظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وماسيرت فى الجو من طيارات ومناطيد ومابنت من مدارس وماعلمت من تلاميذ ومارفعت من صروح) فقال الله تعالى ـ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ـ

ولما كان المسلمون كثيرا مايسيحون فى الأرض ويرجعون الى أوطانهم بخفى حنين ثم هم لاينذرون قومهم إلا قليلا ولايعتبرون بما رأوا ولايرسلون جماعات منهم تتعلم إلا قليلا أردفه الله بقوله ـ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ـ

أيها المسلمون . انه لينقصكم (أمران) الاتحاد والعلوم فاذا اتصفتم بهما تم وعد الله لكم فى الأرض بالاستخلاف والتمكن فى الأرض وأن يبدل خوفكم أمنا فى الآية المتقدمة . وهاأناذا سأشرح لكم كيف تتحدون وكيف ينتشر العلم بينكم

﴿ ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم ﴾

ألا إنما مثل المسلمين المستبصرين وغيرهم كمثل جماعة سافروا فى طريق طويل فأخذ جماعة يركبون الابل والبغال والحمير والخيل وأخذ جماعة آخرون يركبون القطار فتخلف الأولون وفاز الآخرون وحجة الأولين انهم يتبعون ماسنّ آباؤهم ويتغنون بحدائهم ويترنمون بأشعارهم فوق إبلهم . وحجة الآخرين أن العقل يقضى أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى ـ فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ـ فالله عزوجل بشر العباد الذين يتبعون أحسن القول . ولاجرم أن القول بركوب القطار أحسن من القول بركوب الابل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقلون مفكرون

﴿ معنى الجهاد ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ـ

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تنجينا من عذاب أليم ؟ ماهى تلك التجارة ؟ هى أن نؤمن بالله ورسوله ونجاهد فى سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة فى الآخرة والنصر فى الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الايمان والجهاد وضمن الجنة فى الآخرة والنصر فى الدنيا . أما الايمان فمعلوم وأما الجهاد فأنا أشرحه لكم . يظن الجهال أن الجهاد انما هو حرب الكفار وحده . كلا . ان الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لايخص حرب العدوّ بل يشمل سائر الأعمال العامّة فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب النفوس واعلاء شأن الأمّة كل ذلك جهاد لاينقص عن توجيه البندقية والمدفع الى صدر العدوّ

إن الصف المجاهد المحاذى للعدوّ لن يقدر على هذا الموقف إلا اذا كان وراءه حكومة فى بلاده منظمة فيها صناعات محكمة لتصنع له المدافع والبنادق ولتزرع الأرض ولتسمدها ولترسل له الذخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج مافيها والحدّاد والصانع للمدافع والقطار والنجار المكمل لكل منهما والخباز الخابز لهما

وللجندى . من ظن أن هؤلاء أقل أجرا فى الآخرة من الجندى الذى أحضرت له أعمال هؤلاء وهو فى معمعة القتال فقد جهل الدين وطاش سهمه وهو من الغافلين

إن النبى ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلكم يامعاشر المسلمين دليلا على أن جهاد النفس أرقى من جهاد العدو وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنعة وبترقية شأن الأمة وبالسياحة فى الأرض وبترك الشر وتهذيب النفس . فالمهذب لنفسه مجاهد والمحكم لصنعته مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ماشاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد مامعناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمرى لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلكم العالم الذى يزرع العلم والبركة فى نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

هاأنا ذا قد بينت معنى الجهاد والايمان واضح من نفسه . ولاجرم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جميع العلوم والصناعات التى منها العدد الحربية والآلات الصناعية والخدع الحربية والسياسات المدنية فان الله ضامن لهم النصر . هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا . وليس النصر مضمونا لنا ونحن غافلون . ان الله أمرنا بالنظر والتعقل والتفكير . أوليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم يصلون صلاة الخوف فى الحرب ــ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ــ فاذا كان الله يقول لنا ونحن فى الصلاة وقت الحرب خذوا حذركم خذوا أسلحتكم فان الكفار ربما مالوا عليكم ميلة واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تنام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل ينصر الله أمة غافلة

إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التى تناظر ماعند العدو التى صرح بها فى قوله ــ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ــ ولقد أطلت فى هذا المقام لتبيين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة . ايضاح قوله تعالى ــ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ــ ﴾

ليعجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين فى الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر المعمورة قديما وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالعكس فى القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضا بذلك إذ قال ــ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ــ . يخبرنا الله بما هو حاصل اليوم فى بلاد الاسلام . ولعلك تقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه النغمة هى السبب فى الجهل العام فى الاسلام . يحمل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . ألاترى كيف قال المفسرون رحمهم الله تعالى ان أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأونا فى هذا العصر لقالوا قد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قد تركوا الملك الذى أعطاه الله لهم . تركوه وماحفظوه . لم يحفظوا الملك أى لم يحفظوا النعمة أى تركوا بلاد الله فلم يعمروها وتركوا مافيها من الكنوز والمنافع وناموا على بساط الراحة . فياعجبا للمسلم . أيظن أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولايصلحها ولايقوى عمرانها ويبقيها فى يده . كلا . إن الله قيوم أى قائم بتدبير الملك فمن لم يكن متخلقا بخلقه خلعه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله ــ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ــ

سيقول جهول من الذين ينتمون للاسلام . حينئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وانما أذكر أمثال هذا بما قاله علماؤنا أن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لديهم من هذا القبيل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها آثمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آثمون بترك العلوم والصناعات وهذا الاثم قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلالنا

وهذا عذاب معجل وسنكون جميعا فى الآخرة ملومين • فهذا معنى كفر النعمة الذى سمى الله المتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا • فالمسلمون اليوم متمتعون بنعمة الايمان الساذج وليسوا متمتعين بنعمة اصلاح الأرض والله عزّ وجل حكيم لايعطى الشئ إلالمستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (معجزتان) فصدرها لصدر الاسلام وعجزها للأمم المتأخرة والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ولكم فى هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلدى قبل كتابة هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إنّ ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أبان فيما تقدّم كيف يكون الامن فى الاسلام وقد تم ذلك كما تقدم و بقى هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يعرضان فلايقبلهما أحد فذلك لم يتمّ الى الآن ولعل المستقبل كفيل به فان النوع الانسانى اذا أصبح وقد ترك النقود كما يقول (الباشفية) وأصبح التعامل بالمبادلة فان النقود إذن لالزوم لوجودها • أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (فقد تنبه الشرق) وتعاملوابالدوية وألغوا النقود كدولة البلشفيك وهناك يتمّ معنى الحديث إذلافائدة للذهب ولاللفضة بل الرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكفيه • انتهى الكلام على الجوهرة الثانية

(الجوهرة الثالثة من قوله تعالى - ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم - الى قوله تعالى - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون -)

روى عن ابن عباس قال وجه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية

وروى أيضا أن أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله ﷺ فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله هذه الآية • وملخصها أن العبيد والاماء والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم فى سن التمييز يجب * وقيل يسنّ أن يستأذنوا لأجل الدخول فى (ثلاث أحوال) وهى من قبل صلاة الفجر وفى منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم للقيلولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم • فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يختل تستره فيها • ومعنى العورة الخلل ومنها الأعور المختل العين وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) وهذا القول رجوع لتتميم الأحكام السالفة بعد ما ذكر من الالهيات مايشرح الصدور ويوجب الاذعان ويفتح الأذهان والذين ملكت ايمانكم هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار الذين ظهروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم فى سن التمييز و بلوغ الحلم يكون بالاحتلام فان لم يحتلم و بلغ خمس عشرة سنة فقد بلغ عند الشافعى ولايرى أبوحنيفة بلوغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولاالغلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة • فأما أبو يوسف ومحمد وأحمد فقد وافقوا الشافعى فى أن الغلام والجارية يحكم ببلوغهما متى بلغا (١٥) سنة وقوله (ثلاث مرات) أى ليستأذنوا فى ثلاث أوقات هى (من قبل صلاة الفجر) الى قوله هى (ثلاث عورات لكم) أى هى ثلاث أوقات يختل تستركم فيها (ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهنّ) بعد هذه الأوقات فى ترك الاستئذان ولاتظن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا فى الصبيان والمماليك المدخول عليه وتلك فى الأحرار البالغين • هم (طوّافون عليكم) هذا مستأنف لتبيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهذا التعليل يبين أن الأحكام تعلل (بعضكم) طائف (على بعض) أى يطوف بعضكم على بعض (كذلك) أى مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أى الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يشرع لكم • واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وان تهاون الناس بالعمل بها • ويقال ان ثلاث آيات تهاون

الناس بها وهى هذه الآية وقوله تعالى ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ والناس يقولون أعظمكم بيتا وقوله تعالى ـ واذا حضر القسمة أولو القربى ـ الآية . ثم قال تعالى (واذا بلغ الأطفال منكم الحلم) أى الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) فى جميع الأوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الأحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بامور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع وهذا يوجب أن يستأذن الرجل على والدته وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (والقواعد من النساء) أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلايلدن ولايحضن (اللاتى لايرجون نكاحا) أى لايطمعن فيه لكبرهنّ ولأن الرجال يستقذرونهنّ . فأما من كانت فيها بقية جمال فهى محل الشهوة فلاتدخل فى هذه الآية (فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ) أى الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار حال كونهنّ (غير متبرّجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق أى لايقصدن بوضعها التبرج . والتبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستعففن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (خير لهنّ والله سميع) لما يعلنّ (عليم) بما يقصدن * قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبى ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرّجون من ذلك ويقولون نخشى أن لاتكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولاعلى الأعرج حرج ولاعلى المريض حرج) وقوله تعالى (ولاعلى أنفسكم) كلام غير ماتقدّم فانه لما نزل قوله تعالى ـ ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله ـ ولاعلى أنفسكم ـ (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لاحرج عليكم أن تأكلوا من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله ﷺ ﴿أنت ومالك لأبيك﴾ وقوله ﷺ أيضا ﴿إن أطيب مايأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه﴾ (او بيوت آبائكم او بيوت أمّهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أوماملكتم مفاتحه) عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته فلابأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولايحمل ولايدخر وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح (أوصديقكم) أى أو بيوت صديقكم وهو الذى صدقك فى المودّة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط . واعلم أن هذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أوقرينة وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر فى الحقيقة الى الرضا واذن لافرق بين هؤلاء وبين غيرهم فالمدار على الرضا ولم يذكروا فى الآية إلا لأن الرضا فيهم غالبا محقق . والحنفية لما رأوا ماجاء فى هذه الآية حكموا بأن لاقطع فى سرقة مال المحرم . هذا ولقد كان بنو ليث بن عمرو من كنانة يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . ويقال أيضا ان قوما من الأنصار اذا نزل بهم ضيف كانوا لايأكلون إلا معه . وأيضا قد تحرّج قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزازة والنهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أوأشتاتا) مجتمعين أومتفرّقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض . هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته * قال قتادة « اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدّثنا أن الملائكة تردّ عليه » وقال ابن عباس ﴿اذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته﴾ * وعن ابن عباس فى قوله تعالى ـ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ـ قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وقوله (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه . و يصح أن يقال من عند الله متعلق بتحية التى هى منصوبة بسلموا لأنها مصدر بمعنى التسليم والتحية فى معنى طلب الحياة وهى من عند الله تعالى وقوله (مباركة) أى ترجى بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يطيب بها قلب المستمع * وعن أنس رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأبرار الأوابين﴾ وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرره لمزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) الحق والخير فى الامور. انتهت الجوهرة الثالثة

﴿ الجوهرة الرابعة ـ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع ـ الى آخر السورة ﴾

كان رسول الله ﷺ اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أوعذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) إيمانا صادقا (واذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة فى الامور . وانما وصف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لا أنه هو الجامع للمبالغة (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أى حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمرا عظيما أكده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فالمستأذن مؤمن لامحالة والذاهب بغير اذن اذا استحل ذلك كان كافرا (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى مايعرض لهم من المهام (فأذن لمن شئت منهم) فوض الله الأمر الى رأى رسول الله ﷺ فاذن يكون بعض الأحكام مفوضا الى رأى رسول الله ﷺ و بعضهم يقول ـ فأذن لمن شئت منهم ـ اذا وثقت بصدقه فى العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولايتفرقون عنهم إلا باذن . ولقد كان المنافقون يوم الخندق يرجعون الى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده . قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لايخالفونه ولايرجعون عنه إلاباذن . واذا استأذن الامام إن شاء أذن وان شاء لم يأذن وهذا كله اذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلاحاجة الى الاستئذان ثم قال تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولولعذر قصور (إن الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لاتجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا و يناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلاتقولوا يامحمد ولكن يانبى الله أو يارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض . وأيضا لايجوز الاعراض عند دعائه لكم ولاالمساهلة فى الاجابة ولاالرجوع بغير إذن . إذ المبادرة الى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى ينسلون قليلا قليلا من الجماعة (لواذا) ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج فيروغ أحدكم فى خفية فيذهب * وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره و ينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أى لئلا تصيبهم فتنة أى بلاء فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة . هذا ثم ان الله ذكر فى هذه الآيات انه يعلم الذين يتسللون لواذا وذكر العلم هنا ايذان بالمجازاة على مايفعلون فأعقبه الله بذكر أن علمه عام فكيف لايعلم أحوالكم الخاصة فقال (ألا إن لله مافى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه) من الايمان والنفاق والاخلاص وضده (و يوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة

(خاتمة

﴿ خاتمة ﴾

هذه هى (سورة النور) ولقد تبدّى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظر أيها الذكى كيف ذكر الله فى هذه السورة الحد والقذف ورمى المحصنات الغافلات وملاءمة أخلاق الطيبين للطيبات والخبيثات للخبيثين والملاعنة والعفة وتحريم النظر للأجانب وحله للمحرم والاستئذان عند الدخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للانسان . ولاجرم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فان الملاعنة وحدّ الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضى الذى نصبه الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل فى خلالها ماليس منها وفاجأ القارئ بقوله ــ الله نور السموات والأرض ــ و بين كيف يكون الكافرون وأعمالهم كظلمات البحار المائجات فوق موجهنّ سحاب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف اختلف الحيوان فى عدد أرجله وفى سيره فوق الأرض أوطيرانه فى الجوّ . أما الذى لابصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لايرجع الى مقصد خاص وانما هو من الآيات التى توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حال الى حال ولكنى أقول لك ما أعلمه

اعلم أن الله عزّ وجل لما خصّ هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عزّ وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لاينبغى أن تكون هى المقصد الأسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هى المقصد الأسمى وماهى إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التى فى القرآن إلا مهذبات لنفوس الناس حتى يعتدلوا فى شهواتهم و يقفوا فيها عند حدّ خاص فلايقذفون المحصنات الغافلات ولايرمون زوجاتهم إلا اذا تحققوا ولايتركون أبصارهم ترتع فى شهواتها وتنظر لكل غادية ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكلما زادت الفتائل فيها وانقدت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب نفادا لها . وكلما قلت السرج المتقدة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا فى طغيان شهواتهم وزادوا فى غلوائها واتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا لألسنتهم العنان ولعيونهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرجحان عقولهم وأضيع لنور أفئدتهم وأسرع هلاكا لأبدانهم . فليحفظ الناس الألسنة وليغضوا الطرف الذى يشغل العقول بالصور الجميلة فتتحوّل القوّة العاقلة الى صور مضمحلة فيقلّ الادراك و يذهب نور الفطنة وتضمحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلموا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لتزول الوحشة ويدوم الأنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا لتزوّجوا الصالحين والصالحات للنكاح أحرارا وعبيدا لتصرف الشهوات الى ماهو نافع وليقوم الناس بما أعدّوا له من النسل واكثاره لتسعد الجمعية الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفى أثناء ذلك قال الله تعالى إياكم أن تشغلكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر فى جمالى وحسن صنعتى فان ماذكر فى هذه السورة وغيرها من حفظ الفروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك انما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتكم . وهذه ماهى إلا مقدّمات لما هو أعلى

﴿ و بعبارة أجلى ﴾ ان هذه آداب والآداب مقدّمات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس ولاصفاء للنفوس والعقل مضطرب بالجدال والخصام ونفور الجيران وشقاء النظرات وتفرّق الخواطر بما تجلبه النواظر فاذا أنزلت عليكم مابه تهدأ الخواطر وتقرّ النواظر و يستتب الامن فما أحراكم أن تنظروا فيما زوّقت وأبدعت وزينت ورقشت ونقشت فذلك هو المقصود وماسواه فانما هو تمهيد ومقدمات والمقدّمات غير المقاصد

إياكم أيها الناس ان تظنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم انما أنزلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام النحل فى خلياتها والزنابير فى بيوتها والغربان فى أعشاشها وطيور الكراكى

فى أسرابها والآساد فى آجامها والحمر الحبشية فى جبالها ولم أذر صغيرا ولا كبيرا فى الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه ـ ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ـ علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف تلد وكيف تبيض وكيف تبنى لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فاذا ظننتم أيها الناس انكم بمعرفة هذه الآداب قد زدتم عن هذه الحيوانات فانكم واهمون فوعزتى وجلالى لن تفوقوها كمالا ولن تعلوها علما إلا بنظركم فى جمالى واطلاعكم على بهائى وكمالى

إنى أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويرى لهما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات بينتها . فاتخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة فى دنياكم نعيما واقرؤا وجوه الكائنات وسطور المخلوقات وافهموا من السراج المتقد فى المساجد أمثلة تضىء لكم مشكلات الدجنات فتعرفوا أنوارى فى ملكوتى فلا القضايا ولا البينات ولا الملاعنات ولا الحدود مقصودة من حياتكم وانما هذه آداب أوجبت أن تكون لتتفرغوا لمعرفة آياتى فى خليقتى . ومن ظن أن المقدمات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشرى أعظم جناية فان الناس بهذه الشرائع لم يصلوا الى ماوصل اليه الحيوان فى حسن نظامه فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة . إن الانسان عليه واجب عظيم هو النظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيارات العلم الى جو من النور بهيج . انى اشتق النور من الظلمات . ألم أجعل النور البرق يلمع من خلال السحاب ذلك السحاب الذى جعلته متمما لظلمات البحار فى دجنات الحياة . السحاب الذى زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أمرت البرق فلمع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره . هكذا حياتكم المملوءة بالأخطار المدلهمة فى البر والبحر . انى لقادر أن أجعل النور يلمع من خلالها كما لمع البرق من خلال ظلمات السحاب

إياكم أن تشغلكم الأحوال المنزلية والشهوات البهيمية والقضايا فى المحاكم الاسلامية عن اطلاعكم على جمالى وحسن صنعتى وجمال أعمالى الباهرات فى هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فان السحب المظلمات يلمع النور من خلالها ؟ فلم لاتشرق أفئدتكم بنور المعرفة فى وسط هذه الظلمات الانسانية والحدود الشرعية والقضايا الاسلامية والعلوم الفقهية

أيها الفقهاء . لماذا أجزتم التأليف فى الملاعنة والحدود وأطلعتم تلاميذكم على حقائق القضايا وأنتم أجهل الناس بعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطير صافات فى جو السماء . فلماذا أيها الفقهاء أجزتم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر فى معرفة أن ـ الله نور السموات والأرض ـ وتنوع الحيوان والطير الخ . أليس هذا كله كلام الله . أليس العلم بهذه العجائب واجبا على كل مسلم اذا كان قادرا لازدياد الايمان وللشكر كما أوضحه الامام الغزالى وذكرته فى (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة . إن علوم الجمال الالهى غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء فى محل الغذاء والغذاء فى محل الدواء

أما آن للمسلمين أن ينظروا فيما كتبناه . أما آن لهم أن يتدبروا ماذكرناه . أما آن لأمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذى نهجوه . أما آن لهم أن يكفوا عن الجمود ويوقفوا الأطفال على عجائب ماصنع الله فى الأرض والسماء . أما آن لهم أن يقوّوا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيروا بها فى جو السماء الصافى . إن الله قد أذن للمسلمين اليوم أن يتبوّؤا منزلتهم بين الأمم وينالوا مكانتهم ـ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ

﴿ الجمال والنور فى سورة النور ﴾

تناسبت السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) فى اظهار الحقائق العلمية والبدائع الحكمية . فيها جاء ذكر خلق الانسان وانه من نطفة فعلقة فمضغة الخ . ذلك جاء فى سورة الحج وفى المؤمنون . فأما فى سورة

النور فقد فصل مايحفظ حواسه وآدابه ﴿ و بيانه ﴾ أن هذا الانسان خلق من طين مغمورا فى الهواء والضياء الأرض تحته والهواء يحيط به والضياء فوقه فكان من الحكمة أن لايخلو عالم من هذه العوالم من فائدة له . فمن الأرض أغذيته وفاكهته ومن الماء شرابه وطهوره وبالهواء تطهير دمه بواسطة النفس واعطاء دمه لون الحمرة بما يخالطه من مادّة الاكسوجين التى يجلبها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فمن اللسان حركات فى الهواء و بالهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يذر عالما مما أحاط به إلا انتهز الفرصة للانتفاع به فلاأرض ولاماء ولاهواء ولاضياء إلا كان منه له منفعة لولاهالم يكن هذا الانسان ولاالحيوان . فترى الفم للغذاء وللماء فهو إذن معدّ لاستعمال مايصل من الأرض والماء والأنف للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركاته بأنواع الأصوات . والعين معدّة لعالم النور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جميل ومن أعظم انعامك علينا انك أريتنا هذه العجائب التى يجهلها أولايقر بها كثير من العقلاء لأن أكثرهم غافلون . يعيش الانسان فى الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولايريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم مركزه فيه وليعلم نعمك علينا فى هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء والهواء والكواكب . فرّقت هذه العوالم على أعضاء حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هى معدة للابصار فى العين كما أن الهواء معدّ لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض الذى منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة الذوق التى تميز الخبيث من الطيب فى الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كأنها نوافذ وفتحات منها يطل الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه ماجاء فى (سورة الحج) من خلقه من نطفة فعلقة الخ وماجاء فى (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء فى آخر وصف خلقه ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ فأحسن الخالقين هو الذى خلق الانسان على هذا النمط بحيث يجعله مستفيدا من كل ماحوله من العناصر والمركبات . ولقد كان من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يعبر عما لديه من القوى فهو ترجمان لكل مايحسّ به و يعلمه و يزاوله ترجمان السمع والبصر والذوق واللمس وكان له آلة الابصار بها يدرك كل صورة تقع عينه عليها وكان له أداة للتناسل وهى العورة فى الذكران والاناث . إن أكثر الآثام فى نوع الانسان يحدثها اللسان بالشتم والذم واذاعة الفاحشة والتعيير وقذف المحصنات ويحدثها الفجور بالزنا . ومما يعين عليه و يدعوله طموح العين لما تراه من محاسن النساء . فكأن الله يقول فى أوّل النور أيها الناس أنا صوّرتكم على أحسن صورة وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب والقمر ولتتناولوا مايصلح لأغذيتكم واقامة بنيتكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم أحرمكم منها كما حرمت الدود الذى ألزمته أن يقنع بما حوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجعله وسيلة للذم والقدح بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع المحبات . وهذه البنية زوّقتها وهندستها وأكملتها وجعلتها صالحة لاحداث ذرّية تبقى بعدكم حفظا لذكركم وعمرانا لأرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وماهذه الشهوات مقاصد فمن فعل ذلك ذلت نفسه وباء بالوبال . فاياكم والزنا بل إياكم وكثرة تعاطى هذه الشهوات باتباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروها على هذه الشهوة الضئيلة . انما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتدركوا جمالى وبهائى ومحاسن أرضى وسمائى فغضوا الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الحلائل اللائى يلدن منكم الذرّية . أى عبادى أنتم ﴿ فريقان ﴾ فريق الأصفياء وفريق الأغبياء . أما فريق الأصفياء فهم أولئك الذين عرفوا أنى نور السموات والأرض فبهرهم الجمال والبهاء فى مشرقات الدجى والاصباح . أما فريق الأغبياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين والعقول والآذان فظنوا انى أطلقتهم فى أرضى كما أطلق الدواب فعكفوا على جنى اللذات التى لم أخلقها فيهم إلا

لغاياتها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا فى جمال النجوم وجمال الشمس وجمال القمر وجمال الثمار والأزهار والأشجار والأنهار لم تحدثهم نفوسهم بأكثر مما يعرفه الحيوان فى البرية . وكلما سنحت لهم سانحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية العذاب الجاثمين فى جبلتهم فضربوهم بمقامع الشهوات والعادات الحديدية فارتدوا على أدبارهم وعادوا لما نهوا عنه ورجعوا بخفى حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وألسنتهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كأصحاب الإفك الذين ذمّوا أم المؤمنين و بعض صلحائهم . أى عبادى أنا كلفتكم بالصلاة وفى الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمى فنعمى تحيط بكم فى الأرض وفى السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم و باطنة فى قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا فثم جمال ونور . ترون فى السماء بهجة النجوم وفى الجوّ قوس قزح وفى الأرض أنواع الجمال فى كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصور فى نوع الانسان لأجل التناسل فحسب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تفتر بعد الوقاع وعند الفتور تذهب نشوة اللذة بجمال الوجوه . إنى نصبت ذلكم الفتور (الذى يعتوركم بعد فراغكم من تلك اللذة) علما ليهديكم الى المقصد الأعلى من جمال الوجوه الانسانية والجمال فى العوالم العلوية والسفلية . إن بواهر الجمال فى تلكم العوالم داعيات تحثكم أن هلموا الىّ وأقبلوا علىّ . هذا ماتقوله الشمس عند اشراقها والقمر عند بزوغه والنجم عند طلوعه والنهر وهو يجرى والطير وهو يطير . كل أولئكم يا عبادى يدعونكم الى العروج الى العلا . ولن ينال هذه المنقبة منكم إلا أناس أدركوا مقاصدنا فى حواسهم وغاية ماخلقت له فنحن لم نخلق العين لتعكف على النظرات الحيوانيــة والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولمن عممت الأشعة النورية ولمن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواريها والحقول وأزاهرها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد فى صلواتكم لتتذكروا ولتعلموا أنكم ان لم تنزّهوا اللسان عن النطق بالقبيح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرّم فلاسبيل الى أن تعرفوا وتفقهوا أنى نور السموات والأرض . إن عقولكم خزنت فيها صور كثيرة لاتحصرونها فاذا أخذتم تحدثون بكل ما لديكم شغلكم ذلكم الحديث عن مواقع النجوم ومناهج العبر . هكذا اذا ظللتم تفكهون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب النقص الدائم المتوافر فى صحة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الضالة . ومتى ضعفت القوّة العاقلة عجزت عن أن تدرك الجمال . لذلك شرعت لكم أن تقولوا فى الصلاة فى الجلوس بين السجدتين ﴿ ربّ اغفر لى وارحمنى ﴾ والمغفرة التامّة انما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلاتصرف إلا بحساب إبقاء لصحتكم وحفظا لعقولكم فتكونون متخلقين بأخلاق فأنا منزّه عن الحوادث وأنتم منزّهون بقدر الاستطاعة عن العيوب . هنالك تتوافر الأسباب لادراك مايحيط بكم من النور والجمال . أنا لم أحرّم عليكم النظر الى المحرّمات حرمانا لكم أو بخلا عليكم ولم أمنعكم من مقارفة الشهوات بخلا عليكم بخزائن ملكى . كلا . أنا أعطيتكم عقولا وأعطيت لحيوان البرية غرائز وأودعت فى غرائزه أن لا يكون الوقاع إلا للولد ولم أجعل ذلكم فى غرائزكم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأطلقتكم فى الأرض فيقول قائل منكم لم منع ربنا عنا لذاتنا وأطلق الحيوان يمتع بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بغريزته ولولا ذلك المنع لمات وضعف وهلك بكثرة الوقاع . ذلكم حاصل فى بعض الحيوان فى البرية . فأنا حرّمت عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف فى جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التى لاتستطيع عند الضعف أن تدرك الجمال الأعلى الدائم . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات فى (سورة النور) فانى أحفظ له عقله وجميع قواه وأجعلها ذخيرة له فى هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكىّ الفؤاد قوىّ الذاكرة . إن فى افلات ما أخزنه فى عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيغرق القرى و يضرّها وحفظها أشبه بحفظ الماء فى الأنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة اليها . لهذا كان

الانسان

الانسان مسؤلا عن عقله كما انه مسؤل عن أهله وعما يملكه من المال ومايلده من الولد وعما يدبره من الممالك بل ذخيرة الانسان المكنونة فى نفسه أقرب اليه مما عداها فان عجز عن حفظها وتركها تتسرب الى الخارج بلاضابط يضبطها ولاحافظ يحفظها تركته ملوما محسورا . إن آراء الانسان والصور المخزونة فى عقله إن هى إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجمال فاذا أهملها بقى مقصوص الجناحين ضائع القوى خاسر الصفقة فيرى بعينى رأسه أناسا مثله قد ارتقوا فى أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك مالايعنى والانكماش فى الجد وحفظ القول فلاينطق إلا بما يفيد ولايتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة واشارته غنما وسكوته فكرا فلايسكت ولايتكلم إلا لفائدة تامة . إن الجنة والنار يتبعان الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار ـ وقالوا لوكنا نسمع أونعقل ما كنا فى أصحاب السعير ـ

أى عبادى المسلمين . ربما يظن أحدكم انه خارج عن هذا القانون . كلا . ـ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ـ أنتم جميعا مسؤلون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعتها عندكم وما العقل إلا نور انبعث من سماء الجمال وهومن نورى الذى انبعث منى فى السموات والأرض فاياكم أن تعطلوه أوتشغلوا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأنتم عنه مسؤلون والبصر جعلته بابا تلج منه الصور الواردات عليكم بنور المشرقات عليكم فاذا شغلتموه فيما يضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لغير فائدة أوفيما لافائدة فيه حرمتم النظر الى بهجة جمالى فى سمواتى وأرضى فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسر اللذة الدنيا وهى الحيوانية واللذة العليا وهى اللذة الملكية بالنظر الى جمالى فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالذرات (المكروبات) والحشرات التى تطؤنها بأقدامكم فهى وان كانت تشارككم فى الحياة لم تشارككم فى مزايا عقولكم وفضائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون فى أسماعهم وأبصارهم وشهواتهم يبصر الناس اليوم جمالى وهم لايبصرون ويبتهجون بمحاسن سمائى وهم لايبتهجون فلهم أسماع ولكن لايعقلون ولهم أبصار ولكن لايبصرون . فاذا ظننتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب انما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفى حنين . ألم تقرؤا فى كتابى ـ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ـ . أى عبادى . أما لم أنزل القرآن وقفا على اللعان المذكور فى آية النور ولاعلى اقامة الحد على الزانى والزانية . ان هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجمالى فاذا جاوزتموها فهنالك أفتح لكم أبواب ـ الله نور السموات والأرض ـ وأعرفكم معانى ماتسمعون وماتبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير فى جو السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسرارى التى أودعتها فى غرائزه وبهذا تفرحون ـ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هوخير مما يجمعون ـ انتهى

هذا مافهمته فى (سورة النور) يومى الخميس والجمعة وليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

{ وهي ثلاثة مقاصد }

{ المقصد الأول } في اثبات النبوّة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمم السالفة من أوّل السورة الى قوله ـ أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا ـ

{ المقصد الثاني } في العجائب الكونية من قوله تعالى ـ ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ـ الى قوله ـ أو أراد شكورا ـ

{ المقصد الثالث } في الآداب والأخلاق من قوله ـ وعباد الرحمن ـ الى آخر السورة

(المَقْصِدُ الاوَّلُ)

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً * الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُو ظُلْماً وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً * بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً * قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ

عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك
من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا * فقد كذبوكم
بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا * وما
أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا
أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * يوم
يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا * وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا * أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * ويوم
تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا * الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على
الكافرين عسيرا * ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني
وكان الشيطان للإنسان خذولا * وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجورا * وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا *
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه
ترتيلا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا * الذين يحشرون على
وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا * ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه أخاه هارون وزيرا * فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا *
وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا
أليما * وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا * وكلا ضربنا له الأمثال
وكلا تبرنا تتبيرا * ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها
بل كانوا لا يرجون نشورا * وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله
رسولا * إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب

مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تـكاثر خير الله وتزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذى نزل الفرقان) وهو القرآن مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما فانه نزل مفرّقا وهو يفصل بين الحق والباطل والحلال والحرام وتبارك كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضى وحده والبركة تتضمن معنى الزيادة كما تقدم ورتبه على انزاله القرآن لما فيه من كثرة الخير أولدلالته على تعاليه . ويقال أيضا دام كما تقدم من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها (على عبده ليكون) أى العبد أو الفرقان (للعالمين) للجنّ والإنس (نذيرا) منذرا (الذى له ملك السموات والأرض) هو المتصرّف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) ردّ على النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) رد على الثنوية وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شئ) أحدثه (فقدّره تقديرا) هيأه لما أراد منه من الخصائص . وقد تقدم فى هذا التفسير من عجائب الخلقة و بدائع الحكمة مايدهش الألباب ومن الخصائص العجيبة للانسان والحيوان والنبات والكواكب مايظهر به ابداع الخالق وعجائب صنعه جلّ جلاله وعزّ كماله ولا إله إلا هو . ولما أثبت التوحيد والنبوّة بما تقدم أخذ يردّ على منكريهما فقال فى المشركين (واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيأ وهم يخلقون) وذلك لأن العابدين لهم هم الذين ينحتونهم و يصوّرونهم (ولايملكون لأنفسهم ضرا) دفع ضرّ (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولايملكون موتا ولاحياة ولانشورا) ولايملكون إماتة أحد ولا إحياءه ولابعثه ثانيا . وقال فى منكرى النبوّة (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم اليهود أوعبيد بن الخضر الحبشى الكاهن أوجبر و يسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فقال المشركون ان محمدا ﷺ يأخذ منهم وقد سبق فى قوله تعالى ـ انما يعلمه بشر ـ (فقد جاؤا ظلما وزورا) أى فقد جاء قائلو هذه المقالة بظلم وزور إذ سموا كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاوّلين) ماسطره المتقدّمون (اكتتبها) كتبها لنفسه أواستكتبها (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أمىّ لايقدر أن يكرر من الكتاب (قل أنزله الذى يعلم السرّ فى السموات والأرض) ألا ترون انه أعجزكم جميعا بفصاحته واخباره بمغيبات مستقبلة وأشياء لايعلمها أحد . أفمثل هذا يكون أساطير الأوّلين . ولولا عفوه ورحمته لعاقبكم ولكنه حلم عليكم (إنه كان غفورا رحيما) ثم أخذ يذكر الردّ عليهم فيما اعترضوا به على نبينا محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) ماالهذا الذى يزعم انه رسول (يأكل الطعام) كما تأكل (و يمشى فى الأسواق) كما نمشى لطلب المعاش . يقولون إن صحّ دعواه فما باله لايخالف حالنا حاله (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) أى داعيا و بذلك نعرف صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أوتكون له جنة يأكل منها) أى اذا لم يلق اليه كنز أفلايعيش عيشة المترفين أهل اليسر فى الدنيا فيكون له بستان كما لهم بساتين وهذا يستلزم أن يكون فى عيش رغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن متصفا بأحد هذه لم يكن مايدّعيه من النبوّة صدقا فانما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى (وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا للظلم عليهم (إن تتبعون) ماتتبعون (إلا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال) الأشباه التى لافائدة منها وادعوا عليك الأحوال الشاذة النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) الى النيل منك ولاالى سبل الرشاد

(تبارك) تكاثر خيره (الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ماوعدك فى الآخرة من الجنات والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة * ورد أن النبي ﷺ قال ﴿ عرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ﴾ وفى رواية أخرى ﴿ لوشئت لسارت معى جبال مكة ذهبا الخ ﴾ وهؤلاء قوم لايعرفون إلا الحياة الدنيا فقصرت أنظارهم عن الآخرة (بل كذّبوا بالساعة) فقصروا أنظارهم على ماظنوه سعادة وهى الثروة فى الدنيا (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة يبتدئ فى الدنيا سببها وهوقصر النظر على الامور العاجلة فيحبسون فى سجن الأعمال والآمال المحدودة (اذا رأتهم من مكان بعيد) أى اذا قابلتهم النار وكانت بمرأى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزافر (واذا ألقوا منها) من النار أى فيها (مكانا) فى مكان (ضيقا) لزيادة العذاب عليهم (مقرّنين) أى مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلاكا يتمنون الهلاك وينادونه ويقولون ياثبوراه أى تعال فهذا حينك ويقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) هلاكا واحدا (وادعوا ثبورا كثيرا) لأنه كلما نضجت جلودكم بدلتم جلودا غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى الذى ذكرت من صفة النار خير الخ (كانت لهم جزاء ومصيرا) أى كانت لهم فى علم الله جنة الخلد ثوابا ومرجعا (لهم فيها مايشاؤن) أى ان جميع المرادات انما تحصل فى الجنة وهناك لاتشتهى طائفة إلا مايناسب حالها حال كونهم (خالدين كان) مايشاؤن (على ربك وعدا مسؤلا) موعودا مسؤلا سأله الناس فى دعائهم إذ قالوا — ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك — والملائكة إذ قالوا — ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم — وقوله — على ربك — يفيد معنى امتناع الخلف (ويوم يحشرهم) للبعث (ومايعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأصنام وغلبها فى التعبير بما وسينطقها الله الذى أنطق كل شئ كما ينطق الأيدى والأرجل (فيقول) للعبودين (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لاخلالهم بالنظر والاعتبار بالعقول والاعراض عن الهداة . وقوله — ضلوا السبيل — أى عنها وقدتركوا الجارّ كما تركوه فى هداه الطريق والأصل إلى الطريق (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم أوتنزيها لله عن الأنداد وايذانا بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء واما بلسان الحال كالأصنام (ما كان ينبغى لنا) ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) أى أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متعتهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة فى هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواعظ والايمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوما بورا) هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أى كذبكم للمعبودون أيها المشركون (بما تقولون) انهم آلهة (فما تستطيعون صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) يعينكم عليه . ومعلوم أن المحارب تكون نجاته إما بالهرب واما بالنصر على عدوّه وهؤلاء لانصر لهم ولاانصراف فهم معذبون لامحالة . ثم خاطب الله الناس كلهم قائلا (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) وهى النار الخالدة . وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أوفسق . ولكن العلماء يختلفون فى الفاسق فمنهم من يجعله كالكافر وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون « ان الفاسق بالتوبة يغفرله بشروطها كلها وكذا بالعفو » (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) هذا جواب لقولهم — مال هذا الرسول يأكل الطعام — الخ . يقول الله — وما أرسلنا قبلك — يامحمد إلا رسلا — انهم ليأكلون الطعام — الخ فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلاوجه لهذا الطعن — وما أنا إلا رسول — وما كنت بدعا من الرسل — وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق (وجعلنا بعضكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم (أتصبرون) أى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر وفيه حث على الصبر على ما افتتنوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولمن جزع * فى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال ﴿ اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هودونه فى المال والجسم ﴾ لفظ البخارى ولمسلم ﴿ انظروا الى من هوأسفل منكم ولا تنظروا الى من هوفوقكم فهوأجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ﴾ (وقال الذين لايرجون لقاءنا) أى لا يأملون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أوشهودا على نبوّته ﷺ (أونرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوّا كبيرا) أى انهم بلغوا غاية الاستكبار إذ عاينوا المعجزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشتاق اليه الأنفس القدسية . واذكر (يوم يرون الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) أى لهم وانما وضع الظاهر موضع المضمر لوصفهم بالاجرام (ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى حراما عليكم وانما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنصوبة بأفعال متروك اظهارها (وقدمنا الى ماعملوا من عمل) أى وعمدنا الى ماعملوا من أعمال البرّ التى عملوها فى حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) باطلا لا ثواب له . والهباء مايرى فى الكوّة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى فى الظل والمنثور المتفرق وكذلك مايسطع من حوافر الدوّاب عند السير من الغبار يقال له هباء (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أى خير مكانا يستقر فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى مكانا يستروح فيه بالأزواج والتمتع بهنّ وذلك مجاز من مكان القيلولة وفى ذلك رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن * ويقال ان أهل الجنة لا يمرّ بهم يوم القيامة إلا قدر ماهو من أوّل النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة * ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (ويوم تشقق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور فى قوله تعالى ـ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ـ (ونزل الملائكة تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الأرض من الانس والجنّ . ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التى تليها ، ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلاملك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعضّ الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأن عض اليدين من روادف الحسرات وأل فى الظالم للجنس فيتناول عقبة بن أبى معيط الذى كان سبب نزول الآية وغيره (يقول ياليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلتا) * وقرئ ـ ياويلتى ـ لأن الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يصدّ عن الهدى ويوقع صاحبه فى الردى . فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لامحالة فجعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق بين شياطين الانس وشياطين الجنّ ومن هؤلاء الأخلاء أبىّ بن خلف . وذلك أن عقبة بن أبى معيط كان يكثر مجالسة النبى ﷺ فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله .

وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى (لقدأضلنى) أى الخليل (عن الذكر) أى عن ذكر الله أوالقرآن (بعد إذ جاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله لأنه واحد من شياطين الانس والجن (للانسان) المطيع له (خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولاينفعه (وقال الرسول) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يبثّ شكواه الى الله (يارب إن قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بأن تركوه وصدّوا عنه . مأخوذ من الهجران وفيه تخويف لقومه وماشكا نبيٌّ قومه إلا حلّ بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسليا فقال (وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّا من المجرمين) أى وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبيّ الخ والعدوّ يحتمل الواحد والجمع أى لا يكبرن عليك ذلك فان الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهذا قوله تعالى (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة) أى هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور (كذلك) يقول الله إجابة لهم أنزل كذلك أى مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة (لنثبت به فؤادك) لنقوّى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤن ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبيأمىّ لا يكتب ولايقرأ فلو ألقى عليه جملة واحدة لم يستتب له فان التلقف لايأتى إلاشيأ فشيأ . وأيضا نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصا فى المعانى و بنزوله منجما يتحدّى بكل نجم فيعجزون عن معارضته فيزيده ذلك قوّة فى قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ فى هذا التفسير فى سورة البقرة فاقرأه هناك . ثم قال تعالى (ورتلناه ترتيلا) قرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت و يقال فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولايأتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل فى البطلان أى يضربونه لك فى ابطال أمرك (إلاجئناك بالحق) الدافع له فى جوابه (وأحسن تفسيرا) و بما هوأحسن بيانا أومعنى من سؤالهم وقال تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أى يساقون ويجرّون على وجوههم الخ مبتدأ خبره (أولئك شرّ مكانا) أى منزلا ومصيرا (وأضلّ سبيلا) أى أخطأ طريقا وكأنه قيل انه ماحملهم على هذه الأسئلة إلا تحقير مكانه ﷺ وتضليل سبيله وهم لايعلمون حالهم فليعلموا أنهم — شرّ مكانا وأضلّ سبيلا — وقوله تعالى — يحشرون على وجوههم الى جهنم — الخ قد ورد فى الحديث مايناسب ذلك وهوقوله ﷺ ﴿ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم ﴾ . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر لنبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنسا لقلبه ونبراسا للمصلحين من أمّته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرّس قوم شعيب وذلك لأنه ذكر انه جعل — لكل نبيّ عدوّا من المجرمين — وأن الله يهدى الأنبياء و ينصرهم . فههنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم الى ذلك النصر ولارشاد أممهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة مع مشاركته له فى النبوّة والشريكان فى النبوّة متوازران فيها (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه (فدمرناهم تدميرا) أى فذهبا اليه فكذبوهما فدمرناهم . هكذا هؤلاء أرسلتك اليهم يامحمد فان كذبوك فانى أدمرهم تدميرا وقد تمّ كل ذلك (وقوم نوح لما كذّبوا الرسل) لأنهم بتكذيب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة (أغرقناهم) . بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) من كل أمة (عذابا أليما) كما عذّبنا هؤلاء (و) أهلكنا (عادا وثمود وأصحاب الرّس) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرّس ﴿ البئرالمطوية ﴾

انهارت فخسف بهم و بديارهم (و) أهلكنا (قرونا) أى أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها الا الله أرسل اليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا * قيل القرن سبعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة (وكلا ضربنا له الأمثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين انذارا واعذارا فأصروا على الاستكبار والكفر فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة (ولقد أتوا) يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت مطر السوء) وهى سدوم التى هى أعظم قرى لوط وقد أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا و يتعظوا . ولاجرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشام (بل كانوا لايرجون نشورا) لايخافون بعثا أولايأملون نشورا كما يأمله المؤمنون (واذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) مايتخذونك إلا موضع هزؤ أومهزوا به إذ كان أبوجهل اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا * إن كاد) أى انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها أولولم نصبر على عبادتها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى من أطاع هواه فيمايفعل وفيمايترك فهوعابده وجاعله إلهه . يقول الله لرسوله ﷺ هذا الذى لايرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى وتحفظه من متابعة هواه وعبادة ما أدى اليه هواه فتكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى فـاعليك إلا البلاغ وهـذا قوله تعالى (أفأنت تكون عليه وكيلا) * يقال ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد حجرا فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثانى * وقال الحسن « هـذه الآية فى كل من اتبع هواه » ثم قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ماتقول سماع طالب الافهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج . وهذا الذم أعظم مما تقدم فكأنهم لاسمع لهم ولاعقل حتى شبههم بالأنعام فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكر بل هم أضل من الأنعام لأنها تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لايعرفون طريق الحق ولايطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم * و يقال ان الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى يجمع الكل فان غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام . انتهى التفسير اللفظى للمقصد الأول من السورة وفيه لطائف

(١) فى قوله تعالى ـ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ـ الخ

(٢) وفى قوله ـ وخلق كل شئ فقدره تقديرا ـ

(٣) وفى قوله ـ ولايملكون موتا ولاحياة ولا نشورا ـ

(٤) وفى قوله ـ وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ـ

(٥) وفى قوله ـ لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ـ

(٦) وفى قوله ـ أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ـ الى قوله ـ ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ـ

(٧) وفى قوله ـ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ـ

(٨) وفى قوله ـ وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ـ

(٩) وفى قوله ـ و يوم تشقق السماء بالغمام ـ

(١٠) وفى قوله ـ ويوم يعض الظالم على يديه ـ الخ

(١١) وفى قوله ـ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ـ

(١٢) وفى قوله ـ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّا من المجرمين ـ

(١٣) وفى قوله ـ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ـ

(١٤) وفى قوله ـ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ـ

(١٥) وفى قوله ـ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا ـ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ـ ﴾

تقدّم أن معنى تبارك يشمل تكاثر الخير والدوام والتعالى على كل شئ فهو عال فى صفاته وأفعاله ودائم . فانظر الى الصفات التى ذكرت فى حيز هذا الفعل اذا هى

(١) انه نزّل الفرقان على النبي ﷺ لينذر الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

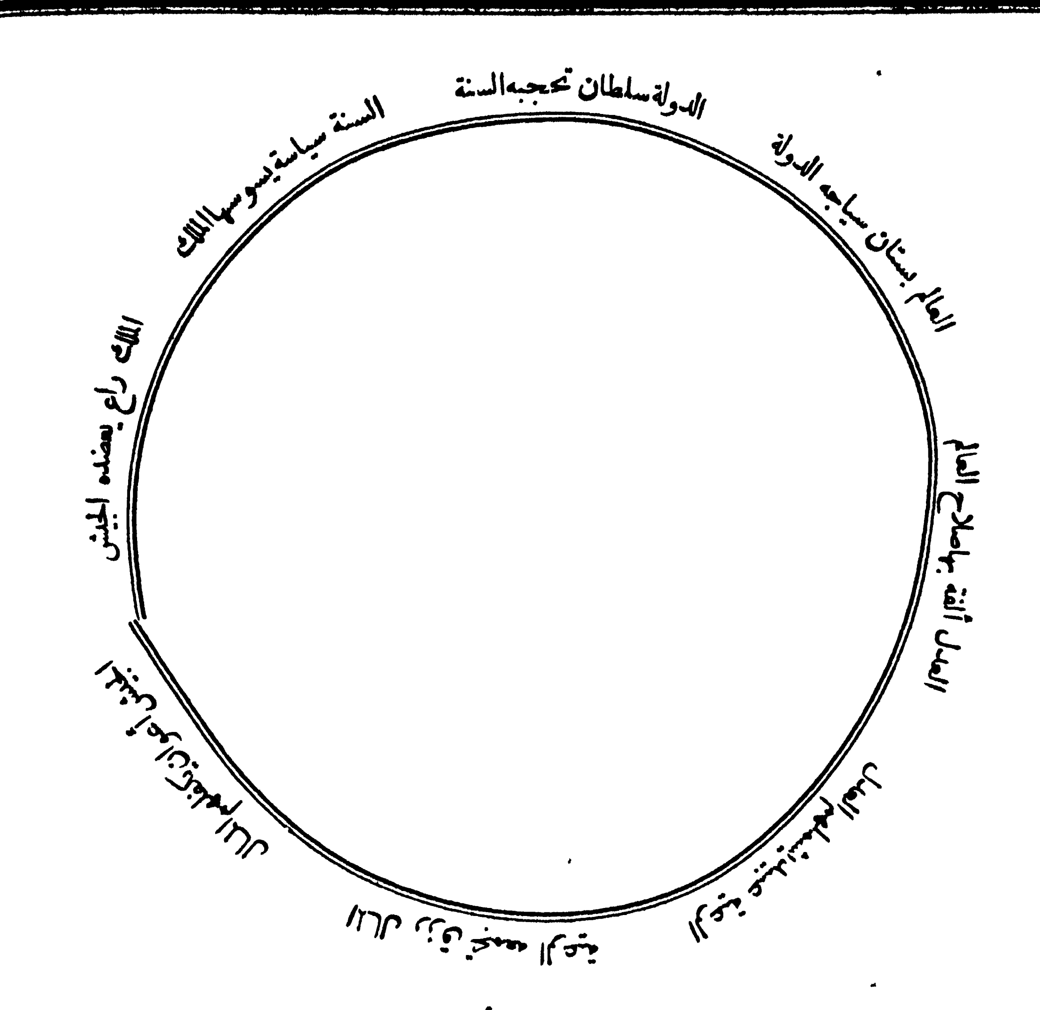
(٣) ولا ولد له

(٤) ولاشريك له

(٥) وانه خلق كل شئ

(٦) وانه قدّره تقديرا وجعله على أبدع وأتقن الأوصاف

فهذه الأوصاف هى الخير كله والبركة من نور ينزل الى الأرض وهداية الناس وملك يعم سائر الكائنات وجميع الملوك خاضعة له وليس له ضدّ ولاولد لأن الولد لمن يفنى فيقوم مقامه والشريك يدل على قوّة مقاومة وليس الانفراد بالملك وعدم المنازع وعدم الفناء الذى دل عليه انه لاولد له يغنى عن انه قادر على خلق كل شئ فربما كان مالكا لكل شئ دائم الوجود لاضد له ومع ذلك لايقدر على خلق كل شئ بل ربما كان هذا الملك قد أخذه اغتصابا فقال ـ وخلق كل شئ ـ فكل مايملكه فى السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن غيره ولم يخلق الأشياء اعتباطا بل جعل لكل شئ قدرا مقدورا وحدّا محدودا ونظاما ثابتا وهذا هو السبب فى بقاء ملكه ودوامه لأن دوام الملك على مقتضى النظام . فكلما اختلّ النظام كان زوال الملك أسرع وكلما كان النظام أتمّ كان الملك أدوم ولذلك يقال « ان العدل أساس الملك » ويدلك على ذلك الدائرة المشهورة المثمنة الكلمات التى أرسلها (أرسطاطاليس) الى الاسكندر المقدونى تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس تقدم للاسكندر الهدايا المالية والتحف الغالية والذخائر الثمينة من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هديته الى تلميذه الملك يجب أن تكون أرقى من كل شئ وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آخرها الى أوّلها وأوّلها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة يتوقف أوّلها على آخرها وآخرها على أوّلها وهذه صورتها



وقد تقدمت هذه الدائرة فى (سورة آل عمران) وأعدناها هنا لما تراه من الشرح عليها . ويقال أيضا ان (أرسطاطاليس) أوصى أن تكتب هذه الكلمات الثمان على مدفنه فى جهاته الثمان . هذه هى الكلمات الثمان وهذه هى الوصايا التى عرف الناس قديما أن لا بقاء للملك إلا بها . فتأمل أيها الذكى وانظر وتفكر وقل لى ألست ترى أن الملك مضطر الى شريعة والى جيش والجيش الى مال والمال الى رعية والرعية الى العدل والعدل الى دولة والدولة الى سلطة وقوة والسلطة والقوة تحتاج الى قانون والقانون الى الملك . فانظر ألست ترى أن الفلاح محتاج الى رئيس الدولة ورئيس الدولة محتاج الى الفلاح . ألست ترى أن الناس فى الحقيقة كجسم واحد . وكما أن العين لابد لها من رجل ويد فاليد لا تكون والرجل لا تنتقل بلا عيون مبصرة . إن الأمم لا حياة لها إلا بنظام تام ودوام الملك على حسب ثبات النظام ولذلك نجد الأمم كلما اختل نظامها أسرع فناؤها

هذا فى ممالكنا الأرضية . ولتعلم أيها الذكى أننا لم نكون دولا ولم نقم ممالك إلا على مقتضى القانون الإلهى فان الأدنى تبع الاعلى ولما كنا عبيدا لله وضع فى نفوسنا قوانين الحياة والنظام ولكنه أعطانا القوانين على حسب قابليتنا . فكلما ارتقت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أكمل . وكلما ضلت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أضعف وأقرب الى الزوال . انظر بعقلك الى نظام النمل والنحل والزنابير وكلاب البحر والغربان وكثير من الطيور والسمك فى البحر وكثير من الحشرات . ألم تر أن الله أعطاها نظاما ثابتا بالهام لا بتعليم فدام نظامها على مقتضى إلهامه . أما الانسان فانه هو الوحيد الذى أمر أن يقتفى آثار الحكماء والعلماء ويفكر فان شاء صار أقل من تلك الحيوانات وان شاء صار قريبا من الملائكة

﴿ اعتراض على المؤلف ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال ياعجبا كل العجب نحن فى مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شئ فقدّره تقديرا . فمالنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور . ياعجبا كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث فى الحيوان وفى الكواكب . فأنت فى كل مقام و بأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته و يظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا نراك دائما تخوض فى مواضيع لاعلاقة لها بتفسير القرآن

فأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من علي

غيره

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرّق ومغرب

فقلت له يرحمك الله لاتعجل عليّ قبل أن أبين لك ما أريده . هاأنا ذا ذكرت لك نظام الدول وأنها كلما كانت أقوى نظاما كانت أدوم . وأقرب شاهد على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . ألست ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . ألست تقرأ فى الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأمم وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا الدوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا الدوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام فى هذا الوجود لاختلّ ولانهدمت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لايضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريعا بسوء نظامها وأمما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كافلان بذلك . ثم اننا نجد نظاما ثابتا لايتدهور ولايتداعى ولايسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . اننا ونحن على هذه الأرض ضعاف مساكين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف تحكمون بذلك وأنتم عبيده قصار الأعمار فلنحكم بالنتائج ونوازن ملكه بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دولنا تتسارع الى الفناء وملكه قائم شامخ لاينقضى ولاينهدم ولايتساقط ووجدنا شمسه وقمره وكواكبه سائحة رائحة غادية دائرة ساهرة جادّة لاتنام ولا تغفل عرفنا أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام و بهذا وحده تفهم هذه الآية . فاذا قيل لنا انه له ملك السموات والأرض ولاولد له ولاندّ له وانه خلق كل شئ فهذا كله لايعطينا أن الملك دائم فلما قال ــ فقدّره تقديرا ــ عرفنا دوامه ولايستبين لنا ذلك إلا بما قدّمناه و بهذا نعرف قوله ــ تبارك الذى بيده الملك ــ فهذا معنى تكاثر خيره ومعنى دوام خيره

فلما سمع صاحبى ذلك قال لقد أحسنت صنعا وأجدت معنى وأريتنا مالم نكن لنتوقعه وكأنك بذلك ترينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر فى أمور الأمة . قلت ولم لايكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء فى القرآن ــ إن ربى على صراط مستقيم ــ فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا ان نقول فى الصلاة ــ اهدنا الصراط المستقيم ــ والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأوّل فكأننا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرّح بذلك فى آية أخرى فقال ــ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ــ فهذه الآية تدعو حثيثا الى أن نحذو حذو خالق العالم فى حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأوّلين والآخرين فان قوله ــ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ــ تدعو الى البحث فى كل شئ . تدعو الى البحث فى الأنهار . فى المزارع . فى أضواء الشمس . فى نفس الشمس وفى القمر وفى الكواكب . انظر . انظر وتعجب . انظر الى الدائرة التى سبق ذكرها فى كلام (أرسطاطاليس) فانظر كيف جعل الأمّة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأمّلت العالم كله وجدته على مثل هذا النظام والتقدير

ترى ضوء الشمس يحرّك البخار من البحار ويحرّك الهواء فى الجوّ فيصير الهواء ريحا هابة و يحمل البخار ويسير به بين جبلين ليصطفاه وهوجار حتى يحمل البخار الى عشرات الأميال بعيدا عن البحر فيسقط مطرا على الأرض ويكون هناك الحب فينبت . والشمس التى أثارت البخار وحركت الرياح هى بعينها تلح على الحبة وعلى الأرض فتنبت وتخرج حبا آخر والشمس لاتزال تلح بأشعتها فيخرج الحب فيأكله الناس . ولاحياة للناس ولاللنبات ولا للحيوان إلا بالماء والرياح التى تهبّ من وقت لآخر ثم يصير الماء الذى فى أرض الزرع وفى أجسام الناس بخارا يصعد الى الجوّ فيرجع مطرا وهكذا تلك الرياح لاتزال دائرة . ولقد تقدّم أن تنفس الحيوان لابد منه فى بقاء النبات وتنفس النبات لابد منه فى بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق ايضاحه بحيث لايعيش الحيوان ولايعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجودا على الأرض . وهكذا أيضا غذاء الحيوان لابد من أن يكون نباتا والا هلك وسماد النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجميع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لابد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا ثمان كلمات قلنا هناك كلمات لاتحصى ــ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا ــ

بمثل هــذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلاطونى للحياة . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله للملك وكيف قال تعالى ــ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ــ فالتقدير يعرف فى الكليات وفى الجزئيات . فأما الجزئيات فقد تقدّم فى هــذا التفسير مافيه مقنع للبيب . ولقد ذكرنا فيه نظام الانسان والحيوان والكواكب وكتبنا فيه من كل فنّ ولم نذر النحل ولاالنمل ولاالعنكبوت إلا كتبنا فى عجائبها فبعضها قد كتبناه فيما مضى و بعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة فى حينه متى وصلت اليه ومن درس الدوائر التى فى الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى الدائرة الدموية الى الدائرة الغــذائية رأى تعاونا بديعا جدا فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست النار الجلد أسرع الانسان الى مجانبتها وذلك بالحواس وهى هنا حاسة اللمس واذا جاع الانسان احتال فى طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء فى الرئتين فيصلح الدم ثم يخرج من الفم حاملا الكربون أى المادّة الفحمية ليدفعها الى الهواء وهذه المادّة الفحمية تذهب الى النبات فتغذيه فهى ضرر فى الانسان منفعة فى الحيوان . ثم ان الدائرة الدموية التى أصلحها التنفس عبارة عن دم يجرى فى الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر فى القلب فالقلب عبارة عن ﴿ أربع تجاويف ﴾ اثنان أعليان واثنان أدنيان ويقابل فى الرئتين الهواء الجوّى فيصلح و يرجع للقلب ويتفرّع للشرايين الممتدّة فى أعلى الجسم وفى أسفله لكل منهما بعرق غليظ مفرّع الى فروع تمتدّ وتغور فى سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه مايعوّض مافقدته من الموادّ التى صارت فحما وكيف احتاج الدم الى الهواء لينقى من الموادالفحمية وكيف احتاج الهواء فى دخوله الى أن يكون فى الرئتين وكيف كانت الرئتان لايدخلهما الهواء إلا بعد مروره بالقصبة الهوائية ولايمرّ بها إلا بعد دخوله فى الحنجرة ولايدخل فيها إلا بعد دخوله من الخيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون فى الامعاء وخالص الغــذاء فى الامعاء يكون آتيا من المعدة والغذاء فى المعدة جاء من المرىء والمرىء أخذه من الفم والفم قد مضغه بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينــة للخباز والطباخ وهما مدينان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فالزرع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفا على الطعام والفلاح متوقفا على الفلاح وهــذه الدائرة هى عين التى قالها (أرسطاطاليس) انما هــذه أطول وأطول . وقد قدّمنا لك أن هــذه الدائرة لانهاية لها بل هى متسلسلة تسلسلا يفوق ادراك البشر . فدوائر الناس فى مدنهم على مقتضى دوائر الله فى نظام ملكه

بهذا فلتفهم كيف قال تعالى هنا ـ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ـ الخ ثم قال ـ الذى له ملك السموات والأرض ـ كأن الله يقول لنا أنا أنزلت القرآن على محمد ليفرق بين الحق والباطل والحرام والحلال واذا كنت أنا الذى أنزلت القرآن على محمد فأنا الذى قدّرت كل شئ تقديرا ووزنته بميزان عدل . فأنا الذى وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظامكم على نظامى . فأنا اذا أنزلت الفرقان على عبدى فانى أقصد أن تجعلوا نظامكم على وفاق نظامى أى أن تجتهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان . ألست أنا القائل ـ والسماء رفعها ووضع الميزان * ألاتطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان ـ فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسيروا على نظامى فى الوزن والعدل أى لأجل ألاتطغوا فى الميزان أى لاتزيدوا فيه وليكن وزنكم بالحق ولاتنقصوه على مقتضى نظامى . هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزلت القرآن على عبدى ليكون للعالمين نذيرا . ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الدائم الذى هو على أحسن تقدير و بهذا تجلى المعنى فى أحسن زىّ وأبهى جمال وأبدع حلة وأوفى بيان

﴿ حكاية عجيبة بديعة سارة شارحة للصدور فى اللطيفة الثانية وهى قوله تعالى ـ فقدّره تقديرا ـ ﴾

لقد سبق الكلام على التقدير فى اللطيفة الأولى بما لامزيد عليه . ولأذكر لك حكاية بديعة شارحة لصدرك وان كانت دقيقة المعنى فأقول

بينما أنا أكتب فى هذا التفسير إذ قرأت فى الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل افرنجى ألقى محاضرة فى بلادنا المصرية وهو ألمانى الجنس . وتلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من عجائب العلم و بدائع القرآن والمصادفات التى تدهش القارئين الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البارون (ولدميراوسكول) ألمانى الجنس وهو روسى المنشأ وقد ساح العالم وألف كتبا عن بلاد شتى . وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه الى إسوج ووقع فى يده كتاب فى جامعة (استوكهلم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجستس) والحكم التى وردت فى ذلك الكتاب جاءت فى اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمنفيس تهدّم ولكن بقيت أوصافه فألقى محاضرات شيقة من هذا الكتاب فى إسوج وفى ألمانيا وفى الدانمرك وجعلها فى كتاب . ولهذه الصور اتصال بعلم الأرواح والمهم ماذكره فى إحدى محاضراته بمصرنا مما يوافق هذه الآية . قال

﴿ إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (نوعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لايعرفه إلا رجال الدين . أما النوع العام فهو الجمع والطرح والضرب والقسمة . وأما الذى يختص برجال الدين فهما الجمع المقدّس والطرح المقدّس . و بيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وانما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كله دالة على التعدّد والواحد لاتعدّد فيه فهو خاص بالله تعالى وجميع الأعداد مركبة من الواحد فاذا زال الواحد زال العدد واذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لايكون إلا بالواحد فلانصف ولاربع ولاجزء من (١١) ولاجزء من مئات الالوف إلا اذا كان الواحد فالواحد هو الأوّل وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شئ . ثم اننا اذا أضفنا الى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العددية التى تكون بزيادة ٣ فنقول (١ ـ ٣ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٦ ـ ١٩)

هذه المتوالية العددية فيها سرّ تكوين هذه الدنيا عند قدماء المصريين بل فيها سرّ المبدإ والميعاد . فيها سرّ الأوّلين والآخرين . فيها سرّ الدنيا والآخرة . فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والخراب فيها سرّ الله وسرّ الخلق . فيها سرّ كل شئ . و بيانه انك اذا أضفت ٣ الى واحد بطريق الجمع المقدّس فان

ذلك اشارة الى آثار الله فى الطبيعة . فترى الفصول الأربعة وترى الصبح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعهما الليل والنهار . وترى أكثر الحيوان الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ماهو أربع . فاذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو الكمال فى كل شئ فى الفرد وفى المجموع . فأما عشرة فهو رمز الى متقلبات الحياة من رفع وخفض فى الأفراد والأمم ورقم (١٣) اشارة الى الموت موت الأفراد وموت الأمم ورقم (١٦) اشارة الى الدمار العام والهلاك التام ورقم (١٩) اشارة الى الحياة التامة ورجوع جميع الاحياء الى حياة كاملة . هذه هى الرموز التى كانوا يقولون انها تدل على هذه المعانى وكأنها صور رمزية دينية تقرّب المعانى البعيدة . وأنا أزيدك على ماقاله ان هذه المتوالية العددية اذا أضفنا أولها الى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحدّ الأوّل والحدّ الأخير منها يساويان الحدّ الأوسط مضروبا فى اثنين إن كان واحدا أو الحدّين الأوسطين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تضيف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدّين ١٠ و١٣ متضامين الى بعضهما لأن الحدود فى هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدّين فأما فيما قبله فان عدد الحدود سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب فى اثنين . ولعلك تقول وما للآية ولهذه المحاضرة *أقول إن الآية أفادتنا أن الله واحد لا شريك له وانه لاولد له . وكل هذه المعانى يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شئ وأما قوله ــ نزّل الفرقان على عبده ــ فقد رمزوا له بآثار الله فى الطبيعة . ومعلوم أن لله أثرين اثرا فى الخلق والتقدير وأثرا فى الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخلق كل شئ فقدّره تقديرا . فذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدّم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعدد (١٣) وبعدد (١٦) لأن الهلاك والدمار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو المرموز له باعادة الخلق بعد العدم

﴿ بهجة العلم فى قوله تعالى ــ تبارك الذى نزّل الفرقان ــ الى قوله ــ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ــ وفيه « ثلاث ياقوتات » الياقوتة الأولى » فى قوله ــ ليكون للعالمين نذيرا ــ مع قوله ــ ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ــ « الياقوتة الثانية » فى نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قدّم تنزيل الفرقان فى الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العملى يخالف ترتيب نظام الآية « الياقوتة الثالثة » فى قوله تعالى ــ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ــ ﴾

﴿ الياقوتة الأولى فى قوله تعالى ــ ليكون للعالمين نذيرا ــ مع قوله ــ ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ــ ﴾

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لايحكم عليه زمان ولامكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان انما جاء من دوران الشموس والكواكب والمكان انما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولاحكم له إلا علينا . إذن الله لايحكم عليه زمان ولامكان وقد تقدّم هذا فى بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يعدّ بالسنين وبالنسبة للأمم يعدّ بالقرون . إن الله يعدّ للطفل قبل ولادته كل مايحتاجه حاسبا زمانه فلايكاد يكمل خلقه فى الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ فى التوجه لثديها وهناك يأخذ ذلك الجهاز الثديى فى تحويل الدم الى لبن شيأ فشيأ وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد أعدّوا له القابلات والثياب التى تكون وقاية له والحجرة التى يعيش فيها . فههنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فالمال يبذل والدم يصير لبنا والحكومة تعدّ الدفاتر لقيده . كل ذلك لطفل قادم من الرحم نازل بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله فى طفل قادم الينا . إذن الحكمة التى دبرت هذا العالم لاتذر فردا إلا أحاطته برحمة لاحدّ لها . فلننظر للأمم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الانسان الذى يخلقه على وجه الأرض لايقدر عقله أن يفهم أن

إله العالم بعيد عن المادّة متعال عنها فأنزل أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا انى لاترانى العيون ولاتحيط بى الظنون فقال ذلك (بوذا) و (خريستا) بالهند وقالها (يو) و (كونفسيوس) بالصين وقالها موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأمم إلا أن اخترعت ﴿أمرين * الأوّل﴾ انه خيل لهم أن الإله كالأب والمادّة كالأم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولده بين ظهرانينا وقد أرسله وصلب لأجلنا ورفع وذلك ليسهلوا للناس أن لهم إلها والافكيف يكون إله لانراه ولانرى له ابنا . أليس الله مثلنا يلد . أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد فى البلاد التى يحكمها ﴿الأمر الثانى﴾ انهم لم يقدروا أن يتصوّروا موجودا لايرى فعبدوا الكواكب ثم الأصنام التى ملأت السهل والوعر فى العالم الآن . وقد تقدّم هذان الأمران فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى ـ فلاتجعلوا لله أندادا ـ وفى (سورة المائدة) فى آخرها وفى (سورة ابراهيم) عندذكرالأصنام وفى (سورة مريم) عند ذكرالمسيح وفى (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى ـ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلانوحى اليه ـ الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح الذى أصله توحيد سيقبله أهل الأرض ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقدماء المصريين وأهل مكسيكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أبا وابنا وروح قدس . العالم الانسانى كله كجنين فى بطن أمّه وهذا الجنين عاش فى هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة واما أكثر الى (٣٠٠) ألف سنة . هذه الآلاف يمكننا أن نحسبها شهورا بالنسبة للأمم فنقول إذن الأمم لاتزال طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما و بقى جاهلا لأنه لم يستحكم عقله ودخل معابد الأصنام النائبة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم . فماذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من أمة جاهلة وهولم يتعلم مثلهم فقال لهم لاأصنام ولاأبناء وكسرالأصنام وذم عقيدة الأبناء ورفع سيفه آونة وأعلن السلام فى الأرض ثم فارق هذه الأرض الى ربه . مضى على ارسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلنا أن نحسب هذه القرون أعواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق ونقول إن هذا الانسان لايزال مراهقا وأن أهل هذه الكرة لم يتم التواصل بينهم ولاعرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء وهاهم أولاء الآن أخذوا يدرسون . فماذا تمّ فى ذلك . نقول أذكر لك ﴿حادثتين اثنتين﴾ لا ثالث لهما ﴿الحادثة الأولى﴾ معابد بلاد الصين والاسلام المنتشرفيها ﴿الحادثة الثانية﴾ كيف انتشر الاسلام فى جهات أفريقيا المظلمة على نهرالنيجرفنقول هذا الطفل الذى أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ماصنعه مع الطفل المولود حديثا . فكما أن الطفل الحديث الولادة نرى الاستعداد له على ساق وقدم . هكذا هذا الانسان الذى أخرجه الله فى هذه الأرض قد هيأ له اليوم نبيا ليخرجه من جهالته لأنه علم انه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ عاما فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن عام . وهذه الأعوام بالنسبة لعمرهذا الطفل قليلة جدا لأنه سيعيش كثيرا

الآن أخذت الحقائق تظهر فى أهل الأرض فانظر الى أمّة الصين . إن للصين آلهة معبودة يقدسها الشيوخ ويحقرها و يستهزئ بها الشبان . فترى هناك فوق جبل (تايشان) فى تلك البلاد القاصية معابد يحج اليها المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل الى المعبد له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لايبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة ولذلك ترى هناك حمالين يحملون الحجاج الى الأصنام فوق الجبل وفى الطريق زوايا صغيرة للآلهة الصغيرة وزوايا كبيرة للآلهة الكبيرة ويجد الحاج بيوتا للشاى ليستريح فى الطريق من مشاق الصعود ، فهذه الآلهة (التى اذا حجّ اليها المؤمن بها رجع بعد طول الشقة ووعثاء السفر والجهد والنصب قرير العين لايخشى الموت) قدبانت معابدها اليوم معرضة للاحتقار والاستهزاء والسخرية من الشبان الذين قرؤا الحكمة والعلم وتنوّرت بصائرهم إذ يرون انها أحجار لاتضرّ ولاتنفع كما نطق به القرآن وتراهم يذهبون اليها لتنجيسها تحقيرا لشأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

﴿ الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام فى أفريقيا المظلمة ﴾

جاء فى الأخبار المنشورة فى الصحف فى أيامنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الانجليزى يقول انه وجد زنوجا فى (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون فى فلسفته . وذلك بسبب ماقرؤه من الكتب الاسلامية التى دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المجحف القديم والعسف والظلم بسبب نظام اسلامى جيل فيه الولاة والحاكم وكل امرئ من هؤلاء الحكام يشعر بأنه مسؤل أمام ربه . وهؤلاء الزنوج فى حال همجيتهم ووثنيتهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولايبالون بالأقذار ولايعرفون المحارم فى الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا ماتت فاذا دخلوا فى الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون فى الدين ويقرؤن الكتب التى ألفها المسلمون

فهاتان الحادثتان من الحوادث الكثيرة اخترتها لتقف أيها الذكى على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فهاهوذا الصينى العريق فى المدنية والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلوم أخذ يدنس الأصنام محتقرا بها معابده . وهاهوذا الافريقى المتوحش لما بلغه دين الاسلام بطريق مقبول تدين به واتقى ربه وهذا فى آخر الدنيا شمالا وهذا فى آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لايخلو اسلامهم من خرافات تبعا لعوائدهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بحجاج يسمون (التكارنه) فهم هؤلاء أنفسهم يمشون على أقدامهم الى مكة يسألون الناس تكففا ويموت أكثرمن نصفهم فى الطريق . ثم ان سلطان الزنوج فى (برموه) فى (نيجيريا) الفرنسية مسلم لاتفوته صلاة ولايهمل فرضا ولكنه مقيم على عوائده الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (المنجة) ورعاياه لاينظرون اليه ولايخاطبونه إلا اذا ولاهم ظهره والجوقة الموسيقية كذلك لاتعزف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدى الافريقى . وهاهوذا فى بلاد الصين الكثيرة الأصنام . تلك الأمم التى عند أهلها آثار من العلم وقد اتضح العلم لهم الآن فحقروا الأصنام . فياليت شعرى ماذا يصنعون الآن . أقول ان لهم ملجأ يلجؤن اليه كما أن للطفل عند ولادته ملجأ يلجأ اليه . فملجأ الطفل القابلة وابن أمه والعطف العام عليه وملجأ هذه الأمم الوثنية وحشية كانت أومتمدينة إن ربها ليس بغافل عنها كما لم يغفل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم فى الشمال والجنوب قد أعد لهم الله اللفائف قبل ظهورهم أوالأساتذة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا نعقل عمل الله فى الطفل لأنه أمر سهل ولسنا نعقل عطفه على الأمم فنظن أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكنا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأمم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأمم مجموع أفراد . أفلاترى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقرؤه وانشروه فقرؤه ونشروه . ولما انتشر فى بلاد الصين لم يف هذا الدين الاسلامى بحاجات تلك الأمم لأنهم قوم علماء وحكماء حكمة قديمة غامضة وللمسلمون هناك (٧٠) مليونا ودين الاسلام الشائع بينهم لم يخرج عن الأحكام الشرعية التى اجتهد فيها أبو حنيفة ولذلك تجد الوثنيين الذين يحقرون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ واجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظام الله فى الأرض وعجائب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فان دينكم خال منه فلا فكر لكم معاشر المسلمين إلا فى الصلاة والوضوء والغسل والحيض والنفاس والولادة وأحكام ذلك كله وأنتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون .

هذا هو الذى أخبرنى به العالم الصينى المسمى (وان وين كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره فى مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قوادمن قواد الجنود الصينيين المسلمين أرسلونى لأبحث فى أقطار الاسلام لعل هذا الدين حقيقة عدو للعلم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك ولقد قال لى « لقد وجدت فى مصر حركة عظيمة وقد اطلع والحمد لله على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة)

ولقد قال لى انه سيترجم الفاتحة وكتاب القرآن والعلوم العصرية » وسافر وأنا لاأدرى الآن مافعل

إن هذا الدين الاسلامى لما انتشر فى الأرض وأخذته أمم بعد العصر الأول لم تفهم مايراد منه فأخذوا يتلونه بلاعقل وحصروا العقل الانسانى فى أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأمم التى حملت هذا الدين بعد العصر الأول ليسوا كفؤا لهذا الدين . ولما أدرك الحقيقة الامام الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ألف كتاب ﴿ الاحياء ﴾ وقال انى أريد أن أحيى به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لايفهمه من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يعلمون أن معرفة الله بالنظر فى العجائب والمخلوقات هى أصول هذا الدين وهكذا علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيبا عمليا وذم أهل زمانه ذما شنيعا ونقل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله نحمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى معضلات هذا التفسير فقال لقد أطلت المقال فما ملخصه . فقلت

(١) ان الأمم كلها أطفال

(٢) وأن رحمة الله تشمل الأمم كما تشمل الأفراد

(٣) وأن الله مهد لهؤلاء الأمم بدين الاسلام كما يمهد للصبى ثدى أمه

(٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام فى الصين عابدة الأصنام وفى نيجيريا المتوحشة

(٥) وأن المسلمين فى الصين كبقية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا الأحكام الحنفية والشافعية الخ

(٦) وأن هذه الأمم استعدادهم لحمل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة فى العصور الأولى ولا التابعين

(٧) وأن الامام الغزالى رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنادى فى الناس بكتابه الاحياء يقول « أيها الناس دين الاسلام أن تعرفوا جميع العلوم فى هذا الوجود وأنتم ماعلمتم اليوم إلا القليل جهالة و بلاهة » وقد مضى بعد قوله مايقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدروا أن يهدوا أكثر الأمم الضالة التى تعبد الأصنام

فقال وما دواء هذا الداء . فقلت دواؤه فى ﴿ الياقوتة الثانية ﴾ وهى انه ذكر تنزيل الفرقان قبل قوله ـ له ملك السموات والأرض ـ . فقال وأى شئ فى هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية فى هذا الموضوع فقلت إن الدواء فى هذا التقديم والتأخير . فقال اذكر حادثة توافق هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدم فى هذا التفسير أن أبا بكر رضى الله عنه وقف خطيبا فى سقيفة بنى ساعدة وقال للأنصار أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . فبهذا التقديم فى الآية حكمت قريش العرب وأمم الاسلام قرونا وقرونا فكان منهم العباسيون والأمويون والعلوية وهكذا . كل هذا لتقديم كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعى يقول ﴿ يجب فى الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن الله قدمه فى الذكر فى آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبى ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ماتقوله فى هذه الآية من حيث التقديم والتأخير لأن الحجة قائمة . فقلت ان الله خالق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول ـ الذى له ملك السموات والأرض ـ وهذه جملة اسمية تقتضى الثبوت والدوام أما نزول القرآن فقد ذكره بجملة فعلية تقتضى الحدوث . قال هذا حق . قلت فلو أن نظم القرآن مشى على سنن آية الوضوء وعلى سنن آية المهاجرين والأنصار ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ لو أن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجاراة ما هو موجود لكان هكذا "تبارك الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا

ونزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنا مع انه مقتضى الترتيب الوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسر ظهر فى عصرنا وحكمة بهرت فى أيامنا . ذلك هوماعليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرؤن القرآن ولايعرفون إلاالتنزيل فهم يبتدؤن بحفظه عن ظهرقلب ثم يقرؤن الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يفسره و يبينه فعله ونحن نسمع حديث النبى ﷺ ونتبع فعله وقوله . أفلانفعل مع الله مانفعله مع نبينا ومع الناس. نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلانجد فى تتبع أفعال الله كما قرأنا أقواله . و بناء عليه يجب فى اصلاح المسلمين أن نمزج قول الله بفعله فى التعليم . ان قول الله أشبه بما يجي الجسد الانسانى من الدم وهذا الدم الجارى فى جسم المرأة لتغذية الجنين يفيد الجنين ولكنه لايفيد الطفل كما قدمنا آنفا فاقتضت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصنع فيه الدم فيكون لبنا ليشرب به الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنة يحيون بالقرآن حياة الجنين فى رحم أمه فلذلك لم يصلحوا لقيادة الأمم العظيمة ولا تفهيم الناس الحكمة حتى ان المسلمين فى الصين لم يغيثوا عباد الأصنام بمعرفة حقائق الدين الحكمية لجهلهم بها فهم يتخبطون فى عبادة الاصنام يائسين من دين حق فى الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنة فهم اليوم فى حال الرضاع فحق لهم أن يعطوا الدين مصحوبا بالعلم وذلك هو المعبر عنه بدين الفطرة وهو الوارد فى الحديث إذ خير ﷺ بين الخمر واللبن ليلة الإسراء فاختار اللبن لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التدريج فى التربية .

فقال صاحبى هذا القول غامض أى تدريج تريد وكيفية هذا التدريج . فقلت إن الأمة إما أن تحفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله ممتزجا بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ثدى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عرضا ولوانه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الخمرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة فى التغذية . فقال صاحبى إذن أنت تقول ان قوله ـ له ملك السموات والأرض ـ بعد قوله ـ نزل الفرقان ـ أشبه باللبن وذلك بمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعتها أنت فى التفسير ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ انك الآن تقول تنزيل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية ومزج العلم بالدين هى الحال التى ينقلون اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فاتك أن مصطفى كمال باشا نقل تركيا من حال الى أخرى وقال ﴿ العلم شئ والدين شئ ﴾ أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا و يظهر انه نجح فى ذلك بدليل أن الأمم كلها تهابه الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطر فيها وماهذه الطريقة إلا كطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولايسيرون على النظام الطبيعى وأحسن الطب ما كان جاريا على الناموس الطبيعى فاذا أكل الانسان الفواكه والخضر وترك مايضر استعماله و برز فى الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الأدوية التى تنفع مؤقتا ثم تترك أثرا فى النفس تتبعه آثار ثم ينتهى بالموت . ومامثل المسهلات والأدوية المركبة فى المرضى إلا كمثل الاتكال فى الدين على المعجزات وخوارق العادات كما تقدم فى (سورة طه) فكما أن الشفاء فى المسهلات والمركبات وقتى

يعقبه .

يعقبه مرض آخر هكذا الاتكال على خوارق العادات يعقبه ردّ فعل ويقول الله تعالى ـ أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ـ إذن فمالهم يطلبون خوارق العادات . قال صاحبي إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وتركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسهلات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل الثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي اعطاء الأمّة الدين مع السياسة فهو اذن كاللبن وهو موافق للفطرة كما في الحديث واعطاء المريض الأغذية اللطيفة بدل المسهلات وتعليم الأمّة العلوم العقلية مع الدين بدل الاتكال على خوارق العادات كالمسألة الأولى . فقلت نعم هوكذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرانيشتاتن) الذى هو من أقطاب الطب فى ألمانيا ﴿ إن الضعف فى درجاته انما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت رديئة أم طيبة فهى اذا استعملها الطبيب بحذق ومهارة تغلبت على المرض حقا ولكن تترك هنالك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا فى الجسم فلا تقبل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجى ونسب ذلك الضعف الى المركبات مثل (حمض البروسيك) والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ

(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الاستاذ (بلز) ﴿ إنّ الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شرّ من المرض هى صحيحة فى أكثر الاحوال ﴾

(٣) وقال نحو ذلك (الدكتور سميث) الذى قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطى الدورة الدموية سما كما يعطيها السم تماما ﴾

(٤) وهناك نحو ثمانين عالما من الأطباء الرسميين نقل عنهم الاستاذ (ولز) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعا أن الصحة فى الاقتصار على استخدام قوى الطبيعة كالهواء الطلق والغذاء الجيد الصحى وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الانسان عملا جسديا معتدلا وأن يستحم بالماء الفاتر والبارد وهكذا مثل ماتقدّم فى (سورة طه) فى أواخرها

فقال صاحبي ما الذى أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتقدم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى ويتبعون شهواتهم ويحققون نظرياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولايقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للمريض فلذلك تحدث أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾

فقال وما الذى يناسب ذلك من أمر سياسة الأمّة اذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت ان عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستعجل لرقى أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يثوروا فى وجهه فمن الملوك من يفوز ومنهم من لايفوز واذا تمّ الفوز فالأمر لايزال خطرا يعقبه ردّ فعل بعد حين وخير السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الاسلامية اليوم تقرأ الدين ولا علم عند كثير منها فليمزج العلم بالدين كما فعلت فى هذا التفسير فيكون لبنا خالصا سائغا للشاربين وبه يبتهج العلماء فى أمّة الاسلام ويحبون رقىّ أممهم ويعاونون الملوك والأمراء ولايثيرون الشعوب عليهم . فهذه هى الطريقة المثلى لاسيما أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الاصلاح الدينى أعظم أثرا فى رقى الأمة من الاصلاح السياسى ﴾ فاصلاح مصطفى كمال باشا نافع ولكن هذا الاصلاح الذى اتبعناه عاقبته حيدة وهو سريع الأثر بعيد المدى يريح الملوك والأمراء ويجعل الأمة روحا واحدة . هذا هو الذى هدانى الله اليه وأريد به اراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خير من الثورات والدسائس ـ وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ـ ومن العجائب أن الأخبار وردت اليوم ١٦ ينايرسنة ١٩٢٩ أن ملك الأفغان المتقدم ذكره لاسراعه فى الاصلاح تنازل عن العرش . وقد قدّمت فى (سورة الحجر) منذ سنة انه زار مصر إذ ذاك وانى أشعر بكراهة الشعب له لاسيما العلماء وقد حصل هذا فعلا الآن

فقال صاحبي وأىّ دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها فى (سورة

طه) وأن فعلها وقتى إذ عبد بنواسرائيل العجل بعد أن رأوا العصا والحية والله يقول ـ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ـ والتخويف انما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأمم تعقل وتفهم لا أنها تخوّف كالصبيان

﴿ حكاية ﴾

كان لى صاحب وهو مجاور لى فى المنزل وهو شيخ طريقة مشهور فى مصر وكنت أجلس معه فى بعض الأيام وقد علمت انه اذا توجه الى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوك ويجعلون يومه عيدا ولاعتقادهم فيه كان اللصوص يخافون منه فلا يسرقون . وقد حادثه أحد اخوانى فى ذلك فقال انى اذا وصلت الى البلد فانه يأتى الىّ واحد فيقول لى ياسيدى أنا أخطأت و يسرد له كل ما حصل من السرقة و يذكر جميع الذين كانوا معه فاذا حضر واحد منهم قال له ارجع لاتدخل علىّ فيعتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت نخاف الناس من الشيخ لامن الله . وهذه حال لاتفيد الأمة إلا مؤقتا وانما هى أشبه بالمخدرات أو المسهلات أو الأدوية المركبات وانما السبيل لرقى المسلمين حقا أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال ـ نزل الفرقان على عبده ـ وأتبعه بذكر انه له ملك السموات والأرض ـ . فبمزج العلم بالدين ترتقى الأمة . أما الأدوية الوقتية للأمة كذكر معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء حقا كانت أو باطلا كما فى صاحبنا الذى ذكرناه سابقا وكالتأثير بالخطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقلى فانه لايدوم أثره فى الأمم مالم تصبح الفضيلة لها عادة ولكن يبقون فى العلوم والمعارف عالة على الأمم فلابد حتما مما قلناه . والى هذه الحال يشير قوله تعالى ـ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ـ فعبر بثم للاشارة الى تأخر زمن البيان عن زمان التنزيل و بيان القرآن حق البيان قد ابتدأ فى هذا الزمان الذى عبر عنه بثم فى الآية . وكذلك قدّم الله تنزيل الفرقان هنا على قوله ـ له ملك السموات والأرض ـ وعبر بالفرقان ولم يعبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا بادراك الحقائق التى تعرف بملك السموات والأرض فالأمم الاسلامية السابقة أكثرها قرآنية والأمم الاسلامية اللاحقة أكثرها فرقانية . فاقرأ هذا التفسير و بعده تعرف هذه الحقائق والحمد لله رب العالمين

كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الياقوتة الثالثة فى قوله تعالى ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ ﴾

من اطلع على هذا التفسير أو أكثره استقرّ فى ذهنه أن الله عزّوجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادق وجلّ وما مثل الحكمة والنظام والتقدير فى هذا العالم إلا كمثل ضوء الشمس واشراقه . اننا نرى كل بيت فى هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور و يشمل جميع حجراته تكون سكناه ضارة بالصحة ، فعلى مقدار اشراق نور الشمس فى أركان البيت تكون صحة سكانه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن الحجرات فى المنزل أو عنه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قلة العلوم والعبادات والأعمال والرقىّ والفلاح هذا حكم نور الشمس . فلننظر إذن لنور الله وحكمته .. الله عزّوجل كما جعل نور الشمس عاما وجعله محيطا بالكرة يدخل فى كل منزل وثقب وحجرة . هكذا نراه فى الاحكام والاتقان بل الاتقان أعم وأبدع واذا أردنا أن نذكر هنا مثلا تواردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغيرة الى شموسه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة الى المجرّات وأنواع السدم فى أقطار السماء فلأكتف ﴿ بمثلين صغيرين ﴾ مثل النحلة ومثل العنكبوت وانما ضربت هذين المثلين لتعجب من جمال واتقان وابداع وحسن وجمال وكمال ونظام وماشاء الله كان فى حيوانين حقيرين منبوذين صغيرين قد اختلفا وصفا وتباعدا طبعا وفيهما من دقة الصنع مايحير العقول

﴿ حكاية ﴾

لنا مزرعة ببلدة (البركة) فى الارض التى تقرب من الجبل الشرقى المصرى فاقتضت الحال أن أخرج من القاهرة آنا فآنا لأجل هذه المزرعة والنظر فى أمرها . ولقد عزمت يوما أن أتوجه اليها ماشيا على القدم من

بلدة

بلدة المرج لأبتهج بمنظر أرض واسعة خالية فى طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الفدادين لاتزرع وانما هى مسرح البهائم ترعاها فلماتوسطت تلك المزارع وجدت أرضا ذات حشائش قدعمها كلها نسيج العنكبوت هنالك أدهشنى هـذا الصنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلابناء ولازرع أرسل الله لها سكانا نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهمنا أذكر صفة العنكبوت وصفة النحل اجمالا . أما العنكبوت فانها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما ماثلها وهوجميع الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليست من الحشرات ثم أكثر الحشرات غير سامّة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن العناكب والعقارب وأبوشبت كلها ذوات سم وابرة الحشرة السامّة تكون من خلف . أما إبرة العناكب فمن الأمام . وحيوان العنكبوت ينسج بيته ومتى مرّت به ذبابة فعل معها ﴿أمرين * أولهما﴾ انه ينسج خيطه عليها لئلا تفلت منه ﴿ثانيهما﴾ انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن فيخدرها أو يميتها . والشبت سم قوىّ ولكنه غير مميت كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل . فهمنا ﴿حيوانان﴾ حيوان يتغذى بالذباب وهو غزّال نساج وحيوان يتغذى بالنبات وهو يعطينا العسل . هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا للعسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للمادّة السامّة إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة الموادّ السامّة قبل أن يصنعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك لمنفعته هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للغزل والنسج . إذن الحيوان سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبنجر وأوجد مصانع للغزل وأخرى للنسج . كل ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى نراها فى المنزل متى قلّ كنسه وتنظيفه ورأيتها فى الحقول التى فى ضواحى القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . يراها الجاهل فلاتهمه ولكن الحكيم المستبصر يرى فيها جمالا كالذى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة بعد الدراسة . فللنحل ﴿مصنعان﴾ مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولاجرم أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع الذخيرة والآلات الحربية من مدفع وسفينة حربية وطيارة وسوائل أوغازات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلاتكرار لمصنع السم فى النحلة والعنكبوت . واما لجلب نافع كمصانع النسج والغزل والخبز وما أشبه ذلك . وهل هذا إلاتكرار لمصنعى العسل والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم إبرة النحلة مكبرة وجهاز الغزل فى العنكبوت مكبرا كذلك (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) و (شكل ٢٩)



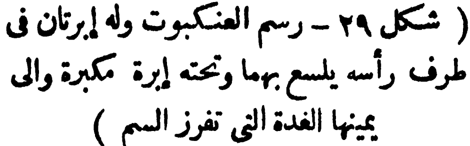
(شكل ٢٧ ـ رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا)



(شكل ٢٨ ـ رسم إبرة النحل مكبرة جدا)

(شكل ٢٩)




(شكل ٢٩ ـ رسم العنكبوت وله إبرتان فى طرف رأسه يلسع بهما وتحته إبرة مكبرة والى يمينها الغدة التى تفرز السم)

انظرالى هذين المصنعين . مصنع السم فى جسم النحلة ومصنع الغزل فى جسم العنكبوت واعجب لمخزن النحلة الذى امتلأ سما وللأنابيب التى تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنابيب خمسة خارجات من الجهات الثلاث وهى تفرزالسم ثم ترسله الى المخزن والمخزن يوصله الى الابرة والابرة تدخله الجسم عمل والله عظيم واحكام وتدبير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا المخزن ومعداته وبين مخازن الذخيرة ومصانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب فان هذا كله لا يشاهده البصر ولا تصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقيها وانتظامها

وانظرالى جهاز الغزل ؟ فماذا فى جسم العنكبوت من الابداع الذى حوّل الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذى فى هذا الجهاز حتى قلب الغذاء فجعله خيوطا بديعة . ثم ماذا فى مصنع السم الذى تشاهده الآن فى جسم النحلة وماهذا الذى جعله يحوّل الغذاء الى سم . فانظر لصنعين أمامك . مصنع لسم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها يصطاد الذباب . فياليت شعرى ماذا جرى فى أجسام تلك الحيوانات وماهذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذى به قدرت النحلة أن تؤذى عدوّها وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ماوهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللدغ وهذه ألهمت النسج . ومثل هذا يقال فى مصنع العسل فى النحلة ومصنع السم فى العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية المعدة فى هذين الحيوانين

﴿ الحكمة العملية ﴾

علمت مما تقدم معنى قوله ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ فهذا هوالتقدير . هاأنت ذا ياصديقى أصبحت تراه بعينك . هاأنت ذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم ونحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظرهم العنكبوت والنحل فكنا نقرأ ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ ونمرّ عليها مرور الجهلاء على أمثال الحقل الذى قلت لك انه مملوء عناكب . فاذا كنا نحن نمرّ على هذه الجملة مرورالجاهلين فهكذا نحن وجميع الأمم كان أكثرنا يمرّ على العناكب وأمثالها غافلين . ولكن هذا هوالزمان الذى فيه ظهرت أنوار الله ـ وأشرقت الأرض بنور ربها ـ ونشرت العلوم . فالآن نفهم آى القرآن على قدر الامكان ونرى حكمة بديعة وآيات جليلة جيلة . هذا ملخص الحكمة العلمية

اما

أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عزّ وجل . فاذا كان الله قد علم العنكبوت النسج فلم تتكل على نبات ولاحيوان بل كان صنعها من نفسها هكذا يجب أن يكون الانسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغني بصنعها واتقانها . فهم يكونون فى نوع الانسان كنوع الانسان فى سائر الحيوان . والأمم الصانعة تستعبد الأمم التي لاصناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الخشب و يباع فى القاهرة أنسجة حريرية رخيصة مصنوعة من خشب التوت والقطن وهى أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . واذا دامت هذه الحال انقرضت دودة القز من الدنيا . إذن الانسان يقدر أن يستغني عن دود القز بصناعاته . والناس عادة يصفون (بالنيلة) وهى مادّة تستخرج من نبات فى الهند يزرع فى مليون فدان فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادّة الصباغة من الفحم ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكأن الله يقول أيها الناس ان رقيكم يكون بعملكم لابما أودعته أنا فى الطبيعة . واذا قام قائم واستخرج مادّة قطنية كالقطن المصرى أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس الى استخراج مايحتاجون اليه بالصناعة و يقول لهم افعلوا مايفعله الحيوان يستخرج منافعه بصانعه فأنا فعلت ذلك له فلتفعلوا ذلك أنتم باجتهادكم . أنا قدّرت كل شئ تقديرا واذا تشبه بى الناس فى التقدير والنظام كان قربهم منى على مقدار مانالوا من دقة فى العمل واتقان فى الصنع * وفى الأثر ﴿ إنّ الله يحب الصانع المتقن عمله ﴾ وفى القرآن ـ إنّ الله يحبّ المحسنين ـ وفيه أيضا ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ـ واذا كان الله يرى عملنا فهو لايحب إلا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾

قلت لك إنى شاهدت آلافا من الأفدنة فى ضواحى القاهرة ليس فيها من السكان إلا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لما خلت من عمل الانسان شغلها الله بجنوده فنصبوا خيامهم واستعدّوا لاصطياد الذباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاها جهازا يستخرج منه الخيوط وأعطاها فكرا به تدبرمافيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له الذباب . هذا الذباب انما خلق ليطهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتحال تلك فى جسمه من حال الضرر الى حال لاتضر وهذا الذباب ضرره على الانسان أقلّ من ضرر الرطوبات التي تحال فيما بعد الى جسمه ولكن لاتزال بعض المضار عالقة بتلك الحشرات . ألم ترأنها هى التي تنقل العدوى من المريض الى الصحيح . ولقد تقدّم شرح هذا فى (سورة الأعراف) وأن الذباب ينقل جراثيم (الرمد الصديدى) من العين المريضة الى الصحيحة وجراثيم الاسهال و (الحمى التيفوذية) و (الطاعون) و (السل) و (الدودة الوحيدة) . إذن الذباب وان منع ضررا كثيرا وهلاكا عاما هو والحشرات باحالة الرطوبات والعفونات الى جسمه بقى حافظا لأصله ناقلا للرض فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقتنصه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عنا شرا و بيلا والذباب نعمة لأنه أزال عنا شرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للانسان فى حياته

الله أكبر . يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة المفكرين ونارا على الجاهلين . اللهم انى وأنا أكتب هذا أحسّ بأن نفسى فى جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لايكون كذلك وأنا أنظر الجمال واضحا فى الحشرات الحقيرات فضلا عن الكواكب فى السموات . يا الله هاأناذا وهاهم أولاء قراء هذا التفسير معى هانحن أولاء نشاهد التقدير والابداع فيما يزدريه الناس و يحقرونه ولايأبهون له

يغشى الطالب حلقات العلم و يرى خشوعا وكمالا وأدبا عند المستمعين . ولكن العجب أن يكون طلب العلم فى مضرّة هذه الحشرات المنبوذات عند المفكرين أعظم أثرا وأبهج حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع فى ابداعه و يرون الحكيم فى حكمته . يضحك الناس منهم وهم ينظرون ـ واذا مرّوا بهم

يتغامزون * واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين * واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ـ . كلا . كلا .
نظام محكم وابداع متقن . ذباب يحيل الرطوبات . وعنكبوت تقتل الذباب وخيام فيها آلات صيد الذباب .
بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له ﴿ حالان * الحال الأولى ﴾ وهوطفل يرضع ثدى أمه ﴿ الحال الثانية ﴾ الاستقلال فى طلب الرزق وأكل الحلال وآخرهما خيرهما هكذا للأمم ﴿حالان﴾ حال الارضاع من أثداء الطبيعة . فمن الزرع يلبسون ومنه يأكلون . وحال الاستكمال فى الصناعة إذ يكون الانسان فى تمام كماله كالحيوان فى نشأة حاله

هاهم أولاء أهل الأرض الآن ﴿ فريقان ﴾ فريق عرف الصناعة وفريق بقى على الزراعة والمواد الأوّلية وقد غلب الفريق الأوّل الثانى . انى أنا الذى سلطت الأوّلين على الآخرين فغلبوهم وأسرتهم فقهروهم . هاهى ذه الأمّة المصرية وأمثالها من الأمم الزراعية التى لاعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا . هذه أمم بقيت فى حضانة الطبيعة كما تحضن الأم ولدها ولكنى أيهاالناس لاأريد منكم أن تكونوا أطفالا بل أريد أن تكونوا رجالا وذلك بالصناعات . لذلك أنزلت لكم فى القرآن ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ . فكل من كان أقدر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآية فهومنظم مقتدر محكم عمله وأنا أحب المتقن عمله وأسلطه على من بقى فى حضن الطبيعة لايبرحها . لذلك غلبت الأمم الصناعية الأمم الزراعية . ومامثل الأمم الصناعية إلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . وهذا البيت وان كان أوهن البيوت وأضعف الحصون قد علمكم درسا متقنا . إن أهل الصناعة يغلبون من لاصناعة عندهم . فتكت العنكبوت بالذباب . هكذا فتكت الأمم الصناعية بالأمم التى لاصناعة عندها . أفلاتعقلون

ليس كل من كان موفور الغذاء مكرما . وليس كل مكدود منهمك فى العمل شقيا . كلا . بل الأمر بالعكس . إن الذباب موفر الغذاء فى كل مكان ولكنه مهان . الذباب لايعوزه صناعة ولازراعة ولاتجارة . يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل . والعنكبوت حكم عليها أن لاتأكل إلا من كدّ يدها وأن لاتعيش إلا من صناعتها لذلك مدّت الشباك فاصطادت الذباب

لله ﴿ كتابان ﴾ كتاب مسموع بالوحى وآخر مشاهد بالبصر والكتاب المسموع يوحيه للأنبياء على مقدار عقول الأمم فيكون فيه الكناية والمجاز والايجاز . وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهده المقرّبون فيعقلون عن النحل والذباب والنمل من العلم ماتخرّ له العقلاء سجدا وهم موقنون

الله أكبر . إن الأمم التى أضحت فى خفض العيش ودعته موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا فى خطاب أرسطاطاليس والاسكندر . والأمم التى تألب عليها الأعداء وذاقت أنواع النصب والتعب يظهر فيها المخترعون والمفكرون . أولئك الذين لاينبغون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكهربة وقد أحيط بالأمّة من كل جانب وبهذا يظهرسرّ قوله تعالى ـ فأما الانسان اذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن * كلا ـ فالذباب ابتلاه ربه بنعمه ولكنه مهان والعنكبوت اضطرت الى صنع البيت لصيد الذباب وهى أرقى من الذباب . الذباب لا صنعة له والعنكبوت صانع ماهر وآخرهما أرقى . هكذا فلتكن الأمّة الاسلامية أمّة صناعية زراعية تجارية والا ذلت للصانعين وخضعت للغاصبين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حلّ بساحات مصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو ألفين وأخذهم منها كرها لبلادالترك فرجعت الأمّة المصرية زراعية لاتعرف الصناعة . ذلك لتبقى ذليلة للترك كذل الذباب للعنكبوت

أيها المسلمون . ألم تقرؤا نبأ ابراهيم عليه السلام إذ وبخ قومه على مايعبدون فاحتجوا بأنهم وجدوا

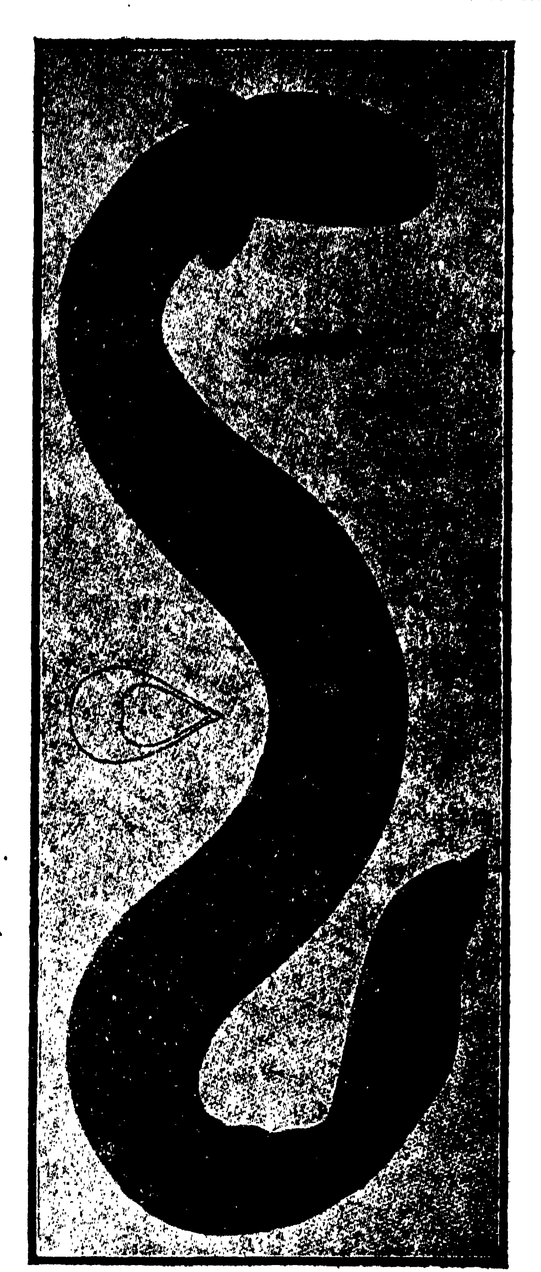
آباءهم لها عابدين فكسر الأصنام احقاقا للحق ونبذا لآراء الآباء . هكذا فليفعل الجيل المقبل من أمم الاسلام فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أونبذوا أمرا نافعا أقلعوا هم عن الضلال ـ فماذا بعد الحق إلا الضلال ـ

هذه عجائب العلم والحكمة فى حشرات ثلاث النحل والذباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل القرآن . وعلم أن المسلمين ستمضى عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه العجائب فى هذه الحشرات فقال ـ إن الله لايستحي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ومايضل به إلا الفاسقين ـ وقال فى (سورة العنكبوت) ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ بكسر اللام ردّا على الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذكر الذباب والعنكبوت . يشير بذلك الى ماتراه فى هذه العجائب فى النحل والعنكبوت فان هذه لايعقلها إلا العلماء الدارسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن عجب انه سبحانه سمى سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم الذباب مع ذكره فى القرآن تنبيها على أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فان كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة بأس كما تقدم ولهما صناعتان قد علمتهما فيما ذكرناه ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ هذا مافهمته اليوم من قوله تعالى ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نور على نور فى قوله تعالى أيضا ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ ﴾

هذا تقدير الله وخلقه فوق الارض بالعنكبوت وفى الجوّ بالنحل . ويقول الله تعالى ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ فالتقدير الذى نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذى نراه فى قاع البحار وعلى سطح الماء وفى الجوّ . فهاك لذلك أمثلة ثلاثا حتى تكون لنا نموذجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى قوّتين قوّة للنفع وقوّة للدفع أى العسل والسم وكذا العنكبوت الغزل والسم . هكذا نرى الحيتان فى قاع البحار أوتى بعضها قوّة الكهرباء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس الكهرباء على وجه الأرض وأوتى قوّة الجرى حتى يفرّ من عدوّه اذا فاجأه . وهكذا نرى هناك حكمة وعلما بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء فى الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتيلوس)

هاهوذا صاحب السفينة الذى يديرها على وجه الماء كما تقدم فى (سورة طه) عند قوله تعالى ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذى اتخذ له سفينة فى البحر قبل أن يصنع نوح عليه السلام سفينته . ولكن القول هناك كان بلارسم فلأرك هنا شكل السمك الذى جعل سلاحه الكهرباء وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و (شكل ٣١)



سمك كهربائى من نهر الكنغو

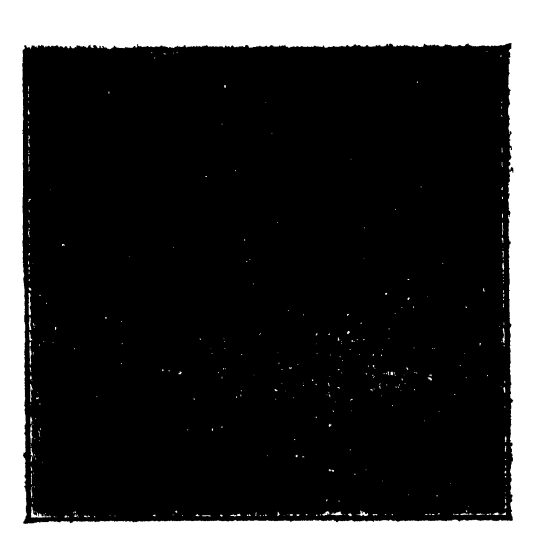


سمك كهربائى يكون فى البرازيل ويشبه الانكليس

(شكل ٣٠ وشكل ٣١ — هذان الشكلان نقلا عن المقتطف)

اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه مايسمى عند الفرنجة بالتربيد وهو كثير فى بحر الروم والاوقيانوس الهندى والاتلانتيكى وهو قد يصرع الانسان بقوّته الكهربائية . ومنه مايسمى (الانكليس الكهربائى) وهو أقوى السمك الكهربائى ويكون فى البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهربائيته . ومنه سمك القط الكهربائى وهو فى النيل ويكثر فى بحيرات افريقية . والكهرباء المذكورة فى السمك تتولد من صفائح عضلية منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمساطر المسدّسة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسيج ليفى وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوّة أعدّت لقتل الحيوان الصغير أكله هذا السمك . وتذكر ماتقدم فى سورة الرعد فقد شرحت لك هناك البطارية الكهربائية . فانظر كيف ترى هناك شكل البطارية وانها طبقات بعضها فوق بعض مرسومة هناك أشبه بهذه الطبقات التى فى هذا السمك . فانظر وتعجب كيف وصل الانسان بعد

الجهد الجهيد فى العلم الى ما أعدّ للسمك فان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها موادّ موصلات كما هنا سواء بسواء . واعجب كيف يعطى كل حيوان سلاحا يوافقه - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزّله إلا بقدر معلوم - فللعنكبوت شبكته المناسبة لاصطياد الذباب ولكن السمك الرعاد لاتنفعه الشبكة فأعطى قوّة الكهرباء ذات البطارية المتقدمة . أفليس هذا من العجب أن يظهر سرّ قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فى سمكة فى البحر وفى نحلة فى الجوّ وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك فى صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - صورة النوتيلوس أو صاحب السفينة)

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التى لا فقرات لها . إن الفقرات تكون فى الانسان وفى البهائم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والذى لافقرات له كالهوام والدود والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جلديا تتصل به عضلات الحركة ونحوها وقد يكون غضروفا وقد يكون (كلسيا) أصلب من العظم . فهذه هى الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والقواقع التى منها الحلزون الصغير والبوق العظيم الهائل . فمن ذوات الصدف (صاحب السفينة) المرسوم أمامك فيه استقرّ الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (نيوتس) أى سفينة . ومعلوم أن صاحب السفينة بالعربية يسمى (نوتى) فهما متوافقان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالنوتى سواء بسواء . فبها يعوم على سطح الماء ويديرها بأصابعه الست فيرسلها الى الجانبين كالمجاذيف وقد استعمل العضوين الغشائيين كأنهما شراع السفينة . فمتى أراد السير جذف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحوّل الشراعين نحو الريح كما يفعل الربان سواء بسواء فاذا أحدق به الخطر بأن أتاه النوء مثلا قبض أصابعه وشراعيه ودخل الصدفة وغاص فى قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق ببيته . وهذا الحيوان يكون فى بحر الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينته نفعا له فى أسفاره ودرأ للخطر عنه وهذا قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فلم يعط صاحب السفينة نسج العنكبوت لأنه لا ينفعه ولا الكهرباء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لايلائمه بل أعطاه مايناسب سطح الماء وماهو إذن ؟ هو السفينة - إنّ ربك هو الخلاق العليم -

وكما رأيت فى البحر ماله سفينة فان فيه ماهو طيار حتى تتم الحكمة فله فى جنبيه زعانف كالأجنحة وهو

أشبه بشكل أسفل السفينة وزعانفه كالشراع وطوله يزيد على نصف متر وهو فى البحار الجنوبية من أوروبا وفى البحر الأحمر وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة و بعضه لونه زاه بين أزرق سماوى وفضى وتطير أسرابا ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولحمه لذيذ وصيده سهل لأنه كثيرا مايطير و يقع فى المراكب

أفليس هذا من العجب أن يكون النظام فى قاع البحر وفوق سطح الماء وفى الجوّ . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعضها الخيام على الأرض فتقتنص الذباب هكذا ترى مئات منها فى يوم العواصف طائرات فى الجوّ فى طيارات من غزلها قد صنعتها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ماتتخذ من الورق ومن غزلها سفنا تجرى بها على وجه الماء ومتى لمحت حشرة فوق سطح الماء أسرعت لالتقاطها وجعلتها فى سفينتها وأكلتها بهدوء وسكينة

هذا هو التدبير والنظام العجيب . فاعجب لسمك يطير ولآخر يصنع السفن ولعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفهما الانسان . وللعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد فى البحر قبل أن يصنع الانسان سفن صيده . فاذا راينا نحن الصيادين بجوار الاسكندرية قد اخذوا سفنهم وجدّوا بها فى الصيد فقد سبقتهم بها العنكبوت . وهكذا اذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع الغوّاصات لإهلاك سفن العدوّ فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأخضع فريسته

فهذه نبذة يسيرة جيلة فى قوله تعالى ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ فاقرأها واقرأ ما تقدم فى قوله تعالى ـ الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذى تقدم فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ إنّ فى خلق السموات والأرض ـ ونظيره فى آخر (آل عمران) فى نفس هذه الآية هناك وهكذا فى (آل عمران) أيضا عند قوله تعالى ـ وترزق من تشاء بغير حساب ـ وفى (سورة الأنعام) عند قوله تعالى ـ ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرّطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون ـ وفيها أيضا عند قوله تعالى ـ انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ـ وفى (سورة هود) عند قوله تعالى ـ مامن دابة إلاهوآخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ـ وفى سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبناه هنا فى آية ـ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ـ

ولما اطلع صاحبي على هذا المقام قال لقد أبنت فى هذا المقام الخلق والتقدير فى قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفى الجوّ واستبان السمك ذوالكهرباء والحيوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكاتها فى البرّ وسفنها فى البحر وطياراتها فى الجوّ والنحل وما أودع فيه من عسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التى كتبتها هنا بديعة وصورها مشوقات للمباحث العلمية فهل خطرلك هنا خواطر تدعو الى هدى أوتردّ عن ردى فانى أرى هذه سطورا سطرت فى لوح الطبيعة والله انى ليخيل الىّ تلك الطيارات التى طارت بها العنكبوت وتلك السفن التى أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة و بالشراعين اللذين بهما تجرى فى البحر وذلك السمك الطيارفى الجوّ بلونه الزاهى الزاهر الفضى . أقول انه يخيل الىّ انها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات فى هذا الجمال . فقلت نعم ههنا

﴿ بهجة العلوم المسطورة فى لوح الطبيعة ﴾

وهى ﴿ ثلاثة فصول * الفصل الأوّل ﴾ فى خطاب الله للأمم ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى خطابه تعالى للمسلمين ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى خطابه تعالى للأمم الاسلامية المتحيرين فى خوارق العادات فلايفرقون بين الأولياء والكهان . فلما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن فى مقام جمال العلم والحكمة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ فى علم اليقين لافى ظنون وأوهام . فقلت ماالذى رابك فى قولى هذا . قال رابنى انك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لايفرقون بين الأولياء والكهان . فهذا التعبير يوهم أن الله يخاطب الناس مع

ان

أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطابا . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المألوف . فالله انما يخاطب بالكلام الموحى به على الأنبياء ولاوحى هنا . فقلت خيرلك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال ـ ستجدنى إن شاء الله صابرا ـ حتى تتم هذه الفصول الثلاثة . فقلت

﴿ الفصل الأول فى خطاب الله للأمم ﴾

الله خلق الحيوانات الفقرية كالسمك والانسان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التى منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه فى هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق

ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بحائط متين قوى يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات الى بناء منازلنا ذوات الأصداف فكان القياس أن يكون على هذا المنوال كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلا أيها الناس « انى لايحكم على نظام ولاحال فانكم اذا فكرتم بعقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أولايشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكلها أجسامها مخلخلة لا عظم لها من داخلها ولامن خارجها جسم صلب

والذى له عظم إما أن يكون من داخله واما أن يكون من خارجه فالذى عظمه من داخله هى ذوات الفقرات كالانسان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والذى يكون جسمه الصلب من خارجه فهى ذوات الأصداف ومنها ذوالسفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فاذا ظن الناس أن حياة الحيوان تتوقف على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لاصلابة لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كما فى منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل واللحم والجلد من الخارج والحكمة العليا هى التى قضت عكس مانصنع فى بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم و بلدانكم يحيط بها حوائط وأسوار متينة البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجا وحافظنا عليه بالحواس والمحافظة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون محيط الجسم صلبا كهيئة ذوات الصدف حتى يتسنى للجسم أن يقاوم الجو والطوارئ وهذا هوالسر فى قوله تعالى ـ فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ـ الخ ثم أعقبه بقوله ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ وانما قال ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ بعد قوله ـ فكسونا العظام لحما ـ الخ لأن كسوة العظام باللحم تخالف المألوف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويجعل مخزن الطعام والملابس وحجرالنوم خارج سورالمنزل . فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتحفظه كالحيوانات الصدفية لا أن يجعل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف المألوف المتعارف وكان مع ذلك متقنا وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر اتقانا من صنعة البنائين فى الأرض فلذلك جاء فى القرآن ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ وبهذا تبين أن الأحوال الثلاثة للمخلوق قد ظهرت فى عالم الخلق وكأن الله عزوجل يقول أى عبادى أنا لم يعقنى عن الخلق شئ فلاعدم العظام منعنى عن الخلق ولاوضعها داخل الجسم مع لطافته وصلابتها . ولقد فعلت فى أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه التنوعات كلها كما فعلت فى ثمرات الشجر فتارة أجعل الشحمة فى الثمرة وهى طرية خارجا والنواة الصلبة داخلا كخلق السمك والانسان . وتارة أعكس فأجعل الصلب خارجا واللطيف داخلا كاللوز والجوز فأنا لايعجبنى شئ . وهذا درس لكم لتعلموا أن سعادتكم لاتتوقف على حال . فاذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا سعادتكم لاتتوقف على حال واحدة فكونوا ملوكا أوسوقة وكونوا فقراء أوأغنياء أوأقوياء أوضعفاء فكونوا كما تشاؤن . فهذه الأحوال لاتحجب السعادة عنكم كما لايحجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فى خطاب الله للمسلمين ﴾

يقول الله للمسلمين هاأنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طيارة فى الهواء وسفينة فى البحر ورأيتم السمك يطير فى الجو والصدف يسير سفينته فى البحر . فياأيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا ليرشد عبادى الى الأعمال الصالحة وأى سنة أعظم من سنتى وأى سبيل أهدى من سبيلى . إن سبيلى تنويع العمل وابراز أجمل الصناعات وأبدع الحكم فاذا رأيتم لطفى فى ابداع الحرير فى جسم العنكبوت وتعليمها أن تطير به وفى جسم النحل فى ابداع العسل وفى جسم السمك فى اظهار الكهرباء وفى حيوان السفينة فى اعطائه سفينة فمعناه انكم يجب أن تبرعوا فى الصناعات لاسيما اذا رأيتم الأمم حولكم قد برعت فيها فأى نبى من أنبيائى يأمر أو يبيح لعبادى أن يحرموا على أنفسهم اتباعى فى الابداع وفى اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليبرزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والا فهم الأخسرون أعمالا ـ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ـ

برعت الأمم فى غزل المنسوجات وفى تدبير الحرب وفى نظام الحياة . فعلى المسلمين أن يكونوا أرقى فى سائر الصناعات . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث فى خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين فى خوارق العادات فلايفرقون بين الأولياء والكهان ﴾

إن الله يخاطب المسلمين بهذه المخلوقات وصنعها . يقول أيها المسلمون ليس امتياز طائفة من أهل دينكم بالاخبار بالغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على يديهم تفضيلا لهم عن سواهم . ان الاخبار ببعض الغيب مشوب بالكذب لم تخل منه أمة . ألم تروا المنومين تنويما مغناطيسيا . ألم يثبت يقينا انهم يخبرون ببعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات فى مجالس تحضير الأرواح (اقرأه فى كتاب الأرواح تأليفى) وتقدم بعضه فى (سورة البقرة) وفى سور أخرى وأن غلاما صيرفيا جاهلا أتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غبى لايعقل شيأ مما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء فى التنويم المغناطيسى أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومامثل هؤلاء إلا كمثل الهدهد إذ قال لسليمان ـ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ـ فهل هذا الهدهد أفضل من سليمان ، أو كمثل الخضر مع موسى فالخضر عرف حال السفينة وأمر الغلام والجدار وعلم موسى ولكن موسى أفضل من الخضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه ـ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ـ . إذن الأنبياء لايعلمون الغيب وعلمهم بالغيب فى مثل هذا نقص وكيف لا يكون نقصا وهم اذا علموا الغيب أصبحوا ولاعمل لهم ولافكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لافكر لهم ولاتدبير وأين العقلاء إذن . فالأنبياء مكلفون وهم لايعلمون الغيب وانما يوحى اليهم الشرائع والتوحيد وماعدا ذلك هم فيه مجدون . ومامثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجرت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت فى الجو بلا أجنحة . فهل أدهش هذا سائر الحيوانات فعدتها سيدتها جميعا . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهرباء و بعض العنكبوت بأن تطير وأن تجرى المراكب يشابهه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خرقت له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوان مثلا . فهذه صناعات وخواص لا أثر لها فى الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيلى وجهلتم قدرى ولم تعقلوا قولى ـ وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ـ سلطت عليكم شيوخا جاهلين جعلوا الدين شركا واتخذوكم ذبابا واصطادوكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم صيدهم أيها المسلمون مادمتم جهالا فانى أرسل هؤلاء ليمتصوا دماءكم لأنكم نسيتمونى فأنا أيضا أنساكم وأتركم

فى أيدى الجهال منكم وهـم لـكم أعداء وجعلتهم قناطر يمرّ عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سلما يصل عليه المستعمرالى رقاب أهل البلاد واستعبادهم . ألا ساء مثلا المسلمون المغفلون الجاهلون (إقرا ماتقدم فى سورة الحج عند قوله تعالى ـ وماأرسلنا قبلك من رسول ولا نبيّ إلااذا تمنى ـ الخ من كلام الشيخ الخواص والشيخ الدباغ)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق بابا للرزق فهو من ـ الأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ـ وهوعندالمستعمرين لبلاد الاسلام اشبه بالمثل المشهور ﴿ أكل بيد القط ﴾ وسببه أن القرداستعمل يد القط فى أخذ الفاكهة المسماة (فروة) من النار المتقدة فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هـذه الحال فذهبت مثلا افرنجيا . فهؤلاء الشيوخ استعملهم الفاتحون لبـلاد بعض أمم الاسلام و يأمرونهـم بالأوراد ليلا ونهارا ولا يأمرونهـم بالتفكر والتعقل ليظلوا لهم خاضـعين . هنالك قال صاحبى لقد تمّ القول الآن فى الفصول الثلاثة فأرجو اجابتى على ما سألت من قولى لك كيف تقول قال الله مع ان القائل أنت . فقلت قد آن أن أجيبك عليه . اعلم أن الله عزّوجـل يقول ـ ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان ـ فالله وضع النظام فى السماء والأرض المعـبرعنه بالميزان لنزن نحن بالصدق بلا زيادة ولانقص وقد وضح هـذا فى أوّل (سورة يونس) فارجع اليه فانك ترى هناك حساب هرم مصرالأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهـذا الحساب على مقتضاه بنى الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والـكيل والمساحة بالدقة . إذن الناس يقلدون ربهم فى فعله ولولا هذا ماعرفوا رطلا ولافدانا ولاأردبا . قال صاحبى هذا حسن ولـكنى أريد أقرب من هذا . قلت فى موضوعنا . قال نعم . قلت قال الله تعالى فى (سورة هود) ـ مامن دابة إلا هوآخذ بناصيتها انّ ربى على صراط مستقيم ـ فهاهوذا سبحانه بعد أن ذكر تربيته لـكل حيوان وانه آخذ بناصيته أبان أن هذه التربية فى غاية النظام ولم يقف عند هذا الحد بل أمرنا فى (سورة الفاتحة) أن ندعوه فنقول ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ والنـكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأوّل فهويقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدى الى طريقه إلا بدراسـة نظامه فى خلقه . فـكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا فى سفننا على مقتضاه فى البحر وفى القطرات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكلنا . هكذا ندرس نظا م الحيوان لتتسع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقدمة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة

إن العلامة (سبنسر) يقول ﴿ إنّ الناس قرؤا قبل أن يكتبوا ﴾ فليعلم الأساتذة التلاميذ القراءة قبل الـكتابة مشاكلة للطبيعة ليكون النجاح . فعـلى المعلمين أن يبتدئوا بالقراءة ثم بعـد ذلك يكتبون . هكذا نرى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشريح الانسان وتاريخ حياة الأمم وتاريخ أممهم أنفسها . فمن جهل تاريخ أى علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراسـتهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استحق أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلقه هذه العوالم يخاطبنا كما قلت لك لأنه أمر أن نقول ـ اهدناالصراط المستقيم ـ وهونفسه على صراط مستقيم فى خلق عالم الحيوان وغيره فلابد من دراسة هذا الصراط ثم ندعوالله أن نسير عليـه . إذن ظهر لك أن قولى إن الله يخاطبنا بمصنوعاته حق فـكيف ندعو الى صراط مستقيم نجهل بعضـه وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبى ذلك قال أنا لا أجادلك فى هذا القول بل أقول انك أثبت بحجة وقطعت بصدق وقول حق فان قوله تعالى ـ والسماء رفعها ووضع الميزان ـ الخ وقوله ـ مامن دابة إلا هوآخذ بناصيتها إنّ ربى على صراط مستقيم ـ بعد هذا البيان دلانا على أن هـذه العوالم كلها طرق ذللت لننهجها وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجمالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك الكهربائى وكل ما ذكر فيها كلام عام واستنتاج اجمالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه نصا فان ذلك يكون نموذجا لجميع العلوم و يصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا فى العلوم و يوقنوا ايقانا تاما بأنهم فى قراءة الحشرات والذرات فى أجلّ عبادة و يعكفون على أعمال التجربة فى الأعمال الكيمائية والأعمال التشريحية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول فى قوم فرعون ـ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ـ

انظر العجب . انظر كيف يقول الله فى الطوفان وفى الجراد وفى القمل وفى الضفادع . ماذا يقول ؟ يقول ـ آيات مفصلات ـ فجعل الماء الذى يغرق أرض مصر وغير أرض مصر آية مفصلة وجعل الحشرات التى منها الجراد والقمل ـ آيات مفصلات ـ وجعل الضفادع من الحيوانات الزاحفة ذوات الفقرات ـ آيات مفصلات ـ

ألا تعجب معى كيف جهل المسلمون هذا الدين . الله يقول ـ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ـ فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو نفسه يجعل الماء والحشرات والضفادع ـ آيات مفصلات ـ . إذن الآيات المفصلات كما تكون قولا تكون فعلا ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكتف الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت ـ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ـ (بكسر اللام) فالعالمون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولى العلم و يقول ان العنكبوت وأمثالها ضربت أمثالا لأولى العلم . إذن ظهر الأمر واتضح وأصبحت الحشرات وأمثال الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحبى هذا أمر عجيب و بديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع و يحسون بالدم فى أجسامهم و يشاهدونه فى ذبائحهم فلا يأبهون لها ولا يقيمون لها وزنا وغاية الأمر أن يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وانه لايفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات المقروآت المتقدمات فاذا سمع المسلم قوله تعالى ـ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد ـ الخ مرّ عليها كما يمرّ على أكثر القصص يحترمها احتراما دينيا . أما انها تحتاج الى تعقل وفكر فهذا بعيد وغريب . سل عامة المسلمين من علماء وجهال وقل لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والدم المذكورة فى القرآن تحتاجون فى فهمها الى عقل وعلم ؟ وهل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس فى فهمها الى علم وعقل فانهم جميعا يجيبونك بلسان واحد . هذا أمر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولانحتاج الى علم ولا تعقل . فقلت سترى الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين مخدوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كمثل رجل سار فى أرض عراء فلمح جبلا فظن انه يصله فى عشر دقائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة رأى العين وهى بعيدة فيظل المسكين سائرا أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول الشقة . فالمعلومات قد أبرزها الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كما ظنوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لايعقلها إلا أولوا العلم

فهاك الطوفان المذكور فى الآية . يقول الله فى قصة موسى انى أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ليخافوا الله و يؤمنوا . فهنا ﴿أمران﴾ اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسطوته والايمان به فارسال الطوفان يهلك الأمم فهذا القهر يورث القلوب اعظاما واجلالا لله و ينتج منه الايمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التى لايعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن ننظر فنقول ان الماء ينزل من السماء فى خط الاستواء و يجرى فى النيل سائرا الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كدجلة والفرات وسيحون وجيحون والنيجر

فى

فى السودان وأمثالها وكالطونه وفلجا والتيمس فى أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرث والنسل فى كل سنة فلولا أن الناس يعملون لها جسورا وقناطر لكانت وبالا عليهم فتغرقهم تارة وتجعل أرضهم قفراء تارة أخرى ﴿ والدليل على ذلك ﴾ * أولا ﴾ ان نهر النيل الذى يجرى فى بلادنا المصرية ما كان ليعيش به قبل أيام محمد على باشا أى نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وماقبلها الا نحو ألفى ألف انسان (مليونين) لاغير وذلك بسبب اهمال الحكام وجهلهم إذ ذاك أيام انحطاط الأمم الاسلامية فكان هذا النيل يغرق البلاد تارة ويتركها أرضا قفراء تارة أخرى . فأما فى هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعدادها نحو (١٤) مليونا وماء النيل لايزال قابلا لسقى أرض أوسع مما يسقى الآن فيغتذى بالزرع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان فى الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لايفهمه إلا العلماء لهذه الحكم العجيبة

أليس من العجب أن تكون أرض اليمن ملك أمة اسلامية وقد سمى الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سد العرم وانه كان فيه جنتان . فياليت شعرى أين ذهبت الجنتان الآن وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد و بلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطرا فى فصول السنة وهم لايحفظونه فيترك الأرض قاعا صفصفا لاتنبت نباتا . أليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلامية لم تصل فى عمران بلادها الى ماوصل اليه أمم قبلهم عباد أوثان فى اليمن وفى حضرموت وفى غيرها والله يذكر الطوفان فى الآيات ويذكر سد العرم و يقول ــ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ــ وما الاعراض المذكور إلا جهل العلوم التى بها اصلاح السد كما حصل فى مصر قبل أيام محمد على باشا كما تقدم . فهل يتفكر المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم ــ ومايعقلها إلا العالمون ــ . اللهم انك أنت المعلم والهادى وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأمة الى سواء الصراط ﴿ ثانيا ﴾ ان الحشرات التى ذكر منها الجراد والقمل فى الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه * ويقول شاعرهم

مر الجراد على زرعى فقلت له * لا تأكلن ولاتشغل بافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة * انا على سفر لابد من زاد

وأن الثانى يؤذى الناس فى فراشهم فينظفون ثيابهم ليبعدوه عن أبدانهم لأجل صحتها . ويقرؤن فى كتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ أن البرغوث حل ضيفا عند القملة فى فراش رجل غنى فلدغه البرغوث ليلا ففر البرغوث و بحث الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثلا لمعاملة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان بالوبال

هذا ما يعرفه الناس فى القمل واخوتها البراغيث ولكن الآية لاتقف عند هذا الحد فان هناك فرقا بين الخيال والحقيقة . فالذى فى ﴿ كليلة ودمنة ﴾ ضرب مثل خيالى والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أى انه لايعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهى أمثال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى ألقيت اليهم . فقال فما علم هذا عندك . فقلت ان البراغيث المذكورة يظن الناس ايذاءها قاصرا على لدغهم فى الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتنقيب أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العامة . ولاجرم أن القمل المذكور فى الآية لايراد بها خصوصها بل المراد هى وأمثالها من مؤذيات الحشرات وأقربها اليها البراغيث التى قرنت بها فى كتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ فأمثال القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك آلافا دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض فى كل وقت اذا أهمل أن يكون اهلاكه عاما وأن يكون طوفانا هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذكر لى برهان ذلك من العلم . قلت اعلم أن الله عز وجل قد أمد هذا التفسير بالعلم وأيدنى فيه تأييدا لم يكن ليخطر لى . ومن عجب انى لا أتكلف ما أكتبه بل تساق الى العجائب من حيث لا أحتسب . فانظر كيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة فى هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا المقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من الفيران الى الانسان تبيانا لما قلناه وهذا نصها

﴿ خطر الفيران ﴾

(تاريخ حياتها)

تعيش الفأرة سنتين تقريبا وتبلغ سن الحمل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلقح بعد بضع ساعات من الولادة والفأر يولد عاريا من الشعر وأعمى وآذانه مغلقة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه فى الاسبوع الرابع من عمره . وتحمل الفأرة من ثلاث الى خمس مرات فى السنة وفى كل مرة تلد من ٦ الى ٩ فيران وقد يصل عدد ماتلده فى المرة الواحدة الى ٢٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعدد ماتضعه فى كل مرة

﴿ طبائع الفيران ﴾

الفار لايخرج من جحره إلا بالليل ويقضى معظم يومه نائما داخله . والفيران تخزن مأكولاتها داخل جحورها حتى اذا وجدت صعوبة فى الحصول على قوتها فى وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهى تحفر جحورها قريبا من الجهات التى تحصل منها على طعامها ولكنها فى بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتتبع فى رحلاتها طريقا خاصا لاتحيد عنه عادة . ومن طبائعها التنقل فى فصول السنة المختلفة فقد تهجر المنازل فى الربيع الى الغيطان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده فى المنازل فى ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل فى الخريف لتقضى فيها مدة الشتاء . وهى كثيرة الدهاء وشديدة الاحتراس من وقوعها فى المصائد وتصبح أحيانا مفترسة سيما اذا قل مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم فى بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتنهش الجثث فى مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتنهش لحمها . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ومع الخنازير فتأكل من آذانها وأثدائها . وهى تقتل صغار الأرانب فى جحورها وتستولى على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت الدجاجة بدون أن تشعر بها

﴿ الخسائر التى تسببها الفيران ﴾

ان الأضرار المادية التى تسببها الفيران لاتخفى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد فى اليوم يقدر بربع مليم فقط وأن عدد الفيران الموجودة بالقطر المصرى (١٤) مليونا أى بنسبة فأر لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) لبلغ مقدار مايضيع سنويا فى غذاء الفيران فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأخطار بحفر جحورها فى جدران المنازل وبين السقوف فقد تداعت مبان كبيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيدان الكبريت الى جحورها وتقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

﴿ الفيران والأمراض ﴾

فضلا عما تسببه الفيران من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة تحمل جراثيم عدة أمراض فتاكة تنتقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يصيب الفيران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها الى الانسان بواسطة لدغ البرغوث . وداء الاسبيرونيتا المصحوب بيرقان ونزيف والتولاريميا والمرض بالدودة الخيطية وعدة ديدان معوية أخرى والحمى المتسببة من عضة الفأر

﴿ طرق إبادتها ﴾

(١) يجب احراق القمامة (الزبالة) والفضلات المنزلية يوميا أو وضعها فى وعاء له غطاء محكم

(٢) يجب بناء المحلات التى تخزن فيها المأكولات والتى تغشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها اليها كالأسمنت

(٣) يجب سدّ الجحور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والأسمنت حتى لا تقوى الفيران على ثقبها

(٤) يجب سد نوافذ البدرونات السفلى والفتحات الصغيرة التى تدخل منها الفيران بقطع السلك أوالزنك

(٥) استعمل مصايد الفيران فى المحال التى تغشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعدكل مرة وتغيير الطعم يوميا

(٦) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات البار يوم بقطع من الخبز أوالدقيق أو السردين أوالبيض أوالبطيخ أوالطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم الى الحيوانات والطيور أوالأطفال

(٧) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيدالفيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها

(٨) انشرقطعا من النفتالين أومسحوق الكبريت فى الأماكن التى تغشاها هذه الحيوانات فان الفيران تكره رائحة هذه المواد ولاتقترب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظرالى مرض اليرقان والنزيف ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون فهذه كلها أمراض مهلكة تنقلها البراغيث الى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد وكالقمل والفيران من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظركيف اتحدت كلها على اهلاك الانسان

ألاترى أن هذا لايعقله غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالهم بدون قراءة العلوم يعرفون خطرالفيران وخطرالبراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذى تظهرفيه حقائق القرآن و يعلم الناس لماذا ذكرالله الجراد والقمل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لايعقلها إلاالعلماء إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والفضل كل الفضل لظهور هذه الأسرار فى زماننا انتشارالعلوم فى الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذى يظهر فيه معنى ــ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاالعالمون ــ فهذه من مبادئ العلوم التى سيعرفها المسلمون بعدنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا و يعرفون أن هذه المخلوقات آيات مفصلات . فاذا درسوا حشرة كالذبابة أوالنحلة أوالجراد أو أمثالها تبينوا ﴿أمرين * الأوّل﴾ أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالايمان فلا يغرقون بالطوفان فى الآية ولاتسلط عليهم الحشرات ﴿ الثانى ﴾ انهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب الحكمة فعرفوا ربهم وبهذه المعرفة غرسوا لهم روضات فى جنات العلم والحكمة وعاشوا فى سعادة علمية لايحظى بها سواهم ــ فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون ــ وهاك مثالا آخر وهو

مرض الدنج

(أعراضه . جرثومة المرض . أسباب انتشاره . وصف الستيجوميا . أدوارحياتها . مقاومة الدنج)

(بقلم الدكتورسامى بك كمال)

لم نعثرعلى وصف لهذا المرض قبل (الشيخ الجبرتى) الذى ذكره فى تاريخه المشهور وصفا دقيقا حيث قال بالحرف الواحد مايأتى

﴿ فى منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه (بأبى الركب) وفشا فى الناس قاطبة حتى الأطفال وهوعبارة عن حمى ومقدارشدّته ثلاثة أيام وقديزيد

على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا فى المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر ويأتى الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة ﴾ انتهى

وكلمة الدنج هذه لايعرف أصلها وكل ماقيل فيها تخمين . ويغلب على الظن أن وطنه الأصلى (عدن) وماجاورها . وربما سموه الدنج تحريفا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم فى المناطق الحارة والدافئة ولم تخل قارة منه . لذا سمى باسماء كثيرة وجعلوا له فى كل بلد اسما . أما فى مصر فسموه (بأبى الركب) ومن بعدها (بحمى البلح) حيث يتفشى فى أوانه واستوطن ممالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنا له . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتعطيله فى أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والجماعات والحكومات ويأتى زمن لايخلو منه بيت فيه مريض أوناقه من مرض

﴿ أعراضه ﴾

آلام بالرأس والمفاصل وارتعاش الجسم ثم حمى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار فى الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لاتسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها متقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم فى خامس أوسادس يوم منه طفح ثان عبارة عن نقطة رقيقة حمراء على الأيدى والذراعين والساقين وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه تمميل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لاتظهر الحمى مطلقا أوتكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بارتعاش الجسم وتفقد شهية الطعام وتتضخم العقد اللمفاوية أويعترى المريض أرق أونزيف وقد تتورم المفاصل . انما الذى لايختلف فى جميع الحالات هو شدة الآلام فى المفاصل والعضلات . يعقب كل هذا انحطاط فى القوى فى الاسبوع الثانى للمرض وفقد شهية الطعام يدخل بعدها المريض فى دور النقاهة الصحيحة

﴿ جرثومة المرض ﴾

لم يعثر للآن على جرثومة هذا الوباء وهى موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقن به الصحيح فأحدث المرض (تجارب كريج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا لدرجة انها تمر بالمرشحات الدقيقة التى تحجز غالب الميكروبات حتى الدقيق منها . وقد اتضح ذلك بامكان احداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحقنه الى السليم بواسطة (الدكتور كريج)

﴿ أسباب انتشاره ﴾

برهن بعض العلماء على أن البعوض هوناقل المرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كليلاند) الذى لقح أنواعا مختلفة من البعوض بتغذيتها من دم المرضى ثم اطعامها من أصحاء فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (ستيجوميا فاسياتا) وهو كثير الانتشار فى مصر . والبعوض الملقح يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعامه دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج فى مدة تتراوح بين خمسة وثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجرى فيه جراثيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءها أن ينقل مرض الدنج الى الأصحاء

﴿ وصف الستيجوميا وحياتها ﴾

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الانسان وفى حالة سكونه يوجد فى مواضع الظلام خلف ستار أوباب أوتحت الاسرة . يمضى حياته بقرب من المياه وفى درجة حرارة تزيد على (٢٣) سنتيجراد ولاتقل عن ١٧° وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بغتة على فريسته ويحدث ألما أشد من الألم الذى يحدث من البعوض العادى . لايطارده الريح . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات

بعيدة

بعيدة فينتقل معه المرض . يتغذى هذا البعوض من دم الانسان فى الصباح وقت شروق الشمس وفى النهار داخل المنازل أوخارجها اذا احتجبت أشعة الشمس وليلا فى النور . والستيجوميا تتعاطى طعامها كل ثلاثة أيام تقريبا من دم الانسان والا فمن دم الحيوان

﴿ أدوار حياتها ﴾

لاتبيض الستيجوميا بعد تلقيحها إلا اذا تغذت بالدم وتضع بويضاتها فى أى آنية أوحوض فوق سطح الماء بقليل فاذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض فى الآبار والبراميل وفى أى شئ ملقى كعلبة صفيح أوغلاف فاكهة وفى دورالمياه والمراحيض وفى بقايا الزجاج أوفى أوانى الأزهار وتجويفات الأشجار وبجوار الأنهار وفى تجويفات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهركاملة أوأزيد وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيفقس فى الربيع وربما كان الفقس حاملا جراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (فقس البعوض) الى أن يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما فى درجة ٢٦ سنتيجراد وهذا العلق يعيش فى الماء ولايموت اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

﴿ مقاومة الدنج ﴾

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاحتياطات التى تتخذ لمنع انتشار الدنج هى منع انتشار ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهددا لمصر فى كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه فى جميع المنازل لإبادته تماما وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض فى منزله بعد التفتيش الدقيق . انتهى

وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حمى الدنج وهاهوذا

﴿ بلاغ عن حمى الدنج المعروفة للجمهور بأبى الركب ﴾

ليكن فى علم الجمهور أن البلاد مهددة بمرض الدنج وأن معاونة الأهالى لمصلحة الصحة هى من أفعل الوسائل فى مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفرادالأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية فى أداء واجبه نحو نفسه ومواطنيه

﴿ مرض الدنج ﴾ إن مرض الدنج هومن الأمراض المعدية وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع الأمراض المعدية كلها انتشارا

﴿ الأعراض ﴾ وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهى وجع فى الرأس وقشعريرة وآلام حادة فى المفاصل والعضلات والظهر مع ارتفاع فى الحرارة ووسخ فى اللسان وفقد الشهية للطعام واحتقان فى العينين وآلام شديدة فى حبتيهما وفى بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أومن فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة ويبتدئ المريض فى التحسن مدة يومين أوثلاثة . وبعد ذلك تعتريه نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أوثلاثة ويظهر على الجسم فى بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الاصابة بهذا المرض هونحو أسبوع وبعد زوال أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

﴿ طريقة نقل العدوى ﴾ ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة فى أنحاء القطر المصرى

﴿ طرق الوقاية ﴾ لما كان نقل عدوى المرض لايحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيه جميع الجهود لمقاومته وازالة أماكن توالده . وهو يتوالد فى الماء الراكد كماء البرك والمستنقعات وخزانات المراحيض ونحوها ولكى تقى نفسك شر هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(ا) أبذل كل الجهد فى عدم تمكين الناموس من الدخول فى منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق او بشاش رفيع

(ب) وجه كل عنايتك لإعدام جيع الناموس الذى يدخل منزلك

(ج) غط سريرك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت الفراش باحكام

(د) لاتترك مياها راكدة فى البراميل أو الأزيار أو الأوانى الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع

﴿العلاج﴾ اذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يعزل المريض فى غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس اليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أوشاش رفيع كما سبق القول . و ببقاء المريض على الدوام داخل ناموسية حتى تتيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه فى منزل واحد من تسرب عدوى المرض اليهم

وانما نقلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على ابداع الله وحكمته . أفلا تعجب من حيوانات لاتراها تدخل فى أجسامنا لاعدد لها ولاتراها العيون والذى ينقلها هوالبعوض (الناموس) فهذا الناموس الخاص هوالذى ينقل تلك الحيوانات من جسم الى جسم . ولامنجى من خطر الحامل ومحموله إلا بالدراسة و بارتقاء الطب ولاارتقاء للطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذى لا ارتقاء له إلا بآلات دقيقة والآلات الدقيقة لابدلها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التى يجب عليها الدراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ـ انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تمّ الكلام على اللطيفة الثانية

﴿اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ ولايملكون موتا ولاحياة ولا نشورا ـ﴾

قد علمت فى تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيأ بل هم مخلوقون ولايدفعون عن أنفسهم ضرا ولايجلبون نفعا ولايحيون ولايميتون ولايعيدون الأموات للبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالالوهية . فالإله يكون خالقا لامخلوقا ولايضرّه أحد ويحيى ويميت واذا أمات أحدا أعاده هذا هوالإله وهذه الأصنام لاقوّة لها على ذلك والذى يهمّ فى هذا المقام قوله ـ ولانشورا ـ ومثل هذا القول يمرّ على أكثرالناس وهم نائمون كأنهم لايعلمون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناما اتصفت بصفات لاتليق بالالوهية ومنها أنهم لايحيون ما مات من المخلوقات . ولعمرى إن هذه هى بيت القصيد

انظر وتعجب كيف يذكرذلك فى هذه الآيات . ذكرالله ذلك ليفتح لنا باب الفكرفى الألوهية . لايثبت إله فى العالم يخلقه مالم يكن حكيما والحكيم لايفعل العبث . ومن العبث العظيم أن يخلق خلقا ثم يعدمه بلافائدة فهذه قسوة ولاحكمة فيه . وأىّ حكمة فى عمل لاقيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها و يتركها ولافائدة منها إلا انها تعذّب وتهان لغيرذنب جنته ولاظلم اقترفته فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وانما هوتركيب وتحليل لاغير يأتى بالمصادفات . فالالوهية تستلزم البعث فبين الالوهية و بين البعث تلازم اذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكيما واذا لم يثبت فلابعث ولاثواب ولاعقاب ولاجنة ولانار ولاحكمة فى وجود العالم ولذلك تجدالقرآن يقرن فيه الله باليوم الآخرفتسمع فيه ـ الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ـ فى آيات متعدّدة وسور كثيرة من القرآن . فانظرإذن فى عدد (١٩) الذى مرّ ذكره فى اللطيفة السابقة إذ جعله قدماء المصريين رمزا للبعث . فانظركيف جعلوا مبدأ العالم والعلة الأولى مرموزا له بالواحد وجعلوا بقية الأعداد مابين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هوملخص هذه الآيات من

قوله

قوله ـ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبـده ـ الى قوله ـ ولايملكون موتا ولاحياة ولا نشورا ـ فالذى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد اتضح فى هذه المقالات و ـ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ـ فانظرأيها الذكى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ماجاء فى الفلسفة القديمة والحديثة والديانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقدماء والمحدثون على هذا متحدون . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة ـ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ـ الخ ﴾

اعلم أن النوع الانسانى درج على هذه الطريقة وسارعلى هذا الناموس فلايعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولايعلم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هـذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لغفلته وعدم فطنته لا يأبه بالامورالمعتادة ولا يعقل إلا ماهوخارق للعادة إذ أتاح الله لهم أنبياء فأتوا لهـم بالغرائب والعجائب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظيمة النفع عالية القدر مفكرة أرسـل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كالمعهودين من الناس فلايأكل الطعام ولايمشى فى الأسواق أويأتى لهـم ملك من السماء فيقول للناس هـذا نبىّ الله وينذر الناس معه أو يعثرعلى كنز حتى يكون غنيا غنى غيرمعتاد حتى يقول الناس إن الله لحبه له وتعظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلايحوجه الى معالجة التجارة ولايضطره الى مزاولة الأعمـال مع الناس وهذا من تلك الشنشنة المعروفة فى الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تـكون على مقتضى المال والولد والغضب من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروفة لهم ولم يكن معه أمر نادر حقروه وقالوا أنت مثلنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وآراءهم وهذا الأمر اليوم هوالسارى فى نوع الانسان . فالناس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لايستمعون القول إلا ممن يرونه بحال تدهشهم فان كانوا من العامة صدّقوا المجاذيب وأمثالهم وان كانوا من الخاصة لاينقادون الا لرجل أوروبى معه السلاح والحرب والظفرعلى الأعداء . ولذلك قرّر ابن خلدون ان الناس تابعون لدين ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب بهر عقولهم بالجيوش الجرارة . فلذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لايبالون بالعبادات ولاالامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين والمتدين نظركفارقريش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لوكان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لايعتنقون هذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العامى الجاهلى السفسطائى يلوون وجوههم عن الدين ويفرّون منه فرارهم من الأسد ويصبح فى نظرهـم كما كان صاحب الشرع ﷺ فى نظركفارقريش . فهم يقولون أليس الشيوخ الذين يقرؤن هذا الدين بين ظهرانينا . ألسنا نحن القائمين بأمر هذه البلاد . فما شأن هؤلاء وماشأن دينهم بمثل هذه القضايا الـكاذبة . يترك المتعلم أعمال دينه جهلا وغباوة لأن أهل دينه لاسلاح بأيديهم ولاقوة عندهم فـكأن الدين لما كان أهله أقوياء كان حقا فلما ضعفوا صار باطلا . وهذه هى القضايا التى ضلّ بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى ﴿ السيف فى يد الجبان عصا وفى يد الشجاع سيفا ﴾ وهذا القول لايعقل ولـكنه يعقله الجهلاء الذين لايعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا باجابة عامة فقال ـ انظركيف ضربوا لك الأمثال فضـلوا فلايستطيعون سبيلا ـ فوصـفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل فى القضـية التى احتجوا بها كما قدمناه وانما لم يذكر خلل هـذه الحجة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى فى هـذه السورة إذ يقول الله للأصنام ـ أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولـكن متعتهم وآباءهـم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ـ

فانظركيف قال الله للمعبودين ـ أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أمهم ضلوا السبيل ـ فتبرأ المعبودون وأسندوا

الضلال لما تمتعوا بهم وآباؤهم من قبلهم ــ حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ــ هلكى . فانظر وتعجب كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من التمتع الحاصل لهم ولآبائهم من قبلهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا التمتع هو الذى ذمه الله فى قوله ــ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ــ فالتمتع يورث الفسوق والهلاك فى هذه الآية ويورث الهلاك فى آياتنا التى نحن بصددها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى ــ فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن * كلا ــ الخ وقوله تعالى ــ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ــ

فانظر وتعجب من آى القرآن وعجائبها وارجع الى ما نحن بصدده من الآيات فان قوله تعالى ــ فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ــ لم يعين فيه الضلال بفساد الحجة الذى يظهر عند النقد بل ترك الأمر لفطنة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأصنام فقالوا له نحن ما أضللناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لتمتعهم بالخيرات وغفلتهم والغفلة متى استحكمت بكثرة اللذات والشهوات أوقعت الناس فى المهالك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناشئ من الترف والتنعم . فنرجع الى الأنبياء فلو انهم كانوا مترفين منعمين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغنى من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رفعة قدرهم بل هذه الامور تورث الغفلة فهى ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأنا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كداود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويرعون الغنم تنشيطا لهم وتقوية لأبدانهم وتدريبا لهم على الأعمال المقوية للبدن المنشطة للفكر المبعدة عن الكسل المدربة على المشاق حتى اذا سادوا الناس ألزموهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جامعتهم . انظر وتعجب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة ــ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ــ ثم قال ــ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ــ

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثانى وتلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنات وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السعير وأن جهنم تتغيظ وأن لها زفيرا وانهم اذا ألقوا فى مكان ضيق منها دعوا بالهلاك وانهم من اللائق لهم أن يدعوا هلاكا كثيرا ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للمتقين ولهم فيها ما يشاؤن ثم يحشر المعبودين والعابدين ويسألهم ما سبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم ــ مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ــ وكان ينبغى أن ينزل اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن التمتع باللذات ينسى الذكر ويورث الهلاك فليس فى ذلك معجزة ولذلك قال بعد آية كما تقدم ــ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ــ وأما قوله تعالى ــ لولا أنزل اليه ملك ــ الخ فهو فى

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

وذلك أن قوله تعالى ــ لولا أنزل اليه ملك ــ أجاب عنه بقوله تعالى ــ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ــ الخ فانظر كيف كانت الاجابة على المشى فى الأسواق وأكل الطعام وانزال الكنز وأن يكون له بستان بأنهم ضالون وبأن التنعم ينسى الرب فليس من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على انزال الملك بقوله ــ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ــ الخ وقوله تعالى ــ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ــ معناه انهم ليسوا أهلا لمقابلة الملك ولا لمقابلة الله وهل يقدر الناس وهم فى أجسامهم وفى شهواتهم وفى أضوائهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى . إن الملائكة

منزهون

منزّهون عن المادّة والناس فى الأجسام فكيف يقدرون أن يقابلوهم والمقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متعذرة مالم يصبح الكثيف لطيفا فاذا لطف أمكنت المقابلة وذلك لا يكون إلاحيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارين عن أحوال الجسمية . ويقول علماء الأرواح فى كتبهم ﴿ إن الأرواح العلوية لايتسنى لها أن تكلم إلا نفوسا تنزّهت عن المادّة وتعالت عن أحوال هذه الأرض وصارت علوية النزعة ميالة للامور العالية الشريفة . شفقتها عامّة ورحمتها عامّة وشهواتها ممنوعة ولذاتها مفقودة لامطمع لها ولامطمح إلا فى الامور القدسية والمعارف الإلهية ومقابلة ربّ البرية ﴾ فهذه هى التى تشتاق اليها الأرواح العالية وتتنزّل عليها فى المنام تارة وفى اليقظة أخرى وترى علماء الأرواح يحتالون على محادثة الأرواح بطرق منها المائدة بحيث يجلس جماعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقات على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف الهجائية فى ورقة وتوضع كأنها إطار أودائرة محيطة بالمائدة أى فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمرّ على هذه الحروف متحركا بالسيال الذى ينزل من الأيدى وأصحابها لايعلمون من الروح الحاضر ويمتزج السيال الحيوانى الآتى من الأحياء بالسيال الآتى من الروح وبهذا الامتزاج يدور الفنجان ويمرّ على الحروف وباجتماعها تكون كلمات ذات معنى كما رأيته بعينى رأسى . ومنها أن يضع الانسان قلما فى يده ويستمر ربع ساعة كل يوم حتى تحضر روح وتكون سببا فى انتقال يده بالكتابة فيكتب جملا مفيدة وهكذا من الطرق التى تقدم بعضها أوأكثرها فى الذى مضى من هذا التفسير وهى كلها مذكورة فى الكتاب الذى ألفته فى هذا العلم المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وآخر الطرق طريقة التنويم المغناطيسى بحيث ينوّم (بفتح الواو) انسان وتأتى روح فتتكلم بلسانه وهذه كلها تقدّمت فى (سورة الاسراء)

هذه هى نموذج الطرق التى يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر فى الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهر أنه يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفاسد فتبين حقائقه لافائدة إلا فى علوّ الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة ـ إذن يقتربون من الناس بالالهام مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التى يخاطبها الناس خطابا صناعيا فانما هى أرواح سفلية قريبة عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضحكون كما يضحكون وهكذا . فأما الأرواح العالية فانها ملتئمة الفكر لاتحب إلا ما كان عاليا شريفا ولاتخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قدسية النزعة . ولاسبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الانسانية . فالنفوس المتصفة بهذه الصفات هى التى تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا لهؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا ـ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوّا كبيرا ـ فلقاء الملائكة لهم لاهلاكهم لا لارشادهم

﴿ اللطيفة السادسة فى قوله تعالى ـ أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ـ ﴾

قد تقدّم شرحها فى اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السابعة فى قوله تعالى ـ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ـ الخ ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل خلقنا فى الأرض ليربينا . ولقد جعل التربية ﴿ بأمرين ﴾ نعمة ونقمة فلانرى نعمة إلا كان معها نقمة وقد جعل الضدين يتسابقان لخيرنا سواء أعلمنا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فانظر كيف جعل الضدين فى كل شئ الليل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والموت والحياة والايمان والكفر وترى الزرع يصلحه الانسان والماء والشمس ويفسده الآفات العارضة . وترى الانسان يعتريه المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا نرى له العدوّ والصديق ويظن أكثر الناس أن العداوة ضرر محض وماعلموا أن الآفات والعوارض مقويات لمن ترد عليه جسما أوعقلا وروحا . فكم من مريض كان المرض

سبب ثروته أوسبب اتقانه الماٰ كل الضارّة فعاش سعيدا قريرالعين . وكم من فقيرصار الفقرمن أهم أسباب ثروته وغناه أوتهذيبه أوتقوية عضلاته أوتقوية ملكاته الفكرية أوما أشبه ذلك . وترى الأرض تنبت حشائش مهلكة للزرع تكتفى بالهواء والماء والأرض وتكون وبالا على القمح والقطن والذرة فيسعى الناس فى ازالتها بتعب وشقاء وذلك دلالة على أن كل مافيه نفعنا لايتم كماله إلا بعد الشقاء والتعب فى المحافظة عليه والدأب فى حفظه وابقائه سالما . ومن عجب أن المزارع التى نحتاج اليها ضعيفة يعوزها قيامنا عليها وحفظها وتسميدها وسقيها . فأما التى هى ضارّة فانها لايعوزها شئ من ذلك بل هى قوية متينة . هكذا نرى أجسامنا فيها حيوانات صغيرة فى الكرات الدموية الحمراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التى تعدّ بآلاف الالوف حافظة لأجسامنا معدة لمقاتلة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان الوباء والجدرى والحصباء والتيفوس والتيفود وأنواع الحمى الكثيرة . فاذا دخلت تلك الحيوانات الضارة المحدثة لهذه الأمراض لتسكن أجسامنا وتخربها وتتلفها وتهدمها قابلتها تلك الجيوش الجرارة فحاربتها فحصل فى أثناء العراك والصدام واشتداد الوطيس والتقاء الجيوش واحتدام الوغى أن ترتفع الحرارة فى الجسم من ذلك الصراع فيقال ان المريض ارتفعت حرارته . فاذا غلبت الجيوش الهاجمة المهلكة مات المريض وان غلبت الحيوانات التى فى كرات الدم الحمراء والكرات البيضاء شفى المريض . ولذلك تجد الأطباء يعمدون الى الأطفال والى بعض الرجال والحيوان فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤتوا بمادّة تشتمل على حيوانات صغيرة تعدّ بالالوف فيدخلونها بالابر فى الأجسام كالمادة التى فيها حيوان الجدرى . فاذا سرت تلك المادّة فى جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات تحارب مافى الجسم من الحيوانات الذرّية فى الكرات الدموية فترتفع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات أوأكثرها فتقوم ذرّيتها حافظة ماكان لآبائها من قوّة على النضال وجرأة على القتال وشدة فى الحرب حتى اذا جاء مرض الجدرى حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالمرصاد لأن أجسامها قويت بمحاربة الأعداء وقد ورثت تلك القوّة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هذا مايقوله العلماء فى الحيوانات الذرّية فى أجسامنا وفى حيوان المرض الذى يفتك بنا . فانظركيف أصبح العدوّ هوالنافع المقوّى وكيف كانت الراحة هى السبب الأقوى فى الضعف والخمول وانظركيف يقول الشاعرالحكيم

عداتى لهم فضل علىّ ومنة * فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا

هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها * وهم نافسونى فاجتنيت المعاليا

فلست بهياب لمن لايهابنى * ولست أرى للمرء ما لايرى ليا

كلانا غنىّ عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشدّ تغانيا

وقد خمست هذه الأبيات وذكرتها فى سابق التفسير . فانظرفى الطيرفى جوّالسماء ففيه الصائد والمصيد فالصقر يصطاد الخطاف والخطاف يصطاد العصفور والعصفور يأكل الدود والدود يأكل الانسان والانسان يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل بعضها بعضا والعداوة متواصلة والصداقة كذلك . فانظركيف خلق الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصداقة فى كل شئ . فالعداوة كنارمحرقة والنارمهيئة لكل شئ فنراها تطبخ اللبنات فتجعلها آجرا هكذا العداوات مكملات لنوع الانسان فهو إن قام جسمه باللبن والغذاء وتربية الوالدين فانه تقوى عضلاته ويقوى بالمخاصمات والصبرفى المشاحنات والمنافسات . فعلى الرحمة انشاؤه وعلى القوّة الغضبية النارية بالتنافس والعداوات تقوية ملكاته . هذا هو السرّ فى قوله تعالى ــ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ــ فانظركيف أمرنا بالصبر فالصبرهوالمطلوب من هذه كلها وهذاهوالسرّ فى قوله تعالى ــ وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوّا من المجرمين ــ لأن عداوة المجرم للنبى تقوّى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر

ولذلك سمي بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم ـ مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ـ الخ فقد أجابهم بأنهم ضالون وبأن التمتع بالخيرات يدعو الى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنة للضالين والضالين فتنة للمهتدين فكلاهما امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتنتم بمحمد ونبوّته وامتحنتم لننظر هل تصبرون فى التفكر والتعقل فتعرفون أن المشى فى الأسواق وأكل الطعام لايخل بالنبوّات وفتن محمد وامتحن ليصبر على شدائدكم وكفركم وايذائكم هذا هو قوله تعالى ـ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ـ فالنبيّ أمر بالصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكر وعلى أن يعلمهم من يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

﴿ اللطيفة الثامنة فى قوله تعالى ـ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ـ ﴾

يقول الله ان الكافرين يعمد سبحانه الى عملهم فلايقيم له وزنا ويجعله مفرّقا لاقيمة له . وسبب ذلك أن كل شئ لانفع فيه إلا بالعزيمة ولاعزيمة إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية ﴿ وبيانه ﴾ أن الذى لاعقيدة له فى إله هذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب المرامى التى يرمى اليها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفا وتارة شهوة وتارة لغضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما اذا جعل الاتجاه لأمر واحد فان جميع أعماله تتجه الى وجهة واحدة فان نال خيرا صرفه لله أو قوة صرفها فى عمل نافع أو خاف التجأ الى الله وهو مجتهد فى عمله وهكذا فى كل أطوار حياته وماهذه القوى النفسية الانسانية إلا كضوء الشمس فانه يكون فى الجوّ متفرّقا مشتتا لاظهور له فى الهواء ولاضوء له فى الأجواء والطبقات العليا فاذا مالامس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حرارته وأنعش الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلولا اجتماع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهر زرع ولادرّ ضرع ولا كانت فيه منافع . هكذا نيات الانسان اذا تركت وشأنها وهكذا كل مايعتريه اذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها الى وجهة واحدة تطايرت وذهبت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولاخير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح ﴿ إن الانسان اذا وجه فكره الى الامور التى يقصدها بهمة فان همته تستبق الى المقاصد متى كانت على ثقة بمقاصدها ﴾ ولذلك كان أشراف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجدّون للغرض الذى يقصدونه ويسمون بأنفسهم الى مايقصدون . وهكذا يقولون ﴿ إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه اليه فان تلك الهمة تحرّك من صاحب تلك الصورة همة تتجه الى من قصدها ﴾ وعلى هذه النظرية بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى ـ يحبهم ويحبونه ـ ويقول ﴿ من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ﴾ ويقول ـ فاذكرونى أذكركم ـ فأصبحت القاعدة واحدة فى نفسها من اتجه بقلبه للمخلوق فنيته صادقة فيما اتجه اليه وهكذا من توجه لله كان الله عونا له . وعليه يكون التوجه لله حافظا للأعمال من التفرّق والتشتت . فأما ترك الآراء والأعمال بلاعنان يمسكها فذلك ضياع لها والله هو الولىّ الحميد

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ـ ﴾

كنت على شاطئ النيل الشرقى يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٩ فرأيت شابا بيده كراسة فيها دروس يقرؤها فسلم علىّ وأخبرنى انه من مدرسة (دار العلوم) وأخذ يسألنى فى أمور يشك فيها وأهمها ﴿ مسألتان * المسألة الأولى ﴾ إن الله خالق العالم وكيف نتصوّر وجوده وعقولنا لاتعقل كيف كان هذا الوجود ﴿ الثانية ﴾ كيف يعذّ بنا وهو المقدّر لجميع مانفعله . فقلت أما سؤالك الأوّل ففى الحديث « تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى ذات الله » . فقال نعم ولكن أودّ أن أكون حرا معك فلاتقيدنى بالحديث لأن عقلى لم يقف عند الحديث وهو يطالبنى فأنا أطلب منك ايقاف هذه الحركة الفكرية . فقلت له ماناتج ضرب ٥ فى ٥ قال ٢٥ فقلت و ٢٤ أليس حاصل ضرب ٥ فى ٥ قال . كلا . بل هو مستحيل . قلت إذن هنا ﴿ أمران ﴾ واجب وهو

٢٥ ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكلها يستحيل أن تكون حاصل ضرب ٥ فى ٥ قال نعم قلت ما الذى تساويه زوايا المثلث الثلاث . فقال زوايا المثلث الثلاث تساوى قائمتين . قلت أيقين هذا . قال نعم . قلت ماتقول فى الامور الهندسية ؟ أبالذهن تقوم أم تقوم بالخارج . قال بالذهن . قلت هل أنت فاهم ما تقول . فقال أفهمه اجمالا . قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بجسم معنوى ينطبق على الجسم المشاهد فهى صور فى النفس تظهر آثارها فى الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع فى تصوّرها الى الذهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا النبات وهذا الحيوان فهذا لا نتصوّره إلا فى مادّة خاصة . أما المثلث والمربع والكرة فهى لاتحتاج الى مادّة خاصة فأى مادّة تصوّرناها أدركنا بها تلك الأشكال . إذن العلوم الرياضية تحتاج فى تصوّرها الى مادّة تقوم بها فى الذهن لافى الخارج لأننا نتصوّر الأشكال ولايهمنا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أوالقمح أوهذا المعدن فانا لانتصوّره إلا بمادّة خاصة نحضرها فى أذهاننا . أما المسائل الإلهية فهى لاتتوقف على مادة أصلا لافى الذهن ولافى الخارج . فقال هذا كلام الفلاسفة وهوعسر الفهم وان كنت أنت أوضحته فانى لم أستفد فائدة فى موضوعى . فقلت هذه مقدّمة لموضوعك . ألم تر أنى سألتك فى زوايا المثلث . قال بلى . قلت هذا المثلث أنت تصوّرته فى ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين . قال نعم . قلت هل هذه النظرية موجودة . قال نعم فانها ان لم تكن موجودة كيف نتصوّرها . ثم قلت أواجبة هى أم جائزة أم مستحيلة . قال بل واجبة . قلت إذن هناك أمور واجبة فى ذاتها فقضايا الحساب والهندسة والجبرهى قضايا صادقة فى ذاتها ولذلك يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة فى أنفسها . فاذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة فى أنفسها أفلاتكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصوّرنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية وقلنا ان هذه القضايا ثابتة فى أنفسها ؟ أفليس هذا يسهل لنا أن نفهم وجود الله بدون موجد . ثم انى أذكرك ﴿ بأمرين * الأوّل ﴾ ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعدم بالنسبة للوجود . ألاترى رعاك الله أن أرضنا أصبحت اليوم بعد الكشف الحديث ماهى إلا كجوهرفرد اذا نسبت الى جميع العوالم ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ أن الارض لوصغرت الى جوهرفرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجدنا الكواكب والشموس التى تصوّر وجودها العلماء تساوى (ألف مليون أرض) إذن أرضنا أشبه بالعدم ونحن جزء صغيرعلى هذا العدم ؟ فماذا تتصوّر فى عقول قوم أمثالنا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه . إن هذا غير معقول فاذا كانت أرضنا ماهى إلا أشبه بالصغر ونحن (جزء) صغيرجدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا المخلوق المعدوم على خالق هذه العوالم كلها . قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا الضعيف وهوالانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله . قلت هذا قوله تعالى ـ وخلق الانسان ضعيفا ـ وقوله ﷺ ﴿ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فان التفكر فى ذات الله إشراك ﴾ وقوله تعالى ـ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم ـ فاذا كان هولم يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا وجود ذاته . إن هذا مستحيل ومستحيل لعدم الاستعداد وللضعف المستمر فى الانسان هذا هوالأمر الأوّل ﴿ الأمر الثانى ﴾ إن هذه الدنيا التى نسكنها لم نعرف فيها عدما البتة فأين هذا العدم . إن هذا العالم كله وجود لاعدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا انحلت أجزاؤها رجعت فى نبات آخر وحيوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معلوم فى العلوم التى تقرؤها اليوم . فالنبات والحيوان ترجع أجزاؤهما الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر والنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى ـ يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات و برزوا لله الواحد القهار ـ . يموت الميت فيبكون عليه ولم يكن الميت عند الناس وهو حىّ إلابالصورة الجسمية المفكرة فاذا مات فجسمه موجود لم يخرج من ملك الله . إذن هوموجود لامعدوم

و بكاؤهم عليه لأنهم لايشاهدونه بعد ذلك والبكاء فى الحقيقة على روحه التى لم يشاهدوا إلا أفعالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العدم إذن . فقال لقد نقلت أنت عن العلماء فى هذا التفسير أن المادة تنعدم وانها ترجع الى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود فى نفسه وان لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطا فى الوجود فليس العدم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوفا على رؤية حواسنا واذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجا فى زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة فى أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نسلم بأن هناك موجودا قائما بنفسه هو موجد هذه المخلوقات وان كنا نحن ضعفاء فى الأرض . فقال حقا انه قد ثلج صدرى وانشرح لهذا البيان المحكم فى المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهى كيف يعذّبنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولاتذكر انه رحيم ولكن هذا التذكر لايغنى فيه أن نقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم » لأن القراءة شئ والعلم شئ آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل وللغبى والذكى والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسموات العلى فلاتغنى القراءة بل لايغنى معنى اللفظ وحده بل لابد من التفكر ولاتفكر فى أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الانسانية التى هى أقرب الينا من السموات والأرض . اذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحمة فى أوّل كل سورة ولماذا كررت الرحمة فى ثنايا القرآن ولماذا يقول ـ كتب ربكم على نفسه الرحمة ـ ففهم الرحمة فى أجسامنا هو الذى به نعقل معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شئ لما نقوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطوبات موضوعات كلها وضعا منظما . فترى القرنية محدّبة الشكل وترى العدسية محدبة الوجهين وكلتاهما مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذى يجرى من الكواكب الى الأرض وأقربها الينا الشمس التى يحتاج نورها الى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل الينا وهناك كواكب اطلعنا عليها بالمنظار المعظم وصات فى تباعدها عنا الى أن نور بعضها لن يصل الى أعيننا إلا بعد مضى (١٠٠) ألف ألف سنة بسير النور وهذا الكشف جاء فى سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فاذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذى به تمكنا من رؤية الشمس التى تبعد عنا بسير قلة المدفع (١٢) سنة و بسير القطار (٣٦٠) سنة و بسير النور (٨) دقائق وتمكنا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها الى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات المعينة على الابصار . اذا ثبت هذا فقد دلّ على رحمة لاحدّ لها . فأىّ رحمة وأىّ رأفة من أم وأب وحبيب وصديق توازى هذه الرحمة . هذه رحمة تفوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بعقلى لابمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بدراسة جسمى . قلت فالآن أتكلم معك على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبوب والمكروه فالمكروه مهماز يسوقنا الى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعادن فى أيدى أرباب الصناعة من حدّاد وصائغ . فهؤلاء يذيبونها فى النار لتكون طوع أيديهم فيما يقصدون منها . انظر رعاك الله الى ماسيمر عليك فى آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ فهناك سترى أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار الفحم و بنار الفحم تصرّفوا فى المعادن الى حد مّا . أما الآن فان الكهربائية قد مكنتهم من أن يصنعوا فرنا يسمى (الفرن الكهربائى) والفرن الكهربائى تصل درجة الحرارة فيه الى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنهيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التى وصل لها بمزوج الملح مع الثلج وهى (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذى كشف ذلك . ولكن سترى هناك أن الفرن الكهربائى قد تصرف القوم به فى المواد فنزلت درجة حرارتها متى أرادوا عن الدرجة التى وصل اليها (فرنهيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذى عينه هو و بهذه

الدرجات الواسعة البالغة (١٤٠٠٠) ونحو نصف ألف أصبحت المادّة فى أيدى الناس أشبه بالشمع يفعلون بها ما يشاؤن حتى انهم أمكنهم فصل (الاوزوت) وهو (النيتروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فحصل لهم نشادر كما اتحد الاكسوجين مع الاودروجين فصارا ماء

ههنا بان لنا جمال الله ورحمته . هواء نحس به أصبح جزآه يتصرف الناس فيهما بالحرارة . جزء نجعله نشادرا باتحاده مع عنصر آخر وهذا النشادر يدخل فى السماد فينمو الزرع وتكون المفرقعات والمهلكات الحربية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه مافعلت البرودة بالماء إذ حوّلته الى ثلج . فهكذا هذا الهواء جعلناه جامدا واستعملناه سمادا لزرعنا واهلا كا للقرى وللمدن

هذه هى الحرارة وهذه هى العناصر والمعادن . الحرارة ارتقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها و بهذا كانت قدرتنا على ارتقائها أوسع وأعظم . فالله عزّ وجل خلقنا فى الأرض وخلق فينا «غريزتين» لذة وألما وحبا وكراهة واستعمل الألم واللذة لسوقنا الى الكمال . فقال إذن كلّ صائرون الى الكمال بجميع أهل الأرض صائرون الى السعادة . فقلت ماذا تريد بهذه الجملة . فقال إذن الله هو الذى يتصرّف كما قلت لك ونحن فى يده كالمعدن فى يد الصانع فى الفرن الكهربائى وهو بهذه الآلام وازديادها يهذّبنا ليعدّنا الى أحوال أخرى وعوالم لاندريها ، إذن فلماذا يعذّبنا يوم القيامة ، إذن فلنتكل . قلت له هذه المسألة لم تغب عن أصحاب رسول الله ﷺ فانه قال لهم ﷺ «جفّ القلم بماهو كائن أوكان» قالوا له يارسول الله إذن نتكل فقال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وأيضا مادخل الكلام على القضاء والقدر فى أمة إلا كان سببا فى هدمها وخرابها ، وقدقال ﷺ «اذا ذكر القدر فأمسكوا» الخ فكان يتحاشى ما تقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثى معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجعنا الى ما كنا فيه . قلت ستسمع الساعة ماهو أقرب الى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت يقول ﷺ «كل ميسر لما خلق له» قال نعم . قلت «وبيانه» اننا فى هذه الأرض بالبحث عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ماهو فى حاجة اليه فالطيور والحشرات والانسان سواء فى هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقنون بهذا) قال نعم . قلت والأمثلة كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها فى تفسيرك وفى غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن ندخل فى المقصود أن مما يحتاج اليه هذا الانسان أن يكون معه سوطان سوط من الجنة وسوط من النار «وبعبارة أخرى» أن يكون مع كل انسان جنة ونار فالجنة والنار العامتان يمتدّ منهما فرعان لكل امرئ فى هذه الدنيا فبفرع الجنة يهنئون وبفرع النار يعذّبون . فقال وكيف يعقل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحسّ بالنار . فقلت له لاتخف ستقرّ الآن حالا فاصبر ولا تعجل . قال اذا ثبت هذا يكون عجبا . فقلت ألست أنت بمدرسة دار العلوم . قال بلى ولكنى أدرس فى الخارج . قلت أفلست ترى أن لك أصدقاء واخوانا . قال بلى . قلت فاذا كسلت وتأخرت فماذا ترى . قال أحزن ويحزن أهلى وأخجل . قلت حسن ، إذن عندك شئ موجود يخزيك ويحزنك على تقصيرك . قال نعم . قلت أرأيت لو أنك لعبت وكسلت طول السنة ثم سقطت فى آخر السنة ثم رأيت ضميرك يزعجك ويوبخك فهل يسكته عنك أن تجيبه بقولك ان الله قضى علىّ بذلك أفلست تسمعه يكلمك بلا حرف ولاصوت بكلام مستمدّ من كلام الله القديم الذى ليس بحرف ولاصوت فيقول لك لماذا نمت عن دروسك واتبعت شهواتك وقد سبقك اخوانك ولم يحتجوا بالقضاء والقدر كما احتججت أنت أليست لك قدرة وذكاء . ألم يرسل لك والدك النقود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولاتنفع الحجج ولا الأقوال ولا الاحتجاج ولا الاتكال على القضاء والقدر . وهذا التأنيب والتوبيخ لن يحصل لمن هو بليد ولا لمن هو لامال عنده يتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن العذاب مقدّر بقدر الذنب فكل من قدر مكلف بما قدر عليه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر

ـ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ـ فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب الينا بل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت . فقوله ﷺ ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ معناه مانحس به فى نفوسنا فهاهى ذه ضمائرنا توبخنا وتضنى أفئدتنا اذا قصرنا . قال نعم . قلت فمن أىّ البلاد أنت . قال من مديرية أسيوط . قلت قوم أهل شهامة ومروءة وكرم . أفرأيت ان وقعت فى فعل فاحشة وشاعت عنك هذه فى قريتكم وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فماذا ترى من أمرك إذن . قال أتمنى الموت وأختفى عن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا عصمك الله من هذا العار جملة ثم رفعك بالعلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد فى نفسى سرورا وغبطة وأسرّ أهلى بذلك . قلت فهل تحس بذلك الخزى الذى تحس به النفس فى الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتى . قلت هذان هما الفرعان الممتدّان من النار والجنة فى عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العثرات على الخيبة وعلى النجاح بلاحرف ولا صوت هما المستمدّان من كلام الله الذى ليس بحرف ولاصوت . يكلم كل امرئ بكلام خفى ـ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هوسادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلاهو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكل شئ عليم ـ

﴿ غرائب تبكيت الضمير ﴾

كان خياط اسمه (شيوارد) فى مدينة (نورويتش) بانجلترا قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) باحدى آلات مهنته سنة ١٨٥١ ثم فرق مابين لحمها وعظمها ودفن الرفات الباقى فى مكان بضاحية البلدة و بعد ذلك ببضعة أشهر صادف أن كلبا نبش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذاعت الاشاعات فى البلدة عن أن رفات زوجة (شيوارد) قد كشف . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شئ من الشهرة صرّح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شيوارد) فى شئ بل هى لامرأة فى ميعة الشباب قد لاتتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأى القطعى بكل الشكوك التى حامت حول (شيوارد) وانقضت عشرون سنة كان (شيوارد) قد أثرى فى خلالها وأصبح فى بلهنية من العيش وقد تزوّج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيما هو يطوف بها فى إحدى الليالى ولاغرض له يرمى اليه إذ تصادف انه مرّ بالشارع الذى كان قد تعارف فيه لأوّل مرة منذ ثلاثين سنة بزوجته التى قتلها ومثل بجثتها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعا ولاعليه تغلبا وفى نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا فى الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بجريمته اعترافا مفصلا فقاده الجندى الى مخفر البوليس ولكن (شيوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يجحد اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التى قام بها البوليس فى خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد فى الأمر من شئ . وعلى الأثر استخرج رفات زوجته الأولى وفحصه جهابذة الأطباء بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضى بادانة (شيوارد) بالجريمة إدانة لا افلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعدم شنقا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٠ م

فقال حسن جدا ولكن عندى سؤال واحد ليتم به الموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب فى الآخرة ولم يجعله فى الدنيا . فقلت . كلا . العذاب فى الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أفى كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هوالذى أوضحها . ألم تر الى قوله تعالى ـ فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ـ انظر أفليس التعذيب فى الدنيا بعضه هوالذى قررته معك . قال نعم . قلت ان الانسان متى كانت وجهته المال والولد

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه فى الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب الذى تكلمنا فيه .
إن نفس الانسان خلقت فى الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجهل يفهم المرء أن الحياة فى الدنيا للتمتع بالشهوات
وهذه الشهوات نفسها تؤذيه لأنه سجن نفسه فيها مع انها من السماء أى من عالم أوسع فانحصارها فى المال
والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالكسل فى حديثى معك . قال ثم ماذا . قلت ان جميع
قصص القرآن أتت بالعذاب فى الدنيا أوّلا مثل ـ أغرقوا فأدخلوا نارا ـ ومثل ـ لهم عذاب الخزى فى الحياة
الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ـ ومثل ـ سنعذبهم مرّتين ثم يردّون الى عذاب عظيم ـ
وجميع الخسف والغرق وارسال الحاصب المذكورات فى القرآن عذاب دنيوى وهكذا قال فى الثواب ـ وآتيناه
أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ـ والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلا على ذلك أنه ﷺ
وقف على قليب بدر ونادى قائلا ياأباجهل يافلان يافلان ـ لقد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد
ربكم حقا ـ فقال الصحابة له ﷺ كيف تكلمهم وهم قد جيفوا (بتشديد الياء) فقال انهم لأسمع لما
أقول منكم ولكنهم لاينطقون . فهذا منه ﷺ ليفتح لنا باب العلم فى هذا الزمان لأن هذه آية فى القرآن
ـ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم
فأذّن مؤذن بينهم ـ الخ وهذه الآية مسوقة للآخرة لا للدنيا . فوقوفه ﷺ على قليب بدر ومناداته لقتلى
قريش تعليم منه لنا أن الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة والمناداة فى الدارين بدليل انه ﷺ ناداهم وهو
فى الدنيا وأصحابه معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يبتدئان من الدنيا بالعقل وبالنقل والنبوّة هى
التى وضحت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهادهم وحزن المقصرين من أجل تقصيرهم ومن ذلك
بواعث الجدّ والاجتهاد بما فى الأفئدة من الولوع والخوف من التعيير والذم والخجل أمام الناس فى هذه الدار
كما أوضحناه هنا . ولذلك يقولون اليوم كما قدّمناه فى (سورة الحج) عند قوله تعالى ـ ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم
من يتوفى ومنكم من يردّ الى أرذل العمر ـ أن النابغين فى الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الضعة فيجدّون فى العلم
والعمل حتى يزيلوا تلك الوصمة فذلك انما هو خزى وضع لهم فى أفئدتهم امتدّ لهم فى أنفسهم فحفزهم للرقى والسعادة

فقال أريد ايضاح مسألة الخزى على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدّم . قلت
يقول الله تعالى فى (سورة آل عمران) ـ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ فذكر عذاب
النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقا باطلا بل بحكمة وذلك يستدعى أن تقف النفس على عجائبه وبدائعه
فأردفه بطلبهم من الله أن يقيهم عذاب النار . وقد قال علماؤنا كما أوضحته هناك فى تفسير هذه الآيات ان
عذاب الخزى أشدّ على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العامّة يقولون فى أمثالهم ﴿ النار ولا العار ﴾
وتقول مريم ـ ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ـ فالحياة بلاشرف يكون العدم أفضل منها والجهل
أقبح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فاقرأه فانك ستجد أن نفوسنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه
وأن الجهل عار عليها ولاتزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والا فهى فى عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولهذا
قال بعدها ـ ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ـ فكأنه أبان أن عذاب الخزى أشدّ من عذاب النار
ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال ـ ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف
الميعاد ـ وهذا كقوله ـ لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ـ كما ذكرنا وعذاب الخزى
الآن ظاهر فى أمم الاسلام . أحاط بها الخزى لأنها جهلت ماخلق الله فى السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع فى
الكائنات فمنعها الخيرات المخبوءة فى أرضه لأنه تعالى لايرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق ويشتاق
اليها . فانظر كيف تلازم العذابان عذاب الخزى وعذاب الأجسام ، فقلوبنا نحن المسلمين تخزى أمام الاوروبى
بسبب الجهالة وبسبب أنهم ينظرون الينا نظرك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأنهم أحاطوا بأبناء

العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طياراتهم ومدافعهم ويقولون لنا فى مصر إياكم أن تحملوا سلاحا إياكم أن تعملوا مالا نامركم به والاضربنا كم بالسلاح وقدقتلوا مناقوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العامة فعرضوهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عذاب جسمى مضاف لعذاب الخزى بجهل ما أبدع الله فى السموات والأرض

فلما أتممت هذا القول رأيت هـذا الشاب ظهرت عليـه أمارات السرور والانفعال وقال الحمد لله قد ثلج صدرى وأسأل الله أن يطيل حياتك ومن ذا الذى كان يخيل له أن مانسمعه سماعا سنصبح ونحن نحس به فى أنفسنا عملا كأنه مجسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرة باهرة فى ذكر مايناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

اللهم لك الحمد . قد تجلى نورك فى الآفاق وظهر وبهر فى حسنه واشراقه وجماله . ضربت لنا الأمثال فى أنفسنا وفى الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجت به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له فجر الفلاح فى عالم الأشباح ولمحت من ظواهر الأنوار خوافى الأسرار

﴿ البناؤن والجوهريون ﴾

رأينا يا الله أن فطرنا تجلت لها مواهب من لدنك فعرفت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت فى الجبال فرأت فى ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والكلس والى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألهمتها أن تجمع هذا وذاك وأن تبنى بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش فى القفار . ثم هى نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها الى مافى باطن الجبال وأعماق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الظريفة من الماس والياقوت والزبرجد والذهب والفضة والدر والمرجان فرأتها جميلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لاتنالها إلا بمشقة فأدركت هذه الأنفس التى أنرتها بنورك وأفضت عليها من سنائك وشموس اشراقك لأنك نور السموات والأرض ان هذا الجمال لايناسبه إلا الجمال وأن مايعوزه العناء والنصب فى الجد والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافقها ولم تهدها إلا لمنافعها . فماذا صنعت ؟ أهدته للغوانى وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفعال البنائين وأعمال الجوهريين كل اصطفى مايوافق مشربه ويوافى صنعته فوضعه فى موضعه وقرأ ــ وكل شئ عنده بمقدار ــ

﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء الديانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كيانها واستقامة أمرها لايتم إلا بظواهر التشابه والتشاكل فأمروا الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقة والذم والقتل والايذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناسب فكان مثلهم كمثل البنائين الذين يضعون الأحجار مع مايناسبها والطين والآجر كذلك غير ناظرين الى مافى بواطن الجبال من الجواهر ولا الى مافى أعماق البحار من الدر والمرجان فيسجنون السارقين ويقتلون القاتلين ويقيمون الحق ويعدلون بالقسط ويفعلون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث اذا اختل حجر من أحجار البناء أولبنة من لبناته أومدرة أوآجرة من حائط أسرع فى اصلاحه وضبطه أورمى به وكسره وأتى بآخر فحل محله . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأمة وتبقى الى حين حتى اذا غفل الحكام ونام الوعاظ وعلماء الدين تداعت الأمم الى السقوط وهوت الى الحضيض كما يتداعى البناء الى الانهيار ويسقط اذا أهمله القائمون بأمره وهم ساهون لاهون

﴿ حكماء الأمم والجوهريون ﴾

وههنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبتهم الى علماء ظواهر الديانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهريين الى البنائين . فكما أن البنائين يكتفون فى بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها وضبطها بالملاط أو بانتظام اللبنات بضبطها بالطين المخلوط بالتبن الحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال الشرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أممهم التى هم قوّامون عليها بظواهر الأخلاق و بوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المنازعات والقتل والسرقة وهتك الأعراض وما أشبه ذلك وأن يروهم قد اجتمعوا فى الأعياد والمواسم والمواكب والصلوات والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يطالبونهم بأكبر منه ولا يفتشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما فى ضمائرهم يقولون ﴿ لنا الظواهر والله يتولى السرائر ﴾

أما الحكماء والمفكرون فانهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفى منكم بالظواهر ولكننا نذكركم بأن الجواهر غير الأحجار، ومن ذا الذى يقيس الصدف بالجواهر أو القشر باللب أو الحجر بالمعدن والأحجار الكريمة . فكما لاتناسب بين الجواهر التى تتحلى بها الحسان وأحجام الأحجار هكذا لا تناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لئن اكتفى البناء بتناسب الأحجار وضبطها والرجل السياسى والقاضى بظواهر المدنية والمعاشرة ليطلبن الحكيم مطلبا أسمى من هذه النفوس الانسانية وليقولن لكم ماصورته ﴿ إن عالم الأرواح بعد مغادرة الأبدان أشبه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأبهى ولن تكون إلا فيما يناسبها وما يشاكلها ثم يقولون لهم ستفرزون فرزا و يصطفى كل من كان أجل وأصفى ويجعل فى أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطفى ولامنتقى ولابهاء فيه ولاجمال يرجع القهقرى إذ لاتناسب بين البهرج والذهب الصرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجمال هنا والصفاء ﴿ بأمرين * اثنين ﴾ لاثالث لهما ﴿ أحدهما ﴾ العلم ﴿ وثانيهما ﴾ العمل . فالأرواح التى جلت بالعلم وصفت بالفهم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها وتجلى لها هذا العالم على قدر طاقتها فهذه تكون شموسا مشرقة تجاور الملائكة والنبيين للمشاكلة والمناسبة ـ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ـ الخ ـ يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ـ و يشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعلم والظاهر للباطن فهؤلاء هم الذين يصطفون ليكونوا أبرارا و يعيشون مع الملأ الأعلى ـ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ـ ﴾ هذا هو الذى تجلى لنفسى وانشرح له صدرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاما يناسبه فى كلام (عمانوئيل) الذى حدثتك عنه أيها الذكى فى سورة التوبة وأسمعتك تاريخ حياته وان أباه كان أسقفا فى الدين المسيحى وانه هو كانت له منزلة رفيعة فى الدين وفى الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته فى نظام هذا الوجود وأخذ يهدم مابناه الجهل فى أوروبا بأيدى صغار رجال الدين الذين شوّهوه فقال ياقوم والله لاتثليث وانى رأيت المسيحى بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلايجد اليهما سبيلا . ولقد تقدّم ذلك فى (سورة التوبة) وفى غيرها فارجع اليه إن شئت . ثم انظر مايقوله فى كتابه المسمى ﴿ السماء والعالم ﴾ مما يناسب هذا المقام فقد جاء فى صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب ومابعدها ماملخصه أن الانسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدنيوية وعلى مقدار ذلك يعرف ذكاؤه وحكمته وقسم الذكاء ﴿ قسمين ﴾ قسم كاذب وقسم صادق فالذى أدرك الحقائق ادراكا نفسيا لاتقليديا وأحبه وامتلأت به نفسه وأشرقت بها اشراقا وصارت من جوهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التى قرأت ظواهر العلوم وان كثرت وروتها أوفهمتها ولكن لم تتأثر بها ولم تعشقها ولم تمتزج بها نفوسها فهؤلاء وان اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الفضلاء ويكونون كالعامة و يوضعون فى منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يفعلون الخير لا لنفس الخير بل لأجل الصيت والذكر أو من خوف الفضيحة والعار أو الخوف على المال ونحوه ولو خاوا وأنفسهم لأهلكوا الحرث والنسل . فهؤلاء يوضعون هناك فى المنازل التى تناسب نفوسهم لاظواهرهم لأن المدار على البواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجمالها وعمل الخير ان لم يكونا محبوبين حبا حقيقيا ممتزجين بالنفس بحيث يصبحان بصفة لها فان صاحبهما لا يكون من المقرّبين .

ولما

ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب مافى ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للإمام الغزالى من حيث فحواه وتذكرت ما قاله فى الإحياء ان عليين لأولى الألباب وهم الذين هذا وصفهم . أما المحبة المحسوسة فانها تكون لقوم ظهروا بالصلاح و بواطنهم مشغولة فهؤلاء يدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملأ الأعلى وقد تقدم فى (سورة البقرة) فى أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فارجع اليه ان شئت

فلما سمع صاحبي ذلك قال ان هذا القول وان كان فى ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والعمل وأبنتهما ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جاء الرجل الانجليزى قاتل زوجته الذى أزعجه ضميره فقلت ان ماكتبته الآن انما هو مقدمة لما سيأتى . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لايحب إلا نفسه فهو يطلب كل شئ لنفسه وكلما شدا قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه فى نوع الانسان من حقد وغيظ وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هذا النوع الانسانى كله فيه أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى فى العلم الحقيقى لا المزيف يعرف الانسان هذا العالم و يحب الانسانية . هذا أوّل الأمر وآخره . هذا النوع الانسانى لوكشف الغطاء عن عقول أفراده لأدركوا أن الذى غرس الكراهة والطمع انما هوالجهل وأن الذى ينقذهم انما هوالعلم الحقيقى إذ لاسعادة لهم إلا بأن تستخرج ثمرات قواهم وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا نراه مأخوذا من السماء والأرض معا — قل من يرزقكم من السماء والأرض — ولماذا نرى له عينين بهما يبصر السماء والمطر حتى يعرف أن رزقه اشتركت فيه السماء والأرض — أمّن يملك السمع والأبصار — . أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما وحواسه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن بالمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك فيه مما ذكر فى هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين المرسومة فى سورة الحجر وتأمّل فيها وفيما شرحته هناك . ألم ترأن كل خمس ورقات كوّنت دائرة و بين كل ورقتين (٧٢) درجة من الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ فى هذه الهندسة ولو فى درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتملة على دائرتين حلزونيتين . هذا هوفعل صانع الكون فى أمر نراه أمامنا فى نبات ؟ فهل يكون حكيما متقنا فى هذا ثم هو يغفل عن الاتقان فى رزق الانسان . أى لماذا لم يجعل رزق الانسان من الأرض وحدها على قدرطاقة الانسان كما فعل فى (حشرة الأرضة) المرسومة المشروحة فى (سورة النحل) فيما تقدم . ألم ترأنها خلقت عمياء فالملكة والرعايا جيعا عمى العيون وهنّ مع ذلك يعملن أعمالا تعجز العقول وجعل الله قوتهنّ من داخل بيوتهنّ ولهنّ قدرة أن يستخرجن الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المندمج فى الموادّ الغذائية مع الادروجين الكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش فى الصحراء والجدباء التى لانبات فيها ولاحيوان ولاماء ولامطر وتبنى أماكن تعلوعلى الأرض نحو (٨) أمتار وتمتدّ أميالا لايقطعها إلا الديناميت . فهذه رزقت مما بين يديها فلاتحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى الأعين التى بها يبصر الانسان السماء والأرض . عجبا أليس نفس هذا الخلق وهذا التقدير فى جسم الانسان وحواسه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض لن يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية كلها لاسيما فى هذا العصر الذى ظهرت فيه الطيارات والطرق الحديدية والكهرباء والتلغراف (البرق) والتلفون وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذى خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذى هو فيه وأن يحب الانسانية كلها والا فهو مذنب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى — قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار — كما تقدّم . ههنا تنظر الى جزاء هذا الانسان . جزاؤه أن يعطى على الخير خيرا و يعطى على الشرّ شرّا وكما أعطى قوّة بها يتناول الغذاء و ينظر السماء والأرض أعطى قوّة كامنة فيه تؤنبه على التقصير

وتحثه على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يعبر عنها بالجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . أما فى الحياة الدنيا فاننا نحس بوخس الضمير و بالمذلة على جهلنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح فى مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاعجب كيف ترى فى كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذى حدثتك عنه هنا وفى مواضع أخرى من هذا التفسير فان مؤلفه رجل من علماء الأرواح فتراه يقول ﴿ إن الانسان إما أن يكون متصفا بالعلم و بالعمل المطابق له واما أن يكون خاليا منهما واما أن يكون عمله مطابقا لعلمه كثيرا أوقليلا ﴾ وهذه الصور جامعة لكل أحوال الانسان فان كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فانه بعد الموت يرفع الى الجنة ولا يسأل . وان كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة الى جهنم بلا سؤال . فان كان على هيئة الصورتين الأخريين بحيث يعلم ولا يعمل ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ تكون أقواله وظواهره خلاف باطنه فينطق بالحكمة و يضمر الشر فهذا يمتحن و يبقى فى عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية فى الكلام فتغلب عليه الحقائق التى فى نفسه فيتكلم أولا قليلا بما فى باطنه ثم يزداد تكلمه بحقائق نفسه قليلا قليلا تدريجا بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع فى الدنيا . فمن الأحوال التى هى أشبه بالجنون يبين كل مافى نفسه ومتى أفاق ندم وحزن وعجب كيف يفضح نفسه وهكذا تزيد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه المفتشون من الملائكة الذين يمتحنونه ومتى تم الامتحان جعلوه فيما غلب عليه إما فى جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أوفى نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة الى شهر الى سنة الى ثلاث سنين الى ثلاثين سنة . و يقول انه لا روح هناك يزيد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع الى الخبث المستكن فى النفس فعلى مقدار المكابرة والكتمان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا مايقوله ذلك العالم الروحانى ومدار الكتاب كله على ذلك . و يقول فى صفحة ٢٧٦ ما نصه

﴿ إن أعمال الانسان متى كشفت له بعد موته فان الملائكة التى أعطيت وظيفة التفتيش تنظر الى وجهه وتفتشه وتفتش جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوائلها مرسومة على الدماغ . قال وهناك يظهر كل شئ فى ذاكرة الانسان وليس المرسوم هناك الامور العامة فقط بل الامور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر فى دماغ الانسان وعلى جسده ﴾ انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب

فقال صاحبي وهل كلام هذا الروحانى الافرنجى منطبق على ديننا . فقلت انه معجزة للقرآن أرسلها الله فى آخر الزمان . يقول الله تعالى ــ خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتى فلا تستعجلون ــ وقال ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ فالله عز وجل يرينا الآيات فى كل شئ . قال وما الآيات هنا . قلت انظر الى قوله تعالى ــ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ــ فانظر كيف عاتب على عدم التبصر فى النظر وفى العمل فى الدنيا وفى الآخرة . أما فى الدنيا فانه يقول ــ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ــ وقال فى الثواب ــ وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ــ فهاهو ذا كتاب الله أرانا أن عذاب الناس فى الدنيا راجع لجهلهم وتقصيرهم وهذا العذاب الدنيوى يحس به المسلمون و يحس به الفرنجة وأهل الأرض اليوم قاطبة لأن أهل الأرض الغالب والمغلوب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا معذبون عذابا دنيو يا ثم انظر الى الانسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يحدثنا بما جاء به القرآن . ألم تر الى قوله تعالى ــ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ــ الى قوله ــ وضل عنكم ما كنتم تزعمون ــ . فانظر أليس معنى هذا أن العذاب

كما يقع فى الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذى قاله ذلك العالم الروحانى الأوروبى . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقرّ بقتلها لما وصل الى المكان الذى رآها فيه أوّل مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفاياه شيأ فشيأ واذا فطن بعد الاظهار ينكرماقاله و يعجب كيف جنّ بهذه الدرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعد ما أقرّ أمام الشرطة رجع وقال أنا لم أقتل وذلك كما يحصل بعد الموت فى اوّل الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يتزايد الأمر وبعد ذلك يتحد الظاهرمع الباطن . إذن ضمائرنا فى هذه الحياة مملوءة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بخاتم وطبع على القلوب حتى يأتى يوم تظهرفيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى ـ فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون ياو يلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدواماعملوا حاضرا ولايظلم ر بك أحدا ـ وقوله تعالى ـ بل الانسان على نفسه بصيرة * ولوألقى معاذيره ـ وقوله تعالى ـ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ـ الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت فىهذا الزمان تفسيرا للقرآن . إذن هذا هوالزمان الذى أخبربه القرآن إذ قال ـ سنريهم آياتنا ـ الخ وقال ـ سأوريكم آياتى ـ الخ . واذا قال قائل من الفرنجة ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الافرنجى خرافة . نقول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يرزق الانسان من السماء والأرض وكيف يعطى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع للعالم يتقن الحشرة وحواسها و يجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرضة على النهج المتقدّم وحواسها ورزق الانسان على ماذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقدر وأجدر ولاتكون هناك نتائج لهما على مقدار حالهما . إذن الانسان تحيط به عوامل وفى داخله غرائز كلها متحدات على انه ملزم أن يرقى رقيا متواصلا وأن تقصيره يرديه و يهلكه فى كل مرحلة من مراحل حياته . هذا مافتح الله به صباح يوم الأر بعاء ٢٣ ينايرسنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين

﴿ المقال الذى ألقيته على مسامع ذلك الطالب ﴾

فقال لقد قرّت عينى بما سمعت منك فى أمر الجنة والنار عقلا ونقلا ولكنى لا أزال أطلب الافاضة فى أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت فى أوّل الحديث ان الله عزّوجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضا قلت لى ان الانسان والأرض التى هوعليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يعاودنى الفكرفى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لايقف عند حدّ ولاعند ماسمعته منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى لقلبك أن يستمرّ فى البحث حتى يقتنع . قال ولكن ليس عندى اقتناع للآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قدّمنا فى (سورة النور) عند قوله تعالى ـ الله نورالسموات والأرض ـ فى مسألةقطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذّرات عدد (٥) على يمينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذّرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فبينها أبعاد كأبعاد مابين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقدّم هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقدر (٢) على يمينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يرجع للجواهرالفردة والجواهرالفردة ترجع لأنواركهر بائية فما هى إلا ذرات ضوئية تدور منهنّ واحدة حول الأخرى كما تدور السيارات حول الشموس والذّرة الضوئية الدائرة يسمونها كهر بائية سالبة والذّرة الضوئية الثابتة يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجرى فى الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . و باختلاف مقادير هذه الذرات مع اختلاف مقادير الحركات فى الثانية تختلف العناصرالمركبات منها وهذه العناصر بينها نسب عجيبة ستراها فى (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هـذه المركبات من شموس وسيارات وأرضين وأقمار وانسان وحيوان ونبات ومعادن فكل ماتشاهده حولنا ويحيط بنا يرجع لأنوار تجرى فى أماكن خاليات وكأننا نعيش فى خيال وكأن الوجود الحقيقىّ ماهو إلا موجود لانراه لأن مانراه ظهر لنا من كلام علماء المادّة أنفسهم أنه لامعنى لوجوده بل هو نقط ضوئية فى أماكن خاوية خالية وماهو الضوء ؟ الضوء ليس شيأ سوى حركات فى شئ سموه (الأثير) وماهو الأثير ؟ هو عالم عرفه الناس بعقولهم لاغير . أما حواسهم فانها لم تقدر على تصوّره . إذن اجماع علماء العصر الحاضر أظهر أن كل مانراه ونسمعه ونشمه ونذوقه ونلمسه ان هو إلا حركات لعالم لاندركه وأن أسباب هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقى غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقى أورث وجودا ظاهريا وهو الموجود الحقيقى . وهنا نقول أيهما هو الأصل العدم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل فقلت الناس اعتبروا التفريق عدما فاذا رأوا انسانا مات وتفرّقت أجزاؤه أورأوا حيوانا هلك وأكله غيره سموه معدوما وماهو بمعدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لامعدومة . واذا كنا على حسب اصطلاح الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم فى عدهم مانفرّقت أجزاؤه معدوما فليكن كذلك حكمنا على حكمهم على الموجود الحقيقى الذى هو السبب فى الوجود الظاهرى المجازى . فاذا أخطؤا فى قولهم ان الميت معدوم وجوابه أن يقولوا مفرّق الأجزاء فقد أخطؤا فى حكمهم على الموجود الحقيقى بأن وجوده من الأزل يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن اذا حكمنا بخطأ الناس فى قولهم عدم الميت لانحكم بخطئهم فى قولهم وجد الانسان بعد العدم فانه كان معدوما فاذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه فاذا قالوا إن الموجود الحقيقىّ الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هـذا الظنّ أيضا منهم خطأ فان الذى وجد بعد العدم كالانسان وكالحيوان وكالكواكب وكالشموس فهؤلاء جميعا كانوا موجودين وانما الأجزاء كانت مفرّقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التى نراها كانت موجودة قبل وجوده فهذا اجتماع فقط بعد التفرّق . فقضية أن العدم سابق على الوجود ناشئة من اشتباه الناس فى الأمر يظنون اجتماع الأجزاء وجودا وتفرقها عدما . والوجود والعـدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت تحكم أن العدم لايسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول فى أن العالم حادث . إذن فى رأيك هو قديم . قلت له لقد نسيت ماقلناه فى هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق فى عصرنا الحاضر انه لاعالم موجود وانما هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الأثير إذ هو نور وما النور إلا حركات فى الأثير فالعالم حركات لاغير إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذى عرفناه بعقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم المثال أو هو الذى يسمى اليوم (عالم الأثير) وهو يقول ان كل ماهو حاصل الآن فى عالمنا ماهو إلا ضرب أمثال لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فان هذا واضح فيها) . فقال اذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات أو الحيوان كانت أجزاؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة غير حقيقية فهـذا التعبير راجع للوجود المجازى كما قدّمته لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لانراه . فقلت نعم والموجود الذى لانراه الأصل فيه الوجود لا العدم لأنه لادليل على عدمه فاذا كان موجودا من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم حركات لعالم لانراه . إذن الله متحرك وهـذا كفر . فقلت الله لايتحرّك وانما هو خالق للحركة فى الأثير . فقال إذن الأثير عالم قديم . قلت هنا يقف عقـلى فعقلى لايدرى ذلك العالم واذا كان ذلك الأمر موجودا فلا أدرى كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أتعدّى طورى ولكن أقول الذى ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر أن عالمنا لاوجود له باستقلال والأثير الذى قالوه أنا لا أعرفه ولاهم يعرفونه فلنرجع الى نفوسنا ولنشهد عليها بالعجز (العجز عن الادراك ادراك) لايعرف الله إلا الله فالأولى أن نعـبر بعجزنا . قال فاضرب لى مثلا إذ

عجزت عن الحقيقة . فقلت نعم أضرب لك مثلا لله فى خلقه بنا فلقد ضرب الله مثلا لنوره بالقنديل والمشكاة .
اعلم أن الانسان منا فى كل وقت يتصوّر صورا بحيث يخيل له السماء والأرض والشموس والأقمار . قال نعم وهذا خيال . قلت نعم هو خيال ولكن أهذا الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن للخيال نتيجة فى الظاهر . أليس كل ما نفعله لانتحرّك له إلا بعد الصور التى أبرزتها نفوسنا فى خيالنا . قال بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نعمل فنبنى بيوتنا ونتقن صناعاتنا . قال نعم . قلت فهل المعدوم ينتج الموجود. قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال إى وربى انه لحق . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بدليل ظهور آثارها . قال نعم ولكن قد حكمت بأن عالمنا لا وجود له . قلت نحن الآن فى الوجود المجازى فلا تخلط أحدهما بالآخر . إذن فلنجعل نفوسنا مع خيالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعا وعقلا ونقول إن هذا العالم هو نفحة من نفحات الله تعالى وقبسة من نوره فنسبتها اليه تعالى ــ ولله المثل الأعلى ــ كنسبة خيالنا الى نفوسنا . فاذا كانت نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صورا ثبت بالبرهان أن لها نوعا من الوجود المجازى وهى انما ضعفت لضعف سببها القريب فى نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم الى الله تعالى فاذا قدرت نفوسنا على صور خيالية لاتراها حواسنا فالله لعظمته وحكمته التامة وقدرته العظيمة يخلق صورا عظيمة تراها حواسنا وتعظم عندها فضعف خيالنا نسبته الى قوّة صور السموات والأرض كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة الله خالقنا وهذا المثال ينتج لنا أن العالم موجود وجودا مجازيا وانه مستمدّ من الله كل حين وانه اذا تركه الله لحظة لم يبق له وجود كما أن صورنا الخيالية اذا غفلنا عنها طرفة عين لم يبق لها وجود . إذن العالم العلوى والسفلى والجنان والنيران عوالم لا استقلال لها وهى بيد الله فنحن الآن موجودون وجودا كوجود الخيال للتخيل . وهذا يوضح لنا قوله تعالى ــ لاتأخذه سنة ولانوم ــ لأن من تصوّر صورة وأخذته سنة أونوم ذهبت تلك الصورة ويوضح لنا أيضا ــ ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ــ أى كما أننا نتخيل صورا خيالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فاذا تركنا هذه الصور أوغفلنا عنها فلاممسك لها بعدنا (وهذا التمثيل جائز كما مثل الله لنوره بالمشكاة والمصباح كما سبق) ويفسر لنا هذا أيضا قوله تعالى ــ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ــ ويفسر لنا قوله تعالى ــ وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ــ ويفسر لنا ــ ومامن غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين ــ إذن العلم الحديث وفق مابين المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوّف وعلم الطبيعة كلها علما واحدا . فنحن الآن موجودون فى وجود مجازى وهذا الوجود المجازى نحن فيه مأمورون بالجدّ ولانصل الى الوجود الحقيقى إلا اذا نصبنا وتعبنا وحصلنا كل علم وكل فنّ واتحدنا وسخرنا كل ما أمامنا من الوجود المجازى وأصبحت الأمم اخوانا فاتحدوا ولواتحادا مجازيا هنالك يرجعون الى ربهم ويشاهدونه وماداموا ناقصين يحبسون فى هذا الوجود المجازى ويعذبون ويذلون وهم فى جهنم خالدون وجهنم فى قبضته والنار فى قبضته وهو لاينام ولايغفل . هذا مافتح الله به يوم السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأتبع هذا المقام ايضاحا فى آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ــ فهنالك سأذكر ﴿ مسألتين * الأولى ﴾ تاريخ الفلسفة الذى اعتاد الناس فى زماننا أن يدرسوه أى انى أذكر النموذج الذى كتبه الاستاذ (سنتلانه التليانى) فى كتاب ﴿ تاريخ الفلسفة ﴾ وأبين فيه مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس وكيف كان سقراط يرى أن العلم لايتم إلا بالتحديد والتعريف وأن السعادة للانسان لاتتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لاتكون إلا بالجهل . إذن لابد من العلم الصحيح والعلم الصحيح بشدّة العناية بالتعاريف . ثم أذكر أن أفلاطون تلميذه قال ﴿ لا يعقل العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لاثبات لها فى ذواتها ﴾ فهناك قال لابد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعالمنا أنشئ على منوال ذلك العالم وحينئذ يمكننا أن نفهم كيف ثبت العلم لأنا وجـدنا له شيأ ثبت فيه . ثم نذكر مذهب (أرسطاطاليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالى لايصح أن يكون محلا للعلم لأنه لاوجود له ولكن الذى يركن اليه ويستند العلم عليه هى الصورة القائمة بالمادّة كصورة الكرسى والمنزل والشجرة والحيوان فهذه الصور هى المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأى أدخل فى الضعف والعسف من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعـقل ثم أعرض عليها المذاهب بحيث يكون الرأى السائد فى زماننا ثابتا على قرار مكين من العقل فى هذا الزمان

هذا ماسأذكره فى المسألة الأولى هناك ان شاء الله ﴿ المسألة الثانية ﴾ تقسيم العلوم المعروفة فى القرون الوسطى بحيث تمت الى العلوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكياء صفحة من العلم تبدو ظاهرة تفسيرا لقوله تعالى ــ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ــ فهذا العلم مما فى أنفسنا وقد أبرزه الله فى زماننا وأدخلناه فى تفسير الآية والله هو الولىّ الحميد انتهى

﴿ اللطيفة التاسعة فى قوله تعالى ــ ويوم تشقق السماء بالغمام ــ ﴾

لقـد علمت فيما سبق من هـذا التفسير أن الكواكب التى تبلغ مئات الملايين لها فيما يفطن له البشر و يظهر فى العلوم سيارات حولها والسيارات لها أقمار كما هى حال شمسنا وسياراتها وأقمارها وأن هذه الشموس العظيمة التى هى أعظم من شمسنا كانت قديما عبارة عن غمام طائر فى الجوّ يعبرون عنه بالسديم جمعه سدم وأن هذه الشموس يوما ما سترجع الى سيرتها الأولى أى انها تهدم وتحلل وترجع فى الجوّ كما كانت وتخلق بعد الملايين من السنين خلقا جديدا وتتكوّن بهيئة كواكب جديدة يخلق الله فيها خلقا جديدا . ولقد سبق فى بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا فى هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد فبعضها قارب أن يتم تكوينه و بعضـها مبتدأ فى تكوينه و بعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقمارها . فهذا هو الذى دلّ العلماء على أن هذه الشمس وماحولها كانت قديما عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك فى (سورة ابراهيم) عليه السلام عند قوله تعالى ــ يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات ــ وكذلك فى (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى ــ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ــ فهكذا هنا يقول الله ــ ويوم تشقق السماء بالغمام ــ أى ان شمسنا وكواكبها و بعض الشموس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت نارا متفرّقة فى الجوّ . والسماء هى الذى نشاهده من هذه العوالم اللطيفة التى تنتهى باللون الأزرق الذى نشاهده . ومستحيل أن يكون اللون إلا فى المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالأثير الذى شرحناه فى (سورة البقرة) وقلنا ان من ينكر السماء فانما هو جاهـل يجهل علوم المتقدّمين وعلوم المتأخرين فان المتقـدّمين والمتأخرين جميعا ينكرون وجود الخلاء بل هـم جميعا يقولون ان الفضاء مستحيل بل هو مملوء بما يسمى بالأثير وهو الذى يحمل ضوء الكواكب الينا فارجع اليه هناك تر براهـين القدماء والمحدثين عند قوله تعالى ــ ثم استوى الى السماء وهى دخان ــ الخ فانظر وتعجب كيف سماها دخانا وغماما وقال انهما كانتا رتقا ففتقهما وكل ذلك دائر على هذا المعنى فتعجب من القرآن وحكمه وعجائبه وانظر كيف يقول هنا ــ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلا * الملك يومئذ الحق للرحمن ــ الخ

﴿ اللطيفة العاشرة فى قوله تعالى ــ ويوم يعضّ الظالم على يديه ــ الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدّمة فى اللطيفة السابعة إذ جعل هناك سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنة وأن العـدوّ فتنة وامتحان لعـدوّه . فأما هنا فانه يقول ــ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع

الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ـ وهذا القول ينطق به الشاعر العربى إذ يقول

عدوّك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما يكون * تراه من الطعام أو الشراب

وفى المثل « عدوّ عاقل خير من صديق جاهل » واعلم أن الانسان اذا كانت فتنته بعدوّه عظيمة فهى بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جادّين فى مرضاتهم فيقعون فى التهلكة والأصحاب هم الذين بهم يتشبه الانسان فى عاداته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأصحاب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لصا ولا زانيا ولا فاسقا إلا وهو متشبه بصاحب له أو صديق قد تخلق بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأصحاب اذا وقعت الواقعة وظهرت الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض و يلعن بعضهم بعضا كاللصوص والقتلة وما أشبه ذلك فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقعوا فى الضيق وهذا قوله تعالى ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ـ

الصداقة على ﴿ أربعة أقسام ﴾ صداقة تأتى سريعا وتذهب سريعا وهى التى سببها الشهوات فان الشهوة سريعة الاتقاد فاذا ما انقضى أمرها ذهبت حرارتها وانطفأت فلا صداقة إذن كما نراه فى الزناة والسراق وقطاع الطرق . وصداقة تأتى سريعا وتذهب بطيئا وهى الصداقة العقلية فانك تحب العالم أوّل ما يعجبك قوله ولا تذهب الصداقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتى بطيئا وتذهب سريعا كالصداقة مع التجار فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الغش حصل التنافر سريعا . وصداقة تأتى بطيئا وتذهب بطيئا كالصداقة المركبة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتى ببطء وتذهب ببطء فاذا أحب امرأة لأمور كثيرة كالجاه والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب فلن يذهب الحب إلا بطيئا

فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن الغشّ متى ظهر بين الأصدقاء فرّقهم وذلك كله فى الدنيا وأحوال الآخرة تضارع أحوال الدنيا فى أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس يتبع بعضهم بعضا فى الأخلاق والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كاللصوص اذا وقفوا أمام القضاة فى الدنيا فان كلا يجعل الذنب على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذى ظلم نفسه بترك التعقل واتباع صاحبه ـ ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ـ وهذه الحال كحال الرؤساء والمرؤسين التى مرت فى (سورة البقرة) ـ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ـ . فههنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات آلاما . وترى الانسان اذا مات اتقدت فى قلبه نار الحسرات على فوات الشهوات التى اعتاد عليها فانقلبت الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت المودّات والمحبات شقوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلال يتبعه الخسران والهلاك فلا رؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بشافعين بل كل مسؤل عن نفسه

﴿ ضعف السياسة فى الأمّة الاسلامية اليوم ﴾

واعلم أن قوله تعالى ـ و يوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ـ الخ هى الحاصلة اليوم فان لم يكن بلفظها فبمعناها ﴿ و بيانه ﴾ أن أمم أوروبا أصبحت عريقة فى اصطناع السلاح والكراع والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوّة دهائها ومكرها وخداعها فلما رأت أمم الاسلام نائمة جاهلة استعملوا الصداقة خير سلاح لهم فترسل الدولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يجدّان ويحتالان حتى يفرقا بينهما ثم تتدخل الدولة الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تمّ الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا مخدوعين فيعض الظالم أى الأمير والقائد على يديه يقول ياليتنى تعقلت ونظرت فى الأمر بدقة ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا الفرنجى خليلا

﴿ حكاية ﴾

لقد جاء فى الجرائد المصرية أن الأمير عبدالكريم ببلاد المغرب الذى يحارب الأسبان قد سلط الأسبان عليه رجلا من أمته يسمى الرسولى له شوكة وقوة فقام الأمير عبدالكريم على الرسولى وحاربه وغلبه وأسره فوقف وزير الأسبان فى قومه خطيبا وقال نحن لايهمنا الرسولى ولاهو له قيمة عندنا فسواء خذل أم نصر فلانبالى . هذا كلام الوزير الاسبانى فكأنه لما كان قويا انتفع به فلما سقط فى حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى ــ وكان الشيطان للانسان خذولا ــ فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساقه الله لنفسر به هذه الآية والله هو الولىّ الحميد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب ولله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة فى قوله تعالى ــ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ــ ﴾

ومعنى هجره تركه وانصدّ عنه * وجاء فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه ﴾ هذا ماذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معانى الهجر اللغو فيه اذا سمعوه أوزعموا انه هجر وأساطير الأوّلين فيكون أصله مهجورا فيه والمعنى الأوّل أليق بحال المسلمين اليوم ومابعده أليق بحال الكفار . والمهمّ اليوم أن أحدّثك أيها الذكىّ فى حال المسلمين وكيف هجروا القرآن . واعلم أن المصحف قد شكا فعلا الى الله وقد تعلق بالمسلم وشكاالى ربه وقال اقض بينى وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وعجل العذاب لكثير من الأمم الاسلامية هذا هو العذاب المعجل . سلط الفرنجة علينا وأخرنا فى مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا فى الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل . محروم من التفكير . محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل مافى المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أوروبا فى بلاد الاسلام واستيلاؤهم على الأوقاف وعلى الامور الدينية فضعف المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب معجل قبل المؤجل . إن الأنبياء اذا شكوا أممهم الى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكا أوّلا أهل مكة فعوقبوا بغزوة بدر وأسلم أبناؤهم وانتهى الأمر وشكانا نحن وإهمالنا التفكر فى معانى المصحف . ولأذكر لك ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ مما أهمله المسلمون قبل ايضاح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون فى أوّل سورة نزلت . إن أوّل سورة نزلت ــ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم * كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرأيت الذى ينهى * عبدا اذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ــ الخ

أفلم ينظر المسلمون الى الابتداء كيف كان . ألم تكن أوّل كلمة بعد البسملة ــ اقرأ ــ فكأن أوّل مطلوب لنبى هذه الأمة ﷺ ولأمته القراءة . وبماذا يقرأ . يقرأ باسم الرّب والرب فيه معنى التربية المذكورة فى أوّل الفاتحة ثم أوضح التربية فابتدأها بقوله ــ الذى خلق ــ فالخلق كلهم فى تربية الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير واما بمعنى الايجاد وهذا يعم سائر المخلوقين من ملك وانس وجنّ وسموات وأرضين ثم خصص فقال ــ خلق الانسان من علق ــ وخلق الانسان نتيجة عوالم تقدّمته أى نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار . كل ذلك مقدّمات لخلق الانسان . والتعبير بعلق اشارة الى ماذكرنا فى هذا التفسير من سلسلة الحيوانات الممتدّة من أدنى مخلوق حىّ الى الانسان والى

الكشف الذى أظهر أن أصلَ الجنين علقة صغيرة جدا . وقد تقدّم ايضاحها وايضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية العجيبة التى حض الله عليها فقال سبحانه ـ وفى أنفسكم أفلاتبصرون ـ والنظر فى النفس يتقدّمه النظر فى الجسم والنظر فى جسم الانسان هو العلم العجيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقروء وآياته البينات فاذا عاش المسلمون وماتوا ولقوا ربهم وهم عمى عن أجسامهم جهلاء بربهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أوّل ما أنزل ـ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق ـ وذلك يجرّ الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التى يقرؤها أهل أوروبا كلهم فى المدارس التجهيزية والمسلمون نائمون . علوم الطبيعة التى أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا مقروءا وأنزل كتابه اللفظى مصداقا لكتابه العلمى

ياعجبا للمسلمين كيف يكون أوّل ماأنزل على نبينا ﷺ طلب القراءة وفهم التربية والبحث فى الخلائق كلها والبحث فى الانسان ثم يعقب ذلك بقوله ـ اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم ـ فالله كريم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى ـ يا أيها الانسان ماغرّك بربك الكريم * الذى خلقك فسوّاك فعدلك * فى أى صورة ما شاء ركبك ـ ولكنه أكرم لأنه ـ علم بالقلم ـ فكرم الله عامّ على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خلقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقى من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف عبارة عن جنات وأعناب وفواكه مما نشتهى وفوق كل لذة فى عالم الأجسام فببقاء العلوم بقاء الأرواح فى هناء وبكثرتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى ـ اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم ـ فخلقه للعالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة فى الكرم فالمسلمون اليوم رضوا من الله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتقبلوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله ـ علم بالقلم ـ اشارة الى أن القراءة والكتابة ينبغى أن تعلم وقوله ـ علم الانسان مالم يعلم ـ اشارة الى تعميم العلوم فاذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعليما اجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلة وكيف نسوا القرآن وهجروه وكيف ظنوا أن القرآن أغفل العلوم

﴿ القرآن وتقصير المسلمين فيه ﴾

اعلم أن المسلمين فى غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا فى أحوال العصر الذى هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا الدول وأقاموا الممالك وثبتوا العدل وبثوا حسن المعاملة بين الناس بقدر امكانهم ففتحوا باب الحرّية فى الديانات ونظموا الأمم وفعلوا ماأمكنهم فعله فنشط علماؤهم للتأليف وحكماؤهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم للتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب فى الاحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا فى العدل الى أن انقرضت الدول العربية وجاءت الحروب الصليبية . فى أثناء ذلك فرّت الحرّية من الشرق الى الغرب واستيقظت أوروبا من مرقدها وهذبت تعاليم المسلمين الدين المسيحى فرجعوا الى عقولهم ونظموا مدنهم وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤها والمسلمون فى انحطاط

كانت فى العصور الأولى ﴿ دولتان ﴾ فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحلتا وحلّ الاسلام محلهما وأظهر العدل ونام الناس فى عدالته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذى وجده بعد أن أراد أن ينقضّ

أقام الاسلام جدار العدل الذى أراد أن ينقض فى الدولتين العظيمتين فارس والروم . أقامه وقضى أمدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فاستيقظت الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بعد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويهذب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة

والتابعين فليقم الاسلام العلم اليوم . فاذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها واجبات فليقرأها المسلم اليوم على انها قربى الى الله وليكن عدل المسلمين فى العصور الأولى نبراسا لهم فى العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للأمم هذبهم فى اقامة العدل سابقا فليهذبهم اليوم فى نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم ولتقم أمة العرب قبل الأمم بالحكمة ولتدرس الوجود حبا فى ربها وأنسا بخالقها وقربى الى الله

ألا ليقم المسلمون بما عليهم وليسمعوا قول الله ـ اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم ـ فقوله ـ علم الانسان مالم يعلم ـ كلام عام يقتضى البحث والتنقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله ـ كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إنّ الى ربك الرجعى * أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ـ

فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الايمان . لم يذكر الصلاة إلا بعد ما استوفى العلوم . سيقول جاهل وماهذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يمل هذا القول إلا الجهالة الكتعاء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون فى قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ـ أن ماقدّمه الله يقدّم وما أخره الله يؤخر ويرجعون فى ذلك الى ما ورد فى بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعى رضى الله عنه الترتيب فكيف صحّ التدقيق فى غسل الأعضاء وأيها يقدّم ولايصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدّمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القدح المعلى فى الاسلام على غيرهما . إن العدول عن مثل هذا جاء من اعراض العلماء فى الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أوّل ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أوّل ما أنزل على نبينا ﷺ ولانفكر فيه

﴿ سورة الفاتحة ﴾

واعلم أن هذا النظام بعينه هوالذى جاء فى (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه ربى العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهوكما قال ـ خلق * خلق الانسان من علق ـ والخلق من علق ثم الترقى شيأ فشيأ هو معنى التربية فكأن هذه السورة تفسرمعنى التربية المذكورة فى الفاتحة والمذكورة فى هذه السورة ولم يذكرالعبادة ولا الهداية للصراط المستقيم ولا الاستعانة بالله فى ذلك إلا بعد ماذكر التربية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام يشبه نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكأن الله أمر بقراءة الفاتحة فى كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصبة على أن نعرف ما رباه الله من المخلوقات وكما أخرت أحوال العبادات فى الفاتحة أخرت أيضا فى (سورة اقرأ) وملخص هذاكله تعميم التعليم

فياليت شعرى كيف نام المسلمون عن قوله تعالى ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ . لقد علمت أن آباءنا هذبوا الأمم بعلم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلنتم النظام الأرضى ولنقم بتعليم العلوم بنظام أشرف وهوأن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرقى مما عندهم كما قال ﷺ ﴿ اذكر الله عندكل حجر وشجر ﴾ فليعمم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهذبون الأمم فى علومها كما هذبوها فى عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم فى العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس فى العلوم الفقهية واقامة العدل وسيرحمهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أيدى المسلمين . سيقرأ المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن فى سبعمائة آية وخمسين تصريحا وفى غيرها تلويحا أن يقرؤا علوم العالم كله . سيقرؤن ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ

﴿ القرآن كالبحر الملح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدّر والمرجان وفيه مخلوقات بديعة عجيبة وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض مافيه وماعلم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذى به حياة كل شئ فسيكون فى المستقبل . إن فى البحر جوهرا وان فى البحر درا . ان فى البحر ماء يكون بخارا بحرارة الشمس فيرتفع للجوّ فيصير سحابا ممطرا فيحيي به الله الأرض بعد موتها ويكون منه الحيوان والنبات والانسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفكر المسلمون بعقولهم وليستخرجن العلوم من مكامنها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أنهارا سقت كل حيّ . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلنأخذ نحن منه العلوم التى بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل حى ولنغص على الدّر والمرجان كما غاص أكابر آبائنا ولكن بقى ذلك مدفونا فى الكتب بعيدا عن الأمّة فلينشر ذلك للملأ ولتقم الأمّة بما عليها لنفسها وللأمم وليقرؤا ــ وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ــ انتهت اللطيفة الحادية عشر

﴿ اللطيفة الثانية عشرة فى قوله تعالى ــ وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوّا من المجرمين ــ ﴾

قد تقدّم شرحها فى اللطيفة السابعة فى قوله تعالى ــ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ــ

﴿ اللطيفة الثالثة عشرة فى قوله تعالى ــ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ــ الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقلوبة فرؤسنا مرفوعة الى أعلى تتعاطى بها الطعام والشراب ورؤس النبات الى أسفل ورؤس الحيوان متجهة الى الجهات الأربعة وانما كنا على هذا النمط لأن النبات لاحظ له من الاستقلال إلا كحظه من الانفصال عن الأرض فرأسه ملازم للطين لاحراك له ظاهرا . فأما الحيوان فانه يتحرك الى سائر الجهات ويختلف فى قبول الغرائز اختلافا عظيما وهو فى ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يبتدئ من أدناه الى أعلاه . فانظر الى خلق الله وعجائب صنعه وتفكر فى حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صوّر خلق النبات لازما للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكلما ازداد غرائز وقوى كان أبعد عن الاتكال على الأرض وكان أقدر على السعى وترى السباع والنمور أرقى من الظباء والغزلان فهى تأكلها وترى القرود أرقى من الجميع لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للانسان وترى الانسان انتصب قائما فكانت رأسه أعلى ويداه ورجلاه لأسفل بعكس كل نبات فصدق قولنا ان الانسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى ــ والله أنبتكم من الأرض نباتا ــ فنحن نبات ارتقى ارتقاء تاما ولكن نظرهنا معنى الآية التى نحن بصدد الكلام عليها وهى ــ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ــ فالحشر على الوجوه الى جهنم يراد به ميل النفوس الى الامور الأرضية وذلك أن الانسان يعيش فى هذه الأرض ويصادف فيها لذات وآلاما فاذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل اللذات العالية وهى حب هذا النظام العام وتكميل النفس الانسانية فان مثل هذا يوضع بعد الموت فى عوالم منحطة على قدر عقله لأن الله لايظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون فثل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم الى أعلى لأن ميلهم حيوانى وشهوتهم نباتية فكأنه مافهم الانسانية ولاعقل لذاتها العالية وعكف على الشهوات المعتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان مايحبو على الأرض حبوا فهؤلاء تكون نفوسهم راجعة منكوسة الى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع الى المأكل والملبس والمسكن والزينة والنساء والمال وجميع ماهو من هذا القبيل والأخلاق السبعية ترجع الى القوّة الغضبية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التى تبلغ مايقارب المائة كما فى علم الأخلاق تحط قيمة المرء فى الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتبقى محجوبة فيها عن ربها كما قال تعالى ــ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ــ وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكرهل نفسه متأهلة للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولذاتها تبهجه وتنسيه ذكرالله فليعلم أنه بعدالموت يكون معلقا بما كان معلقا به فى الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه ظالما لنفسه وذلك جزاءالجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى ـ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ـ اى انهم يميلون الى أسفل الامور فلاينالون أعلاها ويحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعتها لاخسيسة منحطة منخفضة وانما وجوههم ـ يومئذناضرة ٭ الى ربهاناظرة ـ وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلصق بالأرض كما يلصق النبات لأنهم ميالون الى العوالم الأرضية مجبولون على حبها لم يعشقوا ما أدركته العقول من الجمال

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ـ ﴾

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة وللأمم السابقة . فأما ضربه الأمثال للأمم السابقة فهوالمذكور فى هذه الآية . وأما ضربه الأمثال لهذه الأمة فمثل قوله تعالى ـ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون ـ الى أن قال ـ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ـ

يقول الله فى الأمثال لايعقلها إلاالعلماء ويقول فى اختلاف الألسنة والألوان لايعقلها إلا العلماء كما سيأتى فى (سورة الروم) إذ يقول تعالى ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ فى ذلك لآيات للعالمين ـ (بكسراللام) ويقول فى سورة أخرى ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض ـ الى قوله ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والألسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يخشون الله فهكذا لايعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة فى كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد تقال لأجلها ألف لها (الميدانى) كتابه ﴿ الأمثال ﴾ ولأذكر لك مثلا سهلا لتقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان من ورائى لم يتركنى ورائى » ومعلوم أن الحائط لم يقل للوتد شيأ ولاالوتد ردّ عليه شيأ وانما هذه جملة يراد بها اظهارالعجز ممن اقترف ذنبا باكراه غيره عليه . إذن المثل هوقول منقول من معناه الى معنى آخر وهو فى علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معلوم لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التى لابد منها لمن يريد تفسيرالقرآن

(٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللبن » فهذا قول نطق به رجل كبيرالسنّ لامرأة كانت زوجته فأحبت شابا وتزوّجته فى زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللبن على عادتها فى زمن الشتاء فأفادها انك ضيعت اللبن فى زمن الصيف . ولكن هذا القول نطلقه نحن الآن على من ضيع فرصة فاتته فأتى ليطلبها بعد أن فاتت . فاذا طلبنا من رجل أن يشاركنا فى أرض ليزرعها أوفى تجارة ليديرها ثم تنحى عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبته فانا نقول له ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ نخاطبه بهذا وهولم يطلب لبنا ولم يكن ذلك التضييع فى زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرصة فعليك وحدك يكون اللوم لاعلينا . اذا فهمت هذه المقدمة فاسمع لما ألقيه عليك الآن . اعلم أن الأمم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملحة وتعطى أبناءها الحكم تارة على ألسنة الحيوانات وآونة على ألسنة الأنبياء وأخرى على ألسنة الملائكة وطورا على ألسنة الملوك وهكذا فترى

(١) كتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ على ألسنة الملوك والجنّ والعفاريت

(٣) وكتب اليهود على ألسنة الملائكة تارة والأنبياء تارة أخرى

وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على ألسنة العشاق كما فى كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ ومن عجب أن الأمم كلما توغلت فى القدم كانت أمثالها غالبا ترجع الى الملائكة أوالآلهة التى اخترعوها على مقدارتلك العقول وليس عندهم فى ذلك مضض وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب الى العالم الأرضى كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب الى (الديموقراطية) جعلوا الأمثال على ألسنة العشاق فالمدار فى كل عصر على ماغلب على أهله فان كانوا صابئين أوما أشبههم كالأمم القديمة ذكروا الملائكة والآلهة المخترعة وان كانوا شديدى الخضوع للملوك أومتعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأبين ذلك واضحا الآن . واعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقا معبدا وأمرا سهلا وماهو بمعبد ولاسهل ولكنه يحتاج الى إعمال الروية والفكر والنظر وليس يدركه إلاأهل العلم والدراية والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهاك أسمعك ﴿ ثلاثة أمثال ﴾ تجمع أهم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التى ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظاتهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى ـ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ـ ولأقتصر لك من أمثال الهنود على ﴿ مثلين ﴾ ضربوهما ليفهموا النوع الانسانى كيف تخدعنا الشهوات وتضلنا اللذات وتغوينا الأهواء وتسحر عقولنا فنون الجمال وزينة الحياة الدنيا ثم أقفى على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) ونقله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على نمط القدماء فى توجيه النصح على ألسنة الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لايجدون فى هذا ذنبا ولاخروجا عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لايجوز وان كان القول مجازا وانى أردت بهذا

(١) أن أبين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للمسلم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة اذا اطلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق فى المعنى مع العلوم ومع كل دين وان اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأنسا بكل علم فلايأنف من قراءة العلوم القديمة التى نقلت عن الأمم لأن حصر العقول يضيع مجد الأمم ويذلها

واعلم أن الله عزّوجل طبع هذا الانسان على خصلة لاتفارقه وخلة تلازمه وهى أنه لايتعلق إلا بما بعد عنه ولايحب إلاماتمنع عليه وهو يحتقر كل مبذول له ولايرغب فيما عنده . ألاترى رعاك الله أنه قد بذلت له نجوم السماء كى ينظرها كل ليلة وهى أجل وأبهى من الجواهر والحلى ولكنك تراه يفضل قطعة (الماس) على هذه النجوم الجميلة . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبذولة ولوأنها كانت غير مبذولة لدفع ثمن النظر اليها غاليا ولكانت النظرة اليها تشترى بمال وفير . ومن هذا ما نشاهده من تهافت التجار على الآثار القديمة المدفونة تحت الثرى فما ذلك إلالندرتها . ومن ذلك انى فى هذا اليوم أعنى يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ زرت (دارالآثارالعربية) بمصر فأخبرونى هناك بأنه يؤمها كل يوم من السائحين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع (١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيأ ممنوعا عنهم ولوكان مبذولا لهم لاحتقروه . من ذلك أنى رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة اشتراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضا قطعة قماش من ثوب ابن هارون الرشيد رأيتها بعينى رأسى بلغ ثمنها (٣) آلاف جنيه . وهكذا اناء من العقيق رأيته هناك كان يأكل فيه بعض ملوك المماليك فى مصر فدفع فيه الحاكم الانجليزى (١٦) ألف جنيه فلم ترض الحكومة المصرية . هكذا أخبرنى العمال فى المصلحة . فهذا التغالى فى الأثمان للغرابة لاغير

اذا عرفت هذا فلننظر فى الأمثال انها انما جعلت أداة للتعليم لغرابتها وبدائع تنوعها والتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر فى أصل المعنى وفى المقصود منه كان لهذا أثراً فى نفسه . ففرق بين قول القائل فلان كريم و بين قوله كثير الرماد وجبان الكلب رحب الذراع وهكذا فضرب الأمثال أبلغ من الحقائق
هذا أهم الأسباب فى قوله تعالى — وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون — بكسر اللام وذلك لأن الجهال من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق ومايقصد من الكلام

الآن ساغ لى أن أقص عليك قصص الهنود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم وكيف يحترسون من خداع الدنيا . ولأذكر لك قبل ذلك كما تقدم فى هذا التفسير وشرحته فى غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بالله باطنا وسرا ومشركة أمام الشعب فعند الهنود كما عند قدماء المصريين كان التعدد من طبع العامة وهكذا جميع الأمم السالفة

فلما وصلت الى هذا المقام قال لى ذلك الصالح العالم الذى اعتاد أن يحادثنى فى التفسير فيما مضى ؟ لم كل هذه المقدمة . الأمثال جعلتها ولم تريد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة فى هذه الآية . فقلت أردت بذلك ازالة تلك الغشاوة التى طمست على عقول كثير من الأمم الاسلامية إذ حرموا من العلم الذى طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهلوا منه . فقال ماهذا العلم الذى تزعم أن الناس انتهلوا منه وحرم منه المسلمون فقلت علوم الأمم القديمة والحديثة فى رواياتهم التى أودعوا فيها علومهم . ألاترى رعاك الله أن بنى اسرائيل ذكروا قصصا أودعوا فيها حكمهم وضمنوها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند اودعوا قصصهم الحكمة وحشوها فى حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . وانى لأعجب كل العجب من أمة تقرأ علم البيان ولاتطيقه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة التمثيلية كما تقدم والاستعارة يقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظ لا غير فعجبت كل العجب من أمم تفهم قول القائل ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ وتخاطب به جماعة الرجال ولاترى فيه بأسا ثم تراهم يهلعون و يجزعون اذا سمعوا ماسأقصه من قصة هاروت وماروت التى وضعت بهيئة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مغزاها على طريقة الاستعارة التمثيلية والخرافة انما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذى قصده النبى ﷺ فى قوله ﴿ حدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج ﴾ كما فى البخارى وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فنحدث بلاسند . ولعمرى لم يقصد ﷺ أن يعلمنا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة تعرف أحوال الأمم ومواعظها فترتقى . إن الأمم جميعها لم تقدر أن تصور الفضيلة والرذيلة إلا بهذه الوسيلة وهى تشويق القراء بطريق القصص بهيئة تأخذ بلب القارئ والله يقول — ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها — وهذا فى هذه السورة ويقول سبحانه فى آية أخرى — أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أوآذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور —

ولاجرم أن علم الآثار الحديث الذى عرفه العالم المتمدين وقرؤا كتب الأمم القديمة أفادهم وعرفهم وساعد فى رقى أممهم والمسلمون بقوا مكتوفى اليد أمام الأمم فالأمم يسمعون و يعقلون والمسلمون لايريدون أن يسمعوا أو يعقلوا و يقولون قد استغنينا بالقرآن و يقول الله لهم فى القرآن . كلا . ان قارئ القرآن بلا علم بالمعنى ولا عمل بالعلم كهيئة الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم ؟ فهل يعجبكم أيها المسلمون أن تعرفوا القرآن كله وتنكروا قوله — أفلم يسيروا فى الأرض — فهل السير فى الأرض ونظركم عواقب الأمم من كتبها وآثارها والاحتراس مما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أعمالهم مخالف للقرآن وهو الذى حض عليه بنفس هذه الآية وو بخ التاركين له ؟ فهل النظر فى الأرض وتعقل أحوال أهل الأرض والنظر فى السموات . كل ذلك

لايعجبكم مع ان القرآن يأمر به . فقال صاحبي هذا عجب ثم عجب كفى كفى * إن من البيان لسحرا *
فاذكر لى المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يعظون فقلت عندهم قصة تسمى ﴿ قصة العابد المفتون ﴾ وملخصها أن عابدا يسمى (كندو) على شاطئ نهر جاماتى اشتهر بالعبادة فى غابة كثيرة الأشجار فخاف أرباب السماء (الملائكة) أن يشاركهم فى العظمة عند الله و يسكن معهم السماء فأوعزوا الى واحدة من الحور العين وهى (برامنوتشا) أن تظهر جمالها فنزلت الى الأرض وفى طاعتها الربيع والنسيم فلما رآها العابد بهره جمالها و بقيت معه ليالى وأياما تعدّ بالمئات فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال انى لم أصلّ الليلة والفجر قرب فسخرت منه وقالت أنت معى منذ مئات الليالى فدهش وقد كان يظنها ليلة واحدة فعرف أن المرأة خدعته وفرح الملائكة الذين حسدوه بذلك

فلما سمع صاحبي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسلمون وكله كفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل الأرباب الهندية . ولاجرم أن ذلك يفيد ﴿ أمرين اثنين * الأوّل ﴾ ان الآلهة الصغيرة معبودة ﴿ وثانيا ﴾ ان اتصافهم بالالوهية فيه تعدّد للآلهة والأمر ظاهر البطلان . وأيضا الآلهة كما اتصفت بحسد العابد اتصفت بالاحتيال فى الافساد فهؤلاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قدّمت فى هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم موحدون واستباحوا التعدّد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به الملائكة وأما كونهم يحسدون و يخادعون و يفتنون العابدين فحقا هذه صفات الشياطين ولعل هذه الشعوب بأنها صفات الشياطين قبلوها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباحا عندهم . ولاجرم أن هذا الحسد موجود بين الناس وماضربوا الأمثال بالملائكة إلا ليفهم ذلك الناس لاغير فقراءتها ومعرفة مغزاها شئ والاعتقاد والكفر شئ آخر . ولاجرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التى ضربها الله لهم . كلا . بل هى أمثال تبعت أخلاق القوم وأنزلت آلهتهم الصغيرة فجعلتهم فى مصافهم فلذلك صار الحرب والخداع فى عموم النوع البشرى عاما تقليدا للآلهة التى ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبطلها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين نزل من السماء خلطه الناس بأهوائهم كما سأوضحه قريبا فى هذا المقام ، ثم قلت وفى هذه القصة مصداق القرآن ، ألا ترى رعاك الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تقدّمه أديان . قال بلى . قلت أفلاترى أن هذا من أقدم الأديان وقد ذكر الزهد فى الدنيا والعبادة بالليل واضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شرحه القرآن شرحا وافيا . إذن كان الناس من قديم يصلون بالليل وتتجافى جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك الدنيا يقرب من الملائكة ويحبّ فى السماء ، إذن هذه القصة مصداق لدين الاسلام فالله يقول ـ قل ما كنت بدعا من الرّسل ـ و يقول ـ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ـ إذن القصة أفهمتنا أن هذا القرآن لم ينزل فيه ماليس من طبع الديانات التى تناسب أهل الأرض وان ضلوا فى التعبير فقد كان قبلنا أمم يصلون و يتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لاخاصة وهذا من أجلّ البراهين على صدق النبوّة

فلما سمع ذلك صاحبي قال حسن فما القصة الثانية : فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فتنة العابدين بالنساء الجميلات . ولاجرم أن الدنيا كلها فتنة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلوها مظهرة مضار لعب النرد (الطاولة) ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها فى رواية ﴿ نال ودامان الهندية ﴾ وهى من فصول كتاب ﴿ مهابهاراته ﴾ الشهير أحد أسفار الهنود المقدّسة عند الهنود وقد وضعه قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك (ڤياسا) الذى عاش آلاف السنين على الأرض فى زعمهم نظم ديوانه ﴿ مهابهاراته ﴾ وهو ٢٢٠٫٠٠٠ بيتا وهو من أندر المؤلفات فى فصاحته وقصصه ونوادره وانباء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهو مثل (الالياذه) لهوميروس وهذا الكتاب (١٩) فصلا وفى الفصل الثالث منه رواية ﴿ نال ودامان ﴾ وهى ترمى الى تقبيح لعب القمار وهى (٥٠٠) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر الـكنج فى بلادالهند مملكة (نيشا واه) ومملـكة (فيدونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (فيم) وابنته جيـلة فتانة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة فى السماء وعلم بها ملك (نيشا واه) وعرف جمالها نخالج قلب (نال) حبها ولما مرّ به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقتنى اذهب الى (دامان) الجيلة لتتزوّج بها ففرح نال وبات صريع غرامها فذهبت الأوزة الى فيدرونه ورأتها (دامان) الجيلة فقبضت عليها فقالت لها أنا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطلبيه فباتت دامان مولهة ومرضت وأخبرت أباها بذلك فدعا (نال) فتزوّجها . وكان لنال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى اليه أن يلعب مع أخيه الزهر و إله الشرّ يساعده فلعب مع أخيه نخسر (نال) كل مملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أبت أن تـكون مع (بوسكار) فسارا فى البرية يأكلان العشب ثم لقيا ركبا أوصلهما الى (مملـكة فيدرونه) فعاش مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى مملكته فسلم أخوه له بلا حرب وتولى الملك ثانيا وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطاولة) على مال وانما يكون ذلك للتسلية

فلما سمع صاحبى ذلك قال فاذكر لى القصة الثالثة التى ذكرها أهل (بابل) ونقلها بنواسرائيل فى رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روايات الهند ﴿ وملخصها ﴾ أن الملائـكة فى زمن ادريس عليه السلام لما رأوا ذنوب بنى آدم عيروهـم وقالوا هؤلاء خبثاء فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأنزلهما الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لـكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاختارا (هاروت وماروت) فنزلا وصارا قاضيين يحكمان بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فأعجبا بها وطلبا منها شيأ فقالت لا حتى تشربا الخمر لأنها خيرتهما بين الخمر وعبادة الصنم فرضيا بالخمر لأنه أهون فوقعا فى الزنا ولما رآهما رجل قتلاه خوف الفضيحة فلم يقدرا بعدذلك على الصعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة فى (بابل)

هذه الرواية مثـل سابقتيها لاسيما الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائـكة أو الآلهة فى عرفهم هى التى تفتن بالنساء ويحصـل وقائع للملائـكة أوللآلهة كوقائع الملوك الأرضـية مع الرعية ونسائهم الجميلات

هذه ﴿ ثلاثة أمثال ﴾ من أمثال الأمم التى أشار لها الله وهى فى نحواها كالقرآن من حيث تحريم الخمر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائغة كما سأوضحه قريبا وانما ذكرتها هنا لمناسبة قوله تعالى ــ وكلا ضربنا له الأمثال ــ فالمذكورهنا يدلنا على نوع الأمثال وسرّها وكلها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرفة فان الانسان اذا سمع أن العابد فى القصة الأولى فتنته حوراء مرسلة له من الجنـة ثم ندم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو فى حال الاستغراق فى جمالها ثم ندم بعد ذلك . واذا علم أن لعب (النرد) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . واذا علم أن نفس الملائـكة الطاهرين قد فتنتهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التى كان يضربها الناس اتباعا لما جاء فى دياناتهم وان أزاغ عقائدهم وكانوا بها يصلحون أممهم . أما عندنا فهذا ممنوع منعا باتا . ذلك لأن ديننا يسدّ طريق الفساد . ذلك أن هذه وان كانت أمثالا قد يظنها الجهـلة انها حقائق و بتمادى الزمان تصير عقائد للعموم فيقولون إن الملائـكة يعصون الله وهو كفر أو أن هناك فى السماء آلهة وهذا كفر فسدّ الله هذا الباب منعا للشرّ والجهل فى العقائد . ولما كانت الأمثال لايعقلها جميع الناس قال تعالى ــ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ــ (بكسر اللام) اشارة الى أن أكثر الناس جهال لايعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقته ممتنعة والذى يعرف المقصود منها انما هـم العلماء ودين الاسلام للعلماء وللجهلاء . فاذا رأيت بعض المفسرين نقل أمثال هـذا فى تفسيره فاعلم انه اتبع فى ذلك الحـديث

الشريف ﴿حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج﴾ ولما كان الناس يحملون هذا على الحقيقة لا على المجاز أخذوا يذمون تلك الروايات ونسبوا للمفسرين التحريف فى القرآن وماهم بمحرفين إلا اذا اعتقدوا صحة هذه الروايات على لفظها فأما المغزى فهو للتهذيب واعجب ثم اعجب لهذه الروايات الثلاث كيف دلتنا على آراء الأمم الهندية والمصرية والبابلية وأن آراءها متشابهة . فبهذا تعرف سير تلك الأمم وأمثالها وتفهم معنى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا - وانما تبرهم لأنهم حرفوا فى نفس الأمثال . ومن عجب أن يوبخ الله أهل مكة وأمثالهم فيقول - ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لايرجون نشورا - يوبخ الله أمة الدعوة ناعيا عليهم عدم اعتبارهم بتلك القرية التى أهلكت وهى بطر يقهم هكذا ينعى الله على المسلمين الحاليين ما يرون من الأمم التى خربت بذنوب أهلها وتقصيرهم كأهل الأندلس من المسلمين وكأهل أمريكا الأصليين وكما يرون من الذل فى مصر والشام و بعض بلاد العرب فهؤلاء مكبلون فى الذل أفلا يعتبرون فيحترسوا من التقصير ؟ فاذا قال قائل نحن مؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون -

ومما يؤسف له أن الأمم الغربية اتخذت الروايات الأدبية بابا لرقيها كما فعل الألمان إذ ألف أحدهم فى القرن التاسع عشر ﴿رواية وردة﴾ التى تعرف آداب قدماء المصريين وحريتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح فكانت هذه الرواية سبب النهوض الأدبى فى (ألمانيا) والمسلمون لا يفكرون فى الأمم ولا الدول ولا الممالك ولايثيرون العزائم والهمم ولا يفكرون فى قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - أليست هذه هى أيام الله تعالى وهى ماصنعه بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقى الأمم . واذا رأينا الله يذكر لقمان عليه السلام و يسمى سورة باسمه و يقول - ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله - فليس معنى هذا أن الحكمة خاصة بلقمان فلا نقرأ إلا حكمته . كلا . فان الله يقول - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ولم يخصص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال فى آية أخرى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فالحكمة ليست خاصة بلقمان بل هى نور من الله نستضىء به من أى حكيم فالمسلم يقرأ كل حكمة وكل علم . هذا تمام المقال فى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صباح الثلاثاء ٢٨ نوفبر سنة ١٩٢٨

﴿ الانسان فى هذه الأرض كتاب لايدرسه و يعقله إلا المفكرون - ﴾

لقد خيل الىّ هذا الانسان وهيكله المنصوب وقد أشرقت النجوم ليلا والشمس نهارا على الأرض وأضاءتها وازدهرت بالمزارع والأنهار والحيوان وانتظمت الأحوال وعمرت الارض وأشرقت بنور ربها فبرز هذا الكتاب ليقرأه المفكرون و يدرسه المستبصرون . هذا الهيكل أمره عجب . نراه قد جعل منار الحكمة والعلم والفضائل والرذائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما يزدرده فيهضمه فيكون الدم فينتظم الجسم انتظاما

(٢) ومابقى من هذا الطعام بعد الذى حوّل الى دم يصير فضلة غليظة أو رقيقة فينزل على الارض فيكون سماد الزرعنا وتحيا به أرضنا فتبارك الله الذى لم يضيع من الوجود شيأ فالذى بقى ولامنفعة له فى أجسامنا بعد الدم رجع الى الأرض حتى يحوّل فيها الى طعام آخر نهضمه كرة أخرى فما أشبه هذا الطعام الذى لم يصلح دما فى أجسامنا ونزل سمادا بالتلميذ بقى فى فصله سنة أخرى حتى يعقل دروسه ثم يرتقى الى أعلى فى الدراسة العلمية ثم إن هذه الفضلة منزلتها أسفل فلذلك خرجت من السبيلين أسفل هذا الهيكل المنصوب

(٣) أما الدم الذى استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه يدور دورته فى الجسم كما تراه مرسوما موضحا فى (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

هو يدور فى الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحابا ثم مطرا فأنهارا ثم يجرى الى البحر كرّة أخرى وذلك ليحدث فى البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارّة أخرى ينشئها فى قاع البحر سنة فسنة حتى تظهر تلك القارّة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارّة على أقل تقدير اذا ترك مهملا . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا فى الحال ولكن هذه الأنهار فى حال دورتها كدورة الدم فى الجسم لها آثار أخرى حالا فهى تسقى الزرع وتدر الضرع ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم اذا جعلت للنهر سدود وحبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما نرى فى نيل مصر وغيره من الأنهار التى نظمها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن فى دم الانسان ماذا فعل ؟ رأيناه يدور كما يدور الماء فى الجو والأرض وفى أثناء دورانه فى الجسم يغذى الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء فى الأرض ثم نرى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فضلة وتلك الفضلة أعدّت لايجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانسانى ومثله أكثر الحيوان فى ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفضلة المنوية ليكون منها انسان آخر كأكثر الحيوان كما رأينا الأنهار تخلف منها فى البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التى يجرى فيها الماء أو تخلفها بعد حين اذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والأنوثة فى الانسان والحيوان شرطا لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قد يكون بالانقسام أو بغيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدّم فى (المحار) فى البحار وذلك مشروح فى أوّل (سورة مريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لعمر الله لم يكن الذكران والاناث شرطا فى الذرّية . كلا ، فها هى ذه مسألة المسيح التى فتحت لنا باب (المحار) فرأينا الأنثى تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التى رأيتها بعينى تضر بالأشجار وقد ذكرتها فى أوّل (سورة الأنفال) موضحة أيما ايضاح فهذه قد تقوم الأنثى فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض الذى لا يرى إلا بالمنظار المعظم فانقسام الانسان وأكثر الحيوان الى ذكر وأنثى ليس ضروريا للتناسل ولكن هى الحكمة العظمى والآية الكبرى فى التكوين قضت الارتقاء فكان الذكران وكانت الاناث

(٦) هنالك تجلى لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والأنوثة على مسرح الوجود وهنا تجلى العمل الإلهى والابداع والجمال فكان العشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتغريد الطير وعلوم القضاء فى سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنفقات وقصائد الشعر وروايات الحب والغرام وكثير وعزة وقيس ولبنى وتوبة وليلى . ثم كان هنالك الزهاد والرهبان والمجاهدة لكبح جماح هذه الشهوة فخففت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهر العباد وهنالك علوم أيضا وعلوم فهذه الشهوة بارسالها كانت علوم فى الفقه والحب ونحوهما وبحبسها كانت علوم التصوّف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوّة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فاذا يحصل تبتهج النفوس وتشرق الوجوه وتخاط الملابس وتنفق تجارتها وتعمر الأسواق ويكثر الشارون والبائعون وتنصب الزينات ويعتنى الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويفقهون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالفضائل وتقام المراسح وما أصل هذا كله إلا أمر واحد هو الذرية أصل هذا الحب وهذا الغرام وهذا الجمال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الغناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فاعجب لتناسل جاء بغير أب ولا حب فى (المحار) قد أصبح فى نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجمال وشعر وتصوير . له ألفت كتب الفقه فى النفقات ونصبت المحاكم وبنيت السجون للمذنبين من الرجال الذين لا ينفقون

وقام القضاء فى الديانات من مسيحيين ووثنيين و يهود ومسلمين وقد ألفوا كتبا لذلك
عجب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفسا داخلا وخارجا لاصلاح الدم ثم هو نفسه يكون فى أثناء ذلك مبدأ الكلام . النفس انما جعل لاصلاح الدم ولكن الحكمة عظيمة جدا فقد جعلت له حكمة أخرى وهى الكلام وفهم العلوم هكذا هنا التناسل أمره سهل لايحتاج لذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحب وغرام وشرائع وديانات . جلّ الله وجلّ العلم . أصل تفرّعت منه فروع شتى كما تفرعت المادّة الى كواكب وشموس وأقمار وهى عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبحث فى العالم العلوى ونظر فى أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأنزلهم جميعا الى حظيرة الانسانية ؟ فماذا قال . قال انهم جميعا يأكلون ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقيس كل شئ على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشق وحارب قال ان الآلهة تحب وتعشق وتحارب هذا هو السبب فى ضرب الأمثال فى الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديما لم يعقل الاله إلا كما يعقل نفسه . إن العشق الذى بين الذكور والاناث الذى خلق لأجل التناسل قد جعل وسيلة لاتساع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان عن هذا المستوى الحيوانى ولذلك قال العلماء ﴿ الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب المعتاد ووسطى وهو حب العلوم وحب أعلى وهو حب الله تعالى ﴾ إذن الذكورة والانوثة فى الحيوان التى ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سببا لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض فى العلم وفى حب الله

(٨) قلنا ان الانسان الأوّل لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حبا وعشقا وحربا واستعبادا ولذلك لاتجد أمّة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دينها . الآلهة عندهم محاربون آكلون شاربون متزوّجون عاشقون والدون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

أيتها الانسانية قفى قفى يامحمد قل لهم ـ الله أحد ـ فلا كثرة فى الالوهية ـ الله الصمد ـ فلاجوف له فإذن لادم له و بناء عليه لايلد كما قال ـ لم يلد ولم يولد ـ فلازوجة ولاحب ولاعشق ولاغرام . إياكم أن تقيسوه عليكم . فأما الحرب فانه لايحارب ـ ولم يكن له ـ أى وليس له ـ كفوا أحد ـ فبهذه السورة ضاعت الروايات المتقدّمة وغيرها وتجلت الرحمة واستعدّ الانسان حديثا الى التعاون تدريجا . وهنالك يظهر انسان جديد لايجد ذلك الإله العاشق المحارب الذى يلد و يشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك اليابان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحمن رحيم . فاذا لم يكن الإله محاربا فمن الذى يقلده الانسان . إن الناس قديما أغرموا بالحرب لأن أرباب الديانات القديمة وصفوا أربابهم بالمحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها يكف المسلم عن الحرب وهنالك لايجد ذلك الإله المحارب بل الإله الرحمن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وستحل محلها الروايات التى تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء فى مقدمة أمم ستكون أرقى من هذه الأمم يجدون لهم ربا لايأكل ولايشرب ولايتزوّج ولايلد ولايغالبه أحد بل هو الغالب واذن يكف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أمة واحدة وأسرة واحدة يربى بعضهم بعضا و يعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى ـ وكلا ضربنا له الأمثال ـ على ألسنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أعمالهم فأتوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأنزلوا الدين على حسب عقولهم فتبرناهم تتبيرا * والدليل على ذلك تلك القرية التى أمطرت مطر السوء وهم يمرّون عليها ولا يعتبرون بها كأنهم لم يروها واذا رأوك يامحمد استهزؤا بك لأن ماجئت به لايلائم ماتلقفوه عن آبائهم فاعتبروا الحق ضلالا وتمادوا فى غوايتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يعبدوا الا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطلوا أسماعهم وأبطلوا عقولهم بل ماهم إلا كالأنعام بل الأنعام خير منهم . انظر الى الظلال كيف تمدّها وكيف نقبضها وكيف

كانت آثارا للشمس المشرقة المنظمة المسير التى جعلناها دليلا على الظل فأينما أضاءت بنورها تركت آثارا من الظلال تابعة لها مدّا وانقباضا وطولا وقصرا بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحا ومساء ثم اننا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تكسو الجو ووجه الأرض بنورها فلما مالت الى الغروب سلخنا ذلك و بقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم ساترا لأجسامهم واستراحوا بنومهم فاذا طلع النهار نشرناهم فى الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى هنا ـ وكلا ضربنا له الأمثال ـ الى قوله ـ وجعل النهار نشورا ـ ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا الديانات على حسب عقولهم وجاء الاسلام مغيرا وجهة نظر الانسانية الى سبيل تؤدى الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التى اتصف بها الخالق وسيتخذها الناس لهم نبراسا فالله واحد ورحيم والناس سيتحدون و يتراحمون و ـ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ـ الذى لايحارب ولا يعشق ـ مالك يوم الدين ـ وحده . إذن فمن ذا يحاربه ؟ فله العبادة و به الاستعانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ماجاء من الحكم فى نصائح ﴿ بتاح حتب ﴾ من علماء المصريين القدماء فمنها « لايحملنك علمك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يغلق دون الفن ولانال أستاذ مايدعيه من الكمال لنفسه » ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذى لم يكدر صفوه منذ أمد قديم »

ومن ذلك ماظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم فى الأسرة الثانية عشرة واتصالهم بالأمم المجاورة لهم مثل ولبنان وسوريا والصومال والنوبه وجزيرة كريد . فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحرى الغريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملاحا من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالاسود فبينماهم جادّون فى الاقتراب من البر إذ اشتدّت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب فغرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فألقته موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتا كصوت الرعد اذا هو ثعبان مبين يقترب منه طوله (٣٠) ذراعا وطول لحيته ذراعان وجسمه كالذهب و بعد محادثة قص عليه البحرى قصته فأكرمه الثعبان و بقى معه مدة مكرما ثم حضرت سفينة حملته الى بلاده ثم إن الجزيرة بعد أن غادرها رجعت لجة بحر . وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحرى) التى لخصتها لك فى أوّل (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حىّ بن يقظان) التى ذكرتها فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى ـ واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى ـ وماقبلها من الآيات . وتشبه أيضا رواية (روبنسون كروزو) الانجليزية التى نسجت على منوال رواية (حىّ بن يقظان) وتشبه ما جاء فى كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ من أن ابن ملك مصرى قد ادّخر له أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها فى خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن ابنه يراها لصغرسنه ولكن هذا الابن اطلع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة فى حلة من الحرير الأخضر جميلة جمالا فائقا وانها صورة بنت ملك الجان فأخذ يسعى وسافر مع جند من جند أبيه وساروا فى السفن فى البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك الجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سالما غانما بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضا وقد ألقاها الله على قلوب الأمم . فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الاسلامية والانجليزية . إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد ـ مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ـ فهو لم يدع أمة إلا ألهمها ووعظها على ألسنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعد ما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المضروبة للأمم ماجاء عن الملك (حورابى) عام سنة (٢١٠٠) ق م فى مدينة (بابل) الذى

هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة وملك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخمسين رسالة من رسائل عماله وأهم ماعثروا عليه القوانين التي سنها في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطرها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه يتسلمها من الشمس التي كانوا يتقربون اليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . واعلم أن الكشف الحديث كله مصداق لهذه الآية فالله ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ـ ألا ترى انه علم أن الفأر مضطهد من الناس فلونه بالسواد ليشابه سواد الليل حتى لايقع فريسة لأعدائه من الآدميين وغيرهم . وهو الذي لما أعطى الزنابير لونا براقا أعطاها سلاحا تدافع به عن نفسها مايفاجئها من الطيور فلذلك صارت آمنة . وهو الذي أعطى السمك الذي في قاع البحار هيئة جميلة عبقرية بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليختفي عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه العجائب في أول (سورة المؤمنون) عند آية ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ هذه هي العناية الإلهية بالحيوانات فهكذا عنايته بالانسان فهو سبحانه عدل وعدله شامل لم يترك أمة بدون مرشدين ـ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ـ وهذا معنى اسمه الهادي ومعنى ـ إن ربي على صراط مستقيم ـ وبهذا تفهم آية ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ فان الانسان ربما يخطر له أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لاهداية عندها فيظن سوء المعاملة فبذكر الله ومعرفة نظامه تطمئن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ

﴿ اللطيفة الرابعة عشرة في قوله تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ـ ﴾

لعلك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني . ولعلك فهمت ماذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقال ابن عباس في معنى الآية « أرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي » ويقال أيضا « الهوى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلاترى أن الناس مغمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذي صنع بحكمة وهم في أنفسهم الى الآن لم يصلوا الى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فانهم يرون الأشجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الانسان والحيوان كلها مركبات بحكمة . أفلايرون هذا كله ثم هم عن أنفسهم غافلون . نعم نظم الانسان ماحوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . انظر كيف وزن سير الشمس وحسبه بعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن مايمثل له سيرها و بعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والدقائق والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كال الناس الأحجام ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل انهم فوق ذلك قاسوا علو ماء الأنهار ونقصها وحسبوا الضغط الجوي والرياح وسرعتها والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار مائها بالوزن طول السنة أو الأشهر وقدروا سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لايفلت منه نقير ولاقطمير ولا كثير ولاقليل فالوزن عم كل شئ عند الناس مما قل وجل وعظم وصغر فلم يذر الحرارة والنور للطفهما ولاالفحم والحجر لثقلهما ولاالشمس والقمر لعظمهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحجمه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بالمناظير المعظمة من ضروب أنواره وفنون أشعته التي تماثل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة فبهذه الأشعة الواردة الى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر وردوا كل شعاع الى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل انهم أدركوا أن عنصرا في الأرض كشفوه في

عناصر الشمس قبل أن يكشفوه فى الأرض ثم وجدوه . كل ذلك عرفه الانسان وعلمه وضبطه ولكنه مع هذا كله جهول فى أمر نفسه فهو مضيع لقواها وملكاتها مطير لذلك فى الآفاق ظانا انه لاوزن لأقواله ولا لآرائه ولا لخطراته ولا لوثباته ولا لنظراته كلا ومن فلق الحب والنوى لا ـ يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ـ . فاذا كنت أيها الانسان قد وزنت الضوء وحسبته ووزنت الحرارة الجوية و حرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وحيوان يسير وكوكب يجرى ورسمت ذلك فى جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التى هى أرقى وأعلى من كل ما ترى وما تسمع مهملة الحساب ليس لها كتاب . واذا كنت ترى أن لكل شئ ميزانا فلنفسك ميزان فى داخل جسمك كما للكهرباء وللضوء وللحرارة وللماء ميزان يزنها وأنت لاتشعر وهذا الميزان بين جوانحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والتجاريب تعلمك والتهذيب يريك . ألم تر أنك اذا أمسكت عن الكلام فيما لا يعنيك أياما وغادرت ما تعتاده من ذلك أمدا طويلا وجدت النفوس اليك مائلة والعقول نحوك متجهة لأن ميزان عقلك ارتقى درجات فأحست نفوسهم بما لديك وشعرت بما ارتقيت وما ذلك إلا انك أعرضت عن كل مالا فائدة منه ولم تطع هواك وتركت القول الذى فيه الافتخار والحديث عن نفسك فخفظت فى النفس آثارها وأبقيت فيها أنوارها فجذبت النفوس اليها وألزمتها العطف عليها فحنت اليها وهى ساكنة وعطفت عليها وهى ساكتة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام حفظت فيه آراء كادت تطير فجذبت سواها من أمثالها وهى تسير كما قدمناه فى هذا التفسير . ولا يعلمك صدق هذا القول إلا التجاريب فاحفظ لنفسك آراءها واكتم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تتظاهر بما لديك من المفاخر تجد النفوس حنت اليك والقلوب عطفت عليك . فأما اذا مزقت حجابها وهتكت ستارها وأزحت خمارها فان كل امرئ يقول مالها فتصبح ألعوبة فى يد الجماهير

هذا مثل ضربته لك فى اتباع الهوى وعبادته وكيف يصبح الناس عبيده اذا أطاعوه . واذا كانوا عبيدا للهوى فانهم اليه يذلون . فأما من ملك هواه فقد علمت ماذا من العز جناه . أفلست ترى أن هذا يفهمنا قوله تعالى فى أول السورة ـ وخلق كل شئ فقدره تقديرا ـ وقوله ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ وقوله ـ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ـ

أفلست ترى أن الذى أطلق العنان للسانه أو لبصره أو لجنانه فتكلم بلا استبصار ونظر لغير اختبار وتفكر فيما ليس له اعتبار قد عبد هواه وأى فرق فى العبادة بين هذا و بين من صنع التمثال فاتخذه معبودا فالأول سلم حواسه وعقله لهواه والثانى أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده فى العبادة فسمينا الأول فاسقا وسمينا الثانى كافرا وهما فى شرعة الجهل سيان صنوان لا يفترقان غاية الأمر ان الأول ضل فى الفروع والثانى ضل فى الاصول ولكن الضلال عمهما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت الامور المحيطة بها ونتائج الزنة ترسم على جبينها وتظهر فى أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها ـ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ـ

﴿ الانسان اليوم أكثره فى جهالة كما قال تعالى ـ إن الانسان لظلوم كفار ـ ﴾

اذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم فى الكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس فى الأمم الشرقية والغربية فاقرأ كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ الذى ألفته وأرسلته الى مؤتمر الأجناس فى انكلترا وجعل فى جملة المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدم لها فى سنة ١٩١١ قبل الحرب العامة بنحو (٣) سنين وأبنت فيه أن الدول كلها يغالب بعضها بعضا وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار ماءها فى البحر الملح لا يلوى ماؤها على المزارع والرياض والبساتين إلا قليلا وأكثرها ينصب فى البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تذهب هباء

منثورا

منشورا فى الهباء مع الهواء وجهل الناس انهم أعضاء جسم واحد وانهم لواتحدوا لاستخرجوا مافى الطبيعة من علم ومافى الأرض من حكمة ومافى البحار من عجائب ولكنهم خائبون خائنون لبعضهم فهم يدبرون المكايد لبعضهم فتضيع القوى والملكات فيما لافائدة فيه وهم بذلك ضائعون تائهون صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لايفهمون

انما مثل القوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كمثل البخار وكمثل الكهرباء . كان الناس قديما يرونهما ولايلتفتون اليهما فعقلوا اليوم فائدتهما وانتفعوا بهما . فأما العقل الانسانى اليوم فانه مهجور متروك منبوذ مجهول يضيعه الناس فى الحيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب الدولية ولوانهم اجتمعوا لخار بوا به الطبيعة وكانت تلك الحيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس فى نعمة وهم سعداء . ذلك هو تفسير قوله تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ـ وأمثالها من الآيات . فهذه هى عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلها معبودا و يظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا فى العالم الذى بعده لأن أهواءهم اليوم غالبة والعقول سيكون لها السلطان شيأ فشيأ كما نرى الشيوخ أقرب الى التعقل من الشبان لغلبة الهوى على الآخرين . انتهى

﴿ اللطيفة الخامسة عشرة فى قوله تعالى ـ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا ـ ﴾

هذه اللطيفة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأوّل من (سورة الفرقان)

(المَقْصِدُ الثَّانِى)

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَنْفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا * تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ

بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً * وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً

التفسير اللفظي

قال تعالى (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مدّ الظلّ) بسطه نعم الأرض من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فلاهو ظلمة الليل ولاهو وقت اشراق الشمس (ولوشاء لجعله ساكنا) دائما لايزول ولاتذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فان الأشياء تستبين بأضدادها ولولا الشمس ماعرف الظلّ (ثم قبضناه الينا) أخذنا ذلك الظلّ الممدود الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أوقليلا قليلا جزأ فجزأ بسبب ضوء الشمس الذى ينسخه (وهوالذى جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام كاللباس فان كلا منهما ساتر لما أحاط به (والنوم سباتا) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم وأصل السبت القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وقال تعالى ــ وهوالذى يتوفاكم بالليل ــ (وجعل النهار نشورا) وهو فى مقابلة الموت المذكور فى أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أى موتكم بالنوم فى الليل وجعلنا نشوركم أى انبعاثكم من النوم الذى يشبه الموت بالنهار ففيه ينتشر الخلق للمعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب * قال لقمان لابنه «كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر» فالنوم واليقظة نموذج للموت والنشور (وهو لذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) البشر جمع مخفف بشر بالضم جمع بشور بمعنى مبشر أى مبشرات باقدام المطر * وقرئ ــ نشرا ــ أى ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إماعلى وزن فعل مخففا واما على وزن سحب جمع سحاب (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) أى بلغيا فى طهارته وهو فى اللغة إما اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار واما صفة كما ذكرناه هنا واما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهرت طهورا حسنا * وقال عليه الصلاة والسلام ﴿لاصلاة إلا بطهور﴾ بفتح الطاء أى بطهارة . وأما قول ثعلب «انه ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره» وهو مذهب الشافعى فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصيغة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لايفيد معنى المتعدى (لنحيى به بلدة ميتا) أى لنحيى بالمطر بلدا أومكانا لانبات فيه فنجعله مزدانا بالشجر والنبات والأزهار والأثمار وذلك للأرض أشبه بالحياة للانسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما واناسىّ كثيرا) أى ونسقى الماء أنعاما وهى البهائم وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان * قال الشاعر

سقى قومى بنى نجد وأسقى * نميرا والقبائل من هلال

والاناسى جمع أنسى كالكراسى جمع كرسى أوجمع انسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت الياء فى الياء . يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض للنبات وخلقنا الأنعام لتأكل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيده ترتيب الذكر فقدم الأرض ثم الأنعام ثم أخر الانسان لاحتياجه الى ماتقدمه (ولقد صرفناه بينهم) أى صرفنا المطر بين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجعله ثلجا أو بردا ومطرا أومخزونا فى باطن الجبال ينزل شيأ فشيأ ليمد الأنهار على طول السنة وجاريا فى نهر ونازلا فى بحر وبخارا مرتفعا من البحر الملح وغيره وسحابا تصرفه الرياح واذا صار ثلجا كبر حجمه واذا كبر الحجم كان سببا لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابعات ويفتح الماء لنفسه طريقا الى الخارج ويكون فى مجارى تحت الأرض اما فى غورها البعيد كالسيل الباطنى الذى يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمرّ فى مجارى تحت الأرض المصرية جاريا الى البحر الأبيض وهذا النيل

صالح للشرب لصفاء مائه واما فى غورها القريب كالماء المعدنى الذى يستخرجه الناس لسقى أرضهم بالنواعير والسواقى والآلات الرافعة فان ذلك الماء مخلوط بمعادن قد اتصف بأوصافها كالكبريت والملح والفضة والنوشادر وما أشبه ذلك والناس يسقون منه زرعهم ويستشفون به ونحو ذلك . أما الذى فى الغور البعيد فهو بعيد المنال جدا يحتاج الى عمق يصل الى (١٠٠) متر أو (١٥٠) أو نحو ذلك وماؤه يرتفع أكثر من القسم الثانى لأنه ينزل من مكان أعلى وراء خط الاستواء فى مكان ينزل منه النيل الظاهر الذى لا يصح شرب مائه إلا بتصفيته وفى بعض الأيام يجب غليه لقتل ما فيه من المواد الضارة . فهذا كله داخل فى قوله تعالى ـ ولقد صرفناه بينهم ـ فهو جامد يشبه الحجر وسائل يشبه الزيت وسائر المائعات وجسم بخارى يشبه الهواء وهو غاد رائح فى الجوّ وفى النهر وفى الغدران وفى أجسام الحيوان والنبات والانسان ومنفصل عنها سائر فى الجوّ طائر للسحاب وهكذا دواليك وهو مع ذلك فى البحار صقيل يظهر فيه كل كوكب من شمس وقمر والناس يتطهرون ويشربون وهم غافلون عن جماله فيتركون قلوبهم حجرية وهم يتطهرون كل يوم من المياه الحسنة الأشكال البهجة الزينة والمنظر المعطية للأجسام حياة وطهارة . يقول الله ولقد صرفنا المطر بين الناس على أنحاء شتى فلا يمر ساعة ولا ليل ولا نهار إلا كان لنا فيه آثار فننزله على قوم ونحجبه عن آخرين بحيث يتبع أحوال الجوّ والشمس التى تجرى بحسب ما يرى فى الحس ويكون هناك صيف وشتاء وربيع وخريف وفى كل ذلك أطوار شتى للمطر والشتاء عند قوم صيف عند آخرين وهكذا الربيع والخريف فى نصفى الكرة الشمالى والجنوبى فنحن صرفنا المطر بينهم كما صرفنا الليل والنهار فالشمس جارية من عند قوم ذاهبة لآخرين . هكذا المطر والسحاب ـ صنع الله الذى أتقن كل شئ ـ . فعلنا كل ذلك التصريف (ليذكروا) ليتذكروا ويتفكروا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أو صرفناه بينهم ليعتبروا أو يعرفوا حقّ النعمة فيشكروا فأبى أكثرهم إلا كفر النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فتخفف عليك أعباء النبوّة ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم (وجاهدهم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا (وهو الذى مرج البحرين) فلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة أو مر مالح زعاق لا يصلح لقطع العطش بالشرب منه (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا أو سترا ممنوعا فلا يبغى أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذى خلق من الماء بشرا) جعله جزأ من مادّة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو من النطفة (فجعله نسبا وصهرا) أى جعله ذا نسب وصهر والنسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحلّ نكاحه وقد حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعهما قوله تعالى ـ حرّمت عليكم أمهاتكم ـ الآية فارجع اليها فى سورة النساء أو قسمه ﴿قسمين﴾ ذوى نسب وهم الذكور ينسبون اليه وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهنّ كقوله تعالى ـ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ـ (وكان ربك قديرا) إذ خلق من مادّة واحدة بشرا عجيب الصنع بديع الخلقة (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرّهم) يعنى الأصنام وكل ما عبدوه فليست تنفعهم ان عبدوها ولا تضرّهم إن تركوها (وكان الكافر على ربه ظهيرا) مظاهرا ومعينا على معصية ربه فهو يعاون الشيطان على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة المأخوذ من قوله ـ مبشرا ونذيرا ـ (من أجر إلا من شاء) إلا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى أن يتقرّب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعات وهذا من أحسن الأساليب التى جاءت فى علم البديع كقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب

يصف الشاعر الممدوحين بأنهم لاعيب فيهم إلا عيبا واحدا وهو أن سيوفهم مفلولة من مقارعة الأبطال هكذا يقول لاأسألكم عليه أجرا إلا شيأ واحدا وهوأنكم تتقربون الى الله فهذا هوأجرى واذا كان هذا هو أجره فهودليل على غاية الاخلاص والصدق فى الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل محبوبا لذاته لا لغاية أخرى فكأنه جمال . واذا كان الجمال مطلوبا لذاته فهو خير مطلوب فالنبوّة لتكميل الخلق فأجرها لا يكون عرضا دنيويا بل سعادة النبوّة فى نفس النبوّة أى فى نتائجها . والأنبياء بالنسبة للناس كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لايطلب من تعليم ابنه إلارقى ابنه وسعادته هكذا لايطلب الملائكة من الناس ولا الأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء المخلصون إلا هداية الناس ويرون فى نفوسهم لذة لاتضارعها لذة ولا يفرحون بمال ولابعقار . ومن هذا الحديث الشريف «لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» وهذا كلام اذا سمعه صغار أهل العلم ظنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده ومادروا أن قائل ذلك يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحمر النعم فلاتنظر يامحمد إلى ماعندهم من مال ليعطوك أجرا ولاتخف من شرهم فلاهم رازقوك ولاهم مؤذوك مادمت قائما بهدايتهم فنحن نعطيك ما يكفيك ونكفيك شرّ من يؤذيك ونفعل ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحىّ الذى لا يموت) فأما الأحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزّهه عن صفات النقصان (بحمده) مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التى ينزّه عنها أن يكل الى غيره من توكل عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده فهو خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) قد تقدّم الكلام على هذا فيما سبق موضحا يحرّض الله بهذا عباده على التوكل عليه اذا قاموا بما وجب عليهم من الدقة فى العمل والثبات فيدأبوا على الوجه الأحسن فاذا فعلوا ذلك فليتوكلوا على الله فى نتائجه وليفرحوا بما يجىء به القدر لأنه هو الحسن كما ان خلق السموات والأرض حسن . فخلق السموات والأرض فى ستة أيام والاستواء على العرش عبارة عن النظام البديع وادارة شؤن الملك الموضح فى سورة «يونس وهود» فمن تخلق بأخلاق الله على قدر طاقته البشرية فى الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حرىّ أن يتوكل على الله والله كافيه لأنه لايضيع أجر من أحسن عملا وأتقن صنعا وقوله (الرحمن) فاعل استوى وقوله (فاسأل به خبيرا) أى فاسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض فى ستة أيام واستواء الرحمن على العرش وعن الرحمن عالما يخبرك بحقيقته لأن خلق السموات والأرض فى ستة أيام معناه أمر غير مايفهمه العامة لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو يفهم مما ذكرناه هناك فى سورة «يونس وهود» فليس كل امرئ يعرف ذلك فليبحث الناس فى العلم وليجدّوا فى البحث ولايقفوا عند ظاهر اللفظ فالضلال فى الوقوف فمن كان جاهلا فليقف عند ظاهر اللفظ ويترك البحث فى معناه ومن كان ذكيا فعليه بالبحث والدراسة بسؤال العلماء فان العلماء اذا قرؤا مثل هذا فهموا غير مايفهمه العامة . وأيضا كان القوم لايعرفون الرحمن فان هذا الاسم المشتق من الرحمة الذى هو أبلغ من الرحيم لم يكونوا يعتادونه بل يعرفون الرحيم والراحم والرحوم . ولما كانت هذه الامور الثلاثة تحتاج الى العلماء بالعلوم المختلفة كعلم الارثماطيقى حتى يعرف لم اختص عدد الستة بالذكر مع ان العوالم خلقت فى آلاف آلاف آلاف آلاف الآلاف فلم اختار عدد (٦) وكالعلوم جميعها من فلكية وطبيعية حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق الاجمال وكعلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرحمن . ولما كان الأمران الأوّلان قد تقدم بحثهما فى «يونس وهود» وغيرهما من هذا التفسير . وسنزيد الأوّل منهما بحثا وتنقيبا فى لطائف هذا المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذى ذكره الله تعالى بقوله (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) إخضعوا

له (قالوا وما الرحمن) أى لانعرف الرحمن فنسجد له بل نعرف الراحم والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عندنا على الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أوسؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا فى كلامهم (أنسجد لما تأمرنا) أى أنسجد للذى تأمرنا بالسجود له أولأمرك بالسجود يامحمد من غيرعلم منا به (وزادهم) قوله ـ اسجدوا للرحمن ـ (نفورا) تباعدا عن الايمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة وهو أبلغ من الرحيم أردف ماتقدّم ببهجة رحمته ونور جماله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) البروج فى اللغة القصور العالية أوالقصور فيها الحرس وهى هنا اما البروج الاثناعشر وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت . وأما النجوم الكبارالتى عدّها المتقدّمون نحوألف وعدها المتأخرون أكثرمن مائتى ألف ألف . وانماسميت البروج المتقدّمة بهذا الاسم لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها (وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) أى شمسا متوقدة وقمرا مضيئا (وهوالذى جعل الليل والنهارخلفة) يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيه والخلفة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلفة وقوله (لمن أراد أن يذكر) متعلق بقوله ـ جعل ـ أى لمن أراد أن يتعظ باختلافهما و يتذكر آلاء الله فيهما و يتفكر فى صنعه (أوأراد شكورا) أى شكرنعمة ربه عليه فيهما . انتهى التفسير اللفظى للقصد الثانى وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) فى قوله ـ ألم تر الى ربك كيف مدّ الظلّ ـ
(٢) وفى قوله ـ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ـ الى قوله ـ وكان ربك قديرا ـ
(٣) وفى قوله ـ الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ـ
(٤) وفى قوله ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ـ الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ ألم تر الى ربك كيف مدّالظلّ ـ ﴾

تقدّم مبحث الظلال مطوّلا مستوفى فى السور المتقدّمة قبل سورة الكهف فلننظرهنا نظرا آخرفنقول انظر أيها الذكى نظرة أوسع مما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لاتجد فيها إلا نورا على نور كما تقدّم فى (سورة النور) إذ جاء فيها ـ الله نور السموات والأرض ـ ثم ضرب المثل هنالك فأنت اذا تأمّلت لاتجد فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلاقليلا جدا . ألاترى أن الكواكب العظيمة المشرقةالتى بلغت مئات الملايين كلها مضيئة بأنفسها لاظلّ لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لنورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشموس فانظرشمسنا هل تظلم ليلا أونهارا . لاظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسنا على صغر حجمها بالنسبة للشموس الأخرى لاتطفأ فما بالك بالشموس الكبيرات التى شمسنا بالنسبة لها صغيرة فثبت أن الكون نورفى نور ولاظلمة فيه اللهم إلا ظلا قليلا وماهو ؟ هوظلّ الأرض التى نسكنها . واعلم أن الأجرام على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أجرام مضيئة وأجرام معتمة وأجرام شفافة . فالأجرام المضيئة هى هذه الشموس فالعالم كله نوركما قلنا والأجرام المظلمة المعتمة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يجرى حولها وماشابه هذين الجرمين من كل سيار يجرى حول الشمس وقد أصبح متجمدا كتجمد الأرض سواء أكان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى قمرنا الذى يقال انه قد خرب بعد أن كان يصلح للسكنى و يقال بطريق القياس ان حول الشموس الأخرى سيارات كأرضنا وأقمارها وكلها فى الحكم كما فى سياراتنا فلنرجع الى أرضنا وقمرنا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على وجه الأرض أضاءت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولامعنى لليل إلا أن الشمس حجبت عن وجه من الأرض فأصبح مظلما . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل ماهو إلاظلّ الأرض والنهارماهوإلاضوء الشمس وهكذا للقمرليل ونهاركذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولامعنى لخسوف القمر إلا وقوعه فى ظل الأرض المخروطى ويكون ذلك فى أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فانه يكون فى أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . اذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى ـ ألم تر الى ربك ـ أى الى صنعه وعجائبه واتقان فعله ـ كيف مد الظل ـ وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نور فى نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقات . واذا كانت هناك سيارات للشموس الأخرى فهى فى جانب الشموس ضئيلة لاتذكر ولاتؤثر ظلالها فالدنيا كلها نور لأن ـ الله نور السموات والأرض ـ

يقول الله تعجب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتدع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه العتمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان فى هذا العالم ظلال يستريح الناس فيها ولالهم وقت مناسب للنوم فيه . ولوكانت الأرض شفافة كالهواء وكالزجاج وكالماس وأشباهها لم يكن لها ظل فالله هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل فيكون الليل والنهار وفى النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسير الشمس فالله لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والمعتم يمنعه فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم ان الأرض لوكانت ساكنة وكان وجهها المحاذى للشمس ثابتا لايتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان تامة لذلك أعقبه بقوله ـ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ـ فان ضوء الشمس بحسب الظاهر ينتقل فيكون نورالشمس ناسخا لظلمة الأرض بحيث يكور الله كل واحد على الآخر . فقوله ـ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ـ حكمة أخرى غيرحكمة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى مايعم الظلام الدامس وقوله ـ ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ـ متمم لما قبله لأنه بنسخ الشمس الظل يكون التدريج فيه وهومعنى ـ قبضناه الينا قبضا يسيرا ـ انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ـ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ـ ﴾

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجب فان لفظ ـ طهورا ـ هنا كقوله تعالى فى (سورة الحجر) ـ وأرسلنا الرياح لواقح ـ كلاهما وضع رمزا لعلوم واسعة ولكن أكثر الناس عنها معرضون ﴿وبيانه﴾ أن قوله ـ وأرسلنا الرياح ـ انما نزلت فى مقام الامتنان بارسال الرياح وانزال الماء من السماء لتحيا به الأرض بعد موتها . فقوله ـ لواقح ـ جاء كمفتاح لعلم لقاح النبات . واذا كنت اطلعت على ما كتبناه فى كتبنا أوماجاء فى (سورة الحجر) فى التفسير هناك . أقول اذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجابا فى بدائع صنع الله تعالى من الالقاح ولولا هذه الكلمة لم يكن لذكر ذلك فى التفسير معنى وعلم الالقاح أهم مافى علم النبات لأن عدد الأوراق فى الزهرات التى فيها أعضاء الذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فان الله امتن على العباد بانزال الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهى ـ طهورا ـ مع أن المقام مقام النعمة بسقى الأرض به واخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإذن يقال إن الماء أنزله الله لحياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالماء لحياتنا ولنظافتنا . هذا ملخص مايفهم من الآية . فالله عزوجل له علينا المنة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا ولحيواننا وطهارة لنا ولاجرم أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلاخير فى ظاهر لايتبعه الباطن . إن الله عزوجل جعل الماء شفافا تسطع فيه الكواكب والشمس والقمر فلو رأيته فى الليالى المظلمة لألفيت الكواكب فيه مرسومة فالماء يحيينا وينظفنا واذا نظرنا اليه وجدنا جوهره يسع العالم الذى تقابله فهو مرآة للعوالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحابا ويكون ضبابا وثلجا وبردا كما تقدم . يقول الله ـ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس

إلا كفورا ـ ؟ بم كفر الناس ؟ كفروا النعمة لأن الماء لو انهم فهموه وفقهوه لكان فيه للناس غنية ولكان كافيا لهم ولكنهم كفروا النعمة . نظروا الى الماء من حيث انه حياتهم وان كانوا متدينين نظروا اليه من حيث انه به نظافة أجسامهم ولكن أكثر الناس كافرون بحقائقه فانحطت نفوسهم الى الدرك الأسفل . أفلم ير الناس الى اشراق الكواكب فيه وانها مرسومة . أليس هذا نبراسا لهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة ترسم فيها العلوم كما ارتسمت الكواكب فى الماء . الروح ألطف من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لايفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم وبالحكمة و بالأخلاق و بالفقه كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت فى خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده فى الطبيعة وقال ـ ولقد صرفناه بينهم ـ وقال فى القرآن ـ ولقد صرّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل ـ ولكنه شدّد هنا فقال ـ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ـ . هنا يقول الله ـ صرّفناه ـ وفى القرآن يقال الله ـ صرفنا ـ وفى الماء يقول ـ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ـ فكأن الماء كتاب وكأن الذى لايفهمه ولايعمل بما فيه كفور ـ . فهذا الماء صاف شفاف كما قدّمنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب المقابلة له كما قدّمنا . هكذا فلتكن قلوب الناس خالية من المعاصى والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أظلمت نفسه بالظلم والذنوب لم يشرق فيها العلم كما لاتظهر صور النجوم فى الماء الكدر . وأيضا ان النظر فى أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فاذا كان الصفاء والكدر فى الماء يختلفان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل فى أرواحنا هكذا يكون تصريف الماء حرارة و برودة إذ يكون سائلا و بخارا وثلجا فاذا كان داخلا فى أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا فى الحياة كما ان الأرواح فى الأجسام كذلك واذا خرج من الأجسام بالبخر صار بخارا كما تخرج الأرواح بالموت الى عالم آخر وكما أن البخار يرجع فيصير سحابا فينزل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجها من أجسامنا لايمنع بقاءها ورجوعها ثانيا الى عالم الحياة . فاذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فنى بل انما هو صار بخارا والبخار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا فالله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم الى اليوم والى أن تفنى الدنيا هو هو لم يتغير فالماء الآن هو الماء الى يوم تفنى الأرض هو الماء الذى كان منذ مئات الالوف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذى يرجع الى البحر الملح وهو الذى يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تفنى الأرض فليس تحت الشمس من جديد فالماء الذى شربه أجدادنا هو الماء الذى نشربه أو نظيره . ولكن ذلك لم يفن فاما أن يكون هذا منه واما أن يكون ذلك قد رجع الى البحر وهو فيه الى الآن وسيرجع بخارا يوما مّا . هذا ملخص المعنى . فاذا كانت هذه حال الماء الذى هو مركب من أكسوجين وأودروجين فما بالك بأرواحنا التى لا تركيب فيها . إن الحكماء قرّروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قلّ تركيبه عسر انحلاله وطال أمد وجوده . ألاترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالماء أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الاكسوجين والادروجين ولا انحلال لهما إلا فى أيام خراب الأرض وتبديلها أو بتحليله فى المعامل الكيمائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والانسان فالروح التى لاتركيب فيها لافناء لها . فاذن يكون فى تصريف الماء عبرة لنا وهى بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء فى نفوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة انما جعلها الله لتهذيب الأرواح وتذكيرها بميعادها ورجوعها الى عالم الأجسام كرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى ـ ولوشئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ـ وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله فى القرآن و بما يصرف فى الماء وفى غيرهما لتصفو نفوسهم و يعلو كعبهم فى الحكمة والعلم . هذه هى المناسبة الداعية لذكر الرسالة مع الماء وأيضا الرسالة والعلم حياة للنفوس والماء حياة للأجسام

﴿ زيادة كشف وايضاح ﴾

﴿ اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تبقى هى أو بأن يتجدّد أمثالها ﴾

اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى ـ ولوشئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ـ داع للبحث والتفكر والموازنة بين القرآن و بين الماء وكذلك الانسان . فهاهوذا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف فى الماء بقوله ـ مرج البحرين ـ الخ وكيف يتصرف فى الانسان فقال ـ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ـ الخ . فههنا قرآن وماء وانسان تصرف فيها كلها . ولقد رأيت كيف تصرّف فى الماء فيما كتبناه ههنا وأزيد عليه بأن أشير الى ماتقدّم فى (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك انهذا الماء المذكور فى هذه الآية يكون مشرقا مضيئا جيلا سواء أكان فى الأقطار الاستوائية أم فى القطبية . ألاتعجب معى كيف ذوّب الله فيه مادّة الفوسفور كما تقدّم فى الأنعام . ذوّبها من الحيوانات التى تموت فى البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذناب وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلطة مزدوجة يراها المسافرون فى البحر . ألاتعجب معى كيف كان ذلك أيضا فى القطبين ؟ ماذا فعل الله هناك . الجوّ هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج اذا أشرق عليه نور الشمس أوضوء الصباح هناك يلمع ويكون من لمعانه أنوار وبهجة لاتقلّ فى تقلباتها عما فى بحار خط الاستواء . هذه هى الصنعة المتقنة . تفنن وتفنن واتقان واتقان وأنوار وأنوار . لم يحجب ذلك حرّ مفرط ولابرد شديد . ففى كليهما لم يعدم وسيلة يبهر بها العقول ويحسن بها الأشكال فى الماء فضلا عما تقدّم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة فى الآية فانظر فى أمر القرآن تره قد اشتمل على حكم ومواعظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعيد وأنواع من البديع وتفنن فى القول وحسن التعبير فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامهما لحسن الاتقان فى الصنعة كما ترى فى الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفنن والاتقان فيها فعلى مقدار تفننها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفنن

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقى علينا أن ننظر فى أمر الانسان فنرى نظامه فيه ذلك التفنن كما رأيت فى نظام الماء . الماء يكون ممزوجا بالنبات مختلطا بجسم الحيوان يدور فى دورة كل منهما وهو بخار وماء وثلج الى آخر ماتقدم وهو شئ واحد هكذا هذا الانسان ترى له روحا واحدة ومن عجب انها هكذا

مخيلة	فى مقدم الدماغ		متكلمة	بالليسان أيضا
مفكرة	فى أوسطه		ماضغة	بالأسنان
ذاكرة	فى مؤخره		هاضمة	بالمعدة
حافظة	فى مؤخره		مجرية الدم	بالشرايين
كاتبة	باليد		مصفية الدم	بالرئة
ناظرة	بالعين		موزعة الدم	بالقلب
سامعة	بالأذن		طابخة الدم	بالكبد ونحوه
باطشة	باليد أيضا		حافظة القلب وماحوله	بالضلوع
ماشية	بالرجل		حافظة الماء	بالكلية
ذائقة	باللسان		مخرجة الفضلات	بالسبيلين وهكذا

فالنفس

فالنفس واحــدة وهي الفاعلة الأفعال المختلفة ففي كل عضو بحسبه فهي تتنزل على حسب الآلات فهي فى الدماغ عقل وفكر وخيال وذكر وحفظ وهي فى الحواس سمع ونظر الخ وفى الدائرة الغذائية هاضمة وفى الدوائر التنفسية مصفية ومدخلة الاكسوجين ومخرجة الادروجين فمن هذا عرفنا حسن النظام فى الماء وفى الانسان وفى القرآن . هذا قوله تعالى ـ ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا ـ وقوله ـ مرج البحرين ـ وقوله ـ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ـ الخ

إن دوام الأشياء على مقتضى حسن اتقانها . فأمثال الهرم بالبلاد المصرية بقاؤه لحسن الصنعة وكذا الماء والكواكب وأمثال القرآن كذلك . أما مثل الحيوان والنبات فحسن اتقانهما كان سببا فى تجدد الأشخاص فحسن الاتقان فى النظام كان سببا فى تجدد هذه الأشخاص وقتا بعد وقت والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ـ الخ ﴾

اعلم انى لما وصلت الى هذه اللطيفة قال لى أحد الفضلاء وقد اطلع على ماسبق ذكره فى سور مختلفة كسورة يونس وهود وغيرها وقرأ ما كتبته على قوله ـ استوى على العرش ـ وعلى ما ذكرته فى قوله تعالى ـ فى ستة أيام ـ فقال ان ماذكرته هناك لاغبار عليه ولكن لايزال فى النفس شئ مما قلته فى ذكر ـ ستة أيام ـ ومعلوم أن السموات والأرض لم يصنعها الله إلا فى ملايين الملايين من السنين واذا كانت الأرض لم يتم صنعها إلا فى مئات الملايين فما بالك ببقية العوالم كالشمس وتوابعها . واذا كانت الطبقة الصوّانيـة التى هى فوق الكرة النارية التى هى عبارة عن باطن الأرض لم تكوّن على رأى بعض العلماء إلا فى نحو ثلثمائة مليون سنة فما بالك ببقية الطبقات . فإذن مسألة الأيام الستة لاجرم انها مدد عظيمة . هذا هو الذى يؤخذ مما تذكره فى هذا التفسير . انما الذى يهمنى الآن أن أعرف لم اختار عدد (٦) ولم لم يقل عددا آخر مع انه لوقال أى عدد لصح لأنها أزمان طويلة فلتقدّر بأىّ عدد . فقلت اعلم أن الجواب على هذا لايعرف إلا بعلم الارتماطيقى وهذا العلم هو أصل جميع العلوم الرياضية وهذا الفنّ قد كتبت مجمله فى كتابى ﴿ الفلسفة ﴾ التى جمعت فيه سبعة عشر علما هى مجموع العلوم التى كان يقرؤها القدماء فى الحكمة والمقام لايسع التفصيل ولكن أذكره هنا مجملا لتعرف لم اختير عدد (٦) فى التوراة والانجيل ومتى عرفت ماسأذكره لك استفدت سبب اختيار الستة فاعلم أن العدد كله مركب من الواحد لأن اضافة واحد الى واحد يكون اثنين والاثنان أوّل العدد لأن العدد يشعر بالتعدّد ولاتعدّد فى الواحد فالواحد خاص بالمبدإ الأوّل الذى منه كل الوجود والاثنان أوّل العدد والثلاثة أوّل العدد الفرد وجميع الأعداد لاتخلو من الزوج والفرد إذن هى ﴿ قسمان ﴾ أزواج وأفراد . فاذا أضفت الى واحد ٢ و٢ و٢ وهكذا تكوّنت عندك الأعداد الفردية كلها الى ما لانهاية لها . واذا أضفت الى اثنين ٢ و٢ تكوّنت الأزواج كلها . واذا نظرت فى هذين النوعين رأيت عجبا . رأيت جميع الأفراد وهى ٣ و٥ و٧ و٩ و١١ وهكذا الى مالايتناهى لاتخلو من ﴿ أمرين ﴾ إما أن تكون أعدادا أوّليـة أى صماء لا تنقسم لأنها ليست من ضرب عدد فى عدد آخر مثل عدد ٥ و٧ و١١ واما مركبة من ضرب أعداد كلها فردية ولا دخل لعدد زوجى فيها ألبتة مثل ٩ و١٥ و٢١ و٢٥ و٢٧ وهكذا فان هـذه كلها مركبة من أعداد فردية . هذه هى الأعداد الفردية من أوّلية وغير أوّلية . أما الأعداد الزوجية فانها جميعها يمكن تحصيلها من عدد ٢ وضربه فى كل عدد بعده فان ٢ اذا ضربت فى ٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ الخ أحدثت الأعداد الزوجيـة ٦ و٨ و١٠ و١٢ و١٤ و١٦ وهكذا الى مالايتناهى . هذه هى الأعداد كلها وهكذا حكمها زوجية وفردية والفردية إما أوّلية واما غير أوّلية وغير الأوّلية لاتكون إلا من الفردية وضرب بعضها فى بعضها . أما الزوجية فانها كلها مركبة من ضرب (٢) فى كل عدد بعدها الى مالانهاية له

اذا فهمت ذلك فاعلم أن العـدد الزوجى والعدد الفردى جميعا ينقسم الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ إما زائد واما

ناقص واما كامل فالزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاريبه عنه ، فمضاريب ١٢ هى ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ والمجموع ١٦ وهى أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو مانقصت مجموع مضاريبه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاريبه (١-٢-٤) وهذه عدها (٧) وهى أنقص من (٨) والعدد الكامل هو مايساوى جميع مضاريبه وذلك مثل العدد (٦) فان مضاريبه هى ١ و٢ و٣ التى مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاريبه وهى (١ و٢ و٤ و٧ و١٤) هو عدد (٢٨)

وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالية الزوجية وهى المتوالية الهندسية التى أسها (٢) وحدها الأوّل ٢ مع تكرار حدها الثانى وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التى هى قليلة العدد بحيث تكون فى الأحاد العشرة عددا واحدا وفى العشرات كلها عددا واحدا وفى المئات كلها عددا واحدا وفى عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف الى مائة الألف لاشئ منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهاك جدوله

٦
٢٨
٤٩٦
٨١٢٨
١٣٠٨١٦
٢٠٩٦١٢٨
٣٣٥٥٠٣٣٦
٥٣٦٨٥٤٥٢٨
٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦
١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨
٢١٩٩٠٢٣٢٠٦٩٧٦
٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨
٥٦٢٩٤٩٩٣٦٦٤٤٠٩٦
٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨
١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦
٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨
٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦

فترى فى هذا الجدول انه من (١) الى (١٠) لايوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) الى (١٠٠) ومن مائة الى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) الى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لايصح اطراد القاعدة فلا نقول انه من (١٠٠٠٠) الى (١٠٠ر٠٠٠) تقريبا أو من هذا الى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول انه من (١٠٠٠٠) الى (٨٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠) ونحوها لايوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا المرحوم على باشا مبارك وهو صادق فى المقال ﴿ إن فى ندرة الأعداد الكاملة إيماء لندرة وجود الكمال ﴾ انتهى المقصود من العدد الكامل فى علم الارتماطيق

أفلاترى أيها الذكى أن عدد (٦) فى القرآن وفى التوراة فى خلق السموات والأرض يراد به التنبيه على أوّل عدد كامل والعدد الكامل كما علمت عزيز الوجود . كيف لا وها أنت ذا لم تر فى الأعداد من (١) الى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس فى الأعداد من (١) الى (٣٣) مليونا ونصف مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كما رأيت . ولاشك أن سبعة فى ٣٣ مليونا ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فنبه الله به على انه لما خلقه فى ستة أيام راعى أكمل الوجود وأتمه بحيث انه اختار من أنواع الوجود ماهو أكمل ولاريب أن صور الموجودات لانهاية لها فاذا خلقها الله على هذا النمط فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التى هى عدد كامل فهو يشير الى الكمال المطلق فى الوجود المعبر عنه بقول الحكماء ﴿ ليس فى الامكان أبدع مما كان ﴾ فاذا اختار فى التعبير أكمل الأعداد وأوّلها فى الكمال فلابد أن يكون اختار فى خلقه أكمل الأوضاع وأوّلها وأحسنها فى الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى — الذى أحسن كل شئ خلقه —

فقال صاحبى حسن ماتقول ولكن خبرنى رعاك الله أليس يكتفى فيه بالآيات الواردة فى حسن الخلق وجماله

ومالنا

ومالنا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الاستاذ اعلم أن هذا حسن فى العدد وحسن العدد مطلوب كحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هـذا فى القرآن . قلت قال الله تعالى ـ والشفع والوتر ـ فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جميع علم الارثماطيقى الذى هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى فهى كلها مبنية على علم الارثماطيقى وهذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران فى الآية والله أقسم بهما ولا معنى للقسم إلا شرف المقسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضى البحث عنه من حيث دلالته على الابداع والاتقان كالكواكب التى أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فاذا ظنّ المسلم أن الله لايعتبر العدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختيار ستة أيام لهذه الحكمة العجيبة ولو لم يكن فيه سوى الحض على مزاولة هذا العلم الذى هو أسّ العلوم الرياضية لكفى . واذا رأينا علماءنا رضى الله عنهم ألفوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة فى تكفين الميت وغسله والصلاة عليه وفى الحيض والاستحاضة وفى الطلاق وأمثالها ولذلك آيات فى القرآن محدودات ؟ أفلاينبغى أن يؤلف فى علم الأعداد الذى أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجبا وألف عجب لأمّة الاسلام ، أيجوز أيتها الأمّة العريقة المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمّة محمد الذى هو خاتم الأنبياء أن تقفوا بالنوع الانسانى وقفة تزرى بشرفكم . خبرونى فى أى آية أقسم الله بالحيض والنفاس . خبرونى فى أىّ سورة من القرآن أقسم الله بالدّين و بالطلاق . خبرونى فى أى آية أقسم الله بالبيع و بالهبة و بالميراث وأنتم قد قمتم بما يطلبه الدين فى هذه العلوم وأرضيتم الله وخلقه فما بالكم تعرضون عما أقسم به الله فقال ـ والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر ـ وقال ـ والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها ـ وقال ـ والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى ـ وهكذا . هـذه هى الأشياء العظيمة التى أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدّقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحثكم على فهمها وادراكها والتأليف فيها أكثر من التأليف فى الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فأنزل فى القرآن هذه الأقسام وحرض أهل العلم على استخراجها واظهارها للأمة ليقرأها اللاحقون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون فى هذه الأمّة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون فى هذه الأمّة من يقرأ ـ والشفع والوتر ـ و يقرأ علم العدد الزوجى والفردى و يعرف نظام الله فى الأعداد التى هى سرّ الوجود

عجبا وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف ﴿ إن العدد أوّل الموجودات ﴾ و يقول الفلاسفة بعده ﴿ إن الحساب فى الطبيعة دال على حاسب والحاسب هو الله ﴾ فكأن الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا الواحد دلالة على الله عزّ وجل

﴿ حكاية ﴾

لما وفد الشعبى على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصوّر الانسان نعيما فى الآخرة لاينفد ؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولاينقص ؟ فهل لهذا مثال فى الدنيا فقال نعم السراج يوقد منه ألف سراج فلاينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون و يشربون ولايبولون ولايتغوّطون هل لهذا نظير فى الدنيا فقال نعم الجنين فى بطن أمه لو انه بال أو تغوّط لقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شئ فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوّله واحد وليس قبل الواحد شئ اهـ

﴿ رؤيا منامية ﴾

اعلم انى أيام أن تخرجت من مدرسة (دار العلوم) ووظفت مدرسا بالمدارس الأميرية كان اتجاه نفسى لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا علىّ فأخذت أفكر فى هذا الوجود و بينما أنا نائم ليلة اذا جماعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤن فى قصة أبى زيد الهلالى فوقفت بجانبهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقلت

نعم أعرفها ونظرت اليه نظر الذى لايهتم . فقال عدد (١) اذا زدنا عليه ٢ و٢ و٢ الى مالانهاية له والجميع نسميه واحدا ؟ فهل هذا معقول . فقلت العدد الذى لانهاية له ليس له اسم خاص فان مائة وألفا لها أسماء خاصة وأما الذى لانهاية له فاسمه عدد لاغير فنسميه واحدا إذ لاتعدّد يظهر فيه ، فالتفت الى من حوله وقال (هو يفهم) فعجبت فى المنام كيف يعبر بهذا التعبير مع انى أجبت اجابة تامّة ، ولما استيقظت قابلت أستاذى المرحوم الشيخ حسنا الطويل وأخبرته بها ولم يكن لى إلمام بهذه المسألة ولا أمثالها ، فقال لى رحمه الله إن هذا الجواب تقريبي لأن الجواب على هذه المسألة مذكور فى الكتب وهو أن الأعداد كلها مركبة من الواحد فلولا الواحد لم تكن ، ومضت عشرات السنين ودخلت فى تأليف هذا التفسير فرجع الخاطر لى ثانيا وكان رجوعه قبل تفسير — فى ستة أيام — المذكورة فى الآية وكنت أعجب لماذا جاء فى هذا الخاطر ولماذا أرانى مفكرا فى الزوج والفرد ، ولماذا أفكر فى أن الأعداد الفردية إما أن تكون أوّلية مثل ٣ و٥ و٧ و ١١ و١٣ و١٧ واما أن تكون من أعداد فردية تضرب فى بعضها مثل عدد (٩) من (٣ فى ٣) وليس لعدد (٢) دخل فيها وهكذا (٢١) من (٧ فى ٣) وكذلك (٢٥) من (٥ فى ٥) و (٢٧) من (٣ فى ٩) وعدد (٣٥) من ضرب (٥ فى ٧) ونجد أن عدد (٥) اذا ضرب فى (٣) وفى ٥ و٧ و ٩ و ١١ و١٣ و١٥ وهكذا أى ان عدد (٥) اذا ضرب فى عدد فردى بالتتابع مثل السؤال الذى ألقى علىّ فانه ينتج ١٥ و٢٥ و٣٥ و٤٥ وهكذا فكل عدد فردى يضرب فى ٥ ينتج ٥ متبوعه بعدد العشرات وهكذا ، ولماذا أرى أنه يحدث فى نفسى أن عدد (٢) بضربه فى كل عدد بعده زوجى أو فردى ينتج عددا زوجيا أى ان الأعداد الزوجية كلها تنتج من ضرب (٢ فى ٢) و٣ و ٤ و٥ و ٦ و٧ الذى هو عبارة عن ٤ و٦ و٨ و١٠ و١٢ و١٤ الخ

فلما وصلت الى قوله تعالى — فى ستة أيام — عرفت أن هذا الخاطر يقصد منه البحث فى علم الأرثماطيق واستخراج الأعداد الكاملة لافادة الكمال الإلهى وللتنبيه على أن علم العدد له مزية شريفة ، كيف لا والله يقول بعدها أليس — فى ذلك قسم لذى حجر — . أقسم الله بالفجر والليالى العشر و بالشفع و بالوتر ثم قال أليس — فى ذلك قسم لذى حجر — . فلماذا ذكر هذا الاستفهام التقريرى فى هذا المقام . يقول الله أترى أيها المخاطب أن هذا فيه قسم لصاحب العقل . لم يذكر الله هذا القول إلا فى هذا المقام . لم يقل الله ذلك إلا هنا مؤكدا ومبينا فضل المقسم به ولافضل فيه إلا مافيه من جلال وجمال وحكمة وعلم فليس العدد والله معبودا وانما هو مما يفهم ويعقل ، وانظر كيف يقول أليس — فى ذلك قسم لذى حجر — أى عقل ليوقظ العقول الاسلامية لترقية العقول بعلم الحساب وأصوله . إن أفلاطون أبان فى جمهوريته أن رؤساء الجيش ورؤساء الأمة يجب أن يكونوا بارعين فى العلوم الرياضية لأنها علوم ترقى العقول البشرية وتجعل العقل علويا لأن الأعداد عارية عن العالم المادّى فهى الى عالم الأرواح أقرب ولذلك كرر الكلام على الأعداد والرياضيات بحيث تدرس سنين وسنين لرجال الجيش ورجال الحكومة ، والى هذا نبه الله هنا فقال — لذى حجر — . ينبهنا الى التعقل والفهم بدرس هذه العلوم . ثم أتى هنا بلفظ — ستة أيام — ليحير العقول وانما يحيرها لتبحث واذا بحثت علمت ذكر الأيام الستة ليقول الناس لم خصّ الستة ، ولم جعل العدد ستة . فاذا عرف الناس أن الستة هى أوّل الأعداد الكاملة ووجدوا الجدول كله تحت الستة أدركوا أن الأعداد منها ماهو كامل وهو نادر ومنها ماهو ناقص أو زائد وهما كثير عرفوا أن هناك علوما خفية ووجدوا فى العلوم أسرارا لانهاية لعددها وهناك يعرفون العددين المتحابين اللذين تألف كل منهما من مضاريب الآخر مثل عدد (٢٢٠) و (٢٨٤) فان (٢٢٠) يساوى جميع مضاريب الآخر وهى (١ و٢ و٤ و٧١ و١٤٢) وكذلك (٢٨٤) يساوى مضاريب (٢٢٠) وهى (١ و٢ و٤ و٥ و١٠ و١١ و٢٠ و٢٢ و٤٤ و٥٥ و١١٠) ولايجاد الاعداد المتحابة رسموا قواعد بها استخرجوها كما استخرجوا الاعداد الكاملة بقواعد . واعلم أن قول القائل ان عدد (١) اذا زيد عليه ٢ و٢ و٢ الى

ما

مالانهاية له ثم يقال له عدد واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كاأجبت هذا الجواب حق فى علم ماوراء الطبيعة لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل مايصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد يقال لها كثرة واحدة فعلم الالهى ينظر فى الواحد وأقسامه والكثرة ولواحقها كما ينظر فى الوجود وأقسامه ولواحقه . وقد قسموا الموجود الى المقولات العشرة ، وأيضا الى القوّة والفعل والقديم والمحدث والتام والناقص والعلة والمعلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالنوع وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة فى النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التى أجبت بها أن العدد الذى لانهاية له يقال له واحد صحيحة فى علم ما وراء الطبيعة لأن كل موجود كثيرا أوقليلا يطلق عليه اسم الواحد فالواحدمع الموجود أينما كان . وأيضا ان اضافة (٢) مكررة الى واحد تنتج أعدادا كلها فردية الى مالايتناهى فمهما كان العدد فهو واحد وأيضا هوفردى . انتهى ما أردته فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين

وأما اللطيفة الرابعة فهى مفهومة مما تقدّم من سابق التفسير . وههنا ﴿ جوهرتان * الأولى ﴾ فى قوله تعالى ــ وهوالذى مرج البحرين ــ الخ ﴿ والثانية ﴾ فى قوله تعالى ــ وهوالذى خلق من الماء بشرا ــ الخ

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى ــ وهوالذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ــ ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل قد ذكر البحر فى مواضع كثيرة فى القرآن ، فتراه فى (سورة الرحمن) يقول ــ مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لايبغيان * فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان ــ وتراه يقول فى (سورة النحل) ــ وهو الذى سخر البحرلتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ــ ويقول فى سورة أخرى ــ هوالذى يسيركم فى البرّ والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ــ الخ . فياليت شعرى ماهذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار . يقول الله ــ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ــ ويقول ان البحر يخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، ويقول بأى نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان . فالبحار آيات واللؤلؤ والمرجان آيات وسيرالسفن فيه آيات ولما علم الله عزّ وجل قبل أن يخلق الناس على الأرض أن النوع الانسانى لاسيما المسلمين منهم سيشملهم الغرور ويعمهم داء الجهالة والبلاهة البتراء أنزل القرآن وقال فيه فى (سورة يس) ــ ياحسرة على العباد ــ . يقول الله على طريقة الاسلوب العربى ــ ياحسرة على العباد ــ كما يقول الانسان ياحسرة على فلان قد فاتته الفرصة واعترته النكبة وحاق به الويل والثبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانسانى حرىّ أن يتحسر عليه لما أصابه من الجهل فهم اذا سمعوا المذكرين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أتبع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) واحياء الأرض بعدموتها بالنبات (٣) واخراج الحبّ منها (٤) وظهور الجنات من النخيل والأعناب فيها (٥) وتفجيرالعيون فيها (٦) وانسلاخ الليل من النهار (٧) وجرى الشمس (٨) والقمر (٩) وانه خلق لهم السفن فى البحار ثم ختم ذلك كله بقوله ــ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ــ وانما ذكرت لك هذا مع أنه فى (سورة يس) لأذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسرة عليه حقيق بالشفقة لأنه جهول وكيف لا يكون جهولا وهولايسمع النصح اذا أتى له من رسول ولايعقل مايراه من عجائب الدنيا حتى قال الله عزّ وجل فى هذا الانسان انه مهما عرضت عليه آيات المنعم عليه بالتربية فانه يعرض عنها ولاجرم أن المسلم يصدق عليه ذلك فانه يغتر بأنه مؤمن بالله ويقول كفانى ذلك وهو يقرأ صباحا ومساء فى القرآن والقرآن نعى عليه الاعراض عن نفس الآيات . إن المسلم تسنح له سوانح البرّ وسوانح البحر فيعرض عنها ويقول أنا مؤمن بالله تعالى وللبحار ومالى

وللجبال ومالى وللأنهار وهذا دأب كثير من الفقهاء فى الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جيعا قدشملهم الغرورلأنهم أعرضوا عن الآيات التى أتتهم ؟ فهل بقى للمسلمين بعد مابيناه فى هذا التفسير وغيره عذر فى الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جمال الله وهذه عجائبه تجلت فى هذا التفسير وفى أمثاله من كتب يؤلفها العلماء فى عصرنا . فانظروا واعجبوا . هذا (اللورد أفبرى) مؤلف كتاب ﴿ جمال الطبيعة ﴾ يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٢٣٢ الى صفحة ٢٤٨ باحثا عن جماله وعجائب الله فيه . فياعجبا كل العجب . قوم من أوروبا يعرفون بعقولهم وحدها جمال البحار ويفرحون بجمال ربهم ويهيمون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين يذمّنا الله بالاعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقوننا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتشق له المرائر وترتعد الفرائص ولا أقول إلا ما أمر الله به فى المصائب ــ إنا لله وانا اليه راجعون ــ ثم أرجع فأقول ، لقد آن زمان ارتقاء المسلمين وانتشالهم من الجهالة وارتقائهم الى العلياء . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البرّ الرحيم فاخرج هذه الأمّة المسكينة من الذّل الى العزّ ومن الجهل الى العلم وأنا واثق ومؤمل إجابة الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يخلفه فى بنى اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العامّة استجيب . وهاهم أولاء المصلحون فى بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأصر عن الأمة الاسلامية وأن تشوّقهم للعلوم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء الموقنين لاسيما أن أمّتنا أكبر جدا من أمة بنى اسرائيل . إذن فلأذكر البحار وعجائبها من كلام (اللورد أفبرى) وأبدأ بقول الشاعر الذى خاطب البحر

إن فى صدرك الرحيب رجالا * جمعوا البأس والنهى فى الصدور
أخرستهم مدافع مرعدات * فأصموا عن داعيات النفير
وهم اليوم بعد طعن وضرب * فى قرار غير المقام القرير
لك ما شئت من نضار ودرّ * لم يك البحر بالعديم الفقير

﴿ الحيوانات فى البحار ﴾

(١) منها (الاخطبوط) وهو يعيش فى ماء (نيوفوندلاند) ويبلغ على صغر بدنه (٦٠) قدما من طرف الى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسالمة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكاشولات) فهذا حوت يطوف فى أنحاء المحيط طولا وعرضا قد اتصف بشدة الرحمة على من سالمه وبالغضب والبطش بمن عاداه وشاكسه وقاومه وأنيابه محدودات يسطو بها على الحيوانات البحرية فيلتقمها ، ومتى مسّ بخدش صغير من ركاب سفينة اندفع اليها وعاونه على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية فحطموها وأغرقوها فى البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الروركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغة ، ولقد علم باليقين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سيبالد) والحوت منها لايبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسبى) ان قريص البحر يغطى من سطحه أميالا والميل المكعب من البحر لايحوى أقلّ من (٢٣٫٨٨٨٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) أى (٢٣٫٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه المخلوقات لاتغوص فى البحر كثيرا ولكنها تغطى مسافات من السطح لايحصيها الحصر ولا يحيط بها الحساب

وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوّنا بألوان عجيبة يشاهدها النوتية والسالكون فى طرق البحار

(٦) الحشرات و بعض ذوات الثدى التى تعيش فى الماء لا تبعد عن البرّ إلا قليلا . ومن هذه (عجول البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المكافحة للأمواج تسكن الأعماق بطبعها . ومن أعجب العجب أن طائرا بحريا يسمى (الصخاب) قوىّ الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الحمار يبلغ طول جناحيه الممدودين معا (١٥) قدما وقد يبقى ساعات متواليات طائرا لايقع وقد ينام محلقا فى الهواء . فهذا الطائر فى ضخامته يشبه الحيتان فى قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون فى ظلمات الليالى مناظر النجوم فيرون عجبا وجمالا باهرا يأخذ بالألباب فاذا رجعوا الى النظر فيما حولهم رأوا حول المركب عجائب و بدائع الأشكال والألوان فى الحيوانات البديعة البهجة المتفننة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جمال البرّ قاصر على سطح الأرض فان العجائب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم منها فى ظواهر الماء وقسم منها فى قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه فى البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدّم هنا وفى مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذى تقدّم فى (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فان فيها السمك المعروف بالسمك الهلامى (المدوزا) باللغة الانجليزية (والحكل) وهى دويبات صغيرة كالذّر . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيرا من أنواع المخلوقات فيها فقد وجدوا سمكا يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الدركية وهذه لا يصلها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة و بعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون ألبتة . ومن عجب ماذكره (سروليم تومسون) عن نوع من السرطان له عيون اذا عاش قرب سطح الماء فاذا عمق مسكنه وصار مابين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه . وهكذا مايعيش منه على بعد (٥٠٠) الى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هى شفافة و بعضها براق لماع فى غاية العجب فسفورى الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذى يعيش فى الأعماق فضى اللون جميلا بهيا غالبا و بعضها أحمر و بعضها أسود ومتى حركت أعضاءها اللامعة صارت بهية اللون جدا وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فان شاء أضاء بها ماحوله من الماء وان شاء أطفأ النور ، فكما أن الله خلق شمسا وكواكب بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه لهذه الحيوانات الساكنات فى الظلمات هذه الأعضاء المشرقة تتصرّف بها على حسب مطالبها فى المعاش ، فإن رأى الحيوان فريسته استعمل النور المعدّ لكشفها ، واذا أحسّ بعدوّ مفاجئ أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتناص فريسته يستعمله أيضا لاكراه عدوّه المفاجئ له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فيكاد سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالا . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل مافعلته رائحة الظربان فى حيوان البرّ إذ يجعل الرائحة التى يطلقها على عدوّه سببا فى ازعاجه وكبعض الحشرات التى لاتنجو من صائدها الذى أمسكها إلا اذا أنزلت عليه سائلا فى جسمها كريه الرائحة فبذلك تعيش ولاتخاف من عدوّ يفاجئها فسبحان الخلاق العليم

(١١) وهل أتاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذى له زعانف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألوانها تضرب الى الحمرة يطلقها فى الأمواج ويجعلها كأنها حبائل

للصيد تقوم له مقام نسيج العنكبوت وشبكات الصياد فان العنكبوت نسيجها يصطاد الذباب وأنواع الحشرات وقد جعلت بيوتها مناسبة لذلك . أما هذا فليس له سبيل الى صيد السمك الصغير إلا بأن يطلق تلك الخيوط الحمر فتحسبها تلك السمكات عشبا بحريا وماهى فى الحقيقة إلا حبائل قد أرسلها ذلك الشيطان العفريت وقد اختبأ هو فى الرمال أوفى وسط حشيشة البحر فتأتى تلك السمكات المسكينات لتأكلها فينقض عليها فيفترسها هذا اذا كانت قريبة من سطح الماء ، فأما اذا كانت فى قاع البحار حيث الظلام حالك فلا ضوء هناك ولا شعاع فمن أعجب العجب أن تصير هذه الحبائل براقة لماعة لتظهر فى الظلام وتفترس تلك السمكات الصغار

أقول أيها المسلمون . أليس هذا قول ربنا فى القرآن ـ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ـ وقوله ـ إنا كل شئ خلقناه بقدر ـ وقوله ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ وقوله ـ وكفى بنا حاسبين ـ وقوله ـ وماكنا عن الخلق غافلين ـ وهكذا آيات كثيرة . أيها المسلمون كفى كفى ، ظهر فى هذا التفسير أن أمم الاسلام المتأخرة لم يدرس أكثر علمائهم هذا القرآن ولو درسوه لكانوا أعلم الأمم بهذه العلوم . أيها المسلمون أنا فى عجب من أن يكون هذا القرآن ديننا وهذا الجهل صفتنا ، إن هذا لإثم كبير وعار عظيم اللهم إنى أديت ما أقدرتنى عليها وأنت الملهم المعلم . اللهم أنت المنتقم ممن عرف من المسلمين وسكت ولم ينفع هذه الآراء فى أقطار الاسلام و يعلم المسلمين بما يراه ملائما لأهل زمانه والله هو الولى الحميد

(١٢) إن النباتات البحرية لاتعيش على أعمق من (١٠٠) قامة كما هو آخر مايعلم الناس اليوم ، وقعر المحيط الاطلانطيق وهو بحر الظلمات مابين (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة ماهو إلا طبقات مؤلفة من مادة بيضاء طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة مكسرة وتحت هذه الأعماق تكون المواد صلصالية أوطينية صافية تميل الى لون الحمرة وقد تكون فيها مواد بركانية ، وقد قالوا ان كرتنا يسقط عليها فى العام الواحد مائة ألف ألف شهاب

(١٣) إن أقصى أعماق البحار يشبه أعلى الجبال وقد سبروا البحر فبلغوا (٣٩٠٠٠) تسعا وثلاثين ألف قدم ولم يصلوا لعمقه وأعمق مكان فى الاطلانطيق (٣٨٧٥) قامة وذلك فى شمالى جزائر (فرجينيا) و بلغ عمقه (٥٢٧٠) قامة فى مكان آخر ، وليس هذا هو منتهى ما يمكن الوصول اليه . فهذا ماوصل اليه الناس وسيعلم الناس بعدنا مالم نعلم من عمق البحار

﴿ الجزائر المرجانية ﴾

الجزائر ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ جزائر هى قسم من البر ويفصلها مقدار من الماء قليل العمق كجزيرة سيلان وجزائر بركانية وجزائر مرجانية وهذه الأخيرة عددها كثير جدا وأكثرها فى المحيط الهندى والهادى الباسفيكى فهناك ترى جزائر كثيرة مستديرة الشكل وقد تكون بشكل الخاتم أوالحلقة ، وكثيرا مايكون فى وسط الجزيرة حوض ضحل ضارب ماؤه الى الصفرة والخضرة معا وهذا مخالف للماء المياه المحيطة به فانها سوداء لفرط عمقها . ولهذه الجزائر سواحل رملية بيضاء غالبا وغالبا ماترى مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والجزائر المرجانية المعروفة باسم (بلكاديف) و (ملاديف) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠٠٠٠) جزيرة و ١٠٠٠ جزيرة (انظر أشكال المرجان وهى ﴿ قسمان ﴾ قسم شجرى وهى (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤) و (شكل ٣٥)



(شكل ٣٣ ـ رسم المرجان بهيئة شجر)



(شكل ٣٤ ـ هذه صورة أخرى للمرجان)



(شكل ٣٥ ـ صورة غير المتقدمة للمرجان أيضا ظهرت فيها ثغورحيوانات ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار النبات)

وقسم بهيئة الجزائر وهى إما بركانية حلقية مثل (شكل ٣٦)



(شكل ٣٦ ـ رسم جزيرة حلقية من المرجان داخلها بحيرة عمقها قليل جدا)

واما جزء من جزيرة بركانية مثل (شكل ٣٧)



(شكل ٣٧)

واما

واما جزيرة تامة بركانية مثل (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة «جزيرة الرمل الأبيض» وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه فى غرب أمريكا الجنوبية فى غرب كالو)

هذه الصور الثلاث من كتاب ﴿علوم للجميع﴾ تأليف العلامة (روبرت براون) وهو باللغة الانجليزية

﴿ تذكرة ﴾

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأعظم أعمالا ؟ هل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والنبات وانتفع بها الناس . فهذا المرجان بنى جزائر تعدّ بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأشجار واستكن فى بحيراتها أنواع الحيوانات فعاشت قريرة العين سعيدة بعيدة عن مهالك البحر المحيط . فأى عمل للانسان يضارع عمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - فكم للمفضول من عمل أعظم من عمل الفاضلين ، فكيف يغترّ هذا الانسان بترعة يحفرها أونفق فى الأرض أوهرم فوقها أوقصر مشيد - إن ربك هو الخلاق العليم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ البحر الملح ﴾

اعلم أن الحكمة فى كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ مافيه من جثث الحيوانات المائتة من ظهور الفساد فلولا الملح لأنتن الماء وفسد الجوّ ولم تصلح الأرض للسكنى فالملوحة فى البحر حكمها حكم الملوحة فى ماء العين ، فلولا ملوحة ماء العين لأنتنت الحدقة ، فهذا الملح يحفظ العين ويمنع نتن ماء البحر ، وعسى أن أوفى الكلام حقه فى (سورة النمل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عزوجل ورحمته انه جعل البحر ملحا للحكمة التى ذكرناها ، ثم هو تلطف فأرسل شعاع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا الملح فى البحر صاعدا فى الجوّ متراكما سحابا فيه ماء صالح للشرب ، فتبارك الله الحيّ القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى الملح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خلصه بحرارة الشمس فحصل الانتفاع به . فهذا هو البحر الملح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويجرى ينابيع تحتها منها العذب ومنها الماء المعدنيّ ولايختلط أحدها بالآخر . واذا جلست بجانب البحر الملح وحفرت قليلا فى بعض المواضع ألفيت هناك ماء حلوا . أليس هذا عجبا ؟ حلو تحت سطح البحر مرّ فوقه حلو فى البخار الطائر منه فى الجوّ والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالملح من سائر الجهات

فلاماء البحر الملح يختلط بما تحت القاع للمانع الطبيعى ولا بما فوقه فى الجو لأنه هرب منه وترك له ملحه وترى الأنهار كالنيل والفرات ودجلة تصب فى البحار كالبحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسى ونحوها ومع ذلك لايطغى البحر الملح عليها فيجعل ماءها ملحا ولا الأنهار الصابة فى البحر تجعله حلوا . فهذه مجامع الحواجز التى دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا يبغى أحدهما على الآخر بتلك الحركة الدائمة المحكمة ، تبارك الله رب العالمين

ومن هذا القبيل أن المجارى المعدنية تحت الأرض لايختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا فى (سورة الأنعام) مشروحا . وأعجب من هـذا أيضا أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح المائية فلايختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضا نجد ذرات اللقاح التى تخرج من الأزهار وتسير فى الجو من أعضاء الذكور الى الاناث تتخذ مجارى لايختلط أحدها بالآخر الى أن تقع على الأزهار التى هى من جنسها وقد تشاهد تلك الذرات طائرات كالسحاب من عشرات الأنواع وهى متميزة لاتختلط احداها بالأخرى . وهذا قوله تعالى ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ وقوله ـ مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لايبغيان ـ

وأعجب من هذا كله أن الشمس تحمل صور جميع المخلوقات وترسلها فى كل مكان ونحن لانراها وانما الذى يحس بها هى آلة التصوير (الفوتوغرافية) فمتى سلطت عدستها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وسلمتها الى لوحة التصوير وراءها فى الخزانة المظلمة . فهذا دليل على أن صور جميع المخلوقات على الأرض سائحة فى الجو الهوائى لايختلط أحدها بالآخر فصور بنى آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لا اختلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا ـ وهو الذى مرج البحرين هـذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ـ انتهى

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى ـ وهو الذى خلق من الماء بشرا ـ الخ مع قوله قبلها فى الماء أيضا ـ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ـ وقوله بعد ذلك ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ـ ﴾

فى يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفبر سنة ١٩٢٨ أى فى مساء ذلك اليوم خرجت للرياضة كما قال توبة فى محبوبته ليلى

وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا

فتوجهت الى شاطئ النيل الشرقى كعادتى ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة عند المنيل أمام مصر القديمة اذا الجو فى حال لم أعهدها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحمر برتقالى يكاد يقترب من الأرض وأمر عجب فرفعت طرفى اذا السماء مغشاة بسحاب يمتد من الغرب الى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازيات فعددتها نحو عشرين جبلا سحابيا والشمس قد آذنت بالغروب وتلك الجبال مشرقة اللون حمر بهية وقد امتدت فى أقطار السماء كلها وكلما كانت أقرب الى الشمس كانت أبهج لونا وأزهى حمرة مشوبة بصفرة برتقالية وكلما تباعدت الى الجنوب أوالشمال رأيتها مسودة كأنها تندب حظها لبعدها عن الشمس . أما تلك المقتربة منها فما أجل طلعتها وما أبهرها وأحسنها . جمال وأى جمال . وبهجة وأى بهجة . تراها فتخال بينها أودية زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهج الذى يكاد يضيء إلا بمنظر الجنود مصطفات لملك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتفقد مملكته وهم صفوف وراءها صفوف يهتفون له بالاجلال والاعظام أوكحسناء ازدهت بالجمال وأشرقت بالحسن وقد هرع لجمالها المعجبون بها ـ من كل حدب ينسلون ـ وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جيل غفل عنه صغار العقول . جهل الناس هذا الجمال فى الأرض وفى السماء

ذلك أن كل حيوان قد حيل بينه و بين هذا الجمال بما أودع فيه من عمل لحياته وسعى لذرّيته ثم هم عن الأرض راحلون ؟ فأنى لهؤلاء أن يبتهجوا بالجمال الذى يغشاهم وهم لايعلمون . منظر السماء فى ذلك التاريخ كان بهجا وجيلا والناس غادون ورائحون وهم لاينظرون فكأن الجمهور عمى أمام أجمل الفاتنات صمّ عند سماع أجمل الأصوات . ذلك ان الناس أكثرهم عن الجمال محجوبون وعن العجائب معرضون . تحدّثنا الشمس والقمر والنجم والفلك والماء فى السحاب والبحار . يقلن كلهنّ بلغة فصيحة و يعقلها أولوا الألباب إن فى تقلب الليل والنهار والصباح والمساء روايات تمثل لكم وأنتم لاتنظرون . شمس تشرق فتكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع مختلفات الألوان فهى على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء أوحمراء وهكذا

أما البحار فى (خط الاستواء) وماقرب منه فحدّث ولاحرج . ترى الأمواج ترمى بالدرر اللامعات والماس الجيل والزبرجد الأخضر واللازورد وقوس قزح وهيئات متنوّعات من لجين ونضار ومن هيئات المصابيح المشرقة فى أكناف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبث فى تلك الأرجاء (انظره فى سورة الأنعام) وهكذا نرى ماهو أعجب عند القطبين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمات فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وتصطدم تلك الجبال وتتدخل اجزاؤها وهناك تكون أنواع من أفانين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوّره الخيال (انظره فى أوّل سورة الكهف عند قوله تعالى ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ) وهذه كلها صور للماء فى حاليه سائلا وجامدا ثلجيا . الماء خلق لسقى النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لاحدّ لابداعها ولانهاية لصنعها . ماء ينزل للسقى وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو فى ليلة ١٥ نوفبر جنود تحيي ملكة النهار الذاهبة الى مملكة الليل فكأن الجيوش معدّة لطرد الأعداء وقتلهم هى أيضا تحيي الملوك اذا قدموا أو ودعوا . ذلك لسعة هذا الوجود والتفنن فى التصوير والابداع والجمال . الليل والنهار يشرقان معا . هذا بالماس المرصع فى القبة الزرقاء . وهذا بالنضار الكاسى وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجات جيلات متلألئات ليلا تقول للنفوس المستعدّة فى الأرض هلموا الىّ وتعالوا أتل عليكم نبأ الحكمة والعلم والجمال . تقول ـ هاؤم اقرؤا كتابيه ـ فيرونها صفوفا تتلوها صفوف وصنوفا تتلوها صنوف قد ازّينت للناظرين وحيرت المفكرين حتى اذا أفل الظلام وأقبل موكب الصباح أخذت تتغير المعالم وتبدّل المشارق والمغارب وتهزم جيوش البيض سود الجيوش وكلما ازداد موكب النهار اقبالا ازدادت جحافل الليل إدبارا وأخذت تلك الفاتنات البهيات المطالع الناعسات الطرف المشرقات فى الدياجى تتوارى بالحجاب تودّع العاشقين وتعدهم أن سأعود لتروا جمالى ولاتزال مواكب الصباح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرقت الغزالة اشراقا يبهر الجميع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتتجه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض و يستبدلونها بالنجوم الزاهرات فى الدجنات . وههنا يتجلى النهار فى ثوب قشيب ويمو نموّ الطفل صار شابا ضحى كهلا ظهرا شيخا عصرا ثم يودّع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غانيات الليل ويرفعن القناع ويبدون سافرات ضاحكات بهجات مشرقات ويقلن لعشاقهنّ بالأمس عوجوا الينا وأقبلوا علينا

هذه هى الرواية التى يمثلها الليل والنهار وهما لايفتآن يمثلان رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليل . ولما غفل الناس عن ذلك الجمال ألهموا أن يصنعوا هم لأنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها يفرحون وفى أيامها يبتهجون فهم كصناع فى قصر ملك معه وزراؤه وخواص دولته وهم يشاهدونه كل حين مبتهجون بمنظره فرحون بقربه وفى القصر عبيد منكودون لايرون الملك إلا فى عربته سائرا أوفى موكبه متجليا وفيه حيوانات ودواجن لاتعقل هذه الكرامة ولاتأبه لهذا الجمال . هذه

نظرات النفوس الحكيمة فى بدائع السموات والأرض . فاذا رجعت الى أنفسها وتأملت أجسامها رأت فى هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاط مظلمة أرضية مايفوق مافى الكواكب من جمال ومافى الشموس من جلال ومافى البحار من لآلئ ومافى الجبال من نضار . ماذا يرون ؟ يرون جنودا يحاربون وجيوشا من أعدائها مجندلات وممالك عظيمة كلها فى داخل هذا الهيكل الجثمانى . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن التمثيل الذى تمثله المشرقات والشمس فى العوالم الأرضية والسماوية هكذا نراها غبية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال المودع فى أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر فى أمر جسمه فيرى عجبا عجابا يذهله بل ينسيه منظر المشرقات فى الدياجى البهجات المناظر . فياليت شعرى من ذا الذى كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن فى جسمى أنا آلافا فى آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحادّ القوى تصطف صفوفا وتحارب جيوشا تعدّ جنودها بآلاف الآلاف وتجندلها فى ساحات الوغى من (الحيوانات الذرية وهى المكروبات) وهى أنواع مختلفة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فياليت شعرى من ذا الذى يقول هذا ولا ينسبه الناس الى الجهالة والجنون . وهل كان أحد فى الأرض يعتقد أن الورم فى الجرح ماهو إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتهلك الجيوش الداخلة فى جسمى لتحدث فىّ مرضا . أليس هذا من العجب أن جسمى يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقفة بالمرصاد لكل فاتك به ثم هى تهلكه وتنتصر عليه بل انها تأكل الأعداء أكلا وتصلح ماأفسدوا من جسمى ؟ هل كان للعقل فى هذا مجال . اللهم لا . لامجال لعقولنا فى هذا لولا تعليمك لنا فى هذه السنين ثم ما هذه الدول والممالك والجنود المجندة ؟ أهذه كلها لجسمى وحده ألجسمى هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ ألحياتى أنا تكون تلك الدول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارت عقولنا فى وضعك وأصبحنا لاندرى أمفردنا جمع أم جمعنا مفرد ثم كيف يكون جسمى مع أن علمى به قليل جدا يكاد يبلغ سعة السموات والأرض فى التدبير والكثرة . ممالك جسمى لاحصر لها وممالك الوجود لاحصر لها فتساوى الكبير والصغير فى العظمة والجرأة . ثم أقول يامن تجلببت بجلابيب الكبرياء وترديت بأردية الجمال ونثرت أرواحنا فى هذه التربة ودفنت نفوسنا فى هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد حنت أرواحنا اليك وشاقتها بواسم الاصباح و بواهر الامساء ؟ فمتى تكشف لنا عن جمالك لقد لمحنا من خلال الحجب المسدلة علينا لوامع من نورك فعلمنا انك رحمتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببصيص من نورك ولو اننا كوشفنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرنا الى العدم مادمنا لم تكمل فينا المواهب العالية التى بها نستطيع ادراك ذلك الجمال ولكنا تشرق فى نفوسنا الذكرى بعد الذكرى والشوق يتبعه الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتى أنا أجهل نفسى جهلا تاما وأنتظر من الذى أبدعنى أن يزجنى فى عوالم تكشف القناع لى عن نفسى وعن هذا العالم . نعم من ذا الذى كان يخطر له أو يهجس فى نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع الى مايسمونه خلية فالخلية منها منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة فى هذا الوجود منها تركب كله كما ان الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد عملى والديانات توحيد قولى واعتقادىّ . وان أبيت ياصاح إلا الافصاح فهاك مقالا لدكتور مصرى فى ﴿ طبيب العائلة ﴾ تحت العنوان الآتى وهاهو ذا

﴿ سرٌّ من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة رامقة كل شئ فى الوجود جلّ أودقّ وتراهما متجليتين على الأخص فى الحياة ونظامها وتطوّراتها منذ الخليقة . هذا النظام وما به من غريب ومدهش هو ما أقصد الى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لايسع التوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هو فوق ما تتصوّره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الألغاز الغامضة التى تعبت فى حلها الأجيال وعظماء البشر

من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء لخفايا الوجود وأسرار الطبيعة جعله لايمل ولايكل من السعي حتى ظفر بكثير مما تصبو له نفسه وخصوصا فيما كان له مساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظل يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم تدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم وإذ تقرب منها اتخذها عماده في تقرير العلم الراهن وتوسع فيها الى الدرجات الباهرة التي وقف عند حدها في أيامنا الأخيرة وتتلخص هذه الحقيقة فيمايلي

ظهرت الحياة على الأرض لدى الخليقة بالبسيط وانتهت بالمركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الخلايا مندمجة في شبح واحد . ابتدأت بالشيء الذي لايقوى على الادراك والعقل وانتهت بالانسان الذي هو أكمل مخلوق . وأعتقد أن الله الذي جلت قدرته وتعالت حكمته عند ماشاءت مشيئته ابداع هذا الوجود أراد لكمال هذا الوجود أن يظهر فيه من يدركه ويدرك صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الانسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه اتصل المخلوق بالخالق . نظم الله الخلية ودبرها على نسق تدريجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرقي والتوارث والتسلسل والتفرع والتنوع والتجنس وأعدها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووظائف وغايات متعددة مختلفة فمنها النبات وعليه قوام حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والانسان وكان من المدهش انها كلها ترجع في أصل الخليقة الى وحدة متحدة دالة على وحدة اليد القوية القادرة التي أبدعتها ألا وهي الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتتنوع وتستقر في النهاية على ماهي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدخره لها المقادير في مستقبل الدهور والحدثان . هنا نرى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يبتدئ عند خلقته بأن يكون خلية اشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الحي مهما تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بعبارة أخرى) اشارة الى الوحدة التي نشاهدها مسيطرة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تتطور في نموها تطورا غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطورات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخليقة الى الآن . وبحق تعتبر هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطورات التي تطورها نوع وليدها بمرور كل هذه العصور التي قضاها متنقلا في تطوراته من حالات الى حالات . وعلى كل حال فان الانسان لم يك في الواقع في مجموعه إلا خلايا لا تعد ولاتحصى مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامنة تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كلها وليدة الخلية الأولى ، فكل حي في الوجود نباتا أوحيوانا أوميكروبا يتركب من خلية أو أكثر . ومن الأسرار المثيرة للاعجاب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كائنات حية لاتتركب إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



(شكل ٣٩ ـ صور للاميبا مأخوذة عن فلم سينماتوغرافي للاميبا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصور السبع التي ترى هنا منتخبة من حركة الاميبا في ثانية واحدة)

وقد تنقسم الى قسمين و يصيران خليتين ولكنهما لايتصلان بل يعيشان كائنين حيين منفردين ، وتوصل العلم الى معرفة مئات من هذه الأجناس (بروتوزووا) ذات الخلية الواحدة تعيش فى المستنقعات والبرك والبحار وهى أبسط كائن حى عرف حتى الآن ، واذا دققت النظر فى محتو ياتها لاتجدها أكثر من غلاف داخله مادة مخاطية لزجة تسمى (بالبروتو بلاسم) فاذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها بمهارة فلاتشعر الذرة إلا وترى نفسها داخلة فى ذلك الغلاف ومحاطة بأكملها بهذه المادة اللزجة مع قليل من الماء فتهضم بواسطة كيميائية قسرية وتصبح جزأ من ذلك البروتو بلاسم وهذا كل مافيها من وظيفة المضم، وغريب انك تجد خلايا لاتعيش إلا فى سوائل الجسم (الدم واللنف) تعيش عيشة مستقلة كما تعيش الكائنات ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزووا) فى قاع المستنقعات والبحار كما قدمنا ، وانك لوأخرجتها من تلك السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومزجت معها قليلا من الذرات الملونة لرأيتها بعينيك تصنع ماصنعته الكائنات المذكورة فى أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التى تعيش فى سوائل الجسم هى التى نطلق عليها اسم الكرات البيضاء وهى كانت معروفة قبل عصر باستور ، أما فى عصر باستور فقد ظهر بفضل فكره الواسع وعبقريته الممتازة مادهش له العالم طرا ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفى كنا نجهله هوعالم الميكروبات و برهن لنا على أن هذا العالم الخفى علة جميع الحميات المعدية وأن عوارض هذه الحميات لم تك إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلطت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا بعده ليستر و برهن على أن تقيح الجروح نتيجة تسلط هذه الميكروبات على الجروح ، وأن هذا التقيح هو انحلال الخليات الناتج عن فتك هذه الميكروبات بها (انظرشكل ٤٠ فى الصفحة التالية)

ثم أتى بعدهما (كوين‌هايم) و برهن على أن فى كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات أوصدمة فان الورم الذى يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم الكرات البيضاء بكميات كثيرة تخترق الأوعية الشعرية وتتصل الى ذلك الموضع الملتهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم (ميتشنيكوف) وأرانا بأعيننا أن الغاية من تراكم الكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى المواضع الملتهبة هو الدفاع عن الخلايا ومقاتلة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتغلب عليها بأكلها وهضمها وأكل سمومها وأكل الخلايا التى فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من عمل هذه الكرات البيضاء الضرورية للحياة ولذلك سميت بالخلايا الأكالة أى (الفاجوسيت)

هذه المدهشات علمت واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهى مع ذلك خلية واحدة للجسم الانسانى، فكم لله فى باقى صنعه من أسرار لازال امرها غائبا مجهولا من الانسان

(أخذت هذه الكرات البيضاء وهى تزدرد الميكروبات)

تتغذى الكرات البيضاء بمكروب الانتراكس

(شكل ٤٠)

(ا) تتغذى الكرات البيضاء بمكروب الدفتريا
(ب) تتغذى الكرات البيضاء بمكروب الستربتوكوك
(ج) تتغذى الكرات البيضاء بمكروب الحمى الراجعة
(د) تتغذى الكرات البيضاء بمكروب الكوليباسيل

﴿ بهجة الجوهرة في هذه الآية ـ وهوالذى خلق من الماء بشرا ـ الخ وأن المصلى رجع في الركوع والسجود من الحق الى الخلق ، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق ﴾

تباركت يا الله ، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما فى آية (الحجرات) وجعلتهم ـ نسبا وصهرا ـ كماهنا فترى قبائل ودولا فى القارات الأرضية شرقا وغربا ، وترى أسرات وجماعات بينهم علاقات واشتراك يسكنون قرية واحدة ، ثم ترى جسم الانسان وحده فيه أنواع الحواس وهى خمس قد قسمت عليها العوالم التى تدركها فللعين المناظر وهى عشر وللأذن المسموعات وهكذا . وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة كاختلاف منافع الحواس . كل هذا يذكره المصلون فى صلواتهم وأكثرهم ساهون ، فيقول الراكع ﴿ خشع لك سمعى و بصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ﴾ و يقول الساجد ﴿ سجد وجهى للذى خلقه وصوّره وشق سمعه و بصره تبارك الله أحسن الخالقين ﴾

فهاهوذا الراكع يذكر جماعات الحواس المتضامنات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منهما يذكر جماعات الأعضاء المتضامنات من العظم والعصب والمخ . فياسبحان الله . جماعات فى الأمم كجماعات المدن كجماعات الحواس فى الجسم كجماعات أعضاء الجسم داخلا وخارجا وكلها راجعات لنظام وحدة كلية . فالأمم تكون أهل الأرض جميعا والأسرات تكون البلدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد؟ ومم تكوّن هؤلاء كلهم؟ تكوّنوا من الماء المذكور فى هذه الآية والقاعدة فى الجميع واحدة . فهل لك أن أسمعك الآن ماهوا بعد مدى وأقرب هدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبات من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك الدول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء فى الجسم الواحد . فهاك ماجاء فى بعض المجلات العلمية

﴿ حياة الخلية ﴾

كان الفضل فى اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأنسجة فى جسم كل كائن حىّ لاختراع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شايدن) و (فيرشو) وقد أوجد هذا الاكتشاف مايسمى بنظرية الخليــة وهى تتلخص فى أن كل كائن حىّ بدأ حياته كخلية مفردة لأن قسما من الخلايا المفردة لم يقنع بحالته الوضيعة وصارت كل خلية تبنى لنفسها جسما كبيرا بانقسام الخلايا التى تتناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا فى تقدّمها حتى استطاعت لكثرة مافيها من الخلايا أن تقسمها أقساما وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التى نراها فى جسم الحيوان أوفى تركيب النبات

﴿ الوجود التضامنى ﴾

ولما اجتمعت الخلايا وكوّنت جسما واحدا ووزعت الأعمـال المختلفة على كل طائفة منها صارت حياة الكائن المشتمل هى عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . و يقول العالم السرلانكستر ﴿ يمكن أن نعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التى بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حىّ مثل السكان فى مدينة لكل جماعة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هـذه الجماعات وتضامنها هوتحقيق غرضها المشترك وهوالحياة للحيوان أوالنبات التى توجد فيه ﴾

﴿ أساس الحياة ﴾

و يعد الهيولى أوالمادّة الأولى (البروتو بلاسم) أساس الحياة الطبيعية وهى المادة التى تحيا بها أجسامنا والتى ترتكز عليها حياة الخلية فان أوّل شئ يتكوّن فى أى حيوان هوالهيولى ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا الى أن تتكوّن جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحىّ

﴿ من أين تولد الخلية ﴾

لاتولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها فى الوجود و باتصال الذكور بالاناث . وقد حاول كثير من العلماء اثبات التولد الذاتى أوتكوّن الكائن الحىّ بنفسه فأخفقوا فى ايجاد أقلّ الكائنات فى التركيب انتهى هذا ثم انظر ماذكره (السيرأوليفرلودج) وهاك ما ورد فى نفس المجلة بنصه

﴿ الجسم والروح ﴾

يقول (السرأوليفرلودج) رئيس المجمع العلمى البريطانى ﴿ انه لمن أغرب الامورأن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس عماناً كله من موادّ الغذاء فان نفس هذه الموادّ الغذائية كان من الممكن أن تصيرد جاجا أوكلابا ولم يفعل ما قامت به من المعجزات المدهشة إلا مافيها من العوامل الحيوية ذات المزايا الخاصـة التى حتمت أن يصير هـذا انسانا ولم تجعله قردا مثلا بل جعلته انسانا بشكل خاص يتقيد فيه بعدّة عوامل وراثية أوخلافها ترجع الى أبيه أوأمّه أوأسلافه . أما الأجسام فتبلى وترجع التراب الى التراب كما قالت الكتب المقدسة . أما

تلك العوامل التى قامت بالمعجزة فانها تبقى فى كائن لطيف لم يدرك العلم حقيقته ولكنه لايستطيع أن ينكر وجوده وأثره وهوالروح ﴾ انتهى

هذا كلام (السرأوليفرلودج) ولعمرى ماهذا إلامعنى تسبيح المصلى فى سجوده وركوعه، وثنائه على ربه. يسبح المصلى فى الركوع والسجود أى ينزّه ربه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصروأعضاء الجسم وهذا معنى ﴿ سبحان الله وبحمده ﴾ فهنا تنزيه عن الحوادث مع خلقها منه والحمد عليها منا نحن فالسرأوليفرلودج يقول إن هذه الروح هى التى دبرت هذا الجسم وخصصته بكونه انسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس الى الروح والروح ليس يقدرالعلم على معرفتها ولاعلى انكارها فهى إذن ـ من أمر ربى ـ فالعالم ﴿ قسمان ﴾ عالم الخلق وعالم الأمر والأوّل هوالمذكور من أعضاء الجسم والثانى هوالروح والله خالقه وهومنزه عن الحوادث وعن ملابسة الأجسام . فالسر (أوليفرلودج) سار بكلامه من الخلق الى الحق بعقله هو لابدينه أى ان الفلاسفة ينتهون بعد مشاهدة المادّة الى خالقها . إن هذا هو الذى جرى عند أعاظم حكماء هذه الكرة الأرضية . واعلم رعاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤا نظرهم على هذا النمط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة فقال ﴿ إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتقّ ماهو أثقل منه وهوالأرض وماهو أخف منه وهو الهواء ﴾ ثم قام (أنكسيمانيس) بعده فقال ﴿ كلا بل الأصل هوالهواء ﴾ وفعل به مافعل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال ﴿ ويحكما كيف حصرتما العالم فى عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذى لايتجزأ فاذا قام من قبلى واستغنى عن صانع للعالم بعنصر فأنا استغنى عنه بهذه الأجزاء التى لاتتجزأ إذن العالم هوهكذا من الأزل الى الأبد ﴾

هنالك حار اليونانيون وظهرفيهم (السوفسطائية) الذين ينكرون الحقائق وقام بعدهم (فيثاغورس) وهو يونانى فنظر فرأى هذا العالم فيه نظام وابداع وحساب وحكمة فقال ﴿ كلا إن أصل العالم أرقى من المادّة فليكن هوالعدد لأن كل شئ له نظام معدود ﴾ ثم قام الفيلسوف (أنبذوقليدس) فقال ﴿ إن هناك محبة وعداوة فالأولى تجمع والثانية تفرّق وما العالم إلا جمع وتفريق ﴾ فقام بعده فى القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساغورس) وقال ﴿ كلا هذا لا يكفينى إن هذا العالم له عقل صنعه فهذا العقل فعل مع المادّة ماصنعه الذى يديرالساعة فهو أوّلا نظمها فدارت ثم تركها فهى تجرى أبدا وأمدا لأن هذا النظام لا يكون بلاعقل ﴾ ثم قام بعده سقراط فقال ﴿ هذا رأى أبتر . إن الآلة لاتصنع من نفسها فلابد لها من مدير يديرها ويلاحظها أبدا . إذن الذى صنع هذا العالم هوالذى يعلمه وهومعه دائما يدبره ويحكم صنعه ولايتركه والا لفسد ثم جاء أفلاطون وقرّرهذه النظرية بشكل أتمّ وأبهى وأبهر . ثم قام (أرسطاطاليس) فأيد الذين قبله والى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

اذا عرفت هذا أيها الذكى فاعلم انك قد ظفرت بكنز لم يحرزه سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أبناء أمّتك الذين تعيش معهم فستسمع أحدهم يقول انى لا أصدّق إلا بالمحسوسات فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه عاقاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) واذا سمعته يقول لمن أصلى وهل الله محتاج الى صلاتى فاعلم أن هذا لايصدّق بأن الله محيط بالكائنات فهوأشبه أنكساغورس فقل لأبناء الشرق إن العلامة (ابنسر) الفيلسوف الانجليزى ومثله (سنتلانه التليانى) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة اننا لم نصل فى هذا العالم (أى فيما هوالمقصود من الفلسفة وهى هذه المباحث) الى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان ان جميع فلاسفة أوروبا لم يزيدوا على ما ذكر فيما كتبناه هنا وغاية الأمر ان أحدهم يختارقول (تاليس) مثلا أوقول (ديموقراطيس) والفلسفة فى طفوليتها فيعلنه ثم يقوم آخر ويختارمذهب (سقراط) فيعلنه . إذن من درس هذه الفرائد التى ذكرتها هنا فقد حفظ أمّهات المذاهب

التى اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا فى العصر الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم فى بلاد الشرق فهؤلاء وهؤلاء مقلدون ولكن المسلم فى صلاته قد جمع خلاصة المذاهب وأتبع أعلاها فقال ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ وذكر الأعضاء والحواس وماتحتها من الخلايا التى دخلت ضمنها فهى كلها مجموعات مشتركات فى حياة الفرد كله الذى جمعه الروح التى صارت أقرب الى ربها المنزه عن المادة . وهذا آخر ما انتهت اليه الفلسفة وذلك بسقراط وأفلاطون الى آخره . فالفلاسفة ساروا من الخلق الى الحق والمصلى المسلم سار من الحق الى الخلق فى الركوع والسجود وهذا فى الفاتحة والتشهد إذ يحمد الله ويقول إن التحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستعانة الخ ويطلب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . واذا قال المصلى فى سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواسه فذلك مقابل لما فى الآية هنا ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ـ فهذا الفعل وتلك البركة كما اجتمعت فيها الشموس التى لايعرف عددها فصارت عالما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الانسان والخلايا التى لايعرف عددها وهن مشتركات فى نظام الجسم الانسانى وحياته فكما أن الانسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشير له قول المصلى فى سجوده ﴿ سجد وجهى الخ ﴾ وهذا العالم الصغير يجد حتى يرجع الى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سر قوله تعالى ـ واسجد واقترب ـ

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى ـ وأن الى ربك المنتهى ـ فاليه انتهى مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظرهم وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث مايوافق عقله بقدر طاقته وسيأتى ايضاح هذا المقام فى (سورة النحل) فى آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة فى قوله تعالى ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ـ الى قوله ـ أو أراد شكورا ـ ﴾

تباركت يا الله وتعاليت أبدعت نجوما وشموسا وتلألأت فى سمائك وانتشرت فى أقطارها جيلات منيرات مشرقات . أبدعتها بالحكمة وزينتها بالجمال وقلت لها املئى أقطار السموات وأفيضى نورا على المخلوقات لتبتهج بك القلوب ولتعشقك العقول ولتفرح بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشموس أنتن بهجة عبادى مقسمات الزمن معطيات الضياء منميات الزرع مكثرات الضرع أنتن بأمرى مجريات الرياح الحاملات السحاب بضوئكن وحرارتكن نما النبات وانتعش الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والفواخت فى دوحاتها وراحت الحشرات المغنيات وغدت تجمع العسل وتلقح النبات كل صباح وكل مساء . وبنظام سيركن انتظم لعبادى علم الحساب بأنواعه فعرفوا السنين والشهور والدهور وببهجتكن انطلقت ألسنة الشعراء متفننوا فى وصفكن بأفانين القول وبدائع الحكم وروائع الفنون . ففيكن يقول الشاعر

كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عوّد * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا

سقتها الذراع الضيغمية جهدها * فما أغفلت من بطنها قيد أصبع
بها ركز الرمح السماك وقطعت * عرى الفرغ فى مبكى الثريا بأدمع
ويستبطأ المريخ وهو كأنه * الى الفور نار القابس المتسرع
وتبسم الأشراط بجرا كأنها * ثلاث حمامات سدكن بموضع

وتعرض ذات العرش باسطة لها * الى الغرب في تغويرها يد أقطع
(من سقط الزند للمعرّى)

وكم تغزل فيك عبادى الشعراء ، فأنت نبراس الخيال لشعراء عبادى كما انك نبراس العقول والحكم المستودعات فى قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سيرك و يعقلون بعض سرّك وهم بك فرحون إذن أنت مسرح القوّتين الخيالية والفكرية ومناط العالمين عالم شعر الشعراء وعالم حكمة الحكماء ، ولقد جعلتك زينة للناظرين وأغنيت بمرآك الصادرين والواردين ، ومنحتك الجمال بهجة للعالمين ، زينتك أعلى زينة وأبهج حلية وأعلى منار ولم يقتصر التفنن فى محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدّى ذلك الى غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التى ألفوها ودواجنهم التى ربوها ليقرّبوك من متناولهم حتى كأنك بين ظهرانيهم مألوفة لهم

(١) فهاهم أولاء عبادى الآريون سكان الهندصوروا مجاميعك بصور حيوانات يعرفونها وذلك فى كتبهم المصوّرة قبـل المسيح بتسعة قرون فجعلوك بجمة ووزتين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجى ضخم الجثة وامرأة مغطاة بوشاح

(٢) وهاهم أولاء عبادى العرب سموا بعضك باسم بنات نعش الصغرى والفرقدين والجدى و بنات نعش الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والهلبة والجوض والظباء الخ

(٣) وهاهم أولاء الصينيون قد سموا أكثر من ثلثمائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظمائهم

(٤) ولقد تمادى العرب عبادى فى الخيال وأخذوا يقولون انك الراعى وكلب الراعى والشاة أوالأغنام والضباع والكف الخضيب وسنام الناقة والخباء والعنز والجديان وممسك الاعنة والحية والدلو والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وسموا هذه الاثنى عشر بروجا

(٥) وهاهم أولاء عبادى أهل (سكنديناڤيا) قد سموك بالكلب و بالمركبة و بالمغزل

(٦) وكذلك عبادى فى الأقطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحرى عندهم فهاهم أولاء عبادى اتفقوا فى مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور المألوفة الحية وغير الحية ليستنزلوك من سمائك الى المعانى القريبة من متناولهم استئناسا بك وفرحا بمرآك وأنسا بمشاهدتك . ايتها النجوم ويا أيتها الشموس أنتنّ جمال وأىّ جمال . أنتنّ أنس وأىّ أنس . أنتنّ مثيرات العشق والغرام . أنتنّ المنعشات لحبّ العلوم . أنتنّ المضرمات نار الشوق للقائى ومثيرات نيران الحب لجمالى أنتنّ عنوان جمالى وكمالى . أنتنّ حلية عوالمى . أنتنّ العرائس المصطفيات لأحبابى من عبادى وما العرائس المزينات المجلوات فى الأرض إلا نموذج لزينتكنّ وجمالكنّ حتى اذا فرحوا بأقل الجمالين طمعوا فى أكملهما بهاء وأبهاهما حسنا ولألاء

(٧) ولقد تعلم عبادى الذين يطربون الناس بالنغمات دواوين الغناء والألحان من نظام مسيرك وهكذا الشعراء فهؤلاء وهؤلاء استمدّوا الحساب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأبيات الشعرية والأوزان الغنائية والحركات الفلكية (انظر هذا فى سورة يوسف عند قوله تعالى ـ وقطعن أيديهنّ ـ وفى مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدّم فى سورة الرعد عند قوله تعالى ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ)

أيتها النجوم . أيتها الشموس . أيتها الأقمار . أنت اللائى هام بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى دخلت فى العبادات وصوّرت على صناديق بعض الأموات وأنزلتك فى القرآن فقلت ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ـ انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه المقالة جاشت فى صدرى فى هذا التاريخ . ولقد تقدم فى هذا التفسير أن قدماء المصريين أغرموا بجمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبوا الله حبا جما وجعلوها رمزا لكماله وصلة بينهم و بينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالنظر فيها لتدعونا للشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قدماؤنا المصريون جعلوها معبودهم وهذا المعبود يوصلهم لربهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراما لمقام الالوهية . أما الاسلام فقد قوض هذه الأركان وهدم الأوثان وقال أيها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظيمه بالاشراك ولاتقديسه واحترامه بعبادة الأوثان بل هو المعبود قولا وفعلا والمذكور سرا وعلنا . ولقدترى فى تفسير (سورة يونس) صورة منطقة البروج وحولها الكواكب المعروفة عند قدماء المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد العظماء فالكواكب معظمات عندهم فى حياتهم و بعدموتهم . ومن ذلك ماذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه مرسوما هناك مشروحا مذكورا سببه قد بنى بحذاء كوكب الشعرى المعبود المعظم عند القوم وقدكانوا يجعلون صورة الهرم مع الميت تيمنا بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بحذائه . واذا مات الميت وجهوا وجهه الى جهة الهرم المرموق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه فى خبايا الأرض وأحافيرها وطواميرها ونواو يسها بالبلاد المصرية فى داخل الأجداث . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب فى البلاد المصرية فوجدوا حبها متمكنا فى القلوب بحيث امتزج بالدم و بالعمل و بالدين (انظر ماتقدم فى سورة يونس) فانك ترى فى أولها هناك حساب الهرم وانه بنى على سير الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعد الأرض عن الشمس حتى اذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييسا من نفس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالذراع البلدى ومكاييلها كالأردب وموازينها كالرطل كلها مستخرجات من مساحة الهرم المبنية على مدار الشمس وعلى بعدها عن الأرض فارجع اليه إن شئت تجد العجب العجاب . وههنا أزيدك تبيانا جيلا بما قرأته فى كتاب مترجم حديثا ترجمه أحد القائمين بالمتحف المصرى فآثرت نقل مايناسب المقام منه لتعجب من جمال الله الذى أشرق على الكواكب الراقصات فى جو السماء فأرقصت أهل الأرض وهاموا بالجمال والبهاء وجعلوه عبادة لله وان كان هذا لايوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لنبينا ـ لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلاينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ـ فهاك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان ﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾ ترويحا للنفوس وتنويعا للدروس وتشويقا للعلوم والحكمة وفهما لقوله تعالى ـ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ـ وقوله تعالى ـ وزيناها للناظرين ـ وهاهوذا

الرقص وأنواعه وأوصافه

﴿ عند قدماء المصريين ﴾

قال مونستر بيه «كان قدماء المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة و يتخيلون الهيكل كالشمس فى كبد السماء فيدورون حوله تمثيلا لمنطقة البروج أى كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية» وقال لوسيان «كانت حركات الرقص عند قدماء المصريين تشبه فى السرعة انحدار الماء وتماوج لهيب النار فى الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود وترنح الغصون فهو أبدع ما يكون»

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية وأوسعهم حضارة وقد توسعوا فى المدنية وفنونها حتى أتقنوا فن الرقص وأحكموا قواعده . ومما هو جدير

بالذكر

بالذكر أنهم لم يتخذوا الرقص للخلاعة والملاهي كما نراه الآن بل كان عندهم خدمة للشعائر الدينية ونموذجا للحركات الفلكية وتمثيلا للأنغام الموسيقية . وكانوا يقصدون من الرقص جلة فوائد دينية ودنيوية . أما الدينية فهو ما كانوا يتقربون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كستيل بلاذ «إن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم الى انشاء الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم وأفراحهم وقياما بشكر النعم وتمثيلا للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصرا على المؤمنين منهم بل الطبيعيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الالوهية منحصرة فى نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص ممثلة لاتحاد الكمالات فى ذلك النظام وكفيلة باحترام الطبيعة ومجدها»

ومن العجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعاليم المنزلة فقد قال ديودور الصقلى المؤرخ اليونانى المولود فى القرن الأول ق.م ان أسوريس (وهو المعبود العظيم) كان يحترم توت (هرمس) ويجله نظير ماشرعه و بثه فى الهيئة الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التى بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم فى مدارج الرفعة وسعادة الحياة * قال مونستربيه فى كتابه الذى وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه «الرقص القديم والحديث» مانصه

«إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السماوية على نموذج الألحان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة و يتخيلون الهيكل كالشمس فى كبد السماء فيدورون حوله تمثيلا لمنطقة البروج أى كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية»

ولم نعثر فى النصوص المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الدينى القديم حول الهياكل وغاية ماقاله لوسيان المولود فى القرن الثانى للمسيح فى بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة «ان مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هى محور لهذا الرقص الفلكى» والرسوم المنقوشة فى المعابد والهياكل لم تدل على أى بيان لهذا الرقص الفلكى وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما (أفلاطون) فقد وصفه وصفا مبهما حيث نقل عن قدماء المصريين انه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لاتتمرن إلا على الرسوم والألحان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة للرقص ويحددونها و يضعونها فى الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسامين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيأ عنها أو يمثلوها فى الخارج حذرا باتا بمقتضى نصوص قوانين البلاد وقد قدسوا كل أنواع الرقص والأغانى

قال (مينار) فى كتابه الذى سماه «تاريخ الشعوب الشرقية» إن المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تدينا وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب لميلاد إلههم وعودته أو مجامع حزن و بكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشتمل على أنواع من الأناشيد المقدسة وأشكال من الرقص الدينى

ونقل أيضا لوسيان أن الرقص والغناء كانا مقدسين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر (هيردوت) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة فى كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود عيدا خاصا به . وكانوا عند مايذهبون الى مدينة (بوبسط) للاحتفال بعيد المعبودة (ديان) يركبون السفن فى النيل والنساء يلعبن فيها بالساجات والرجال يضربون بالناى مدة السفر و يغنون و يصفقون وكلما رست السفينة على شاطئ يجددون حفلة راقصة . وقد وصف (ابيليه) الروائى الرومانى المولود فى القرن الثانى للميلاد حفلة عيد من أعياد المعبودة (اسيس) فقال «كان النساء فى ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء و يضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلوح على وجوههن علامات البهجة والسرور و يفرشن الطرق التى يمر منها المحفل المقدس بأنواع الورد والرياحين و ينشدن نغمات لذيذة و يضربن بالناى و يليهن كوكبة من أعاظم المصريين لابسين الملابس

البيضاء القيمة و يترنمون بالأناشيد المقدسة ثم يأتى بعدهم جماعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لابسين حللا باهرة من الكتان الأبيض وكان النساء يضعن على رؤسهن المعطرة المنسوجات الشفافة وكانت رؤس الرجال محلوقة و يضربون على الأعواد التى يتخذونها من النحاس والفضة والذهب بتوقيعات مطربة منعشة ، وكانت الأمة كلها تشترك فى عيد العجل (أبيس) لإحياء مراسمه وتعظيما له واجلالا لمقامه . ومن عجيب ما اتفق أن (كمبيز) ملك العجم رجع منهزما من حربه مع احدى الممالك فدخل مصر فى عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور العجل (أبيس) وهم لابسون افخر الحلل وقائمون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كمبيز قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم ير من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن انهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمحافل أقاموها فرحا بخذلانه وتشفيا فى انهزامه فى الحرب فاستحضر رؤساء مدينة (منفيس) وسألهم لماذا يقيم المصريون الآن معالم الأفراح والزينات عند ما فقدت جنودى فى ساحة القتال ورجعت بالفشل ولم أر ذلك منهم يوم دخلت (منفيس) أوّل مرة منتصرا فأجابوه ان هذا اليوم صادف ظهور العجل (أبيس) معبودهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يصدقهم وأصر على اعتقاده أن ذلك شماتة به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع النكال والعذاب

قال (دى كاهوذاك) فى كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه ﴿ الرقص القديم والحديث ﴾ ما نصه

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان أمرا جوهريا فى الدين وقد تفننوا فيه حتى اخترعوا رقصا خاصا لعيد معبودهم العجل (أبيس) وذلك انهم كانوا اذا مات العجل أخذوا يبحثون عن عجل غيره مستوف للشروط والتعليمات الخاصة له حتى اذا وجدوه فرح به الكهنة وخصصوا لخدمته جمهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه فى قارب و يذهبون به الى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجماهير عظيمة من طبقات الشعب و يستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلفات الأنغام و بدائع الألحان ثم يختمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهشة . وكان اذا مات (العجل) أبيس هذا ألقاه الكهنة فى النيل ثم أخرجوه منه وحنطوه ودفنوه بكل الاجلال والاكرام ورقصوا الرقص الجنازى على شواطئ النيل وفى المقابر والطرق وعم الأسف والحزن الشعب أجمعه ومتى ظهر لهم عجل آخر تبدلت الأتراح أفراحا وانقلبت المآتم مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا فى حفلات الرقص حتى اتخذوها شعارا لجنائزهم فقد عثر فى آثارهم على رسم راقصات لابسات ثيابا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث أخريرثين الميت . ويوجد فى مقابر (طيبه) منظر جميل يمثل حفلة مأتم الأمير (حور محب) وفيها امرأتان تقدمان للميت أوانى معدنية مملوءة زهورا وعطرا وثلاث نسوة أخر يرقصن و يضربن آلات موسيقية

و يوجد أيضا رسم لرمنيو يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينما الرجال بأيديهم عصى من الخيزران يضربونها فى الهواء جهة اليمين واليسار ليطردوا الأرواح النجسة فى زعمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا فى الحروب ونقله الأثيو بيون وقد وصفه (لوسيان) فقال ﴿ كان الأثيو بيون اذا أرادوا الحرب يرقصون أوّلا فى ميدان القتال ولا يصوّبون رماحهم الى الأعداء قبل أن يرقصوا و يظهروا حركات حماسية يهددون بها الأعداء . ثم ازدادوا توسعا فى الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العائلى الذى أخذه عنهم جميع الشعوب القديمة والحديثة ﴾ وقال ديودور الصقلى ﴿ انه لما ذهب اسوريس الى اثيو بيا كان يصحبه تسع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الغناء والرقص وهن اللاتى نشرن هناك هذه الفنون الجميلة

﴿ صفة الرقص ﴾

قال (بارون) فى كتاب الرقص ﴿ إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العائلى . ولاحظ أخيرا روسيلينى سنة ١٨٣٤ أن حركات الراقصات المصريات فى الزمن القديم أكثر شبها بحركات الرقص فى عصره

وكان الرقص عندهم على ﴿ نوعين * النوع الأول ﴾ يكون بحركات القدمين والذراعين ﴿ والنوع الثانى ﴾ بحركات كل أعضاء الجسم * قال لوسيان ﴿ إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه فى السرعة انحدار الماء وتماوج لهيب النار فى الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود (١) وترنح الغصون فهو أبدع ما يكون ﴾

ويوجد بالمتحف المصرى تحت نمرة ٣٣٣ بالدور الأسفل حجرا كشف فى أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حفلة راقصة وفى أسفله ترى امرأتين تصفقان وأمامهما الراقصات يتمايلن على ايقاع التصفيق وفى أعلاه ترى رجلا يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرين ينفخان فى اليراع المثقب (الناى) و بجانبهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجنته ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسنوا الايقاع ويرشدوا الموقعين كما هى العادة المتبعة اليوم . وكانت الموسيقى تتبع دائما الرقص وأهم آلات الطرب عندهم الطبلة والقثارة والربابة والعود والصنج والناى والأجرسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج بغرفة من الدور الأعلى بالمتحف المصرى

وكانت أثواب الراقصات تصل الى أقدامهن مع اتساع الأبدان وهى من الشفاف الذى تظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها . قال (لافاج) فى كتابه الذى وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه ﴿ الرقص القديم والحديث ﴾ « ان الرقص عند قدماء المصريين كان على ﴿ نوعين * النوع الأول ﴾ مجرد حركات بسيطة ﴿ والنوع الثانى ﴾ تمارين رياضية يتمايل الجسم فيها الى كل جانب بينما تخطو القدمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين وتحريكهما يمنة و يسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وتفننوا فيه فى كل زمان ومكان

قد رأينا فى قبر (تى) رسما يمثل امرأة ترقص على الطراز الحديث وتخذها الأيمن معتمد على أطراف قدميها وذراعاها فوق رأسها وكانت حفلات الرقص تجعل عادة ختاما للولائم والأفراح والرسوم الموجودة فى المتحف المصرى ومقابر (سقارة) و (بنى حسن) و (طيبه) تبرهن على أن الرقص قديم جدا وانه باق على حالته لم يتغير منه شئ منذ (٥٠٠٠) سنة وانه كان معتبرا عندهم علما وفنا له قواعد أساسية لاتتغير ولاتزال معالمه محفوظة الى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما نقلت لك هذا أيها الذكى لتنظر فى أمر هذه النجوم وكيف هام بجمالها النوع الانسانى كله وكيف هام الناس بربهم وتشوقوا اليه بما رأوا فى مصنوعاته من الجمال . ولاتظن أن أمم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السماع فى الإحياء للغزالى وكيف أباح السماع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقرأها هناك وانظر فى كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال أيضا إن الصوت اللطيف بشروط خاصة موصل الى الله عزّ وجل . وأنا لست الآن فى مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال ولكنى أريد بذلك أن الأمم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت فى الجمال المنظور والجمال المسموع فالمنظور من الجمال والمسموع من النغمات كلاهما به هياج النفوس الى معالى الامور . وتجد الامام الغزالى فى الاحياء يفصل المغانى عند القوم و يبين مايوصل الى الحكمة وما يكون قاطعا للنفوس عن الوصول . فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب فى الموازين ونحوها وفى لهوهم وفرحهم وما تمهم . وهكذا الأمم جميعها قديمها وحديثها تلعب (النرد) وما النرد إلا مثال للنظام السماوى فالحجران اللذان يرميهما اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عدد الجهات الست وفى كل وجهين متقابلين (٧) نقط فان كان فى أحدهما (١) كان مقابله (٦) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الحجران يمثلان عالم الأفلاك الدائر فى مداره والنقط السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التى تأتى بالسعد والنحس فى عرفهم ومايصيب اللاعب من خير وشرّ كالذى يصيب الحى من خير وشر بسبب استعمال ما تأتى به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحى واللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولا عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

(١) الفهد من السباع وهو ضيق الخلق شديد الغضب ذو وثبات غريبة

استثمارماجاء له و بضدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مغرمابالكواكب فرحا بها متيما للعالم العلوى . ومن عجب انى رأيت اليوم رأيا للعالم المخترع الكبير الأمريكى المسمى (اديسون) فى أصل الحياة يقول انها أتت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا فنرجع بهذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مغرمين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النحس ولكن اديسون لايعين ذلك العالم الذى أتت منه الحياة وانما يقول هوعالم غير العالم الأرضى مستدلا بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الحيوية فى البذر والبيض والحيوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤنها وهى وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيضة الدجاجة واستعدادها و بيضة المرأة وتعطى كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوى على ملايين الذرات التى أعطيت قوة التعقل والتفكر والتدبر والعمل وهى طوائف كطوائف الناس فكل له عمل وهذا هو السبب فى اننا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان . ويقول أيضا هولمحدثه كما جاء فى جرائدنا المصرية يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨ انه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فهاهوذا أخذ يندمل ومن أين هذا الاندمال ؟ انما تصنعه تلك الخلايا اللاتى تعد بالملايين فى أصبعى وهى تعقل ماتفعل ومنها المدبرات أمرا والعاملات والصانعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى ـ ان كل نفس لما عليها حافظ ـ و بقوله ـ فالمدبرات أمرا ـ و بقوله تعالى ـ بأيدى سفرة * كرام بررة ـ و بقوله تعالى ـ ومامنا إلا له مقام معلوم ـ و بقوله تعالى ـ وان عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ماتفعلون ـ وهكذا من آيات أخرى . ويقول (اديسون) المخترع المشهور المذكور أيضا ﴿ ان هذه الخلايا المتحدة ماهى إلا ممالك متحدة منظمة فمادام العمل بينها قائما على السداد بقيت واذا حصل اضطراب غادرتها تلك الحياة التى جاءت لها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى ـ وفى السماء رزقكم وماتوعدون ـ

وبما قاله لمحدثه أيضا ان أباه أخذ منه نقودا وسافر الى أوروبا وشاهد ما أراد من البلاد ورجع مسرورا وكانت سنه فوق الثمانين ولما بلغت سنه فوق (٩٣) سنة قال يابنىّ انى اريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله فى هذه الأرض قدتمّ فلامعنى لبقائى وأنامتوجه الى أختك لأموت عندها فحاولت منعه فلم أقدرفتوجه لها وهوصحيح الجسم قوىّ متين ومات بعد ثلاثة أيام . قال وانما مات لأنه أحسّ بأن تلك الخلايا فى الجسم رأت انه لاملاءمة بينها فسئمت البقاء على الاجتماع فأنذرته بلاحرف ولاصوت ففارق الحياة . أقول ومما قرأته فى كتاب ﴿ الأسفار ﴾ للشيرازى أن سبب الموت الطبيعى أن الروح لاتزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقدم السنّ حتى لايقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة حبها للعالم العلوى فتنطلق منه وهذا الرأى أيضا خاص بصاحبه كما ان رأى (اديسن) المذكور (مخترع الفنوغراف وغيره) خاص به ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ

وانت خبير ايها الذكي انه لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب الفرض لاغير ونحن نعتبره كذلك . ومن عجب ان يكون هذا الفرض هوالذى ألقاه بطريق اليقين عنده وفى نظره الشيخ الدباغ الذى نقلت عنه كثيرا فى (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو و يقول الشيخ الخوّاص ﴿ ان الجمادات جميعها تعقل ﴾ وهذا الفرض الذى فرضه (أديسن) والقول الذى قاله الشيخ الخوّاص والدباغ ذكرته هنا ترويحا لاتعليما ودعا الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا ربهم بالتفكر فيها وخلطوها بجدّهم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونحسهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة فى الأرض الى تلك العوالم

هذا والقرآن لم يدع فرصة تمرّ إلا ذكرالسموات والأرض وأمر بالتفكر فيهما وهذا معناه أن المسلم عليه ان يكون أحرص على جمال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خيرأمة أخرجت للناس وهل خير الأمم يجهلون

فاعلم

ماعلمه من هم أقل منهم من جمال الله وكماله . أما أنا فأقول سيكون بعدنا أمم اسلامية يكونون ارقى من الأمم السابقة واللاحقة وهذا التفسير بحمد الله من مقدمات تلك النهضة العجيبة والحمد لله رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ بهجة السموات ﴾

(كيف تعرف صور النجوم السماوية)

اعلم أن علم الفلك قد خطا فيه الأولون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دار العلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ماتلقينا نقلته من كتاب المرحوم استاذنا حسن حسني بك فلأذكر مافيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذي عرف بعد ذلك أكثر مما يدلك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى ان الأجرام السماوية التي عرفت للآن أبعدها يصل نوره لنا في مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشري . وقد عدّوا نجوم المجرّة (٢٠) مليونا وهي الآن تعدّ بمئات الملايين فهاك مافي الكتاب المذكور

﴿ وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة ﴾

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفتهم الطرق التي بها تعيين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطلعها المستقيم وميلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من نقطة مّا مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالي مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هي دائرة المعدل ثم ترسم جملة دوائر أخرى موازية لها وتكون هي الموازيات التي ترسمها النجوم تبعا للحركة اليومية ثم ترسم جملة دوائر عظيمة تدل على دوائر الميل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جملة نقط تعين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية المبينة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية ـ لأجل مساعدة الذاكرة في دراسة النجوم قسموها من القدم الى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهي صور كائنات حية وغير حية تصوّروا رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لمسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فان لها وضعا مثلثيا يشابه نوعا للجزء العظمي من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والاكليل والحية والتنين . ولبيان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (ا) و(ب) و (ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث انه بالمرور من صورة الى أخرى تكون هذه الحروف مبينة لنجوم تختلف عن بعضها في الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدّ (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ في الشمال و١٥ في الجنوب و١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل في المنطقة التي يظهر أن الشمس تقطعها في سيرها السنوي ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٦١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و (٣٥٠) للصور المنطقية . والاثنتا عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس في مدة سنة وأسماؤها هي (حمل ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبلة . ميزان . عقرب . قوس أورامي . جدى . دلو . حوت) وهي مجموعة في قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى * نزح الدلو بركة الحيتان

والاحدى والعشرون صورة الشمالية هى (الدب الأصغر أو بنات نعش الصغرى . الدب الأكبر أو بنات نعش الكبرى . التنين أو الثعبان . الملتهب . العوا . الاكليل الشمالى . هركول أو الجاثى على ركبتيه . النسر الواقع أو السلحفاة . الدجاجة . ذات الكرسى . برشاوش . ماسك العنان . الحواء . الحية . السهم النسر الطائر . الدلفين . الفرس الأعظم ، الفرس الأصغر . المرأة المسلسلة . المثلث الشمالى أو الدلتا)

والخمس عشرة صورة الجنوبية هى (قيطس . الجبار . نهر الأردن . الأرنب . الكلب الأصغر . الكلب الأكبر . السفينة . الشجاع . الكاس او الباطية . الغراب . المحراب أو المجمرة . سنطورس . الذئب . الاكليل الجنوبى . الحوت الجنوبى)

(٢٨) والنجوم التى تتكوّن منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأضوأها تسمى من القدر الأوّل ثم مايليها فى الضوء يسمى من القدر الثانى وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التى هى آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتبارى لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هى أوّل نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين فى هذا الاعتبار ، ولكنّ المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشمالى على ٩ نجوم من القدر الأوّل و ٣٤ من القدر الثانى و ٩٦ من الثالث و ٢١٤ من الرابع و ٥٥٠ من الخامس و ١٤٣٩ من السادس . والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبى فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأوّل و ٦٨ من الثانى و ١٩٢ من الثالث و ٤٢٨ من الرابع و ١١٠٠ من الخامس و ٢٨٧٨ من السادس . وأشهر الخرط لاتعطى اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأوّل وهى مرتبة على حسب ضوئها

أسماء	أسماء	أسماء
(١) الشعرى اليمانية	(٨) الشعرى الشامية	(١٥) الطائر
(٢) سهيل اليمن	(٩) كتف الجبار	(١٦) السماك الأعزل (نير السنبلة)
(٣) (ا) من سنطورس	(١٠) آخر النهر	(١٧) فم الحوت
(٤) السماك الرامح	(١١) الدبران	(١٨) ب من الدجاجة
(٥) رجل الجبار	(١٢) ب من سنتورس	(١٩) رأس التوأم المؤخر
(٦) العيوق	(١٣) (ا) من الدجاجة	(٢٠) قلب الأسد
(٧) الواقع	(١٤) قلب العقرب	

(٢٩) عدد النجوم المنظورة ـ يظهر أن عدد النجوم التى ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتدّ على القبة السماوية بين القطب الشمالى و من ٣٦ من الميل الجنوبى وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ١٠ السطح الكلى للكرة وبهذه النسبة يكون للعشرين الأخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التى ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة . وبعض الراصدين ذوى البصر الحادّ أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى ان العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو أزيد من ذلك . واذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠) نجمة تقريبا فى جميع السماء من ابتداء القدر الأوّل لغاية القدر الخامس عشر

(٣٠) وصف السماء ـ اسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هى مقارنة السماء بالخرط السماوية المنشأة على

حسب

حسب القواعد . واذا لم توجد خطوط وأريد ذلك فبمساعدة بعض نقط تعتبر مبدأ يمكن ايجاد المجموعات النجمية الأصلية وفى قطرنا (مصر) نجعل المبدأ صورة الدّب الأكبر

الدب الأكبر (شكل ٤١) ـ اذا وجه الانسان نظره جهة الشمال فانه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوى على سبع نجوم أصلية وجيعها من القدر الثانى ماعدا النجمة (د) فهى من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ر) تكون ذنب الدّب الأكبر (انظر شكل ٤١)



(شكل ٤١ ـ الدب الأكبر)

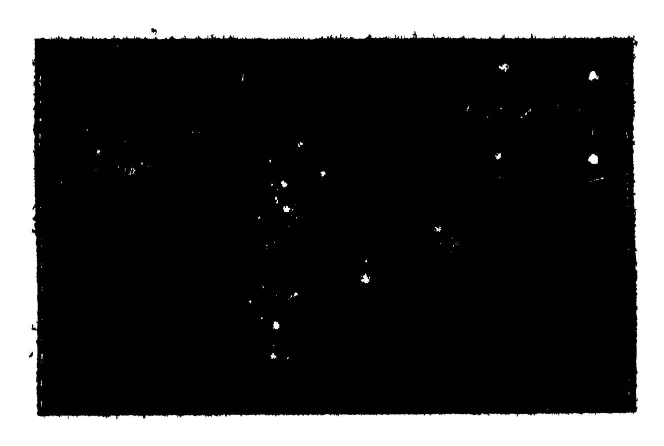
(النجمة القطبية) ـ اذا مدّ الخط (ب ا) من جهة (ا) ببعد يساوى (ا ر) فانه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الثانى أو الثالث وهى النجمة القطبية التى تستعمل فى ايجاد جيع الصور المهمة المنظورة فى سماء مصر وهذه النجمة لاتبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف و بواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأربع نقط الأصلية فانه بالنظر اليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هى ثالث نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بعكسها وتسمى الدب الأصغر

(ذات الكرسى) ـ اذا وصل بين نقطة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمستقيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسى وهى تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هى فى مقابلة الدّب الأكبر دائما بالنسبة للنجمة القطبية

(الفرس الأعظم) ـ المرآة المسلسلة ـ (شكل ٤٢) ـ اذا مد الخط الذى عين النجمة القطبية من جهتها فانه يقابل صورة الفرس الأعظم و باضافة النجمة (ا) من المرآة المسلسلة اليه يتكوّن مايسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأوّل فاذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرآة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرآة المسلسلة اللتان تأخذان فى الاقتراب من النجمة القطبية

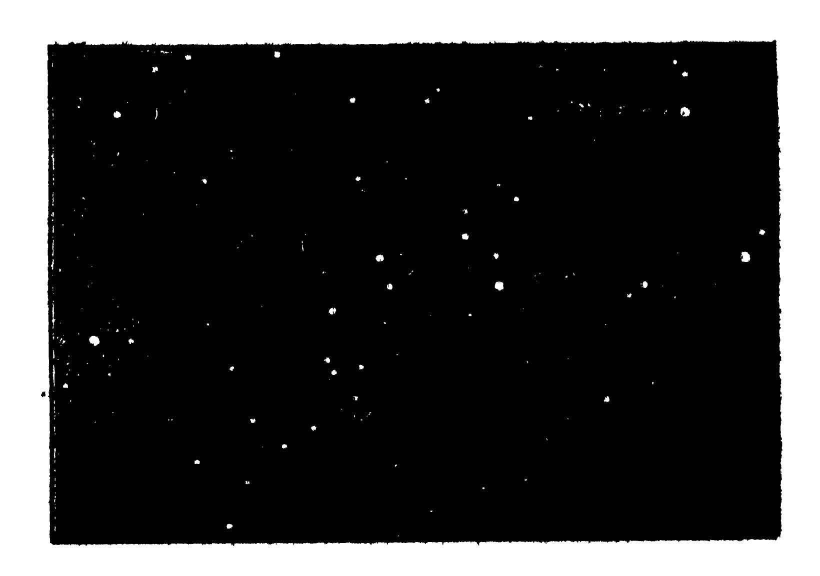
(برشاوش) ـ اذا مد الخط (ب ج) من المرآة المسلسلة يمرّ بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (ب ج) من المرآة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا انه ذو امتداد أعظم منه

(الغول) ـ النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضا على امتداد الخط (ا ج) من مستطيل الدّب الأكبر واذا مدّ هذا الاتجاه الأخير قليلا من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى الغول وهى نجمة شهيرة جدا يتغير ضوؤها تغيرا عظيما ، والغول هى أضوأ نجمة من رأس الغول موضوعة فى يد برشاوش (انظر شكل ٤٢ فى الصفحة التالية)



(شكل ٤٢)

(السنبلة) ـ (السماك الأعزل) ـ (شكل ٤٣) نحو الجهة المقابلة لنصف الكرة وتقريبا على امتداد قطر مستطيل الدب الأكبر توجد صورة السنبلة وتحتوى على نجمة من القدر الأول تسمى السماك الأعزل (انظر شكل ٤٣)

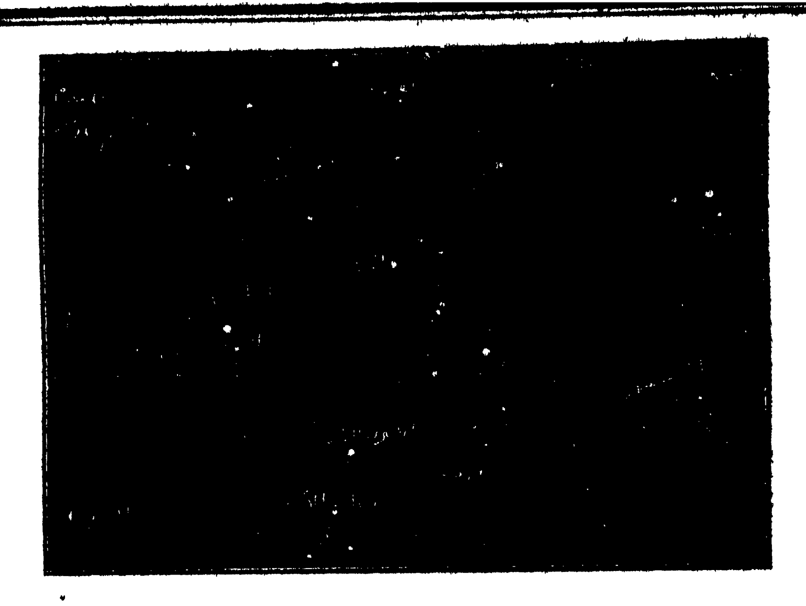


(شكل ٤٣)

(الأسد) ـ (قلب الأسد) ـ اذا مدّ الخط (ا ب) من الدب الأكبر فى الجهة المضادة للنجمة القطبية فانه يمر بصورة الأسد ، والنجمة (ا) من هذه الصورة هى من القدر الأول وتسمى قلب الأسد

(الجوزاء) ـ رأس التوام المقدم ورأس التوأم المؤخر (شكل ٤٤) ، القطر الثانى (ب د) من مستطيل الدب الأكبر ممتدا من جهة (ب) يقابل جلة نجوم شهيرة منها (ا) و (ب) أو رأس التوام المقدم ورأس التوأم المؤخر من صورة الجوزاء (انظر شكل ٤٤ فى الصفحة التالية)

شكل



(شكل ٤٤)

(الكلب الأصغر) ـ (الشعرى الشامية) ـ النجمة (ا) وهى الشعرى الشامية من الكلب الأصغر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوام المقدم من جهة هذه الأخيرة واذا مدّ الخط (د ب) من جهة الشعرى الشامية فانه يقابل النجمة (ا) أوالشعرى اليمانية من الكلب الأعظم وهى أضوأ نجوم السماء

(ذوالعنان) ـ (العيوق) ـ (شكل ٤٤) اذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (ا) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأوّل وهى (ا) من ذى العنان أوالعيوق

(الثور) ـ (الدبران) ـ (شكل ٤٥) اذا مد الاتجاه (د ا) من الدب الأكبر من جهة ذى العنان فانه يمر بصورة الثور و يمرّ بالقرب من الدبران أوعين الثور وهى نجمة من القدر الأوّل وفى صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظرشكل ٤٥)

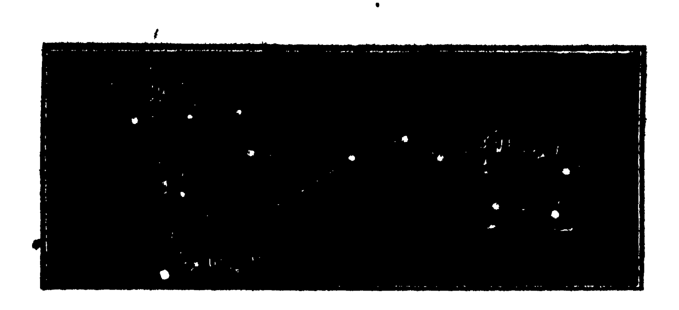


(شكل ٤٥)

(الجبار) ـ (الكلب الأعظم) ـ (الشعرى اليمانية) اذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعيوق من جهة العيوق فانه يقابل الجبار وهو أجل صورة فى السماء (شكل ٤٤) ويحتوى على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفى مركزه توجد الثلاث الأخر التى هى أقل ضوء من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون مايسمى منطقة الجبار أوالعصا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأوّل (ا) أوكتف الجبار و (ب) أورجل واذا مد خط العصا يقابل الشعرى اليمانية من الكلب الأعظم التى علمت بتخطيط آخر

(العواء) ـ (السماك الرامح) ـ (شكل ٤٦) ـ اذا مد ذنب الدب الأكبر فانه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الأوّل منسوبة الى صورة العواء هى السماك الرامح وهى أضوأ نجوم السماء بعد الشعرى اليمانية (انظر

شكل ٤٦)



(شكل ٤٦)

(النسر الواقع) ـ (الواقع) ـ الخط الواصل بين السماك الأعزل من السنبلة والسماك الرامح من العواء يمرّ بصورة النسر الواقع بالقرب من نجمة من القدر الأوّل هى (ا) من النسرالواقع وتسمى الواقع

(الدجاجة) ـ بجانب النسرالواقع توجد صورة الدجاجة المركبة من خمس نجوم مكوّنة صليبا والنجمة (ا) من هذه الصورة من القدرالأوّل

(الاعتدال الربيعى) ـ على امتداد المستقيم المارّ بنقطة (د) من الدب الأكبر و(ا) من الدّب الأصغر و (ا) من المرأة المسلسلة توجدنقطة الاعتدال الربيعى على دائرة المعدل . والدبران وقلب العقرب وقلب الأسد وفم الحوت من الحوت الشمالى تقسم السماء الى أربعة أجزاء متساوية وهذه النجوم الأربع الملقبة بالنجوم الملوكية كانت هى أربع حراس سماء النجم بنحو (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد وكان الدبران فى الاعتدال الربيعى هوحارس الشرق ، وقلب العقرب فى الاعتدال الخريفى وهوحارس الغرب ، وقلب الأسد قريب من المنقلب الصيفى وفم الحوت على بعد صغير من المنقلب الشتوى ولكن هذه النقط تغيرت اليوم . انتهى

هذا هوالذى كنا قرأناه منذ نحوأربعين سنة وكان هذا نهاية العلم فى ذلك العصر ، فلأذكرلك هناأيها الذكى غاية ماوصل اليه علم الفلك فى زماننا هذا حتى اذا فارقنا هذه الدنيا كان مجمل ماعند الناس فى زماننا من علم الفلك حاصلا أمام المسلمين كى يجدوا باعثا من نفوسهم وداعيا من عقولهم يدعوهم الى مشاركة الأمم فى بحثها والمسارعة الى تحصيل علومها ثم الزيادة بما يؤتيهم الله من فضله لأن كتابنا يأمرنابالبحث والنظر ولأن المحروم من هذه المباحث وأمثالها محروم من السعادة ومن الحكمة ومن النعيم السرمدى الذى يحسّ به المفكرون العالمون فى هذا العالم قبل انصرام آجالهم وفوات أعمارهم فهم مع الناس فى أهوال هذه الحياة وقلوبهم فى نفس تلك الحال فى جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمفكرين فى الدنيا والآخرة والناس حولهم يجهلون وهم بما فى نفوسهم فرحون . هذا وإن مدة الأربعين سنة التى مرت بين أيام تعلمنا و بين تأليف هذا التفسير اليوم قد خطا فيها العلم بالفلك خطوات تعدّ بالقرون بل بآلاف السنين فكيف اذا مرّت أربعون أخرى ؟ كيف يكون علم الفلك إذ ذاك ؟ وكيف يكون المسلمون وكيف تكون حالهم ؟ أيكونون عالة على الأمم ؟ أم يكون فيهم حكماء وعلماء بكل علم ومنها الفلك وتكون المراصدفى نفس بلادهم . سيقرأ هذا من بعدنا وسيقرؤه أناس بعد مرورأربعين سنة وسيقولون ليطرب المؤلف وليفرح فى برزخه فهانحن أولاء قد علمنا أكثر مما علمت الأمم حولنا وهانحن أولاء شاركنا الأمم فى علومها وضربنا فى علومها بسهم وأخذنا قسطا من الحكمة والعلم ولم نعد مغرورين كأولئك الذين كانوا عن العلم معرضين وبالحكمة جاهلين والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٤ ينايرسنة ١٩٢٩

وهاك ماجاء فى ﴿ مجلة المقتطف ﴾ فى شهريوليو سنة ١٩٢٨

ما

﴿ ما وراء المجرة ﴾

(العوالم الجزرية وعظمة الكون . أحدث المباحث الفلكية)

علم الفلك أوعلم الهيئة من أسمى العلوم وأعلقها بالنفس ، واذا أريد التدقيق فيه فهومن أعوص العلوم لأنه مبنى على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهوكذلك أول علم استقرى الانسان شيأ من قواعده وأدق علم وصلت اليه معارف البشر وأسمى علم يتفرغ له كبار العلماء ، وفيما يلى نبذة من أحدث المباحث الفلكية فى موضوع يفتن كل لب وهوسعة هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثا أن فى الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التى منها نظامنا الشمسى سعة وعظمة حتى اذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجوهرالفرد بلغ حجم الكون الذى يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، و بلغ حجم الكون كله على مايقضى به مذهب (اينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها فى الفضاء ، فما أصغرأرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقرأمورنا ومنازعاتنا إزاء القوى التى تديره وتحركه

أدرك القدماء أن فى القبة الفلكية أجراما غيرالشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم فى ليال صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التى ندعوها بالسدم الآن . وقد أشار اليها أبوالحسن الصوفى أكبر علماء الفلك عند العرب فقال انه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (لطخة سحابية) وأشاراليه والى غيره مما يماثله بكلمة اللطخة أوالسحابى ، على أن هذه الأجرام بقيت أسرارا مغلقة على الفهم البشرى حتى كشف التلسكوب فأزاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غليليو) تلسكوبه الكاسر وجهه الى أنحاء المجرة التى تظهر فيها السدم أواللطخ السحابية فثبت له انها فى الحقيقة مجاميع من النجوم تظهرقريبة بعضها من بعض لبعدها فتتعذر رؤيتها نجما نجما . وفى آخرالقرن السابع عشر استنبط (السر اسحق نيوتن) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانه ، فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها فى البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذى فى كوكبة السلاقيين يظهرلدى رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة فى شكل حلزونى ومن ثم صارالبحث عن السدم الجديدة والانقطاع لدرس أشكالها و بنائها من أكبرأعمال الفلكيين شأنا وأعلقها بألبابهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القدرمنها حتى أخذوا يتكهنون فى حقيقتها وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى . هل هى مجاميع من النجوم تظهر لطخا سحابية لبعدها وانها اذا نظراليها بتلسكوب قوى حللها الى أجزائها ؟ أم هى غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هى غاز ملتهب منتشرفى الفضاء ؟

فى الجواب عن هذه الأسئلة أثبت (السر وليم هجنس) ان من السدم ماهو مجموع نجوم ترى نجوما لبعدها الشاسع ، ومنها ماهو فى الحقيقة لطخ سحابية من الغاز الملتهب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الحر درجة أخذ يبعث عندها بمقاديرالقوة التى يتميزبها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبارالكبير وغيره من السدم المنتشرة فى الفضاء ، فاذا بلغت الغازات التى تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الحر أطلقت تلك الأشعة التى لاتشعها الجواهر إلا حين انحلالها ، وقد أثبت علماء الحل الطيفى أن فى هذه السدم عناصرالهدروجين والهليوم وأحيانا النتروجين والكربون وأن فيها عنصرا لم يجدوا له مثيلا فى عناصرالأرض فأطلقوا عليه اسم (نبوليوم) أى السديمى . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تحملها على ارسال أشعتها الى الفضاء فبعضها مضىء بالنورالمنعكس عنه الصادرمن الكواكب المجاورة له فى الفضاء ، و بعضها بارد يمتص نورالكواكب الذى يصل اليه فتراه لطخا مظلمة فى صدرالكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم فى جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية (كيس الفحم) وقد وقف الاستاذ (برلو) الأميركى حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر (١٨٠) سديما منها تتباين من اللطخ الصغيرة الواضحة الحدود الى الغيوم السديمية التى تشاهد قرب كوكبة الحوّاء ، فالأجرام السماوية التى تعرف بالسدم تقسم الى ﴿ قسمين ٭ أوّلها ﴾ غيوم من الغاز الملتهب ﴿ والثانى ﴾ السدم اللولبية وما اليها وهى فى الغالب مجاميع من النجوم تظهر لطخا لبعدها . وكان الرأى أوّلا أن هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا من كل الجهات ولكن لما أتقنت آلات الرصد والتصوير والحلّ الطيفى ثبت للعلماء انها لاتقاس بنظامنا الشمسى لسعتها بل كل منها كون مستقل كالمجرة التى تحيط بنا ، وثبت أيضا أن فى الفضاء ألوفا من السدم اللولبية كل منها سعته سعة مجرّتنا ، ولايعقل أن تكون ضمنها لذلك قيل ان كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرّتنا وأطلق عليها علماء الفلك من الأميركيين اسم (الأكوان الجزرية) ولما كانت لفظة (كون) تطلق عادة على كل ما أبدعه مبدع السموات والأرض فاستعمالها فى الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منطوقها الأصلى ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج فجاريناهم فى ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى ﴿ قسمين ﴾ أيضا ﴿ الأوّل ﴾ السدم التى داخل مجرّتنا ﴿ والثانى ﴾ السدم التى خارجها

لايخفى أن مجرّتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهى تشتمل على كل الكواكب التى ترى بالعين المجرّدة وألوف من الكواكب التى ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لاترى إلا بالآلة الفوتغرافية فانها لبعدها لاتترك أثرا فى اللوح الفوتغرافى الحساس إلا بعد مايتعرّض لنورها الضئيل القادم من أطراف الفضاء ساعات متوالية . والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدسى الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وسمكه (٢٠) ألف سنة نورية وأن نظامنا الشمسى فى وسطها تقريبا وفى هذا القرص نحو ٣٠ ألف مليون نجمة منتشرة فى فضائه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لايبعد أحدها عن الآخر بعدا واحدا فان بعضها يرى مجتمعا كتلا كتلا فى أنحاء مختلفة وهذه لبعدها تظهر كاللطخ السحابية كما ترى فى كوكبتى الرامى وهرقل ، وفى المجرة أيضا سدم غازية بعضها منير وبعضها مظلم على مامرّ

نعود الآن الى السدم التى خارج المجرة وهى تلك الغيوم الغازية المنتشرة فى الفضاء خارج المجرة كانتشار الجزائر فى بحر مترامى الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدرس هذه السدم هو الاستاذ (هبل) من علماء مرصد (جبل ولسن) الاميركى فقد أشار له فى رسالة حديثة له نشرها فى ﴿ مجلة الاستروفزكس ﴾ (علم الفلك الطبيعى) الى نتيجة بحثه فى أربعمائة سديم منها فقال ان منها سدما غير منتظمة الشكل أى ليس لها شكل قياسى خاص وأشهرها مايعرف بغيوم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبى ويحسبها رائيها جزأ من درب التبان ولكنها فى الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التى لها شكل خاص أكثر من السدم غير المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجى الشكل أو لولبيه ، ونور السدم الاهليلجية الذى حلل بالسبكترسكوب يثبت انها تماثل مجرّتنا الى حدّ بعيد مما لايترك مجالا للشك فى انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه النجوم واحدة واحدة لبعدها الشاسع ، والمحتمل أن نجومها فى طور التكوّن من الغاز الحامى الى حدّ الاضاءة وأن الغاز الذى لايدخل فى تكوينها يغشاها كبرقع الحسناء ، وبعض السدم فى دور الانتقال من الشكل الاهليلجى الى الشكل اللولبى والبعض الآخر لولبىّ لاغشّ فيه تظهر فيه الأذرع الملتوفة التى تظهر عادة فى السدم اللولبية كما ترى فى الصفحة المقابلة فى سديم السلاق . وقد قيست أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم الكبير فى كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولبى الذى فى كوكبة المثلث يبعد البعد نفسه تقريبا ، ويظنّ أن ألوفا من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا أضعاف ذلك ، وقد وجد الاستاذان (هبل) و (شبلى) أن فى جهة كوكبتى شعر برنيكى والسنبلة سدما لايقل بعدها عن مائة مليون من سنى النور

وقد

وقد استعمل السبكترسكوب لمعرفة سرعة حركة هـذه السدم فى الفضاء فظهرأن سديم المرأة المسلسلة سائرنحو مجرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومترفى الثانية ، ولـكن أكثرالسدم اللولبية تبتعد عنا بسرعة (٦٠٠) كيلومترا فى الساعة . والطرق التى ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هـذه السدم يتعذر بسطها هنا لصعوبتها ولـكن يؤخـذ من تطبيقها أن جرم السديم فى كوكبة المرأة المسلسلة يساوى جرم شمسنا ألنى مليون ضعف وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع ان أرضنا تدورعلى نفسها مرة كل ٢٤ ساعة . مهما أمعنا ببصرنا وآلاتنا فى الفضاء فاننا لانؤمل أن نصل الى نهايته لا فى الزمان ولافى المكان وهذه الملايين التى تشع فى الفضاء تدهش العقل وتحير اللبّ ، على اننا نشعر بطمأنينة حين ننظر الى ماكشفه العلماء عنها فنقول مع بسكال ﴿ اننا صـغار ، بل من أصغر الـكائنات وأضعفها ولـكننا نعرف اننا صغار وفى ذلك سرّ عظمتنا ﴾ انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ تذكرة ﴾

قداطلع بعض العلماء على الصور السماوية الست المتقدّمة وهى الدّب الأكبر والدب الأصغر وذات الـكرسى وأمثالها فقال انك قدكتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . فقلت نعم . فقال إذن أنت تـكتب لنفسك وكأنك نسيت انك تـكتب فى تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . فقلت كيف ذلك . فقال انى لم أفهم حرفا واحدا من هـذه المقالة المنقولة وخير لك أن تسيرعلى طريقتك فتـكتب بهيئة تلخيص ، فبهذا وحده يفهم أكثرالناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . فقلت له اننى قد لاحظت فى هذا انه مسائل علمية والعلوم لابد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سـهل جدا . فقال وكيف ذلك . قلت له ألم تطلع فى (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهـل فهمته . قال نعم وهوجيل . قلت فهمنا كـذلك ، فهذه الصور الست التى رأيتها ما هى إلا أماكن من السماء فيها صورالنجوم قد رسمت ليطلع عليهاالناس ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ يقف الانسان ليلا فى الخلاء وفى الصحارى القفارأوالحقول فيرى نفس هذه الصور بعينها بل هى أسهل من القارات الأرضية المتقدّمة فى (سورة النور) لأن القارة لايراها الانسان كلها مرة واحدة بعينه فى الطبيعة بخلاف هذه الصور فانك تراها جيلة واضحة . فقال زدنى زدنى . فقلت أنا ولدت فى بلادالشرقية من البلاد المصرية وعشت فى أوّل حياتى مع الفلاحين وكنت أسمعهم يقولون يافلان انظر (وتد النجم) أى النجمة القطبية . ان وتد النجم لايتحرك والنجوم كلها تتحرّك حوله وكنت أسمعهم يقولون (بنات نعش) يريدون بذلك الدّب الأكبر المرسوم فى الصورالست المتقدّمة يريدون بذلك أن النجوم المرموزلها بحرف (ا ب ج د) هى هيئة النعش والنجوم المرموز لها بحروف (هـ و ر) هى هيئة بناته يبكين وراء النعش ، فالمجموعة المسماة بنات نعش هى نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هى الدب والثلاث التى سميناها بنات هى ذنبه ، فتأمّل الشكل وقل لى هـل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولـكنى لا أعرفه فى نفس الطبيعة . فقلت قف ليـلا فى العراء كما قلت لك فى ليلة حالـكة السواد وارفع بصرك الى الجهة الشماليـة وتأمّل فانك تجد الدب الأكبرالمرسوم هنا أمامك فى السماء مرتفعا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سماوية . فقال ومامعنى هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التى بينه و بين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب الشمالى والقطب الجنوبى يجعلونها (١٨٠) جزأكل جزء درجـة ، ومن الأفق الى كبد السماء فى سمت الرأس (٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة فى (٣٠) درجة أى ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن ثم ماذا فقلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لايغيب أبدا فهو يدوركل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة القطب التى تراها عندك فى الدّب الأصغر أى الذى هو بعكس الدب الأكبرفى نفس الصورة المتقدمة . قال أنا الآن فهمت وسأنظرها الليـلة فى السماء ، ثم جاء فى اليوم الثانى وقال لقد نظرت فى السماء فوقع نظرى على

هذه الصورة فهمتها حالا بدون تعب بل وجدت الفلاحين يقولون لى هذا وتد النجم وأشاروا اليه اذا هو نفس النجمة القطبية التى فى الدب الأصغر ورأيت الدب الأكبر يدور حولها وهى لاتتحرك . فقلت هذا هو السبب الذى جعلنى أرسم هذه النجوم هنا ، ذلك لعلمى أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاحين وأهل القرى ، ومتى كان القطب معروفا سهلت معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسى تبعد عن النجمة القطبية بمسافة تساوى المسافة التى بين النجمة القطبية و بين الدب الأكبر . قال بلى وربى وأنا شاهدتها فى السماء كذلك فكما أن الدب الأكبر على شمال نجمة القطب هكذا ذات الكرسى على يمينه فى هذا الوضع والمسافة متساوية والناظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولامعلم ثم قال أما أنا الآن فقد فهمت هذه الثلاثة فى نفسى وفى التفسير وفى نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء فى عصرنا يقولون ان هذه النجمة القطبية تبعد عنا (٥٠) ألف سنة نورية وذلك ايام تعلمنا فلاادرى اهذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف فى عصرنا ام لا ؟ فالنظر فى هذه الصور نظر فى عظمة الله عزّوجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه اذا كان القرآن لايفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لانعرف عجائبها إلا بعد معرفة مواقعها وأسمائها . فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية فى السماء . قال نعم عرفتها . فقلت الأمر فى البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقى ، ألاترى أن الشكل الذى بعد الشكل الأول من الأشكال الست وهو (شكل ٤٢) قد عرفنا فيه الفرس الأعظم وهو أربع نجوم كهيئة الأربعة التى فى الدب الأكبر ووراءها ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التى فى الدب الأكبر ، إذن هذه السبع كالدب الأكبر وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذى امتدّ من الدب الأكبر الى ذات الكرسى زدناه مدا فوصل الى الفرس الأعظم والذى معه هو المرأة المسلسلة و برشاوش ، فههنا تبينت لنا صور الدب الأكبر والأصغر والنجمة القطبية وذات الكرسى والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة ونجمة الغول . فهذه صور عرفناها الآن واضحة فى نفس السماء وفى (شكل ٤١ و٤٢) أفلا يكفيك هذا الايضاح ؟ قال كفانى ولكن لايفهمه غيرى إلا اذا نظر نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصبر ، وهل السماء ليس لها حراس ، إن الله متكبر ومتعال وهو الذى جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يعقله إلا الذى تأهل له ، هذه سعادة وملك عظيم وهل الملك العظيم يعطى مجانا والله يقول ـ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ـ فالاعراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عزّوجل رحيم بخلقه ولكنه حكيم والحكيم لايعطى إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حق فهمه . فقلت الحمد لله رب العالمين

ثم جاء صاحبى بعدها بأيام فقال لقد شغلتنى هذه الصور وقد فقهتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة المشروحات فى الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهارا وأطبقه ليلا ومتى عرفت ذلك هان علىّ معرفة البقية . فقلت احفظ هذه الحروف الأربعة من مربع الدب الاكبر الذى أمامك قال حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدئ بالقطر (د ب) من جهة (ب) وسر فى خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت

د	ج
.	.
ا	ب

والجوزاء واضحة فى الرسم أمامك فانظرها ففيها نجوم واضحة رسمت شكلا وهى (٦) منها رأس التوأم المقدّم ورأس التوأم المؤخر . قال نعم . قلت ثم مد الخط (ا ب) من جهة (ب) أى من جهة تقابل جهة القطب وسر فى السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهى امامك فى الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما يشبه المثلث ومايشبه خطا مستقيا أسفله منحنيا أعلاه و بينهما خط وهمى . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت فلم يبق إلا أن تتوهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أى من الجهة المقابلة لنصف الكرة تقريبا فانك تقابل السنبلة فانظرها هنا فى الشكل ثم انظرها ليلا فى السماء ففيها مستطيل من أعلاها بقرب الأسد وتحته

مثلث

مثلث بجانبيه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجمات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثنى عشر برجا قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وبامتداد الخط (ا ب) وبامتداد القطر (ا ج) وهي كلها أمامك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور السماوية وهي الدب الأكبر والدب الأصغر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة وبرشاوش والغول والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضا فنكون عرفنا (١٣) صورة . واذا لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يتقدمان الجوزاء ظهر لنا اننا عرفنا مواضع الحمل والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولاشك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (٦) بروج اهـ

﴿ بهجة العلم ﴾

سيأتي ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ـ عجائب تدهش العقول فوق ماذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرون نجوما تبعد عنا (١٠٠) ألف مليون سنة ، ويقولون انهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دلهم على أن هناك شموسا أضواؤها لاحرارة فيها بخلاف شمسنا ونارنا لحرارتها متحدة بضوئها كما ان قوانا الغضبية متحدة بأنوار عقولنا تشغلها عن كمال صفاتها كما ان الحرارة المصاحبة لأضواء الكواكب لولاها لكانت أضواء تلك الكواكب أضعافا مضاعفة ، وقالوا أيضا ان هناك شموسا لو وضع منها مقدار حجم الحمصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوته وأحرقته . فهذه العجائب المدهشة في زماننا سيرتقي بها أناس ويسعدون بادراكها ويعجبون والعجب أول منازل المعرفة والحمد لله رب العالمين

﴿ ايضاح مسألة النور والحرارة ﴾

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى للموت قاب قوسين مني اذا أنا دنوت منه فغرقت فالماء موت وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من الذرات الحيوية القاتلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو في أضواء من الكواكب السماوية والنيران الأرضية وهو لايكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ، نوقد الفحم فنحس بحرارة ولكن لانرى الضوء إلا بعد اشتدادها ، ونرى ضوء الشمس يأتي الينا مصحوبا بحرارة فلاندري أهما أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفترقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم واعجب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يعرج بالانسان الى عالم أرقى من عالمنا وذلك العروج لا يكون إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرقى من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جمعت بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء ولا الهواء ولا الحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعها مجهزة للأمرين معدة للحالين ولكن العقل بنوره يهدينا الله للخروج من مأزق هذه العوالم المنحطة الى عالم يكون أرقى منها فيه الدوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على عالم أمريكي أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » وأبان أن السلك المعدني اذا أحمي بالكهرباء في المصباح الكهربائي حتى أضاء فان الضوء لايبلغ فوق (٤) في المائة من القوة الكهربائية التي يبذلها الناس في هذا المصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهربائية فانه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور أي (نور بارد) فان النور إذ ذاك يكون أرقى من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكتفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبارة ٢٠ من المقتطف ولعلها ٢٤)

هذا مايقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول و بينما هذا العالم يقول ذلك اذا بعلماء الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعيّ ان مافكرت فيه قد فعله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشموس الباردة فضوؤها لاحرارة معه وخلق الشموس الجهنمية ﴾ اللهم ان العلم أرقى مافى هـذا الوجود والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة فى قوله تعالى أيضا ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ـ ﴾

(عجائب التقويم)

اعلم أن الله كرر ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر فى القرآن لأمر عظيم جدا . إن الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يعجن بما يرفعه الى العلا فانه لايفارق الطين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلولا الحرارة ماسارسحاب ولا ارتفع بخارمن البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجاريات بالسحاب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلولا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، و بالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولولا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها فالحياة والهداية فى المعاش كسير السفن فى البحار والقطرات فى اليابسة . كل ذلك مبنى على سيرالكواكب فى السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذى به تمام النظام . أليس هذا عجيبا ؟ نعيش فى الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . ولقد شاهدنا هذه العوالم المنبثة فوق الأرض منتظمة ولم نر اليد التى نظمت ، أحسسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظم التى شاهدناهافى الحيوان والنبات . فاذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظمات نفوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التى صوّرت تلك الصور الملازمة للنموّ سماوية وهذا قوله تعالى ـ وفى السماء رزقكم وماتوعدون ـ

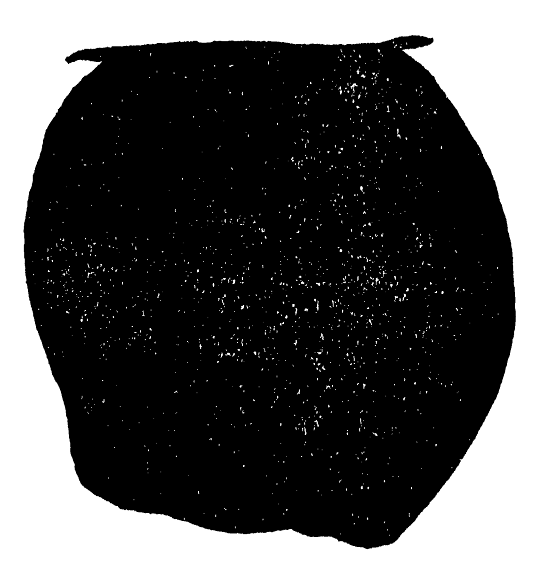
يا الله ، أنت حكمت علينا بالحبس فى هذه الأرض مدة فنحن هنا يارب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعد بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن فى الأرض سجنتنا وحكمت علينا أن لا ننال مطعمنا وملبسنا إلا بالعمل داخل سجننا ولكنك أرسلت لنا ضوأ من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفا عليها . تقلبنا فى الأرض لطلب المعاش وهـذا الطلب لاتمام له ولا نظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فللمشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سخرت منا جماعة يحسبون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فالأفراد يهتدون فى الطرقات بالأضواء والأمم تعين جماعة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فنولى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون لنا ان هناك عالما آخر نتوجه اليه اذا متنا وماهذا العالم إلا ماهوفوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوّقنا الى عوالم الجنات فى السموات ، واذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن معجونون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحمة مباشرة فهناك يكون مالاعين رأت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية فى (سورة الكهف) وآخر (آل عمران) وأزيد على ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جلّ اعتمادهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (يوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكى المصرى (سوسيجنس) .فوضع تقويما قدّر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم

وجعل

وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما إلا فبراير فانه (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ فى السنة الرابعة وسارت أوروبا و بلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقتها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هـذا التقويم الغربيون ، أما القبط فى مصر الذين يتبعون الكنيسة الشرقية فانهم لايزالون يجعلون عيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا الخطأ فأصلحوه . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يعتمدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



(شكل ٤٧ ـ تقويم أمريكى وجد فى مكسيكا)

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جمال الله الذى ظهر فى هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ماتقدم فى (سورة يونس) من صور البروج المرسومة فى (دندره) والأخرى المرسومة على صندوق (حتر) ذلك (أولا) لأروى ظمئ للعلم وظمأك لأنى كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة فى هذه العلوم (وثانيا) لتعلم معى عناية الله بالأمم واتصالهم جميعا الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفعوا وجوهكم الى السماء فاقرؤها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ وفى السماء رزقكم وماتوعدون ـ (وثالثا) ليكون هذا التفسير معرضا علميا تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيشوق الناس للعلم والحكمة أوكسوق الصور الذى يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العلمية فيه فيرقى عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أوأراد شكورا ـ فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالمشكور عليه فأول الشكر العلم بنعمة المشكور وقد علمت معى أيها الذكى كيف قوّم الله السنين وعلمها لأهل الأرض قاطبة وشوّقهم الى الرقى الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثانى من السورة

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا *

بعد ماذكر الله عزّ وجل حسن صنعه وجمال ابداعه بالماء المبارك النازل من السماء وايداعه فى البحر الملح والنهر الحلو ، وكيف يكونان متجاورين ولايطغى أحدهما على الآخر ، وكيف تكوّن منه الماء والنبات والانسان والحيوان وكان منه البنات والبنون ، وكيف أبدع فى نظام كواكبه وشمسه وقمره ، وكيف نظم طرقها وأبدع منازلها ، بعد ماذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل القرب من مبدع هذه العجائب ليبين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية والثانية مقدّمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدّم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، انهم فى النهار يتصفون بوصفين وهما

(١) انهم يمشون بسكينة ووقار على الأرض

(٢) ويغضون عن السفهاء فلايقابلونهم بقبيح الكلام ويتاركونهم ، وهم فى الليل يحيونه بالعبادة ساجدين قائمين فى الصلاة

(٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم

(٤) ويكونون كرماء لامقترين ولامسرفين

(٥) ويوحدون الله

(٦) ولايقتلون النفس إلا بالحق

(٧) ولايزنون

(٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومحاضر الخطائين تنزّها عن مخالطة الأشرار

(٩) واذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به اى اذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه

(١٠) واذا وعظوا بالقرآن أوذكروا بعجائب الله كانوا مقبلين عليها وخروا سجدا وبكيا لانهم يكونون صما وعميانا لاعراضهم

(١١) وهم يدعون الله أن يريهم زوجاتهم وأبناءهم مطيعين لله ليكونوا معهم فى الجنة
(١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين فى الدين أئمة يقتدى المتقون بنا فى الخير
فهؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثنتى عشرة (١) يجزون الغرفات وهى العلالى فى الجنة بسبب صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتعمير وهى التحية (٣) ويدعى لهم بالسلامة ، فالتحية للبقاء والسلام للسلامة (٤) ويخلدون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرفات عالية وتعمير وأمان ودوام والبشارة بذلك من الملائكة .
ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الانسان ولا يعبأ به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة إلا بالمعرفة والعبادة والأخلاق والا فلا فارق بينه وبين الحيوان ، واذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم وقصرتم فى العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازما وقد تم ذلك بخذلان كفار مكة فى يوم بدر وفى غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

﴿ ايضاح لبعض الكلمات ﴾

قوله (هونا) هينين أو مشيا هينا وهو مصدر وصف به أى انهم يمشون فى سكينة وتواضع (قالوا سلاما) أى تسليما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شرا أو قالوا سلاما من القول يسلمون فيه من الايذاء والإثم (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) لأن العبادة بالليل أجمع للفكر وأبعد من الرياء أى يبيتون فى الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم ، وقوله (إن عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته فهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم فى العبادة وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم (انها ساءت مستقرا ومقاما) أى بئست وفاعلها ضمير مبهم يفسره المميز (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قواما) وسطا وعدلا (حرم الله) أى حرم قتلها (يلق أثاما) أى جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من يلق (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحو سابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم وهكذا يبدل ملكة المعصية بملكة الطاعة (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب عن المعاصى بالترك والندم ودخل فى الطاعة فانه يرجع الى الله متابا مرضيا عند الله ممحو العقاب محصلا للثواب أو مرجعا حسنا وقوله (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو) أى ما يجب أن يلغى ويطرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخروا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير داعين لها ولا متبصرين بما فيها (الغرفة) أعلى موضع الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع أى الغرفات (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) أى تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم ، أو يلقون تبقية دائمة وسلامة من كل آفة (ما يعبؤا بكم ربى) ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أو لا يعتد بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

﴿ جوهرة فى جمال القرآن فى قوله تعالى — والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا — ﴾

الحمد لله على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جمال النور والفهم ، سبحانك اللهم أعنت على هذا التفسير وأحسنت بالالهام والتيسير وجعلت أسلوبه سهلا يتناول أكثره المتوسطون وبعضه لا يعقله إلا العالمون بجملته شارحا لآياتك مسهلا لفهم كتابك مذكرا لأنعمك ناظما جواهرها فى عقده فذكر به اللهم قلوبا واشرح به صدورا ويسر به أمورا واستخرج به رجالا يعقلون آياتك . اللهم انك أنت فسرت هذه الآية فى نفس القرآن وذكرت بمعانيها فى حكمك البهجات . أنت قلت — ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون — وعطفت على ذلك ذكر خلق الأزواج لتسكن اليها الخ وخلق السموات والأرض واختلاف

الألسن والألوان ومنامنا بالليل والنهار وابتغاءنا الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمات بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك فى (سورة الروم) وأنت الذى جعلت الليـل والنهار آيتين فى (سورة الاسراء) والقائل أيضا ــ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ـ الخ وقد أوضحت سبحانك فى سورة البقرة هذا لجملت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن فى البحر والتجارة والنبات والمطر وخلق النبات والحيوان وهكذا فى آخر (آل عمران)

فيالله انك لم تدع فى كتابك أسلوبا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العلوية والسفلية ولم تقصر ذلك على انها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليـل والنهار والتين والزيتون والطور والخيل فكأنما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت ــ فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون ــ ولاجرم أن ماتبصر ومالا تبصر يشمل كل علم وكل صناعة . هـذه هى آياتك التى ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير ايضاحا لها وشارحا لها ومبينا . وانى يا الله أكتب هذا وأمضى الى عالم أردته لى بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدى المسلمين حجة على من قرأه فهو مسؤل بين يديك مسؤل عن نشر كل مايعلم من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان . اللهم إن ذلك كله آياتك التى أقسمت بها اعظاما لها واجلالا حتى اذا قرأناها عرفنا انها هى التى شرفها الله بالقسم فهى آيات وهى ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها . اللهم إن المسلمين فى القرون الأخيرة قد عموا وصموا عن آياتك واذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامنفعة فيه (انظر ماجاء فى سورة الأنعام عنـد قوله تعالى ــ تجعلونه قراطيس تبـدونها وتخفون كثيرا ــ) لتعلم ماذا حلّ بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل الفاضح وانتكاس العقول ومخالفة المعقول والمنقول . فالحمد لله قد ظهر فى هذا التفسير أن ما كان يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القربى الى الله وهو السعادة فى الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقدّمات النظر لوجه الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذى زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذى به النظر لجمال وجهه وهو النافع فى الدنيا والآخرة . اللهـم انى قد أدّيت ما علىّ للمسلمين . اللهم أخرجهـم من ظلمة الجهالة واجعـل هـذا التفسير سببا فى اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعية وسنية وزيدية وامامية وشافعية وحنفية وحنبلية . اللهم يامقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسـلامية فرأت العلوم التى أمرت بها فى كتابك كفرا لانفع فيها فخروا صما وعميانا اذا سمعوها فاشرح الصـدور لفهمها وأزل الغشاوة عن الأعين والحجاب عن القلوب وارفع الوقر عن الآذان وأنر البصائر . اللهم إن المسلمين متقاطعون متباعدون لحصر عقولهم فى الفقه وفى الجدل المسمى علم التوحيد . اللهم إن سرّ دينك هى نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس بالعلوم التى ترى فى السموات وفى الأرض فاجعـل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان . انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

﴿ فصوص الحكم فى هذه الآيات ﴾

ما أجمل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهجه والنظر فى هذه الآيات وتأملها . هذه الآيات كأنها ملخص السورة كلها والسورة سميت فرقانا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر فى آيات الله تعالى فى السموات والأرض فى قوله ــ لم يخرّوا عليها صما وعميانا ــ

فى الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخالق كالسكينة فى المشى وحسن المخاطبة مع الجاهلين وقيام الليـل والدعاء والاقتصاد والتبرّى من الشرك ومن الزنا واللغو والكذب . هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعدّ

لفيض

لفيض العلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف سكون النفس وتوجهها لله . فسرعة المشى تهوش على العقل وتذهب الهيبة وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل فى النفس اطمئنانا وسكونا والدعاء وقيام الليل تذكير بالله تعالى . ههنا (ثمان خصال) ترجع لسكون النفس وهدوئها فلا اضطراب فى الحركات ولا الخطاب ولا الانفاق وهكذا . وخصلتان ترجعان للتذكير بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات العشر للفتح والعلم والعرفان . إن النفس لا يتم لها توجه فى الصلاة والدعاء اذا تقسمت الامور عليها . فأما اذا اطمأنت اعتقادا وعملا بالخصال الثمانية فانها يصدق توجهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجان للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعوّد التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الخصال المذكورة . فلأجل العلم خلقنا و به سعادتنا فى دنيانا و يوم القيامة بل هو اللذة القصوى التى تتضاءل دونها الجنات الحسية بحورها وقصورها وولدانها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة مابعدها وهو أن لا يكون الانسان أعمى أصم عن آيات الله أى أن يفكر فى هذا الوجود ﴿ و بعبارة أصرح ﴾ أن يكون حكيما عالما أومحبا أومتعلما أى أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واستماعا أوكمالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العلوم والحكمة وارتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك ﴿خصلتان﴾ بعدها وهما أن هذا العبد يجدّ فى اكمل أهل منزله من زوجة وولد اكمال المتقين فيكون قدوة لأهله ولأمته أى يكون نورا للناس وفارقا بين الحق والباطل الذى هو معنى الفرقان . إذن هذه السورة لتخريج قوّاد يكونون أنوارا مشرقة للناس يمنعونهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا عجب عجاب . ذلك ان الناس عادة يقرؤن هذه الآيات ويمرّون على الخصلة السادسة وهى عدم الاشراك بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهى انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا فيخيل للقارىء أنهما يرجعان لمعنى واحد وهذا يكون كالمكرر ولكن هذا التكرار فيه سرّ قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحدثان بل ان سرّ هذا المقام قد ظهر فى انحطاط أكثر أمم الاسلام واستبان أيما تبيان . ولما وصلت الى هذا المقام حضر العلامة الذى اعتاد أن يحاورنى فى الامور العلمية فى هذا التفسير واطلع على هذا الموضوع فقال مالى أراك تكثر ذكر السرّ فى القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . ياعجبا لك أين السرهنا . ﴿ جملتان ﴾ جاءتا فى هذه الآيات جملة تفيد عدم الاشراك بالله وجملة تفيد عدم الغفلة عن آياته عند التذكير بها و بينهما فرق فى المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشراك بالله الذى لايتم إلا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدّم النتيجة على المقدمة . هنا نظر فى آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأوّلهما فلم قدم عليه ؟ فقال إذن ماتقول فى الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى فى أكثر الأحوال وأعمها اكتفوا من دين الاسلام بأمثال الخصال العشر المتقدمة على قوله ـ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم ـ ومنها عدم الاشراك بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد يتسلى بذلك ويقول كفى كفى . فاذا ضمّ الى الايمان الأخلاق الفاضلة كالسكينة والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يعدّ صالحا . هذا هو الذى سار عليه المسلمون فى أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يردّدون كلمتى الايمان والصلاح وفرحوا بما عندهم من العلم ـ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ـ . فقال وما الذى به يستهزؤن . قلت هى الخصلة الحادية عشرة وهى ـ اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا ـ . فقال والله إن هذا لعجب أنا لم أسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وانما ذلك فى الكفار . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجملة ملغاة لاعمل لها . قال فأين الصمم والعمى عن آيات الله . قلت جل فى أقطار الاسلام وخاطب كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تقولون فى علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والانسان

والتشريح وجميع العلوم الكونية فانك لاتسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايات و يسكتون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لايقرؤن هذه العجائب ولا يشوّقون الناس لربهم ولا يفرحونهم به وليس من المعقول أن يحب الانسان صانعا و يعرف حكمته إلا بفهم صنعته . قال إنك تقول هذا القول فى قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شئ . قلت له أكثر أهل الدين لايزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريح والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا بغضا فى آيات الله ولكن أعراضا عن الآيات لذاتها ظنا منهم انها لاتفيد قربا لله إما لأنها كفر واما لأنها لافائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قبلهم . فهذه الجملة جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا فى هذا الزمان وقد ظهر أثرها فى هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكى نظر أهل زمانك الى أن هذه الجملة مذكرة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والتوحيد لا يكفيان لرقى المؤمن وسعادة أمته

تقدّم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثر خيره وتزايد على كل شئ وتعالى عنه فى الصفات وانه له ملك السموات والأرض وانه خلق كل شئ وقدّره تقديرا بحساب متقن منظم . ولاجرم أن كل شئ أعم من السموات والأرض والعالم المخلوق هو الخير الكثير الذى يفيده معنى ـ تبارك ـ ثم انه أعاد هذه الجملة هنا قبيل هذه الآيات فقال ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ـ والبروج هى الاثناعشر المعلومة أوهى نفس الكواكب العظام وهى بعض ماخلق الله وقدّره تقديرا . ولما شرح بعض خلق الله الذى من خيره الكثير أردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذى نعيش فيه الذى ذكر فى قوله تعالى ـ الذى جعل فى السماء بروجا ـ الخ فانظر كيف أعاد الجملة التى فى أوّل السورة هنا ليعقبها بصفات المؤمن الذى يفهم هذا الخير الكثير الذى تضمنه ـ تبارك الذى نزّل الفرقان ـ . فملخص السورة اخراج علماء فى الاسلام يقرؤن نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لذرّياتهم وزوجاتهم وأمّتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعدم الاعراض عنها ماتيسر لنا فهم هذه المعانى . إن هذه المعانى استخرجت من تأخير وتقديم وكأن هذا كهرباء ومغناطيس بهما أشرق النور و بهر الفرقان . فالله يذكر فى أوّل السورة ملكه وخلقه وتقديره للعوالم كلها ثم يعيد ذلك بهيئة جيلة فى ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل فى آيات الله التى اذا أعرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن فى أكثر بلاد الاسلام . فياطوبى لمن ذكر بآيات ربه . و ياطوبى لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إنى أحمدك . هاأناذا قد ذكرت بآياتك بارشادك والهامك مع انى أقرّ وأعترف بالضعف والعجز حقا وصدقا . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألهم الأمم الاسلامية ان ينسجوا على منواله ولايخروا عن الآيات صما وعميانا

فقال صاحبى هذا حسن ولكن يظهر لى أن المقام مقام تصيد للمعانى بحيث تأخذ مايلائم وتذر الذى لايلائم قصدك ويكون هناك ترجيح بلامرجح وهذا معيب يجعل القارئ فى حيرة ويتشكك فى قولك و يقول إن القرآن لم تقصد منه هذه المعانى ولوانها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا تقصد ؟ قال ان قوله تعالى ـ تبارك الذى ـ قد ذكر ﴿ ثلاث مرات ﴾ فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة فقوله تعالى خطابا لنبيه ﷺ ـ تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و يجعل لك قصورا ـ وهى واقعة فى غضون السورة بين الآيتين فهل لهذه حكمة . قلت نعم وأىّ حكمة أجلّ منها . فقال وماهى . قلت ان النظر للسموات والأرض الذى جاء ذكره فى المقامين الأوّل والثالث هو هوعينه المذكور فى الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهوعينه الذى فى قوله تعالى ـ ويجعل لك قصورا ـ

الاترى رعاك الله أن الجنة على ﴿ قسمين ﴾ جنة حسية وجنة معنوية وهى العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقدمتان للنظرالى وجه الله فانكشاف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكماء فى الدنيا والآخرة . واذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصديقين فهل تظن أن رسول الله ﷺ فى الآخرة يقنعه الحور والولدان و يستغنى عن النظرلوجه الله الذى لا يكون إلا بعد تمام العلم والحكمة كما لايجالس الملوك والأمراء إلا أهل الحجا والعقول . فاذا كان الله وعده بجنات تجرى من تحتها الأنهار ووعده بقصور فليس معنى ذلك أنه قاصر على ذلك بل هو رمز الى انكشاف الحقائق ومعرفة العلوم . ومن عكف فى قصره على المحسوسات فهوقاصر جهول (اقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ـ الخ) فستجد هناك العبارة المنقولة من كلام السلف الصالح ﴿ أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلاترى سيد الرسل فى أعلى جنة العلماء ﴾ فرجعت هذه الآية الى أختيها وظهرأن الدنيا لايرقى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لايسعدون فيها إلا بالعلم وأن قوله ـ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا ـ هى نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الخصلة التى بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قطبا تدور عليه رحى الأمة وبه يقتدون وعليه يعوّلون

﴿ بلاغة القرآن ﴾

فانظرالى أمر التقديم والتأخير فى جملتين كيف أثارا موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية ويبين عيوبها ومخازيها ويفضح سرّ تأخرها وينيرالسبل لتقدمها وارتقائها . إن هذا المقام هو الذى ألف له الامام الغزالى كتاب الإحياء فقد قال فيه ﴿ إن هذا الكتاب قد صنفته لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام ﴾ و بين ذلك بأنه ايضاح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العامة فى السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الاحياء . كل ذلك أثاره فى هذا المقام تقديم وتأخير . بمثل هذا تعرف بلاغة القرآن لاالبلاغة اللفظية التى يفرح بها صغار العلماء ويقولون نحن نقرأ المفتاح للسكاكى وكتاب سعدالدين التفتازانى وكتاب عبدالقاهر الجرجانى وغيرها لنعرف بلاغة القرآن فنقول لهم وهل عند هذا تقفون أوتنكصون على الأعقاب . إن الذى تبحثون عنه انما هو أن القرآن معجز ونتيجة ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقدمنا أن خصلة الايمان وحدها لاترقى المسلم بل رقيه انما يكون بمعرفة هذه الكائنات فلم يخرج البلغاء فى أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبدوى القح فى البادية وعن أنهم اذا وقفوا على ذلك قد دخلوا فى حوز الموحدين المذكورين فى الخصلة السادسة فى هذه الآيات وهم عن آيات ربهم خروا صما وعميانا ، اللهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعترى العمى والصمم كثيرا من أهل العلم فى أقطار الاسلام جهالة وغرورا وقد آن انقشاع هذه الغشاوة والحمد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أوّل يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ ياقوتة فى معنى قوله تعالى فى هذه الآيات ـ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا ـ الخ ﴾

بعد أن كتبت ماتقدم أردت أن أبين بعض انواع التذكير التى ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تكملة للجوهرة السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهاك هذا القرآن يدرس صباحا ومساء وصيفا وشتاء ليلا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤه قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعى وانما هى ذكرى الأمم السالفة وذكرى آيات الله فى السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما ان نظيرها فى العدد أيضا تقريبا جاء فى اصلاح الأخلاق

(٢) وهاك العبادات كما تقدم فى (سورة البقرة) فى تفسير آية الكرسى فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها العباد والصالحون بذورا بذروها للمسلمين ليربوهم تربية يكونون بها صالحين فهؤلاء تراهم اختاروا

الآيات الدالة على أفعال الله العجيبة كآية الكرسى ونحو — الم ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم — الخ ونحو — شهد الله أنه لا إله إلا هو — الخ وأول سورة الحديد وهكذا . فهذه الآيات هى روضات الجنات تمتع الصالحون بألفاظها فمست قلوبهم فذكروا ربهم وهى مسعدة للمفكرين والحكماء والصدّيقين ليدرسوا نظام ربهم ويمتعوا بكواكبه وبشجره وبحاره وبنظمه العجيبة التى ذكرنا منها فى هذه السورة أى سورة الفرقان التى نحن بصدد الكلام عليها

(١) نظام الظلال

(٢) ونظام الليل والنهار ، فالأوّل لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثانى ينشر الناس فيه لطلب المعاش

(٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور

(٤) ونظام سقى الناس والأنعام وحياة كل حىّ فوق الأرض

(٥) ونظام البحرين العذب والملح

(٦) ونظام الكواكب والبروج وعجائبهما

(٧) ونظام الشمس

(٨) ونظام القمر ، وأن كلا من الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجامع ما ذكر الله به فى هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن وختم ذلك بقوله — لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا — فهذه العجائب جميعها وأمثالها تكون ذكرى للذاكرين وشكرا للشاكرين

فانظر كيف يقول — اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا — بعد أن ذكر هذه الآيات فى نفس السورة وجعلها ذكرى وشكرا للفريقين المذكورين فاذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التى اختارها العباد وبالآيات التى فى هذه السورة فان الاعراض عن التفكر فى معناها ودراسة علومها لكل قادر من المسلمين يعتبر كفرا بالنعمة وكأن الانسان أصم أعمى . لقد تكرر الذكر والتذكير فى القرآن . ناهيك ماترى فى سورة — اقتربت الساعة وانشق القمر — فهناك — ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر — وقد كرّرها مرارا بعد كل حادثة وقصة ، هكذا فى آيات كثيرة كقوله — وذكرهم بأيام الله — الخ وقوله — إنّ فى ذلك لآيات لقوم يذكرون — وقوله — تبصرة وذكرى لكل عبد منيب — وقوله — أفلم يدبروا القول الخ — وآيات كثيرة . هذا هو التذكير القولى . أما التذكير الفعلى فهو ما أحاط بالأمم الاسلامية اليوم من القوى القاتلة والأمم القوية الظالمة وفتكهم بهم فهذا تذكير للنوع الانسانى فعلىّ . فاذا نام المسلمون عن هذا التذكير بنوعيه فلا يلومون إلا أنفسهم والعقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبناه فى هذا التفسير ثم ترك النشر والتعليم . انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

﴿ تذكرة ﴾

قد يستعين الناظر للصور السماوية السابقة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم المعلومة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليمات المتقدّمة . انتهى

(تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثانى عشر من كتاب « الجواهر » فى تفسير القرآن الكريم ويليه الجزء الثالث عشر ﴿ وأوّله تفسير سورة الشعراء)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٤	٢	ياباحة	بإباحة
١٤	٢٠	المنزوّجين	المتزوّجين
١٥	٣	متقاربان	متقاربان فلذلك عدّا فى الاجال وجها واحدا
٢٣	٢٥	والنظر	وانظر
٣٣	٣٢	الوافية	الواقية
٤٠	١٨	صورتهما	صورتها
٤٣	١٤	طهر	ظهر
٦٩	٤	معدنىّ	معدنيا
٧٣	٦	والحيوان	الحيوان
٧٥	٣٢	الثلاثة	الثلاث
٩٢	١٣	أن يزول	أن تزول
٩٢	٢٢	يونس	هود
٩٤	٣٠	محرقة	محرفة
٩٧	٩	كتبوه	كتبوه هم
٩٧	١٢	يترقون	يرقون
١١٠	١٨	أقرءه	أقرأ
١٢٢	٢٦	يتظر	ينظر
١٢٣	١٩	وانقدت	واتقدت
١٢٦	٢٧	البرية	البرّ
١٣٤	٥	سنوم	سدوم
١٣٦	٨	لاتكون	لاتعمل
١٤٤	٣٣	ترك	تترك
١٤٥	٤	وأد	واد
١٤٥	٤	واد	واد
١٤٦	١٨	الغابر	العاثر
١٦٩	٤	فتعرفون	فتعرفوا
١٧٣	٩	العثرات	المسرات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٧٥	٣	وقتلوا منهم كثيرا فقتل	وقتل منهم كثير
١٧٥	١٠	فلاح له	فلاح به
١٧٦	٥	يقولون	ويقولون
١٧٦	٢٦	السماء والعالم	السماء وجهنم
١٧٧	٢	المحبة	المحنة
١٧٧	٦	قد جاء	وذكر
١٩٦	١٦	ولبنان	لبنان
٢٠١	٢١	فلاهما	خلاهما
٢٠٥	١٣	فاذا	واذ
٢٠٧	٣	الاودروجين	الكربون
٢٠٧	٢١	والانجيل	والقرآن
٢٠٧	٣٣	رغير	وغير
٢١٠	٣٢	فان عدد (٢٢٠)	فان (٢٨٤)
٢١٠	٣٣	وكذلك (٢٨٤) يساوى مضاريب (٢٢٠)	وكذلك (٢٢٠) يساوى مضاريب (٢٨٤)
٢١٦	٣	من المرجان	
٢٢١	١٢	وأعدّها صور مختلفة وأشكال وأوضاع	وأعدّها صورا مختلفة وأشكالا وأوضاعا
٢٢٥	١٩	أبنذوقليدس	أنبذوقليس
٢٢٧	٨	ألغوها	ألفوها
٢٢٩	١	بل كان عند	بل كان عندهم
٢٣٤	٢٧	وه من ٣٦	٣٦ درجة
٢٤٦	١٥	العباد	العباد (بتشديد الباء)

(تمت)

فهرست

الجزء الثانى عشر

من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

صحيفة

وأبى مغازل وكالدودية مثل البلبل والعندليب وكالمتسلقة وكالجارحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفقرات وهى الزواحف مثل السلاحف وسورل والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفقرات وهى الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و (شكل ٢١) حيوان آسيا و (شكل ٢٢) نبات أمريقا الشمالية و (شكل ٢٣) حيوان امريقا الشمالية و (شكل ٢٤) نبات أمريقا الجنوبية و (شكل ٢٥) حيوان أمريقا الجنوبية

٧٢ شكل نبات وحيوان افريقيا ، و بيان الكلام على أن من الحشرات مالاجناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار أو نصفيه كالبق أوغشائيه كالنحل أوغمديه كخنافس الفول وذوالجناحين كالبرغوث القسم الرابع الحيوانات الرّخوة مثل المحار والصدف

٧٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أوالشعاعية . محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرّسين واعتراضهم على الاطالة فى أمثال هذه الآيات ورسم خرائط القارات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هوالذى قسم الذى يمشى من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المشى على رجلين وأربع وهكذا ففيه فتح باب للتقسيم. ولاجرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم ولاعلم فى الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، واذا كان الله يقول انه هو بثّ الدواب فى الأرض فلابيان لها إلا برسم نفس الدّواب فى كل قارّة ، ولامانع من تصوير تلك الحيوانات وجعلها فى الصور المتحركة

٧٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمين الى العصور الأولى و بيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجمل ونحوها

٧٦ بهجة العلم فى صورهذه الحيوانات وما أعدّ لها من النبات فى هذه القارات وغرائزها وفى عادات الانسان التى جعلته فى سجين . بيان أن احاطة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات معجزة أماطت اللثام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الحيرة إذ يقولون العلم شئ والدين شئ آخر فالسعادة للناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهـذا هو القرآن وتنبأ المؤلف أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم فى المستقبل

٧٧ جهل أكثرهذا النوع الانسانى وغفلته بالتقليد الأعمى وهولايحب التعب والنصب بل يسير على سيرالآباء طلبا لراحة نفسه والحيوان يسيرعلى مقتضى الغريزة والغريزة لاخطأ فيها ولكن الخطأ فى تقليد الانسان وغفلته وقد ذمّه الله على ذلك وسيتبرأ المتبوعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوّج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن آكل لحم الانسان ومن محرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضلّ عن فطرته والحيوان لم يضلّ عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلا مبينا يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . و بيان أن التقليد هوالذى يمنع منكر الدين الاسلامى أن يكتب و يقرأ هـذه الآيات التى توافق كل الأمم لأنها ترجمان الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية و ينزلها الى أسفل سافلين ، وترى الشعراء والفلاسفة فى كل جيل وأى أمة محترمون بخلاف آيات الدين الموافقة للفطرة فهناك من يمنعها وهم رجال الأديان الأخرى حرصا على المكاسب الأرض أشبه براقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوّله

* الأرض ترقص حول الشمس من فرح * الخ

٧٩ اللذات وتقسيمها ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ عليا ووسطى وسفلى (العلم . السلطة . شهوة البهائم)

الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالمسك من حيوان للشم واللبن من حيوان للذوق وهكذا

صحيفة

٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الحر كالآساد والمستعبد كالغنم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثانى اونشط كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذبح البقرة و بالوحى للنحل ، وأيضا قد أسمعت النملة نبيا وهذا شرف لها لم تنله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية فى الانسان حسن كما حفظها الحيوان

٨٢ يحمد المؤلف ربه على نعمة العلم وانه فى كبرسنه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، و يقول المؤلف ان جهله بعلم الصحة فى شبابه قرّبه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بعناية الله الصحة وأن الناس بجهلهم شقوا ومن الجهل العام فى الانسان اذاعة القول فى الجرائد أن الكبراء وعظماء الأمم قد شربوا فى محافلهم العامّة المرطبات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير صحى لم تقدم عليه الأنعام التى هى خير من الانسان فى ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والمخدّرات وكل ذلك مما دخل فى قوله تعالى ــ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ــ

٨٣ نداء الى أمم الاسلام بذكر خطبة الاستاذ (فيشر) الأمريكى الذى يقول ان الجيل (٢١) سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لايدخنون ولايشربون الخمر الخ والناس اليوم يقصرون أعمارهم بأمثال هذا ، و يتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذى ليس مفرطا فى طعامه وشرابه ونحوهما ، و يقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يتباهون بها أمام ملوكهم جهلا . ذكر الدود والجراد والنمل والنحل والحمام والغربان والأساد والفيلة . فالجرادة والذبابة والناموسة لاير بين ذرّيتهنّ والنمل والنحل يعطف الفرد على المجموع والدجاجة والحمامة لاتعرف نظام المجتمع . والغربان لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لايعرفن إلا أنفسهنّ وذرّيتهنّ . والفيلة والذئاب والقرود تعرف نظام المجموع وسيقول أبناؤنا فى المستقبل ان الطفل والهرم كالدود والاقوياء يلدون الذرّية وتكون لهم جماعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغربان والذئاب فى علم الاجتماع والناس الآن فى الشرق والغرب لم يزيدوا عن الغربان . هذه الأمم كلها فعلت فعل الحيوان فأما بعض المسلمين كأبناء العرب فى شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين واليابان وممالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين فى المستقبل ﴿ يجب على كل أمة شرقية يجمعها دين أو وطن أو لغة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأمم كلها فى الشرق أن يتحدوا كما اتحدت الممالك المتحدة ليكونوا أرقى من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقا وغربا . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آبائنا ولكن لانقف عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعنا فى مأزق الحياة مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسعى فى اتحاد الأمم جميعها شرقيها وغربيها لأن الجمعية كلما كانت أكبر كانت منافعها أوفر ﴾ وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبلشفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم تفد وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ماهنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحى الذى أمر بذكر الله أكثر من ذكر الآباء فى الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربى فى الكعبة وهناك يعممون تعليم كل ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانسانى كما تقدم و يشير لذلك حديث الصدقة إذ لايجد المتصدّق من يأخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون معجزة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام فى بلاد (البرازيل) بأمريكا وقول المستر (ولز) ﴿ كل دين لايسير مع المدنية لاينفع والاسلام هو الدين الحق الخ ﴾ فانتشار الاسلام فى الشرق والغرب الآن ومعه أمثال هذا التفسير ربما يساعد على اتحاد أمم الشرق والغرب و يتمّ إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها

الانوار على ﴿ قسمين ﴾ نور ظاهر وهو نور الشموس والاقمار والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس ومافيها من الصور والانسان لجهله يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواه الباطنة لأنه لم يتعب فى

صحيفة

١٢٨ ﴿سورة الفرقان﴾ هى « ثلاث مقاصد * المقصد الأوّل » من أوّل السورة الى قوله ـ بل هم أضلّ سبيلا ـ قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللفظى

١٣٣ تفسير لفظى ـ لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى ـ الى قوله ـ وأصحاب الرّس ـ

١٣٤ تفسير لفظى لقوله تعالى ـ وقرونا بين ذلك كثيرا ـ الى آخر هذا المقصد . وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ تبارك الذى نزّل الفرقان ـ الى قوله ـ نذيرا ـ كلما اختلّ النظام كان الملك أسرع انحلالا ، وكلما كان العدل أتم كان الملك أدوم ، و بيان الهدية التى يقال ان أرسطاطاليس أهداها الى تلميذه الاسكندر وهى دائرة ذات ثمان كلمات وكل منها تصلح مبدأ ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامنة وفى هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لايفتر عن ذكر الحيوان والكواكب فى كل مناسبة ؟ فنحن فى صفات الله فلماذا نتعدّاها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بعقولنا إلا بالموازنة فلما دام ملك الله ولم يهدم كملك بنى آدم عرفنا أن ذلك من التقدير فى قوله تعالى ـ فقدّره تقديرا ـ

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العامّة . بخار يعلو فيكون مطر بتحريك الشمس له أوّلا وللهواء ثانيا وهى تلح على الحب المبذور فينمو و يتبادل الحيوان والنبات التنفس فما يخرجه الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السماد الذى منه ما يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجميع على ضوء الشمس والهواء . هذا نظام عام . فأما الخاص فكعجائب النحل والنمل وقد كتب منه كثير فى هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة الدموية وهكذا بقية الدوائر الثمان المتقدمة فى سورة المؤمنون . فهذه دوائر متعاونات تعدّ بالعشرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التى هى فى سياسة الأمّة وحدها وهذه فى نظام العالم العام فتعجب وافرح بالحكمة . وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتوالية العددية عند قدماء المصريين وذكر الياقوتات الثلاث فى ترتيب الآية . و بيان أن الانسان جنين فى الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن وانتشار الاسلام فى افريقيا وترقيتهم ونشره فى الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التى شرعوا فى تحقيرها الآن بالعلم و بيان أن مسلمى الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأمم كلها أطفال وأن رحمة الله تشمل الأمم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليهتدوا به ، وان التقديم والتأخير حصلا فى قوله ـ نزّل الفرقان ـ وقوله ـ الذى له ملك السموات والأرض ـ فانزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدوث والثانية للدوام . قدّم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضى الحدوث وأخر ذكر ملك السموات والأرض وهذه هى حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبى يرضع لبن أمه ولم يفقهوا بملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودى قبل نزول القرآن وهو دائم فالمتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع وسيمزجون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن الصبا ، و بيان أن مافعله مصطفى كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طفرة) لاتؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابة هذا الموضوع للأمير أمان الله خان الذى قلد مصطفى كمال باشا فى تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك فى الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (غرانيشتاين) الألمانى القائل ﴿ إن

صحيفة

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولوكان المستعمل لها طبيبا ماهرا ﴾ ومثل الدكتور (كيسر) القائل ﴿ إنّ الدواء والطبيب كلاهما شر من المرض فى أغلب الأحوال ﴾ وهنا (٨٠) عالما قرّروا أن الاقتصار على الطبيعة كالهواء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة فعزلها عن الدين أشبه بهذه الأدوية ولافرق بين جسم الأمة وجسم الانسان والطبيب السياسى والطبيب لجسم الانسان ، و بيان أن هـذا التفسير روح بثها الله فى الاسلام لتريح الملوك والمصلحين من العناء وان كانت آثاره يتأخر زمان ظهورها ولـكنها تدوم

١٤٦ و بيان أن ذلك نظير شيخ طريقة كان مجاورا لى فى طولون ، وكان يظهر بعض الـكرامات الصناعية فيهابه المريدون فى الصعيد بمصر وهذه حال لاتفيد لأنها وقتية كالأدوية التى ذمّها الأطباء

﴿ الياقوتة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ــ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ــ . نظرة المؤلف للعنـكبوت اتخذت لها بيوتا وضربت خيامها فى آلاف الأفدنة بجوار (بلدة المرج) قرب القاهرة وانها نساجة غازلة صائدة مفترسة للذباب وهى أشبه بالأمم الصانعة التى تفتك بالأمم الزارعة لأنها أرقى منها وقد عرف هذه الفـكرة السلطان سليم فانه لما فتح مصر أخذ جميع صناعها فبقيت البلد زراعية ليمكن استعبادها ، وهنا بيان ما فى جسم العنـكبوت من المصـنعين مصنع الغزل ومصنع السم لجلب المنفعة ودفع المضرّة ، ومثلها فى ذلك النحل لها ﴿ مصنعان ﴾ مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فاذن جميع ما فى الأرض من مصانع الذخـيرة ماهى إلاتـكرار لمصانع فى الحيوانات كهذين المصنعين فى العنـكبوت والنحل ، وهكذا مصانع الغزل والنسج والسكر تـكرار لذلك فى العنـكبوت والنحل ، و بيان أن العنـكبوت ليست من الحشرات كالذباب والنحل فى عدد أرجلها فهـى ذات ٨ أرجل والحشرات (٦) أرجل ، ومثل العنـكبوت العقرب فى عدد الأرجـل وكذلك أبو شبت وأكثر الحشرات غير سامّة وأقلها كالنحل والزنبور سام بخلاف العناكب والعقارب وأبى شبت . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت بيوتنا وحقولنا فى الأماكن التى تركها الانسان لتـكون عبرة لعقلاء الأمم المفـكرة (شكل ٢٧) فيه رسم جهاز الغزل فى جسم العنـكبوت مكبرا (شكل ٢٨) رسم ابرة النحل مكبرة جدا (شكل ٢٩) رسم العنـكبوت وله إبرتان فى طرف رأسه يلسع بهما وتحته إبرة مكبرة والى يمينها الغدة التى تفرز السم

١٤٨ (الحـكمة العملية) وهى ان الأمم الصانعة تستعبد الأمم غير الصانعة لأن الأولى تخلقت ببعض أخلاق الله ، انظر الى الألمان الذين صنعوا حريرا من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير الدودة واذا دام هـذا تنقرض الدودة . فى الهند يزرع نبات نيلة الصباغة فى مليون فدان فاستخرج الألمان مادة الصباغة من الفحم فبارت تلك الأطيان . إذن هـذا الانسان خلق فى الأرض ليصنع كل شئ بنفسه فلايتـكل على حيوان ولانبات وهذه حال أشرف للانسانية العامة ويكون الانسان أقرب الى ربه

١٤٩ بماذا يشير الله للناس إذ أراهـم صنع أمثال العنـكبوت والنحل وتقديرهما الذباب نعـمة لأنه يحيل الرطوبات الى جسمه ولـكن هو نفسه ينقل العدوى لأمراض كثيرة ، لذلك خلق له العنكبوت يسلط عليه . إن الامم الموفرة الرزق ذليلة والأمم التى تعبت فى التحصيل عزيزة الجانب . فالأولى كالذباب الذى يجد الرزق فى كل مكان والثانيـة كالعنـكبوت الذى يحتاج الى شبكات يصطاد بها . هذا كله من معنى ــ وخلق كل شئ فقدّره تقديرا ــ . لذلك كله ضرب الله الأمثال وأنزلها فى القرآن إذ علم أن المسلمين سينامون أمدا طويلا فقال ــ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلاالعالمون ــ (بكسر اللام) ثم إن هذا التقدير ليس خاصا بمافوق الأرض بل يشمل مافى البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السفينة

١٥٢ فهمنا سمك كهربائى (شكل ٣٠) و(٣١) يكون بالبرازيل وغينيا ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمساطر المسدسة الأضلاع . فهذه جعلت لصيده فى البحر كشبكة العنكبوت فى البر وهكذا (شكل ٣٢) صورة حيوان (النوتيلوس) أوصاحب السفينة

١٥٤ بهجة العلوم المسطورة فى لوح الطبيعة وهى ﴿ ثلاثة فصول ﴾

١٥٥ ﴿ الفصل الأول ﴾ فى خطاب الله للأمم ، وفيه بيان أن منازل بنى آدم تكون ظواهرها حيطانا متينة ولكن الحيوان منه ماجعل كذلك كصاحب السفينة وأمثاله من كل ماجعلت له صدفات تحيط بجسمه ومنه مالاصلابة فى جسمه لا داخلا ولاخارجا كالحشرات ، ومنه ماجعلت صلابته فى الداخل لافى الخارج كالانسان وذوات الأربع والطيور أى جميع الحيوانات الفقرية فهى تخالف بناء منازلنا ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجلد الانسان والحيوان بالنسبة للعظام

١٥٦ ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى خطاب الله للمسلمين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سنتى وهذه أفعالى فسنتى ابرازجميع الصناعات كما أريتكم فى جسم النحل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة

﴿ الفصل الثالث ﴾ فى خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين فى خوارق العادات فلايفرقون بين الأولياء والكهان ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لايدل ذلك على رفعة قدرهم فان التنويم المغناطيسى قدحدث بذلك صدقا تارة وكذبا أخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن الهدهد إذ أخبر سليمان بما لايعلمه ، فهل الهدهد بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح أيها المسلمون يزيد عما صنعته العنكبوت من المراكب الهوائية التى طارت بها فى الجو ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيار أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون والله مادمتم جهالا فانى أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليمصوا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ماكنتم تجهلون الأساء مثلا القوم الجاهلون

١٥٧ ذكر ما قاله الشيخ الدباغ من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهوخاسر ، وبيان قول الفيلسوف (سبنسر) ان الناس قرؤا قبل أن يكتبوا فعلينا أن نبتدئ بالكلام قبل الكتابة مشاكلة لتاريخ ذلك والله خلق العالم قبل خلق الانسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العلوم قبل درس تشريح الانسان . إن النبات والحيوان مخلوقان قبل الانسان فليدرسا قبل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لفهم جسم الانسان فهذا صراط الله ونحن نقول ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ وهذا المعرف يرجع الى المنكر

١٥٨ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورات فى القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التى ضربها الله للناس ومايعقلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولاتفصيل لآيات هذه الحشرات والحيوانات والطوفان إلابعلم يشمل نوع الانسان . وليس يعقل تلك الآيات إلا علماء بنص القرآن . فالمسلم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجرادة والدم ويقول هذه أشياء معروفة أنا أعرفها ولاأحتاج الى علم ولافهم ولكن الله يقول كلا ثم كلا لايعقلها إلاعلماء اختصوا بها والجاهل يعلم كل شئ والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان اذا لم يحترس الناس من غوائل الأنهار كالنيل ولم يبنوا القناطر والجسور . وترى بلاد اليمن زراعية كان بها سد العرم قديما فانتفعوا به واليوم لاعلم فى البلاد كالذى كان فى الجاهلية أيام ممالك سبأ فأقفرت الجنتان . فهل يرجع المجد

صحيفة

للقوم إلا بالتبحر فى علوم الهندسة وأمثالها كالأمم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ماعرفه الناس فى أيامنا من أن البراغيث تستعمل الفيران كما نستعمل نحن الخيل فتركب متنها وتهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جراثيم مرض البرقان والنزيف ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيران مدمرات لما نخزنه وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك الخطرومن لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . نعم البرغوث ليس مذكورا فى الآية ولا الفيران ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فالمذكور فى القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس يفصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهى طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض اسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى ـ وقدّره تقديرا ـ لأن هذا من التقدير والنظام وهو لايعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (الناموس) الذى يسبب مرض (الدنج) الذى يسمى بمصر (أباالركب) ويسمى (حمى البلح) فلهذا المرض جراثيم لم يمكن رؤيتها لدقتها وتنتشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الانسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها فى بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تغطى الأسرة وأن لانترك الماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه وليعزل المريض عن الأصحاء . كل هذا ذكرته لبيان قول الله تعالى فى سورة أخرى فى هذه الحيوانات وأمثالها انها آيات مفصلات فهذا نوع من تفصيلها بالعلم والمسلمون اذا لم يعلموا هذا فالله لهم بالمرصاد فى الدنيا بالذل وفى الآخرة بجهنم

١٦٤ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ ـ ولايملكون موتا ولاحياة ولانشورا ـ وبيان أن هذه (سبع صفات) لابد منها للالوهية وبيت القصيد منها قوله ـ ولانشورا ـ لأن الإله الذى يخلق الخلق ثم لايعيده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والكامل لايفعل العبث يخلق أرواح فى الأرض ثم اهلاكها بلافائدة تترتب عليها . وانظر الى عدد (١٩) الذى مرّ فى اللطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ ـ وقالوا مال هذا الرسول ـ الخ . الناس لايعظمون إلا من كثر ماله وحشمه والترف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هى هى نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أمم الاسلام إذ يقولون لوكان ديننا حقا مادخل الفرنجة بلادنا

١٦٦ اللطيفة الخامسة ـ ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ـ يقول المعبودون جوابا على سؤال الله لهم عن العابدين ان هؤلاء تنعموا فاتبعوا أهواءهم فهلكوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون فى الآيات لوأنهم لم يمشوا فى الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا منعمين والمنعم ضال غالبا . إذن التمتع ليس نتيجته النبوّة بل نتيجته الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوّتهم الغنى . إن الملائكة والأرواح العالية لاتكلم إلا نفوسا ترفعت عن المادّة ، فأما الشهوانية فقد احتال الناس فى زماننا على محادثة منها أرواح بالمائدة وبالفنجال وغيرها مما هومشروح فى كتابى ﴿الأرواح﴾ وأكثر الأرواح التى يكلمها الناس بالصناعات المتقدّمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

﴿ اللطيفة السادسة والسابعة ﴾ النعمة معها نقمة والمضار فيها منافع . ان فى أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الحمراء فى الدم وتحارب الذرات لتفتك بأجسامنا وفى أثناء القتال تحصل الحرارة فنسميها حمى والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تمرن الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذرّيتها معدّة لاهلاك حيوان كل طاعون أومرض مهلك فى الجسم . هذا كله سرّ قوله تعالى ـ وجعلنا بعضكم

لبعض

صحيفة

لبعض فتنة ـ ومن هذا منافع الأعداء ومنه قول الشاعر ﴿ عداتى لهم فضل علىّ ومنة ﴾

١٦٩ ﴿ اللطيفة الثامنة ﴾ ـ وقدمنا الى ماعملوا من عمل ـ الخ نيات الانسان وآراؤه اذا تركت مبعثرة كانت أشبه بذرات الضوء فى طبقات الجوّ لا ظهور لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوؤها هكذا الأفكار إن لم تجمع فى نقطة فى العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة

جوهرة فى قوله تعالى ـ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ـ الخ سؤال طالب من دار العلوم يقول كيف نتصوّر وجود الله وعقولنا لانعقل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقدّر لكل شئ فأجابه المؤلف على السؤال الأوّل

(١) بأن المثلث والمربع وقضايا الحساب وغيره ثابتة فى نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وأيضا مالنا ولهذا أرضنا صغيرة فهى صغيرة بالنسبة للعوالم كلها بحيث اذا كانت الأرض جوهرا فردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمع أن نعقل خالق العالم

(٢) وأيضا نحن لانعرف العدم ، فالميت أجزاؤه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادّة قيل اليوم انها تنعدم وترجع الى أثير ولكن الأثير موجود . إذن لاعدم والوجود هو الأصل . إذن وجود الله أصل لايحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة أى فلانقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهى الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها لنعرف الرحمة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعدت لتنظر الأنوار الآتية الينا بعد سيرها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فالرحمة لاحدّ لها قد مكنت العين من رؤية أجرام بعيدة جدا ، ومن الرحمة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و (٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب الفرن الكهربائى فتصرف فى المادّة وحول الهواء (الاوزوت الذى فيه) مع الاودروجين الى نوشادر وهذا دخل فى سماد الزرع وفى الأعمال الحربية ، فنحن فى يد الله يصرفنا تصريفنا للعناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أمرت بترك الكلام فى القضاء والقدر . ومن أراد الكلام فليفكر فى أن لكل امرئ جنة ونارا فى نفسه فالخوف من التعبير بالتأخر عن نظرائه وهكذا لحوق العار بنحو الفسوق . كل هذا يعذّب به الانسان ولايفيده ان يقول هو قضاء وقدر ، فالناس يحسون بآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى ـ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴿ ولو ألقى معاذيره ـ وهكذا نرى المجدّين منشرحى الصدور بنجاحهم فى النهاية . فلكل امرئ عذاب ونعيم لاحقان به فى الحياة الدنيا ولكن هذا يصير مجسما بعد الموت . ومن ذلك الخياط (شبوارد) الانجليزى الذى قتل زوجته ثم ندم وقدّم نفسه للمحكمة فقتلوه وذلك لشدّة ضغط ضميره عليه . إذن لم يكتف ضميره بالقضاء والقدر . إذن العذاب يكون فى الدنيا وفى البرزخ ويوم القيامة وذلك ظاهر فى جميع قصص القرآن وفى حديث قليب بدر ومناداة النبى ﷺ للقتلى فى القليب . ثم بيان أن عذاب الخزى هو أشدّ أنواع العذاب

١٧٥ بيان مايناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أوّلا . ذلك اننا فى الأرض اتخذنا من الجبال حجارة فبنيناها ووضعنا معها مايناسبها . واتخذنا مافى باطن الجبال وقرار البحار من الأحجار الكريمة والجواهر فجعلناها زينة للحسان ونحوهنّ ونرى رجال السياسة بناة الامم يكتفون من الشعوب بظواهر التآلف ومثلهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالمة هى المقصودة فى عوالم الجنة وهى أشبه بالجواهر تتحلى بها الحسان والله لايصطفى عنده إلا هؤلاء المخلصين فهم كالجواهر أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لايصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث « انا أحكم

بالظاهر والله يتولى السرائر ، هــذا هو المثل الذى ضرب هنا . و يقول الاستاذ (عمانوئيل) الذى تقدم ذكره فى التفسير وهو من علماء الأرواح «إن الذين قرؤا العلوم وامتزجت بنفوسهم وأحبوها هم الذين ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم التى حفظت بدون تغلغلها فى النفس فلاترقى الروح بعد الموت فالعلم بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية » ويقول المؤلف «إن آراء هذا العالم الروحانى تشابه آراء الغزالى فى كتاب الإحياء » ثم تبيان أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ألم تر انه يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلماذا جعل رزقنا من السماء بالمطر مثلا وأخبرنا به وجعل لنا عيونا بخلاف حشرة (الأرضة) التى لاتحتاج الى ماء المطر وهى عمياء ، ماذلك إلا ليذكرنا بأن ندرس هــذا الوجود ، وأيضا هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لنتعارف ونتحد ونستخرج منافع الأرض معا . و بيان أن أخلاق الانسان وأعمـاله يراها المفتشون من الملائكة مسطرة على دماغه وجسده كله و يقذف فى النار بعد الموت أوفى الجنة أو يبقى مدة الى أن تظهر خباياه ثم يرسل الى جنة أونار وهذا كله يوافق الآيات القرآنية . الكلام على المقال الذى ألقيته لذلك الطالب بعــد ذلك فى وجود الله حتما لما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع الى ذرات ضوئية كهربائية وماهى إلا حركات ناشئة من عالم لاندركه والعالم الذى لاندركه وراءه موجود حقيقى هو الأصل عرفناه بوجود نفوسنا التى لانراها واذا كان الوجود المجارى أوالظاهرى الذى سميناه مادة رأيناه لاينعدم إذ المادة ترجع الى الأثيرالخ فكيف إذن يكون الموجود الحقيقى الذى هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لايرد السؤال بقولنا من الذى خلق الله الذى ينبى على أن الأصل هو العدم . و بيان عجز المؤلف وعجز العلماء قبله عن ادراك حقيقة عالم الأثير كما عجزوا عن ادراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله فى خلقنا وذلك بعالم الخيال عندنا فنسبة ضعف خيالنا الى عظمة هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة خالق العالم وخيالنا لابقاء له إلا بنفوسنا واذا غفلنا عنه لحظة عدم هذا الخيال هكذا هذا العالم لوأغفله الله لحظة عدم فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لاتأخذه سنة ولانوم - ويفهمنا - ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - وعليه لاحاجة فى خلق العالم الى مادة سابقة ولامثال ولافى عدمه الى شئ غير الارادة و به نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصــل عجيب فتح أبوابا كانت مقفلة على أكثر نوع الانسان والعلم الحديث هو الذى سهل فهمه لأنه أرانا أن المـادة حركات لاغير فهى معدومة ، ثم بيان أن هذا المقال سيتم فى آخر سورة النمل وهناك نذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العلوم المعروفة فى القرون الوسطى التى استمدت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢ « اللطيفة التاسعة » فى قوله تعالى - ويوم تشقق السماء بالغمام - و بيان الكشف الحديث أن ستين ألف كوكب ظهرت الآن وانها فى حال التكوين كأنها غمـام وأن الشمس وأمثالهـا سترجع الى تلك الحال بعد خراب هذا العالم

« اللطيفة العاشرة » - ويوم يعض الظالم على يديه - وفيها ذكر أنواع الصداقة وانها (أربعة أقسام) تأتى سريعا وتذهب سريعا أو بالعكس الخ . ضعف السياســة فى الأمم الاسلامية اليوم . و بيان أن الأمم الاوروبية قد نبغت فى صناعة السلاح وصناعة الحيل والمكر حتى انهم يرسلون للأمير ولقائد الجيش فى أمم الاسلام رسولين وكل منهما يحرك صاحبه الى مناوأة الآخر وهناك تكون لهم هم الفائدة المرجوة وهذا يناسب الآية - و يوم يعض الظالم على يديه - الخ

١٨٤ « اللطيفة الحادية عشرة » - وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا - و بيان أن

المسلمين

المسلمين جهلوا الحكمة فى أن أوّل سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقراءة ووصف الله بأنه كريم لخلقه الانسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاعتراف من نعمة الكرم ولكنهم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم التى هى نعمة العلم فحاق العذاب بنا فى الدنيا قبل الآخرة

١٨٦ القرآن وتقصير المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون ــ الحمد لله ــ على كونه ــ رب العالمين ــ كما قدم ــ اقرأ باسم ربك ــ الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن المسلمون اكتفوا بالعبادة ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه الذى يشبه السمك فى البحر وتركنا الجواهر والمرجان فأخذتها أمم غيرنا وهى علوم هذه الكائنات

(اللطيفة الثانية عشرة) ــ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ــ الخ وفيها أن النبات رأسه أسفل والانسان بعكسه والحيوان وسط بينهما ، فالانسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض يكون حظها من العقل فادراك النبات أضعف ويليه الحيوان فالانسان . إذن النفوس المنحطة تحشر على وجوهها لعدم تعقلها ــ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ــ الخ فعلى مقدار الجد فى العلم والعمل وارتقاء الغرائز تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرة فى قوله تعالى ــ وكلا ضربنا له الأمثال ــ الخ وشرح معنى المثل وأمثال (كليلة ودمنة) وقصص (ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والهند وقدماء المصريين وهكذا وأن الأمثال انما ألهمها الله لعباده لأن فهم المعانى منها أبقى لها عند النفوس الانسانية لأنها لاتعظم إلا ما تعبت فى تحصيله كما لم ترغب فى جمال النجوم وبهجة الأشجار كرغبتها فى الماس والجواهر لأنها عزيزة عندها لتباعدها عنها وغلو ثمنها ، هكذا الأمثال فهى تحتاج الى اعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهده المؤلف فى دار الآثار العربية من سجادة غالية الثمن واناء من عقيق أثمانهما مرتفعة جدا وهكذا قميص ابن هرون الرشيد . فهذه كلها لندرتها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبذولة لتركوها

١٩١ وههنا آن أن أذكر قصة العابد المفتون وهى الرواية الهندية . ذلك ان العابد (كندو) حسده ملائكة السماء (فى زعمهم) فأرسلوا له (برامونتشا) وهى حورية من الجنة فأضلته بجمالها وأنسته العبادة أياما كثيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما استيقظ لنفسه عرف المكيدة . فهذا مثل لغفلة الانسان عند تلك الأمم . وتليها قصة (نال ودامان) الهندية من كتاب (مهابهارته) كتاب هندى . وذلك أن (نال) ملك مملكة (نيشاواه) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمال الفتاة الفتانة (دامان) ففتن بها وأخبرت الأوزة لما أطلقها (دامان) بحب (نال) فهامت (دامان) به فأخبرت أباها (فيم) ملك مملكة (فيدنونه) وانتهى الأمر بزواجه لها . ثم ان إله الشرّ (فى زعمهم) أوحى الى (بوسكار) الذى هو أخو (نال) أن يلاعبه الميسر وهو بشره يساعده عليه فخسر (نال) كل مملكته وعاش هو وزوجته فى الذل والفقر ثم رجع معها الى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بلاحرب ولاضرب فأصدر (نال) أمرا بتحريم لعب النرد على مال لأنه مضيع للمال . ويلى ذلك قصة هاروت وماروت التى ضربتها الأمم السالفة مثلا لضلال الانسان بالشهوات فيسقط من عزه الى أسفل سافلين . وبيان أن تلك الخرافات المنقولة عن بنى اسرائيل جاء فى حديث (حدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج) جوازها باعتبار انها ضرب أمثال لاحقائق ولكن حقائقها لاقيمة لها وديننا لايبيح انشاء روايات على هذا النمط لأن الامثال لايعقلها إلا العلماء بها والقرآن نزل لأمة أمية فهو للجاهل والعالم فلذلك منع العلماء مثل هذا لأنه يوهم

صحيفة

أنه حقيقة . وهـذه الروايات نقلها المفسرون باعتبار أنها أمثال وإلا لم يجز فالاعتراض عليهم فى ذلك لامحل له بعد ورود الحديث المتقدّم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورقوا بها أممهم كرواية (وردة) عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله مدح الحكمة من أى قائل كان . الانسان فى هذه الأرض كتاب لايدرسه و يعقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما و بقيته فضلة غليظة وهذه ترجع فتصير زرعا فدما . فهذه كتلميذ سقط فى سنته فأعيد ثانيا وهكذا . وهذا الدم يمدّ الجسم ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من سقى الأرض وإيجاد أرض جديدة فى البحر . الذكورة والانوثة ليست شرطا فى النسل فان المحار لايحتاج الى ذلك . إذن الذكورة والانوثة سلم جعلت لارتقاء العقول بالعلوم و بالأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ انها تمرين على الفضائل وعلى حبّ الله والملأ الأعلى لأن الحب ﴿ ثلاث درجات ﴾ حب الذكر والأنثى وحب العلم وحب الله وكل حب مقدمة لما بعده . والناس لما عشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله فى منزلتهم فاخترعوا آلهة يحاربون و يعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم لجاء القرآن وقال . كلا . الله لا كفؤ له حتى يحاربه ولا ولد له ولازوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء نصائح ﴿ بتاح حتب ﴾ وقصة (البحرى الغريق) عند المصريين الذى ركب سفينة وكسرت وغرقت السفينة فلجأ الى جزيرة وقابلته حية وأكرمته ورجع الى بلدته . ومثلها السندباد البحرى وقصة حىّ بن يقظان ورو بنسون كروزو وألف ليلة وليلة وقوانين (حورابى) سنة ٢١٠٠ ق م

١٩٧ ﴿ اللطيفة الرابعة عشرة ﴾ ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ـ الخ . الناس قد حسبوا السنين والشهور والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكالوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء والضوء وكل شئ ولكنهم الى الآن جهلوا أمر نفوسهم فلوانهم حفظوا قواها ووزنوها لنفعتهم كما انتفعوا بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الانسان اليوم أكثره فى جهالة (انظر هذا فى كتابى أين الانسان)

١٩٩ ﴿ المقصد الثانى ﴾ ـ ألم تر الى ربك ـ الى ـ أوأراد شكورا ـ قد كتب بالحرف الكبير مشكلا

٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيرا لفظيا ـ

٢٠٣ هنا ﴿ أربع لطائف * اللطيفة الأولى ﴾ ـ ألم تر الى ربك كيف مدّ الظلّ ـ وتقسيم الأجسام الى معتمة وشفافة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظلّ وماسببهما وأن الظلّ والظلام فى العالم يقلان جدا وأن الكسوف والخسوف بسبب الظلّ القمرى والأرضى

٢٠٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ ـ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ـ و بيان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس يفنى اذا امتصه النبات أوشربه الحيوان بل هو باق و يرجع ثانيا وهكذا والنفوس الانسانية أولى بالطهارة والصفاء حتى تقبل رسوم المعقولات للطافتها وأحقّ بالبقاء لشدة لطافتها وصفائها . ثم ان الماء كثير التصرّف فهو فى الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذناب وأقواس قزح وفى القطبين تظهر فيه عجائب وألوان و بدائع تقدّم ذكرها وهكذا القرآن قد صرف ه الله تصريف الماء من تفنن فى الحكم والمواعظ والأخبار الخ . هكذا الانسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر و يسمع ويمضغ ويهضم ويطبخ الدم وهكذا وكل عمل من هذه بعضو خاص . فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت أعمالها . هذه هى النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكورات فى هذه الآيات .

٢٠٧ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ـ الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ـ الخ و بيان

صحيفة

الحكمة فى اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق فى ملايين السنين فأىّ عدد ينطبق عليه . و بيان أن العدد ﴿قسمان﴾ زوج وفرد والأفراد إما أوّلية واما مركبة من ضرب أعدادفردية مثل (٥) ومثل(١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) فى كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد واما ناقص واما كامل فالزائد مثل (١٢) لأن مضاريبه تزيد عليه والناقص مثـل (٨) لأن مضاريبه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثـل (٢٨) لأن مضاريبهما تساويهما . و بيان الجدول الذى استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٣٣) مليونا ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كوامل والبقية إما زائدة أوناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للاشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليـل فى العدد

٢٠٩ أقسم الله بالعدد وهوالشفع والوتر و بالشمس والقمرالخ ولم نره أقسم بغسل الميت وتكفينه ولابالحيض والبيوع والذى أقسم به الله شريف . إذن فلماذا لايبحث المسلمون عنه و ينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا فى غسل الميت وتكفينه وأوسعوا . أما هذا فلا

حكاية الشعبي لما أوفده عبدالملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعيم الجنة كيف لاينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شئ وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ راى أقواما يسألونه فى عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهولايزال واحدا واجابة المؤلف فى النوم بأن العدد الذى لانهاية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غـيره كالمائة والألف و بيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب تقريبىّ ثم تبيان أن علم ماوراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب فى المنام صحيح لأن الوحدة مساوقة للوجود فكل موجود كثيرا أوقليلا يقال له واحد . و بيان أن المؤلف قبيل تفسير هذه الآية كانت تخطرله خواطر فى الأعداد الأوّليـة والفردية والزوجية وانه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هوالمبحث العددى فى قوله ــ ستة أيام ــ

٢١١ ﴿الجوهرة الأولى﴾ فى قوله تعالى ــ وهو الذى مرج البحرين ــ الخ . و بيان قول الله تعالى ــ ياحسرة على العباد ــ وذلك لاعراضهم عن آياته واستهزائهم بهامثل ماهنا من آيات البحار كالمرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (اللورد أفبرى) الانجليزى فيصف جمال الله فى هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذى فى كتاب اللورد المذكور خطابا للبحر مثل

* إنّ فى صدرك الرحيب رجالا * الحيوانات فى البحارمثل الكاشولات ومثل الروركال

و يبلغ طول هذا (١٢٠) قدما وذكر قريص البحر الذى يغطى اميالا من سطح البحر

٢١٣ الحشرات و بعض ذوات الثدى ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كصوت الحمار . و بيان أن جمال البرّ قاصر على السطح . أما جمال البحر فهو فى سطح الماء وفى وسطه وفى القاع وهناك سمك يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة وضوء الشمس لايصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان مايعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش فى عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العيون . وكلما كان السمك أبعد عمقا كان أجل لونا وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى فريسة أضاء بنوره ليراها أوعدوّا مفاجئا أطفأ نوره وقديوقد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوّه فيكاد سنا نوره يذهب ببصره فيفرّ منه فهو يفعل فعل الظربان باطلاق رائحته على عدوّه . وعفريت البحرله خيوط تضرب الى الحمرة يستعملها حبائل للصيد فتقوم مقام نسيج العنكبوت فى البرّ فما عليه

إلا أن يطلقها فى الماء فتقترب بها السمكات المسكينات فتظنها حشائش فتقترب منها فيقبض تلك العفريت عليها فيقتنصها ، هذا اذا كان العفريت قريبا من السطح ، فأما فى الأعماق فان تلك الخيوط تكون لماعة وبهذه الصفة تفترس السمكات

النباتات البحرية لاتعيش على أعمق من مائة قامة وقعر المحيط الاطلانطيق يصل من (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحمرة ثم البركانية . كرتنا يسقط عليها كل عام مائة ألف ألف شهاب . أقصى عمق البحار يشابه أعلى الجبال والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا للعمق الحقيقى وبعض البحار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة

الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء كجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها فى المحيط الباسفيكى والهندى وهى تكون إما مستديرة بشكل الخاتم أو الحلقة وقد يكون فى وسطها حوض ضارب ماؤه الى الصفرة والخضرة معا بخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لفرط العمق . والسواحل رملية بيضاء غالبا وعليها نخيل (الشكولاته) وهناك جزائر (١٠٠,٠٠٠) جزيرة وجزائر ألف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بهيئة شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه ثغور بسامة وما هى إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة بركانية حلقية . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ يزعم بنو آدم انهم أحسن عملا من كل حيوان وفاتهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بالمئات سكن فيها الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم يقدروا . البحر الملح وحكمة مافيه من ذلك الملح التى لولاها لأنتن ماؤه بما فيه من الرم وجثث الحيوانات المائتة . ولقد جعل الله من هذا الماء الملح ماء عذبا استخرجه شعاع الشمس فعلا فى الجو وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض ينابيع بعضها يكون تحت الماء الملح ويفصله طبقة من القاع . وهكذا تجد مايشبه ذلك وهو أن الهواء تكون فيه أصوات الناس والحيوان والنبات ولا اختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات فى الهواء ولا للصور الأشباح الساريات فى الجو بمعونة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعدسيتها فترسم على اللوحة وراءها فى خزانتها المظلمة عند المصور الشمسى فهذا كله يشير له قوله تعالى ــ وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ــ

٢١٨ لطيفة فى قوله تعالى ــ وهو الذى خلق من الماء بشرا ــ وقوله ــ ولقد صرفناه بينهم ــ وقوله ــ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ــ والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحاب ممتد من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشبه الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ والناس لايعقلون هذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود مصطفة لملك عظيم الشأن وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجمال ومامناظر الليل والنهار إلا صور متحركة تمثل الجمال بأنواع من الحركات والجمهور عمى عن هذه المناظر الجميلة فلذلك عوضهم الله عن هذا الجمال الذى حرموا من منظره وهو أملهم بالأعياد والمواسم التى يفرحون بها لقربها من عقولهم . أما أولوا الألباب فمناظر هذه الدنيا هى الأعياد الدائمة لهم لقربهم من ربهم ومعرفتهم بجمال صنعه . يرون الشمس تكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع خضراء وزرقاء وصفراء وحمراء وهذان وحدهما فى الزهر . وترى أمواج البحر فى خط الاستواء تنبعث منها هيئة قوس قزح والدرر اللامعات والماس والزبرجد الأخضر واللازورد فاذا غربت الشمس تبدت تلك الألوان فى جو

صحيفة

السماء باسمات الثغور و يسدل الستار على الأرض وماعليها من جبل وزرع وبحر وتتجه العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساحرة الطرف البديعة والنقوش الغريبة والعرائس السافرات الضاحكات المستبشرات . فهذه روايات يمثلهاالليل والنهار وأكثرالناس عنهامحجوبون لهذا عوّضهمالله بأعيادهم كما قدّمنا و بالصورالمتحركة التى اخترعها الناس فى عصرنا لقصورعقولهم

٢٢٠ هـذه صورالسماء التى يراها الحكماء فاذا رجعوا الى أنفسهم وجـدوها أبدع من تلك المناظر السماوية والأرضية فاذا رأوا ابداع النقوش الأرضية والمناظر السحرية السماوية فانهم يرون ماهوابدع فى أجسامهم من أنواع الحواس التى قسمت هـذه المناظرالمذكورات عليها ليلا ونهارا ومن الأعضاء المختلفة فى ظاهر الجسم و باطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التى كانت خلية واحدة فانقسمت اثنتين فأربعا الخ وهكذا حتى صارت جماعات متجاورات مقسمات الى أقسام كل قسم له عمل خاص و بهذه الأعمال المختلفة يتمّ نظام مجموع الجسم الانسانى ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ اننى أنا قد وجدت فى جسمى أمما من الأحياء تعدّ بالآلاف المؤلفة وكلها مدججات بالسلاح وهى الكرات البيضاء التى تحارب الجنود الهاجة على جسمى لتهلكه ثم ان جنودى أنا تنقضّ على تلك الهاجة فتهلكها وتزداد بذلك قوّة ومتى حصل فى جسمى جرح بدخول الأجانب أسرعت جنودى فتراكمت فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ماهو إلا القلعة الحصينة التى تحصنت فيها جنودى فأكلت الأعداء وجندلتهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التى أفسدتها تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظرعجيبة ليس يعقلها الانسان لولاأنها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات المشخصات فى جسمى أعجب من الروايات المشخصات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشروقها والليل والنهار . هكذا جسمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظرالخلية فى ثانية واحدة اذ تطوّرت سبع مناظر (شكل ٣٩)

٢٢٢ وهذه الخلية التى تعيش فى البرك مشابهة للخلية التى تعيش فى دمنا وكلاهما لها حياة مستقلة . فجميع جنود أجسامنامستقلة أفرادهااستقلال هذه الخلية فى البرك وهى أب كل كائن حىّ وقد وجدوها أنواعاشتى وهذه الخلية أو (البروتو بلاسم) متى صادفت ذرّة من النبات أكلتهاوهضمتها فلافرق بينها و بين الحيوان المعروف أكلا وهضما وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة فى أجسامنا كانت معروفة قبل أيام (باستور) فلما ظهر هوكشف لنا (عالم المكروب) وماهو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحى والجدرى وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ (شكل ٤٠) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء فى أجسامنا وهى تتغذى بمكروب (الدفتريا) ومكروب (الستر بتوكوك) ومكروب الحمى الراجعة ومكروب (الكوليباسيل) ومكروب (الانتراكس)

٢٢٣ جوهرة فى قوله تعالى ــ وهو الذى خلق من الماء بشرا ــ وأن المصلى فى ركوعه وسجوده إذ يقول ﴿ خشع لك سمعى و بصرى ﴾ واذ يقول ﴿ سجد وجهى للذى خلقه وصوّره ﴾ انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أوّلا ثم يفصل أعضاءه المشتملة على هذه الجماعات من الحويصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الراكع جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة ويماثل الأوّلين جماعات الحكام فى الأمم وتمثل الأخرى جماعات الأمم المحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامنى وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير (أوليفر لودج) وأن كل روح أوتيت قوّة إلهية بها كان جسمها انسانا أوقردا الى آخره وهذا عجب

صحيفة

٢٢٥ ان ماذكره اللورد (أوليفرلودج) من حيث تصرّف الروح فى الجسم وانها لم تتصرّف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلا سير من الخلق الى الحق والمصلى فى سجوده وركوعه إذ يذكر نعمة السمع والبصر بعد التسبيح يرجع من الحق الى الخلق ومافعله اللورد (أفبرى) هوما فعله حكماء اليونان فان (تاليس) اليونانى و (أنكسمانيس) و (ديموقراطيس) والسوفسطائية (وفيثاغورس) و (أنبذوقلس) و (أنكساغورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا فى مباحثهم هكذا أصل العالم (الماء . الهواء . الجزء الذى لايتجزأ . ليس هناك حقيقة ولاعلم . أصل العالم العدد . أصل العالم المحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركه وتركه . للعالم إله وهوالقائم بصغيره وكبيره وهومنظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأى الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها ملحد ولاموحد فى أوروبا والشرق الآن والمصلى فى الفاتحة والتشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة فى قوله تعالى ـ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ـ الخ وشعر المعرّى * كأن سهيلا الخ * وشعره أيضا * سقتها الرياح الخ * خطاب الله للنجوم الجيلات وتسمية الأمم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكنديناڤيا والاسكيمو ، والكلام على غرام قدماء المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناءه على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعظيمهم لله ظنوا أن الرقص حول الهياكل كسير الكواكب حول الشمس وأن رقصهم لم يكن للخلاعة واللهو بل كان تدينا وهم يكتمونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد المعبودة (ديان) بمدينة بويسط ، ومقال بطريق الاستطراد فى الرقص عندهم فى أفراحهم وأعيادهم ، وأن النرد عند لاعبيه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديما وهى المرموزلها بالنقط السبعة فى الوجهين المتقابلين لجرى النرد المسميين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسن) فى جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتدبر أكثر من الانسان وأن الحياة أتت من عالم غير عالمنا وأن والده سمّ الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ ﴿ بهجة السموات ﴾ كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القطب مبدأ وترسم دائرة المعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدلك على دوائر الميل . عد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ فى الشمال و (١٥) فى الجنوب و (١٢) فى الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد مايرى بالعين وانه (٤١٠٠) وقد وصل العدد الى (٦٠٠٠) نجمة و بالنظارات نيف و (٢٠) مليون نجمة . و بيان أن أضوأ النجوم (٢٠) نجمة . و بيان أقدارها الست بالعين والخمسة عشر بالنظارات (شكل ٤١) الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسى

٢٣٦ (شكل ٤٢) مربع الفرس الأعظم . المرأة المسلسلة . برشاوش الغول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السماك الأعزل . السماك الرامح . العوّاء . أم الشعور . قلب الأسد . رأس التوأم الخ (شكل ٤٤) (الحمل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العصا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصغر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السماك الرامح . العوّاء . الاكليل الشمالى . هذا هو الذى تعلمناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم الفلك فى هذه المدة زاد أضعافا كثيرة جدا فلذلك نذكر ماجاء فى عصرنا وهو « ماوراء المجرّة . العوالم

الجزرية

(تمت)